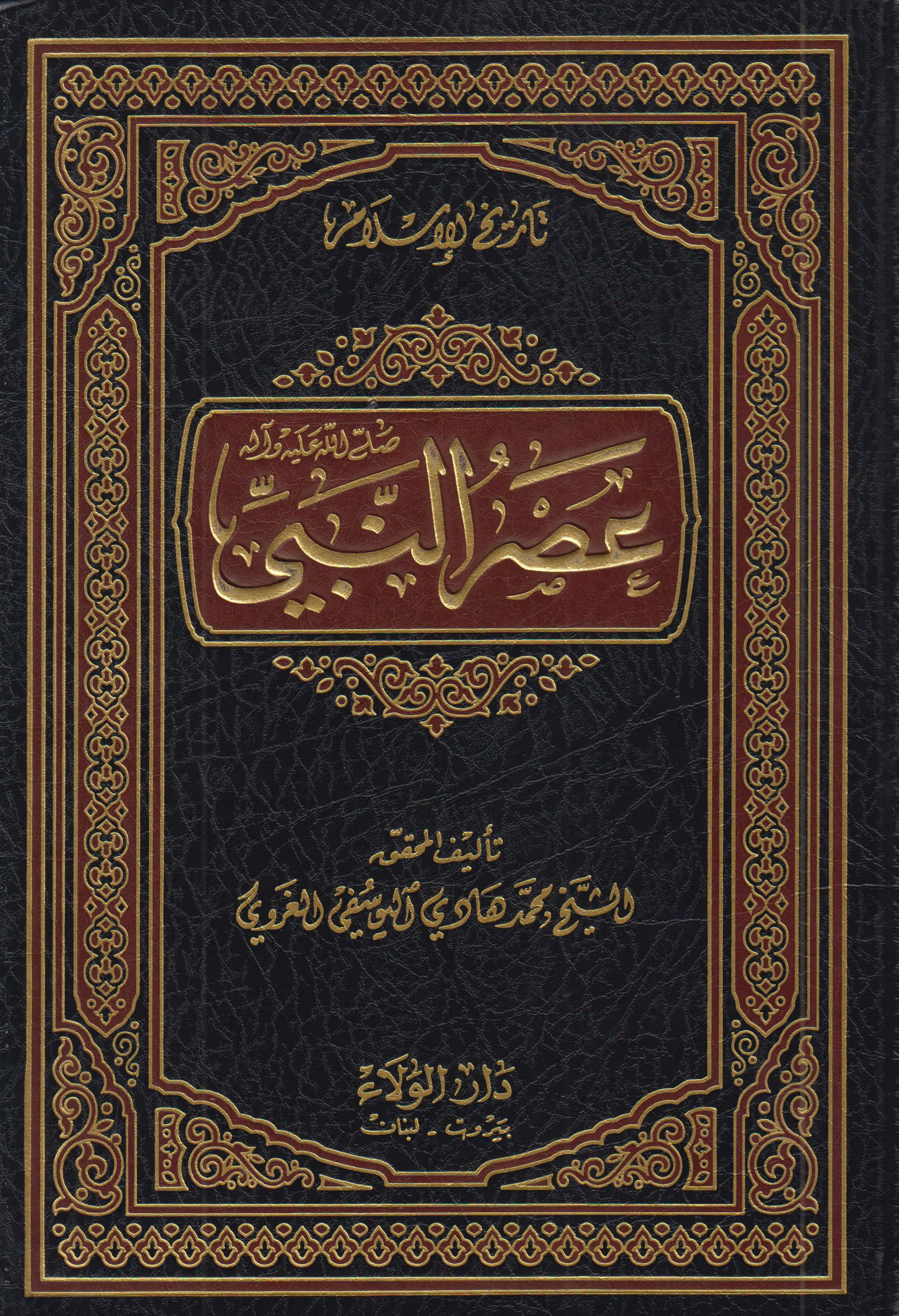
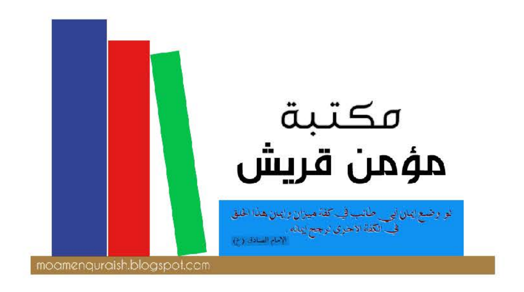

تاريخ الإسلام (١)
عصر النبي صلى الله عليه وآله
تأليف المحقق
الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي
دار الولاء
بيروت - لبنان

عصر النبي (صلّى الله عليه وآله)



لبـنان - بيـروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com



ISBN 978-614-420-004-9

الكتـــــاب: عصر النبي (صلى الله عليه وآله)

تأليف المحقق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

إعـــــداد: السيد باقر الرضوي

إشـــراف: السيد منذر الحكيم

الناشـــــر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: بيروت ـ ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

تاريخ الإسلام

عصر النبي (صلّى الله عليه وآله)

تأليف المحقق

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

إعـداد

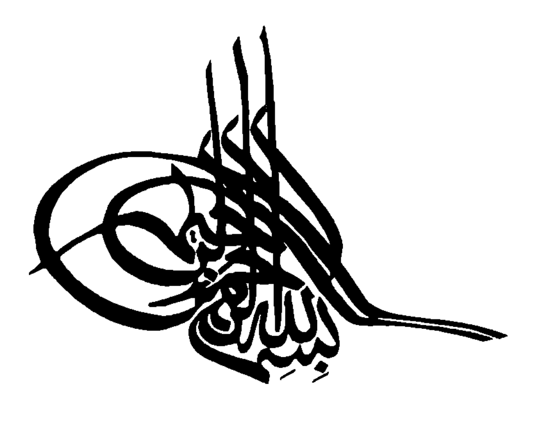
السيد باقر الرضوي

إشـراف

السيد منذر الحكيم

دار الولاء

بيروت - لبنان



المقدّمة

لقد أرَّخ القرآن الكريم في آياته البيّنات للرسالة الإسلامية وللرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الشيء الكثير ممّا يرتبط بالسيرة والمسيرة والأحداث والإنجازات والأخطار التي تعرّض لها الإسلام وسيتعرّض لها في مستقبل أيامه باعتباره رسالة إلهية كاملة وخالدة تتبنّى تغيير الواقع الفاسد وترمي إلى إصلاحه وترشيده وإكمال المسيرة البشرية باتجاه تحقيق الأهداف المُثلى للإنسانية.

وقد جاءت فترة تدوين مصادر التاريخ الإسلامي في أعقاب عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) وعصر نزول القرآن الكريم بفترة طويلة نسبياً، ومع ذلك لم تستوعب هذه المصادر كلّ أحداث عصر الرسالة لأسباب كثيرة، ربما تُعرف لمن يؤرّخ تلك الأحداث ويؤرّخ لمصادرها ولما رافقها من مخطّطات وأساليب كانت قد اتُّخذت لإجهاض الرسالة، ولم تفلح في محصّلتها النهائية؛ وذلك لما تضمّنته مصادر الرسالة واحتوت عليه رموزها من عناصر القوة والديمومة والبقاء.

وتنوّعت مناهج المؤرّخين ومصادرهم وأغفلت جملة من مصادر التاريخ الإسلامي المصادر الأساسية التي أصّلها القرآن الكريم والرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) وأعني بهم أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، حيث اعتبرهم الرسول (صلى الله عليه وآله) سفن النجاة وجعلهم إلى جانب القرآن عصمة من الضلال ومع ذلك تجاوزتهم الحكام وشرائح من الأمة تبعاً لثقافة المنحرفين عنهم وعن خطّهم ورسالتهم؛ وبذلك أصبحت ثقافتهم وعلومهم مهمّشة حيث لم يسمح

المنحرفون عنهم بالتعرّف على ثقافتهم التي لو اطّلع عليها كلّ إنسان فضلاً عن كل مسلم لما ارتاب في ضرورة التثقف بثقافتهم والانتهال من غزير علمهم.

ولأهل البيت (عليهم السلام) عناية خاصة بالتاريخ تبعاً للقرآن الكريم كما أنَّ لهم عناية خاصة بنهج الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) وسيرته الفذّة لأنها تعرّضت للتحريف والتحوير شأن سائر الأعلام الهادية والرموز الكبيرة التي ساهمت في حركة الإصلاح والتغيير الاجتماعي الإنساني وحاربت رموز الظلم والطغيان.

وقد قام العلاّمة البحّاثة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي بجهدٍ نوعي في هذا المضمار معتمداً نصوص أهل البيت (عليهم السلام) ومصادرهم إلى جانب سائر المصادر التاريخية أيضاً ليكشف الضباب عن سيرة أعظم نبيّ وأكرم رسول جادتْ به السماء إلى البشرية، وأصبح جهده موسوعة كبيرة في أجزاء ثمانية جعلت محور بحوثها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأمناء على رسالته من أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وقد حرصنا على تلخيص الأجزاء الثلاثة الأولى منها الخاصّة بعصر النبيّ الخاتم سيّد المرسلين محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وإخراجها ككتاب دراسي مهتمّين بأهم بحوثها.

ويُشكر فضيلة الباحث الفاضل السيد باقر الرضوي(دام عزّه) لتحمّله عناء هذا الجهد، وقد راجعناها كما راجعها سماحة المؤلّف(دام عزّه) وأقرّها فكانت هذا الكتاب الذي بين يديك.

نسأله تعالى دوام التوفيق وحسن الأجر وهو المسدّد للصواب.

السيد منذر الحكيم

بيروت، ٣٠ صفر المظفر ١٤٣١

ذكرى رحيل الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله).



الباب الأوّل

العهد المكّي



الفصل الأوّل

بيئة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ونشأته

إيمان عبد المطلب:

قد تنازع الناس في عبد المطلب: فمنهم من رأى أنّ عبد المطلب وغيره من آباء النبي (صلى الله عليه وآله) كان مشركاً إلّا من صحّ إيمانه. ومنهم من رأى أنّ عبد المطلب كان مؤمناً موحداً وأنّه لم يشرك بالله عزّ وجلّ، ولا أحد من آباء النبي (صلى الله عليه وآله) وأنه نُقل في الأصلاب الطاهرة، وأنَّه (صلى الله عليه وآله) أخبر: أنّه وُلد من نكاح لا من سِفاح.

لقد كان عبد المطلب يوصي ولده بصلة الأرحام وإطعام الطعام ويرغّبهم ويرهّبهم فعل من يرقب معاداً وبعثاً ونشوراً، وقد أوصى أبا طالب بالنبي (صلى الله عليه وآله)[1].

وعن الصادق عليه السلام: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي عليه السلام: إنّ عبد المطلب سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، وأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[2] ووجد كنزاً[3]

---

(١) مروج الذهب، ٢/١٠٣ و١٠٨.

(٢) النساء: ٢٢.

(٣) يمكن أن يكون المقصود منه ما وجده ممّا كانت جُرهُم قد دفنته في بئر زمزم من هدايا الكعبة، كما مرّ.

فأخرج منه الخمس وتصدّق به، وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[١]. ولمّا حفر بئر زمزم سمّاها: سقاية الحاج، وأنزل الله عزّ وجلّ «أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر»[٢]. وسنّ عبد المطلب في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله ذلك في الإسلام. ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنّ فيهم عبد المطّلب سبعة أشواط فأجرى الله ذلك في الإسلام. يا عليّ! إنّ عبد المطّلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذُبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام[٣].

وعن الصادق عليه السلام بثلاث طرق: يُحشر عبد المطلب يوم القيامة أُمّةً وحده، عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك[٤].

أبناء عبد المطلب والذبيح منهم:

عن الصادق عن أبيه عليهما السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ولد عبد المطّلب فقال: عشرة والعبّاس. يعني أحد عشر رجلاً»[٥].

وعن الباقر عليه السلام قال: كان عبد المطّلب وُلد له تسعة، فنذر في العاشر ـ إن رزقه الله غلاماً ـ أن يذبحه. فلمّا وُلد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلبه، فجاء بعشر من الإبل وساهم عليها وعلى عبد الله، فخرجت السهام على عبد الله، فزاد عشراً، فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلمّا أن بلغت مئة خرجت السهام على الإبل، فقال عبد المطّلب:

(١) الأنفال: ٤١.
(٢) التوبة: ١٩.
(٣) الخصال: ٣١٢.
(٤) أصول الكافي: ١/٤٤٦ و٤٤٧، أي وحده في الإيمان دون معاصريه.
(٥) الخصال: ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

ما أنصفتُ ربّي، فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أنّ ربّي قد رضي، فنحرها[1].

«وكان اسم عبد الله (عبد الدار) و(عبد قصي) فلمّا كان الفداء قال عبد المطلب: هذا عبد الله فسمّاه به[2] وكان ذلك بعد حفر زمزم بعشر سنين[3]، ولعبد الله ٢٠ سنة.

تزويج عبد الله بآمنة:

«وبعد حفر زمزم بعشر سنين، وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة، كان تزويجه بآمنة بنت وهب، وكان سنّهُ يوم تزويجها أربعاً وعشرين سنة»[4].

وقال ابن إسحاق: خرج عبد المطّلب بابنه عبد الله حتّى أتى به إلى دار وهب بن عبد مناف بن زهرة ـ وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً ـ فخطب ابنته آمنة لعبد الله، وكانت آمنة أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فزوّجه إياها وأملكها. وفي داره دخل عبد الله على آمنة، فحملت برسول الله (صلى الله عليه وآله)[5].

ويتحدث الناس: أنّ آمنة بنت وهب كانت تحدّث: أنها حين حملت رأت أنّه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام، وقيل لها: إنّك قد حملت بسيّد هذه الأمّة فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أُعيذه بالواحد من شر كلّ حاسد، ثمّ سمّيه محمداً[6].

ثمّ رُوي بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أنّه حدّث عن حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، عن آمنة بنت وهب، أنّها قالت لها: رأيت حين حملت به أنّه

---

(١) الخصال: ١٥٦.
(٢) اليعقوبي: ٢/٩.
(٣) اليعقوبي: ٢/٩، يعلم ذلك ممّا ذكره في سنّ زواج عبد الله.
(٤) اليعقوبي: ٢/٩.
(٥) سيرة ابن هشام: ١/١٦٥؛ ورواه عنه الطبري: ٢/٢٤٣.
(٦) سيرة ابن هشام: ١/١٦٦؛ ورواه عنه الطبري: ٢/١٥٦؛ وابن شهرآشوب في المناقب: ١/٢٩.

خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثمّ والله ما رأيت من حَمْلٍ قَطُّ كان أخفّ عليّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء.

ثمّ رُوي بسنده عن ثور بن يزيد: أنَّ نفراً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، وحين حملت بي أُمّي رأت أنّه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام[1].

الميلاد الميمون:

ورُوي عن أمه أنّها قالت: لمّا وضعته رأيت نوراً ساطعاً بدا منّي حتّى أفزعني، ولم أر شيئاً ممّا يرينه النساء.

وروى بعضهم: أنّها قالت: سطع منّي النور حتّى رأيت قصور الشام. ولما وقع إلى الأرض قبض قبضة من تراب، ثمّ رفع رأسه إلى السماء[2].

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ١٧١ ـ ١٧٥؛ وروى الطبري بسنده عن ثور بن يزيد الشامي عن مكحول الشامي عن شداد بن أوس، قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله! إذ أقبل شيخ كبير من بني عامر وهو سيدهم، يتوكأ على عصا، فمَثُلَ بين يدي النبي قائماً وقال: يا بن عبد المطلب! إنّي أُنبئت أنّك تزعم أنّك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وانّك فوّهت بعظيم، وإنّما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل، وأنت ممّن (أي من قوم) يعبد هذهِ الحجارة والأوثان، فما لك وللنبوة؟! ولكن لكلّ قولٍ حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك وبدء شأنك.
فأعجب النبي بمسألته وقال له: يا أخا بني عامر! إنّ لهذا الحديث الّذي تسألني عنه نبأ ومجلساً، فاجلس فثنى رجليه وجلس. فقال له النبي: يا أخا بني عامر، إنّ حقيقة قولي وبدء شأني: أنّي دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى بن مريم، وإنّي كنت بكر أُمي.. ثمّ إنّ أُمي رأت في المنام أنّ الّذي في بطنها نور، وإنّها قالت: فجعلت أُتبعُ بصري النورَ والنورُ يسبق بصري حتّى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها (الطبري: ٢/ ١٦١)؛ ورواه بنفس السند (الكازروني (في) المنتقى في مولود المصطفى) وقد أخرج ابن أبي الحديد مختصره في (شرح نهج البلاغة) عن الطبري.
(٢) روى مفصّل الخبر عليُّ بن إبراهيم القميّ في تفسيره مرسلاً: عن آمنة أم النبي أنها قالت: لما=

حملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى. وكانت في منزل عبد الله.

=حملت برسول الله لم أشعر بالحَمْل ولم يصبني ما أصاب النساء من ثقل الحمل، ورأيت في نومي كأنّ آتيا أتاني فقال لي: قد حملت بخير الأنام.
ثمّ وضعْتُه يتقي الأرض بيديه وركبتيه، ورفع رأسه إلى السماء وخرج منّي نور أضاء ما بين السماء إلى الأرض، ورُمِيَتِ الشياطين بالنجوم، وحُجبوا من السماء، ورأت قريش الشهب تتحرك وتزول وتسير في السماء، ففزعوا وقالوا: هذا قيام الساعة، واجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة ـ وكان شيخاً كبيراً مجرباً ـ فسألوه عن ذلك فقال: انظروا إلى هذه النجوم الّتي يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإن كانت قد زالت فهي الساعة، وإنْ كانت هذه ثابتة فهو لأمر قد حدث.
وكان بمكّة رجل يهودي يُقال له: يوسف، فلمّا رأى النجوم تتحرك وتسير في السماء خرج إلى نادي قريش فقال: يا معشر قريش! هل وُلد فيكم الليلة مولود؟ فقالوا: لا، فقال: أخطأتم والتوراة. قد وُلد في هذه الليلة آخر الأنبياء وأفضلهم، وهو الّذي نجده في كتبنا أنّه إذا ولد ذلك النبي رُجمت الشياطين وحُجبوا من السماء.
فرجع كلّ واحد إلى منزله يسأل أهله: فقالوا: قد ولد لعبد الله بن عبد المطّلب ابن.
فقال اليهودي: اعرضوه عليّ. فمشَوْا معه إلى باب آمنة فقالوا لها: أخرجي ابنك ينظر إليه هذا اليهودي. فأخرجته في قماطه، فنظر في عينيه وكشف عن كتفه فرأى شامة سوداء عليها شعرات. فسقط إلى الأرض مغشياً عليه، فضحكوا منه. فقال: أتضحكون؟ يا معشر قريش! هذا نبيّ السيف ليبيدنّكم، وذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد. وتفرّق الناس يتحدثون بخبر اليهودي.
قال علي بن إبراهيم: فلمّا رُميت الشياطين بالنجوم وأنكروا ذلك اجتمعوا إلى إبليس فقالوا: قد مُنعنا من السماء وقد رُمينا بالشهب. فقال: اطلبوا فإنّ أمراً قد حدث في الدنيا. فرجعوا وقالوا: لم نر شيئاً. فقال إبليس: أنا له بنفسي. فجال ما بين المشرق والمغرب حتّى انتهى إلى الحرم فرآه محفوفاً بالملائكة وجبريل على باب الحرم بيده حربة. فأراد إبليس أن يدخل فصاح به جبرائيل: إخسأ يا ملعون! فجاء من قبل حِراء فصار مثل الصدّ (الجبل المرتفع) ثمّ قال: يا جبرائيل، حرْف أسألك عنه؟ قال: وما هو؟ قال: ما هذا؟ وما اجتماعكم في الدنيا؟ فقال: هذا نبي هذه الأمة، قد وُلد وهو آخر الأنبياء وأفضلهم. قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا. قال: ففي أمته؟ قال: بلى. قال: قد رضيت (تفسير القمّي: ١/ ٣٧٣، ط. النجف)...
ولنحتفظ في الذاكرة بقوله: «قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا» لنقارنه بما سنقرأه في قصّة شق صدره (صلّى الله عليه وآله) من أنّ جبرائيل خاصّة أخرج من صدره نصيب الشيطان!
ومع قول يوسف اليهودي في مكّة في آخر الخبر السابق عن آمنة: «ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد» لا يمكن أن نرمي الخبر بأنه يهودي من الإسرائيليات.
نعم في الخبر من الاستبعاد أنّ الوليد بن المغيرة معروف بما وُصف به في الخبر، ولكنْ عند ظهور الإسلام، فهل كان كذلك قبل ذلك بأكثر من أربعين عاماً، أي من قبل الأربعين من عمره حتّى بعد الثمانين؟!

وولدته في شِعْب أبي طالب في دار محمّد بن يوسف[١] في الزاوية القصوى عن يسار الداخل للدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيّرته مسجداً يصلي فيه الناس[٢].

قال المفيد: السابع عشر من ربيع الأوّل مولد سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل[٣].

وقال الطبرسي: وُلد يوم الجمعة عند طلوع الشمس، السابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام الفيل، وذلك لأربع وثلاثين سنة مضت من ملك كسرى أنوشروان[٤].

وقال الشيخ المجلسي(قده): إِعلم أنّه اتفقت الإمامية ـ إلا من شذّ منهم ـ

---

(١) قال المجلسي في هامش البحار: قال المؤرخون: كانت هذه الدار للنبي (صلى الله عليه وآله) فوهبها لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج الثقفي فاشتهرت بدار محمد بن يوسف فأدخلها في قصره الّذي كانوا يسمونه البيضاء، وبعد انقضاء دولة بني أمية حجّت خيزران أم الهادي والرشيد فأفرزتها من القصر وجعلتها مسجداً، وهو الآن يصلى ويزار فيه (البحار: ١٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢) وقال السيد الأمين في (أعيان الشيعة): وبقي المسجد في حالته تلك حتّى استولى الوهابيون على مكّة فهدموه ومنعوا من زيارته، على عادتهم في المنع عن التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، بل جعلوه مربضاً للدواب (أعيان الشيعة: ٣/ ٩). ثم هم عدلوا عن ذلك فجعلوه مكتبة ولكنّه مقفل دائماً.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٤٣٩؛ وذكره المسعودي: ٢/ ١٧٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٥/ ٢٥١؛ عن حدائق الرياض والتواريخ الشرعية للشيخ المفيد.

(٤) أعلام الورى: ٥. ووصف كسرى فقال: «وهو قاتل مزدك والزنادقة ومبيرهم، وهو الّذي زعموا أنّ رسول الله عناه فقال: وُلدت في زمن الملك العادل الصالح»، وهذا أوّل كتاب نراه ينقل هذا مرسلاً بل موهناً له بأنه من زعم من زعمه من بعض الناس! ولم أجده قبل نقل الشيخ الطبرسي في أيّ كتاب من العامة والخاصة، بل مرّ خبر يخالفُه أنّه قال (صلى الله عليه وآله): «هذا أوّل يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبي نصروا» وقد انتصروا على كسرى أنوشِروان فكيف يصفه بأنّه العادل الصالح؟!

وقال ابن شهرآشوب: ولد بمكّة عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل بعد خمسة وخمسين يوماً من هلاك أصحاب الفيل. وقالت العامة: يوم الاثنين الثامن أو العاشر منه. وروى رواية الطبرسي في أنوشِروان: ١/ ١٧٢.

على أنّ ولادته (صلى الله عليه وآله) كانت في السابع عشر من شهر ربيع الأوّل، وذهب أكثر المخالفين إلى أنّها كانت في الثاني عشر منه، واختاره.

محمد (صلى الله عليه وآله) لدى جدّه وعمّه:

فلمّا وضعته أمه (صلى الله عليه وآله) أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: إنّه قد وُلد لك غلام فأته فانظر إليه. فأتاه فنظر إليه. فحدّثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أُمرت به أنْ تسمّيه. فأخذه عبد المطلب فدخل به الكعبة وقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه(١).

وعن الصادق عليه السلام: لمّا جاء آمنة بنت وهب داء المخاض حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب فلم تزل معها حتّى طلقت ووضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الّذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب. وجاء أبو طالب فأخبرته فاطمة بالنور الّذي قد رأت، فقال أبو طالب: أما إنّك ستلدين غلاماً يكون وصيَّ هذا المولود(٢).

وفاة عبدالله:

عن الصادق عليه السلام أنّه ـ أي عبد المطلب ـ توفي بعد شهرين من مولد محمد (صلى الله عليه وآله): وقال بعضهم: إنّه توفّي قبل أن يولد، وهذا غير صحيح، لأنّ الإجماع على أنّه توفّي بعد مولده! وقال آخرون: بعد سنة من مولده. وكانت وفاته بالمدينة في دار تُعرف بدار النابغة بين أخواله بني النجار(٣).

والمعروف أنّ عبد الله توفّي قبل أنْ يولد محمد (صلى الله عليه وآله).

وممّا يؤيّد رواية ابن إسحاق بوفاة عبد الله قبل ميلاد الرسول أنّا لا نعثر على

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ١٦٨ ـ ١٦٩؛ ورواه الطبري عنه: ٢/ ١٥٧ بزيادة.
(٢) روضة الكافي: ٣٠٢؛ وروى مثله بسند آخر ابن شهرآشوب في المناقب: ١/ ٢٣.
(٣) اليعقوبي: ٢/ ١٠.

أي خبر أو أثر عن عبد الله حين ميلاد الرسول، وإنما نجد جدّه عبد المطلب يلتمس له المرضع.

رضاع النبي (صلى الله عليه وآله):

إنَّ أوّل من أرضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثويبة ـ مولاة أبي لهب عمّ النبي ـ بلبن ابنٍ لها يُقال له مسروح، قبل أن تُقدم حليمة، أياماً. وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطّلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

وكانت ثويبة تدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيكرمها، وكان يبعث إليها رسول الله بعد الهجرة بكسوة وصِلة، وكانت قد أسلمت، فماتت بعد فتح خيبر[1].

وعن الصادق عليه السلام: أنّ عليّاً ذكر لرسول الله ابنة حمزة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما علمت أنّها ابنة أخي من الرضاعة[2].

روى ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أنها كانت تقول: إنّها خرجت من بلدها مع زوجها الحارث بن عبد العزّى من بني هوازن ومعها رضيعها عبد الله بن الحارث، ومعها نسوة من بني سعد كلّ واحدة منهن تلتمس رضيعاً ترضعه ترجو المعروف من أبيه، وذلك في سنة مجدبة لم تُبقِ لهم شيئاً، وما أرض أجدب من بلاد بني سعد، فما كان في ثدييها ما يغني صبيّها الرضيع حتّى كانوا ما ينامون ليلهم من بكائه من الجوع، ومعها ناقة لها مسنّة ما ترشح بشيء يغذيهم، وكانت هي على أتان تتخلّف عن الركب ضعفاً وهزالاً.

حتّى قدموا إلى مكّة، فما بقيت امرأة ممّن مع حليمة إلا أخذت رضيعاً لها

---

(١) البحار: ١٥/ ٣٨٤؛ عن المنتقى في مولد المصطفى لمحمّد بن مسعود الكازروني.

(٢) البحار: ١٥/ ٣٤٠؛ عن فروع الكافي: ٢/ ٤١ ـ ٤٢؛ ورواه الصدوق في الفقيه: ٣/ ٢٦٠؛ والطوسي في التهذيب: ٧/ ٢٩٢؛ وراجع مفتاح الكتب الأربعة: ١٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣.

سوى حليمة، وكلمّا كان يُعرَض رسول الله (صلى الله عليه وآله) على امرأة منهنّ يُقال لها إنّه يتيم، كانت تأباه ليُتمه. وبقيت حليمة لم تأخذ رضيعاً، ولم يبق رضيع سوى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قالت حليمة: فقلت لزوجي: والله إنّي لأكره أن أرجع وأنا بين صواحبي لم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم لآخذنّه، قال صاحبي: لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته ـ وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره ـ ورجعت به إلى رحلي ووضعته في حجري وأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتّى روي، وشرب معه أخوه فروي. وقام زوجي إلى ناقتنا فإذا ضرعها مليء باللبن فحلب ما شرب وشربت معه حتّى روينا، فقال لي صاحبي: يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

ثمّ قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير، وكانت غنمي ترجع إلينا بعد العصر شباعاً قد امتلأ ضرعها من اللبن، وترجع غنم القوم جياعاً لا ترشح بقطرة لبن. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشبّ ما لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه من الرضاعة حتّى غلظ واشتدّ جسمه، حتّى إذا مضت سنتاه وفصلته، فقدمنا به على أُمّه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لِما نرجو من بركته، فكلّمنا أمه فلم نزل بها حتّى ردّته معنا فرجعنا به.

قالت حليمة: وبعد مقدمنا به بأشهر احتملناه فقدمنا به على أمه.

فقالت آمنة: ما أقدمك به وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟

فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الّذي عليّ، وتخوفت الأحداث عليه، فأدّيته إليك كما كنت تحبّين.

فقالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم. قالت: كلّا والله ما للشيطان عليه من سبيل. ثمّ أخبرتها بما رأته منه حين حمله ووضعه.

وفود عبد المطّلب على سيف بن ذي يزن:

عن ابن عباس قال: لمّا ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة ـ وذلك بعد مولد النبي (صلى الله عليه وآله) بسنتين ـ أتاه وفد العرب وأشرافها وشعراؤها بالتهنئة، تمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه.

فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطّلب بن هاشم، وأُميّة بن عبد شمس، وعبد الله بن جُدعان، وأُسيد بن خويلد بن عبد العزّى (كذا)، ووهب بن عبد مناف (أبو آمنة أمّ النبي) وأُناس من وجوه قريش.

فقدموا عليه في صنعاء، فاستأذنوا فإذا هو في رأس قصر يقال له (غِمدان) فدخل عليه الآذن فأخبره بمكانهم فأذن لهم، فلمّا دخلوا عليه دنا عبد المطّلب منه فاستأذنه في الكلام، فقال: إنْ كنت ممّن يتكلّم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك. فتكلّم عبد المطّلب فقال فيما قال: نحن ـ أيّها الملك ـ أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الّذي أبهجنا من كشف الكرب الّذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة. قال: وأيّهم أنت أيّها المتكلّم؟ قال: أنا عبد المطّلب بن هاشم. فأقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً ومستناخاً سهلاً، قد سمع الملك مقالتكم وقبل وسيلتكم، فلكم الكرامة ما أقمتم والحِباء إذا ظعنتم.

ثمّ أمر بهم إلى دار ضيافة الوفود فأقاموا شهراً لا يصِلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف، ثمّ انتبه لهم فأرسل إلى عبد المطّلب فأخلى له مجلسه وأدناه، ثمّ قال له: يا عبد المطّلب: إنّي مفوّض إليك من سرّ على أمر ما لو كان غيرك لم أبح له به، ولكنّي رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطوياً حتّى يأذن الله فيه، فإنَّ الله بالغ أمره: إنّي أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الّذي اخترناه لأنفسنا وحجبناه دون غيرنا، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصّة.

فقال عبد المطّلب: فما هو؟ فقال: إذا وُلد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة. هذا حينه الّذي يولد فيه أو قد

ولد، اسمه محمّد، يموت أبوه وأمه ويكفله جدّه وعمّه. وقد ولد سراراً والله باعثه جهاراً وجاعل له منّا أنصاراً، ليعزّ بهم أولياءه ويذلّ بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عُرض[١] ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمان ويزجر الشيطان. قوله فصل وحكمهُ عدل، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطّلب: فهل الملك سارّي بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح؟

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنّك يا عبد المطّلب لجده غير كذب، فخرّ عبد المطّلب ساجداً للّه! فقال له ابن ذي يزن: فهل أحسست شيئاً ممّا ذكرته؟ قال: كان لي ابن كنت به معجباً وعليه رفيقاً، فزوجته بكريمة من كرائم قومي: اسمها آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سمّيته محمّداً، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمّه!

فقال سيف بن ذي يزن: إنّ الّذي قلت لك كما قلت، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنّهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً!

ثمّ أمر لكلّ رجل من القوم بعشرة أعبد وعشر إماء وحلي من البرود ومائة من الإبل وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضّة وكرش مملوء عنبراً! وأمر لعبد المطّلب بعشرة أضعاف ذلك وقال: إذا حال الحول فأتني. فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول[٢].

وليس في رواية الشيخ الصدوق للخبر حجّة بعد ذكره طريقه المرفوع المقطوع، وقد روى رحمه الله أكثر من ستين صفحة من نفس الكتاب قصّة الملك الهندي بلوهر والحكيم الهندي بوذاسف، ثمّ عقّبه بقوله: ليس هذا الحديث وما

(١) العُرض بضم العين: من يعترض لهم.
(٢) إكمال الدين: ١٧٤ ـ ١٧٧، ط. النجف.

شاكله من أخبار ممّا أعتمده... وجميعها في الصحة من طريق الرواية دون ما قد صحّ من الأخبار. ثمّ قال: ولإيراد هذا الحديث وما يشاكله في هذا الكتاب معنى آخر، وهو: أنّ جميع أهل الوفاق والخلاف يميلون إلى مثله من الأحاديث، فإذا ظفروا به من هذا الكتاب حرصوا على الوقوف على سائر ما فيه(١).

الاستسقاء برسول الله (صلى الله عليه وآله):

عن رقيقة بنت صيفي قالت: تتابعت على قريش سنون أقحلت الفرع وأرمّت العظم، فبينا أنا راقدة ـ اللهم ـ أو مهوّمة ومعي صنوي، فإذا أنا بهاتف صَيِّت يصرخ ويقول: يا معشر قريش! إنّ هذا النبي المبعوث منكم هذا إبّان نجومه، فحيَّ هلا بالحيا والخصب، ألا فانظروا رجلاً منكم طُوالاً عظاماً أبيض بضّاً، أشمّ العرنين، سهل الخدّين، له فخر يكظم عليه، ألَا فليخلص هو وولده وَلْيَدلِف إليه من كلّ بطنٍ رجل، ألَا فليشنّوا من الماء، وليمسّوا من الطيب، وليطوّفوا بالبيت سبعاً، ألا وليكن فيهم الطيب الطاهر لذاته، ألا فليستقِ الرجل وليؤمن القوم، ألا فغثتم ـ إذا شئتم ـ وعشتم!

قالت: فأصبحتُ مذعورةً قد قفَّ جلدي ووله عقلي، واقتصصت رؤياي، فوَالحُرمة والحرم إن بقي أبطحي إلا قال: هذا شيبة الحمد.

فتتامّت إليه قريش، وانقضّ إليه من كلّ بطن رجل، فشنّوا ومسُّوا واستلموا وطوّفوا، ثمّ ارتَقوا أبا قبيس، وطفِق القوم يَدلِفون حوله حتّى قرّوا بذروة الجبل، واستكنفوا جانبيه. ومعه ابن ابنه محمّد وهو يومئذ غلام قد أيفع، فاعتضده فرفعه

---

(١) إكمال الدين: ٦٠٠؛ نعم روى في (قرب الإسناد) عن الحسن بن ظريف عن معمّر عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام انّه قال في كرامات رسول الله «ومن ذلك أنّ سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة، وفد عليه وفد من قريش فيهم عبد المطّلب فسألهم عنه ووصف لهم صفته، فأقروا جميعاً بأنّ هذه الصفة في محمّد، فقال: هذا أوان مبعثه، ومستقره أرض يثرب وموته بها» قرب الإسناد: ١٣٢ ـ ١٤٠؛ كما في البحار ١٧/ ٢٢٦. فإذا قبلنا بهذا الإجمال فالتفاصيل المشتملة على ذلك التهافت مردودة.

على عاتقه ثمّ قال: «اللهمَّ سادّ الخلّة وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلَّم ومسؤول غير مبخَّل، وهذه عبيدك وإماؤك بفِناء حرمك، يشكون إليك سنتهم الّتي أذهبت الخُفَّ والظِّلف، فاسمعَنِ اللهمَّ وأمطرنْ علينا غيثاً مُريعاً مُغدقاً».

قالت: فما راموا البيت حتّى انفجرت السماء بمائها واكتظّ الوادي بثجيجه[١].

فقلت شعراً:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... فقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطرُ[٢]

فجاد بالماء جونيّ له سَبَلٌ ... سحّاً، فعاشت به الأنعامُ والشجرُ[٣]

مبارك الأسم يُستسقى الغمامُ به ... ما في الأنام له عِدل ولا خطرُ[٤]

وفاة أُم النبي (صلى الله عليه وآله)، وكفالة جدّه وعمّه له:

عن ابن عباس قال: لمّا تمّت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ستُّ سنين قدمت به أُمّه آمنة على أخواله من بني النجار فماتت بالأبواء بين مكّة والمدينة.

فبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتيماً لا أَب له ولا أُمّ، فازداد عبد المطّلب رقة له وحفظاً. فكان يوضع لعبد المطّلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتّى يخرج عبد المطّلب. فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج وهو غلام فيمشي حتّى يجلس على الفراش! فيُعظِمُ ذلك أعمامُه ويأخذونه ليؤخروه، فيقول لهم عبد المطّلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا

---

(١) الثجيج: الماء المصبوب، أو صوته.

(٢) اجلوّذ: كثر وامتدّ وقت تأخره.

(٣) الجَوْن: اللون الأسود، والجَوْنيّ نسبة إليه، والمراد هنا: السحاب الأسود المركوم. والسَبَل بفتحتين: المطر النازل قبل الوصول للأرض. وله سَبَلٌ أي له جريان. سَحّاً: أي منصباً.

(٤) بحار الأنوار: ١٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤؛ عن المنتقى في مولد المصطفى للكازروني: الباب الرابع من القسم الثاني؛ وأخرج الحديث ابن الأثير في أُسد الغابة: ٥/ ٤٥٤؛ وابن حجر في الإصابة ٤/ ٢٩٦؛ والحلبي في السيرة: ١/ ١٣١.

ابني فوالله إنّ له لشأناً عظيماً! إنّي أرى أنّه سيأتي عليكم يوم وهو سيّدكم، إنّي أرى عزته عزة تسود الناس![١].

وكفلَ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) بعده عمُّه أبو طالب، فكان خير كافل. فكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً، مع إملاقه![٢] وربّته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأم أولاده[٣].

وعن الأوزاعي[٤] قال: كان النبي في حِجْر عبد المطّلب، فلمّا أتى عليه اثنتان ومائة سنة ورسول الله ابن ثماني سنين، جمع بنيه وقال: محمّد يتيم فآووه وعائل فأغنوه واحفظوا وصيّتي فيه.

فلمّا توفّي عبد المطّلب كان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وعلى جميع أهله، وكان إذا أراد أن يعشّي أولاده أو يغدّيهم يقول: كما أنتم حتّى يحضر ابني، فيأتي محمّد فيأكلون[٥].

سفر النبي (صلى الله عليه وآله) مع عمّهِ إلى الشام:

عن أبي طالب قال: خرجت إلى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي، وكان في أشدّ ما يكون من الحر، فلمّا أجمعت على المسير قال لي رجال من قومي ما

---

(١) وروى الكُلَيني بسنده عن الصادق عليه السلام نحوه (أصول الكافي: ١/ ٤٤٨) وذكر مثله)؛ اليعقوبي: ٢/ ٩)؛ وفي تأريخ وفاة آمنة قال الكليني: وماتت أمه آمنة وهو ابن أربع سنين؛ أصول الكافي: ١/ ٤٣٩).

(٢) ثمّ روى عن علي عليه السلام أنّه قال: ساد أبي فقيراً، وما ساد فقير قبله، (اليعقوبي: ٢/ ١٤).

(٣) قال: وأسلمت فكانت مسلمة فاضلة، فلمّا توفيت قال رسول الله كما يُروى: اليوم ماتت أمي! ثمّ كفّنها بقميصه، ونزل في قبرها واضطجع في لحدها. فقيل له: يا رسول الله! لقد اشتدّ جزعك على فاطمة؟ قال: إنها كانت أمي، إذ كانت لتُجيع صبيانها وتُشبعني، وتُشعثهم وتدهنني! وكانت أمي! (اليعقوبي: ٢/ ١٤).

(٤) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي الفقيه: ثقة جليل من السابعة مات سنة ١٥٧. (تقريب التهذيب).

(٥) المناقب: ١/ ٣٥ ـ ٣٦.

تريد أن تفعل بمحمّد؟ وعلى من تخلّفه؟ فقلت: لا أريد أن أخلّفه على أحد من الناس، أريد أن يكون معي. فقيل: غلام صغير في حرّ مثل هذا تخرجه؟ فقلت: والله لا يفارقني حيث ما توجهت أبداً، فإني لأوطّىء له الرحل. فذهبت فحشوت له حشية كساءً وكتاناً. وكنّا ركباناً كثيراً، فكان والله البعير الّذي عليه محمّد أمامي لا يفارقني فكان يسبق الركب كلّه، فكان إذا اشتدّ الحرّ جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة ثلج فتقف على رأسه لا تفارقه وهي تسير معنا[١].

كان الله يسلك بالنبي (صلى الله عليه وآله) طريق المكارم:

عن عليّ (عليه السلام) أنه قال في وصف الرسول (صلى الله عليه وآله): «ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»[٢].

وقال ابن إسحاق: شبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامة ورسالة، حتّى بلغ أن كان رجلاً، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً حتّى ما اسمه في قومه إلا الأمين، وأبعدهم عن الفُحش والأخلاق الّتي تدنّس الرجال، تنزُّهاً وتكرّماً، جمع الله فيه كلّ ذلك[٣].

حرب الفجار:

روى أبو الفرج الأصبهاني: أنّه كانت للعرب حروب أربع سمّيت بالفِجّار، لِما استُحل فيها من المحارم:

فالفِجّار الأوّل: كان بين كنانة وهوازن.

---

(١) إكمال الدين: ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة: ١٩٢ / المقطع ١١٨ عن مسعدة بن صدقة عن الباقر (عليه السلام).

(٣) سيرة ابن هشام: ١/ ١٩٤؛ وللتفصيل انظر الصحيح للسيد جعفر مرتضى: ١/ ١٣٦ ـ ١٤٤.

والفِجّار الثاني: كان بين قريش وهوازن.

والفِجّار الثالث: كان بين كنانة وهوازن أيضاً.

والفِجّار الرابع: كان بين كنانة وقريش وبين هوازن وقيس عيلان.

وكانت قريش وكنانة في الشهر الحرام بعكاظ، وهوازن كذلك، فأتى آت قريشاً وقال لهم: إنّ البرّاض الكناني قد قتل عروة الرّحال من هوازن! فارتحلت كنانة وقريش ولم تشعر هوازن بالأمر ثمّ بلغ الخبر إلى هوازن فاتبعوا قريشاً فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتّى جاء الليل، والتقوا بعد هذا اليوم أياماً وعلى كلّ قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كلّ قبيل من قيس وهوازن رئيس منهم. قال ابن إسحاق: وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس[1] فاقتتلوا في رجب، وكان عندهم الشهر الحرام الّذي لا تسفك فيه الدماء، فسمّي الفِجّار لأنهم فجروا في شهر حرام.

أمّا بنو هاشم من قريش، فقد رُوي: أنّ أبا طالب قال: هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام، فلا أحضره ولا أحد من أهلي! فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان التيمي: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم، فأُخرج الزبير بن عبد المطّلب مستكرهاً على رأس قبيل من بني هاشم.

ورُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: شهدت الفِجّار مع عمّي أبي طالب، وأنا غلام[2].

---

(١) سيرة ابن هشام: ١٨/١٩٦ ـ ١٩٨.

(٢) وقال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار ورسول الله ابن عشرين سنة. وإنّما سمّي يوم الفجار بما استحلّ هذان الحيّان: كنانة وقيس عيلان من المحارم بينهم فيه. (سيرة ابن هشام: ١/ ١٩٥ ـ ١٩٨).

ولهذا قال في (السيرة الحلبية: ١/ ١٢٨): إنّ سبب الفِجّار كان في رجب الحرام، أمّا الحرب فكان في شعبان. وبهذا برّر مشاركة أبي طالب ومعه رسول الله في الحرب.

ولكنّ السيد المرتضى رأى أنّ هذا التوجيه لا يعتمد على أيّ سند تأريخي، فلم يجد مجالاً للتعويل عليه، وشك في صحة القصة. (الصحيح ١/ ٩٥).

ميلاد علي عليه السلام:

«بعد عام الفيل بثلاثين سنة وُلد أمير المؤمنين عليه السلام»(١).

وقال الشريف الرضي: ولثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولد في البيت الحرام عليّ عليه السلام(٢).

وقال شيخه المفيد: في «يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولد عليّ عليه السلام بمكّة في البيت الحرام ـ ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى ـ سواه، إكراماً من الله تعالى جلّ اسمه له، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم»(٣).

وروى ابن الصباغ المالكي بسنده عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «دخل النبي (صلى الله عليه وآله) المسجد الحرام يوماً فرأى فيه أبا طالب مهموماً مغموماً. فقال له: يا عمّ، ما لي أراك مغموماً؟ فقال: إنّ فاطمة قد أخذها الطلق. فأخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بيد أبي طالب وأتيا بفاطمة إلى الكعبة وأدخلها النبيّ (صلى الله عليه وآله) الكعبة وقال لها: اجلسي باسم الله، فإنّ هذا المولود المكرّم ينبغي أنْ يولد في هذا الموضع المحرّم»(٤).

قال يزيد بن قعنب: «كنت جالساً مع العباس بن عبد المطّلب وفريق من بني عبد العزّى، بإزاء بيت الله الحرام إذا أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت:

«يا ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٤٥٢؛ وبعده: وبقي بعد قبض النبي ثلاثين سنة وقتل سنة أربعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة. ثمّ روى بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كان بين رسول الله وأمير المؤمنين ثلاثون سنة. وكأنه استند إلى هذا الخبر في تأريخ ميلاد علي عليه السلام.

(٢) خصائص الأئمة: ٣٩، ط. مشهد.

(٣) الإرشاد: ٩، ط. الحيدرية؛ ومسار الشيعة: ٥١، ط. مصر.

(٤) الفصول المهمة: ١٤.

بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الّذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الّذي في بطني.. إلا ما يسّرت عليّ ولادتي».

فرأينا البيت قد انشقّ عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله. فرمنا أنْ ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك من أمر الله تعالى»[١].

قال: «فولدت عليّاً في الكعبة، طاهراً مطهّراً لم يكن فيه كثافة (كذا) وولد مختوناً مقطوع السرّة، ووجهه يضيء كالشمس، فسمّاه أبو طالب عليّاً، وحمله النبيّ وأتى به إلى البيت»[٢].

وعندما بلغته البشرى بولادة المرتضى قال المصطفى:

«لقد ولد لنا الليلة مولود، يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة».

وكان قوله هذا أوّل نبوءته، فإنّ المرتضى ـ عليه صلوات الله ـ كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت الإسلام ورُسّخت دعائمه وتمهّدت قواعده»[٣].

حلف الفضول:

وانتهى الفِجّار في شوال، وفي ذي القعدة كان حلف الفضول[٤].

---

(١) أمالي الصدوق: ١١٤، وعلل الشرائع: ١/ ١٣٥؛ ومعاني الأخبار: ٦٠.
(٢) الفصول المهمة: ١٤.
(٣) مجلة العمران المصرية، كما في كتاب: عليّ وليد الكعبة: ٦١.
وعلى المعتبر من الخبر في تأريخ ولادته (عليه السلام) يكون عمره عند بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) عشر سنين، وعلى ما رواه الطوسي عن ابن عياش وابن غياث يكون عمره في الثانية عشرة وعلى الأكثر في الثالثة عشرة، وعند إعلان الدعوة وتعميمها في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره.
(٤) مروج الذهب: ٢/ ٢٧٠.

«وكان سبب حلف الفضول: أنّ قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة:

فتحالف المطيّبون؛ وهم: بنو عبد مناف، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو «تيم»، وبنو الحارث بن فهر، على أن لا يسلموا الكعبة، ما أقام حراء، وثبير، وما بلّ بحرٌ صوفة وصنعت عاتكة أو البيضاء بنت عبد المطّلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه (فسمّوا المطيّبين).

وتحالفت اللعْقة؛ وهم: بنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنو عدي؛ على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض، وذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها، (فسمّوا لَعَقة الدّم، والأحلاف).

فروى ابن إسحاق بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه كان يقول: لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أُحبّ أنّ لي به حمرَ النّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت»[١].

وقد روى ابن إسحاق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: ما كان من حلف في الجاهلية فإنّ الإسلام لم يزده إلا شدةً[٢].

وروى ابن منظور هذا الحديث في «لسان العرب» فقال: يريد المعاقدة على الخير ونصرة الحقّ، وبذا يجتمع هذا الحديث وحديث آخر له هو «لا حلف في

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ١٤١؛ وأنساب الأشراف: ٢/ ١٢ ـ ١٥، بخمسة طرق وألفاظ متقاربة؛ واليعقوبي٢/ ١٧؛ والبداية والنهاية: ٢/ ٢٩٣؛ وتأريخ الخميس: ١/ ٢٦١؛ والسيرة الحلبية: ١/ ١٣١؛ والسيرة النبوية لدحلان: ١/ ٥٣؛ وروى البلاذري أنّه قدم مكّة رجل تاجر من خثعم ومعه ابنة له يقال لها: القتول، فعلقها نبيه بن الحجاج السّهمي فلم يبرح حتّى نقلها إلى منزله بالقهر والغلبة! فدلّ أبوها على أهل حلف الفضول فأتاهم فأخذوها من نبيه ودفعوها إلى أبيها (أنساب الأشراف: ٢/ ١٤).

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ١٤٠؛ وعن الترمذي: ١٤٦/٤؛ وفتح الباري: ٨/ ١٧٣؛ والمصنف للحافظ عبد الرزاق: ١٠/ ٣٧٠؛ وفي هامشه عن مسلم والدارمي.

الإسلام» على أنْ يكون المراد من هذا الحديث الثاني النهي عمّا كانت تفعله الجاهلية من المحالفة على الفتن والقتال بين القبائل والغارات.

وقيل: إنّ الحديث الثاني وهو «لا حلف في الإسلام» جاء لاحقاً، قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) زمن الفتح، فهو ناسخ للحديث الأوّل[١].

ولعلّ خصوصية بعد الفتح أنْ يشمل إمضاؤه (صلى الله عليه وآله) في هذا الحديث للحلف الّذي كان قد عقده جدّه عبد المطّلب مع جمع من خزاعة، فلمّا قتلت قريش عدداً من خزاعة استنصروا النبيّ استناداً إليه فكان فتح مكّة مستنداً إليه.

وهذا يدلّ على أنّ الإسلام بما أنّه مع مقتضيات العقل والفطرة الطبيعية الإنسانية لذلك يستجيب لكلّ ما ينسجم مع أهدافه السامية ممّا فيه خير الإنسان وصلاحه. وقد أمضى هذين الحلفين من عبد المطّلب مع خزاعة والزبير في حلف الفضول لما فيهما من الفضل والعدل، ولو كان هناك أي حلف آخر ينسجم مع أهدافه لأمضاه كذلك.

رعي النبي (صلى الله عليه وآله) للغنم:

لم يُروَ عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يرعى الأغنام، اللهمَّ إلا ما رواه الشيخ الصدوق، بسنده إلى الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى يسترعيه الغنم، يعلّمه بذلك رعيه الناس» وأيضاً فيه عنه (عليه السلام) قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ لأنبيائه من الأعمال: الحرث والرعي، لئلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء»[٢].

وقد روى اليعقوبي وابن كثير عن عمّار بن ياسر أنّه قال: «إنّه ما كان أجيراً لأحد قط»[٣].

---

(١) لسان العرب مادة حلف، وعنه في هامش سيرة ابن هشام: ١/ ١٤٠.
(٢) علل الشرائع: ٢٣.
(٣) اليعقوبي: ٢/ ٢١؛ والبداية والنهاية: ٢٩٦.

السفر الثاني للنبي (صلى الله عليه وآله) إلى الشام، وزواجه بخديجة:

عن جابر أنّه قال: كان سبب تزويج خديجة محمّداً: أنّ أبا طالب قال: يا محمّد: إني أريد أنْ أزوّجك، ولا مال لي أساعدك به، وإنّ خديجة قرابتنا، وتخرج كلّ سنة قريشاً في مالها مع غلمانها، يتّجرُ الرجل لها ويأخذ وقر بعير ممّا أتى به. فهل لك أن تخرج؟ قال: نعم.

فخرج أبو طالب إليها وقال لها ذلك، ففرحت وقالت لغلامها ميسرة: أنت وهذا المال كلّه بحكم محمّد (صلى الله عليه وآله).

وربحا في ذلك السفر ربحاً كثيراً. فلمّا انصرفا قال ميسرة: لو تقدمت يا محمّد إلى مكّة وبشّرت خديجة بما قد ربحنا لكان أنفع لك! فتقدّم محمّد على راحلته.

وكانت خديجة في ذلك اليوم جالسة في غرفة لها مع نسوة، فظهر لها محمّد راكباً، ونظرت خديجة إلى غمامة عالية على رأسه تسير بسيره!. فقالت: إنّ لهذا الراكب لشأناً عظيماً ليته جاء إلى داري! فإذا هو محمّد قاصداً إلى دارها، فنزلت حافية إلى باب الدار! فلمّا رجع ميسرة حدّث: أنّه ما مرّ بشجرة ولا مدرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله! ولمّا رأى بحيرٌ الراهب الغمامة تسير على رأسه حيثما سار تظلله النهار، خدَمَنا.

فقالت: يا محمّد أُخرج وأَحضرني عمّك أبا طالب الساعة.

ثمّ بعثت إلى (ابن)[1] عمّها ورقة بن نوفل بن أسد: أن زوّجني من محمّد إذا دخل عليك.

---

(١) فيه وفي الكافي ٥/ ٣٧٥؛ والسيرة الحلبية ١/ ١٢٩؛ أنّ ورقة كان عمّ خديجة، وهو غير صحيح لأنّ ورقة هو ابن نوفل بن أسد وخديجة هي بنت خويلد بن أسد، فهما ابنا عم.

فلمّا حضر أبو طالب قالت: أُخرجا إلى (ابن) عمّي ليزوجني من محمّد، فقد قلت له في ذلك، فقاما ودخلا على (ابن) عمّها، وخطبها أبو طالب منه[١].

الخاطب أبو طالب:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال:

لمّا أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يتزوج خديجة بنت خويلد، أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتّى دخل على ورقة بن نوفل (ابن) عمّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال:

«الحمد لربّ هذا البيت، الّذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الّذي نحن فيه.

ثمّ إنّ ابن أخي هذا ـ يعني رسول الله ـ لا يوزن برجل من قريش إلا رجح، ولا يُقاس بأحد منهم إلا عظم عنه، ولا عِدل له في الخلق، وإن كان مُقلاً في المال، فإنّ المال رِفْدٌ جارٍ وظلٌّ زائل. وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة. وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها. والمهر عليّ في مالي، الّذي سألتموه، عاجله وآجله. وله ـ وربّ هذا البيت ـ حظّ عظيم ودين شائع ورأي كامل» ثمّ سكت أبو طالب.

فتكلّم ابن عمّها وتلجلج، وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبَهَر، وكان رجلاً من القسّيسين.

فقالت خديجة مبتدئة: يا (ابن) عمّاه، إنّك وإنْ كنت أولى بنفسي منيّ في (الغياب) فلست أولى بي من نفسي في الشهود. قد زوّجتك يا محمّد نفسي، والمهر عليَّ في مالي، فأمر عمّك فلينحر ناقة فليولم بها، وادخل على أهلك.

فقال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً، وضمانها المهر في مالها.

فقال بعض قريش: واعجباه! المهر على النساء للرجال؟!

---

(١) الخرائج والجرائح: ١٤٠، ح٢٢٧، بتصرف.

فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه وقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طُلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلّا بالمهر الغالي!

ونحر أبو طالب ناقة. ودخلَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأهله(١).

خديجة تعرض نفسها على النبيّ (صلى الله عليه وآله):

وجاء في رواية اليعقوبي عن عمّار بن ياسر ما يفيد أنّ خبر سفر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بأموال خديجة إلى الشام وأنّ خديجة أحبته حيث حدّثها غلامها ميسرة بأخباره، وأنّها بعثت إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فعرضت نفسها عليه... كان هذا قد شاع في الناس يومذاك فكانوا يقولون: إنّها استأجرته بشيء من أموالها، وكان عمّار بن ياسر يقول «أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد... إنّه ما كان ممّا يقول الناس إنّها استأجرته بشيء، ولا كان أجيراً لأحد قط...

بل كنّا نمشي يوماً بين الصفا والمروة، إذ بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلمّا رأت رسول الله جاءتني هالة أختها فقالت: يا عمّار، ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت: والله ما أدري. فرجعت فذكرت ذلك له، فقال: ارجع فواضعها وعِدْها يوماً نأتيها فيه، ففعلت.

فلمّا كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمرو بن أسد (عمّها) وطرحت عليه حِبَراً ودهنت لحيته بدهن أصفر...

ثمّ جاء رسول الله في نفر من أعمامه، يتقدّمهم أبو طالب، فخطب أبو طالب فقال. ثمّ روى الخطبة المذكورة ثمّ قال: فتزوجها وانصرف(٢).

---

(١) البحار: ١٦/ ١٣؛ عن فروع الكافي: ٥/ ٣٧٤.

(٢) اليعقوبي: ٢/ ٢٠؛ والبداية والنهاية: ٢٩٥.

ونقل الخبر محقق البحار المرحوم الرباني الشيرازي بهامش البحار ١٦/ ١٩ وعلّق عليه يقول: «قلت: فيها غرابة وشذوذ، ولم يرد ذلك من طرق الإمامية بل ورد من طريق لا يُعتمد عليه» وذلك لأنّه يشتمل على أنّ خديجة سقته ذلك اليوم، أي الخمر، فلمّا أصبح أنكر ثمّ أمضاه!

أكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) أجيراً لخديجة أو مضارباً؟

ولئن كان ما افتتحنا به الفصل من خبر (الخرائج) عن جابر لا يعيّن نوع المعاملة وإنّما يقول «يتّجر الرجل لها ويأخذ وقر بعير ممّا أتى به» ممّا هو أعمّ من الإجارة والوكالة والمضاربة؛ فإنّ ما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه الهادي عليه السلام يصرّح بذلك فيقول: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد[1]. وكذلك ابن إسحاق يقول «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات مال وشرف، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه»[2].

وعلى هذا فقد يكون سفره (صلى الله عليه وآله) إلى الشام لا لكونه أجيراً لخديجة، بل مضارباً بأموالها.

ومجمل القول: إنّ رواية اليعقوبي عن عمّار بن ياسر تنفي أنْ يكون النبيّ أجيراً لأحد حتّى خديجة، كما تنفي أنْ يكون قد رعى الغنم لأحد من المكيين، كما ادُّعيَ عن أبي هريرة.

وليس بغريب على المرأة الفاضلة كخديجة أنْ تطلب لنفسها محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وتفضله على سادة مكّة وأشرافها، فلقد كان في القمّة في صفاته الّتي لم يعرف العرب لها مثيلاً في ماضيهم وحاضرهم. واجتهد خصومه أنْ يجدوا في حياته ولو نزوة تخدش تأريخه المجيد، أو مغمزة منه لنيل جاه أو اصطياد ثروة أو انحراف مع غرائز الشباب الّتي تثور وتتمرد أحياناً على العقل والخُلُق

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ١٦؛ كما في بحار الأنوار: ٣٠٨/١٧.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٩٩/١؛ ورواه عنه الطبري: ٢/ ٢٨٠؛ وعنه الجنابذي الحنبلي في معالم العترة النبوية كما في كشف الغمّة: ١٣٤/٢؛ وعلّق المحقق في سيرة ابن هشام يقول: المضاربة المقارضة. وقال الإمام الخميني في تحرير الوسيلة: ٦٠٨/١ «وتسمّى المضاربة قراضاً، وهي عقد واقع بين شخصين على أن يكون رأس المال في التجارة لأحدهما والعمل من الآخر، ولو حصل ربح يكون بينهما» ولعلّ الأمر قد التبس على المحقق.

والحكمة، فلم يجدوا شيئاً من ذلك. وكان قد جمع إلى ذلك من صباحة الوجه وجمال التركيب ما لم يتوفر في أحد سواه، كما وصفوه.

أوهام واهية:

ولكنْ ليس معنى هذا أن نصدّق ما نقله الحلبي في سيرته: أنّه دخل على خديجة قبل التزويج، فأخذت يده فضمته إلى صدرها![١] كما لا نشكّ في كذب ما نقله: أنّ عمّها كان يأنف من أن يزوّجها من محمّد يتيم أبي طالب فاحتالت عليه هي حتّى سقته الخمر، فزوّجها في حال سكره، فلمّا أفاق ووجد نفسه أمام الأمر الواقع لم يجد بدّاً من القبول[٢] ممّا يتناقض وأخلاق الرسول الكريم وخديجة أمّ المؤمنين، ولا نراه إلا كذباً موضوعاً لم يُقصد به سوى الحطّ والوضع من كرامة النبيّ الكريم وتنقيصه من قبل أعداء الإسلام أو الحمقى والمغفّلين. ونعوذ بالله من هذا الهراء[٣].

وإنّ كون خديجة هي الّتي عرضت نفسها على النبيّ، وأنّه لم يكن هو الّذي تقدّم بطلب يدها، لخير جواب لِما جاء في كلمات بعض المستشرقين من اتّهام باطل بأنّه (صلى الله عليه وآله) إنّما تزوج خديجة طمعاً في مالها.

ولم يبق هذا التقدير والحبّ من خديجة للنبيّ من طرف واحد، بل قابله النبيّ بالحبّ والتقدير لها في أيام حياتها وبعد مماتها، حتّى لقد كان ذلك يثير بعض أزواجه. ويرى الشيخ آل ياسين هذا دليلاً آخر على بطلان هذه الدعوى الواهية[٤].

بل إنّ حياة النبيّ من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنّه ما كان يقيم للمال أيّ وزن! وقد أنفقت خديجة أموالها برغبتها في سبيل الله والدعوة إلى دينه وليس على النبيّ وملذّاته.

---

(١) السيرة الحلبية: ١/ ١٤٠.
(٢) السيرة الحلبية: ١/ ١٣٨ ـ ١٤٠.
(٣) انظر: الصحيح للسيد المرتضى: ١/ ١١٧ ـ ١١٩.
(٤) كتاب النبوة: ٦٣.

وهكذا تفعل الحرة العاقلة اللبيبة كما فعلت خديجة، فلا تغرها بهرجة الدنيا وزخرفها وزبرجها، ولا تبحث عن المال والشهرة، ولا عن اللذة والشهوة.. وإنّما يكون نظرها إلى الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة، لأنها هي الّتي تسخّر المال والجاه والقوة في سبيل الإنسانية[١].

دوافع زواج النبي (صلى الله عليه وآله):

والماديّون الّذين ينظرون إلى كلّ شيء من ناحية المال والمادة، يزعمون: أنّ خديجة بما أنّها كانت ذات مال تتاجر به، كانت أحوج ما تكون إلى رجل «أمين» لإدارة أمور تجارتها، لذلك اندفعت للزواج بمحمّد «الصادق الأمين» وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يعلم بوضعها المالي وحياتها الكريمة لذلك قبل خطوبتها مع ما بينهما من تفاوت العمر!

إلا أنّ الّذي نراه في التاريخ هو أنّ دوافع خديجة للزواج بالصادق الأمين كانت دوافع معنوية لا مادية، والشاهد على ذلك:

١ ـ ما رواه ابن إسحاق قال: وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ـ ابن عمّها ـ ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلّانه. وكان ورقة نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس فقال لها: لئن كان هذا حقّاً يا خديجة فإنّ محمّداً لنبيّ هذه الأمّة، وقد عرفت أنّه كائن لهذه الأمة نبيّ يُنتظر، هذا زمانه[٢].

٢ ـ إنّ سبقها إلى الإيمان بالإسلام ورسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحيث كانت أوّل امرأة آمنت به، لما يشهد في صفحات التاريخ بأنّ زواجها كان منبعثاً من إيمانها وبطهارة الصادق الأمين، وأنّ حياة خديجة وما ورد بشأنها من الروايات

---

(١) انظر: الصحيح للسيد المرتضى: ١/١١٩ ـ ١٢٠.
(٢) سيرة ابن هشام: ١/٢٠٣.

والأحاديث لما يوضّح هذا الموضوع بما لا يدع فيه أيّ شبهة. على من أراد التفصيل في ذلك أن يراجع الروايات الواردة في فضلها وفضيلتها.

عمر خديجة ومهرها:

روى الدّولابي في كتابه: «الذريّة الطاهرة» بسنده عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس.. ثمّ قال: وبلغني أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تزوّج خديجة على اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي يومئذٍ ابنة ثمان وعشرين سنة[1].

---

(١) الذريّة الطاهرة: ٥٢؛ وعنه في كشف الغمّة: ٢/ ١٣٩؛ وروى الصفّار عن حمّاد بن عيسى قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال أبي: ما زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً من بناته ولا تزوّج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونشّ، يعني نصف أوقية. (البحار: ٢٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨؛ عن قرب الإسناد: ١٠).
وروى الخبر الكُلَيني بسنده عنه قال: سمعته يقول: قال أبي: ما زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساير بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونشّ. والأوقية: أربعون درهماً، والنشّ: عشرون درهماً.
ثمّ روى عن حمّاد عن إبراهيم بن أبي يحيى عن الصادق عليه السلام قال: وكانت الدراهم وزن ستة يومئذ.
وروى بسنده عن حذيفة بن منصور عنه عليه السلام قال: كان صُداق النبيّ (صلى الله عليه وآله) اثنتي عشرة أوقية ونشّاً، والأوقية: أربعون درهماً، والنشّ: عشرون درهماً، وهو نصف الأوقية.
وروى بسنده عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ساق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشّاً، والأوقية: أربعون درهما، والنشّ: نصف الأوقية: عشرون درهما، فكان ذلك خمسمائة درهم. قلت: بوزننا؟ قال: نعم.
وروى بسنده عن أبي العباس قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصُداق هل له وقت (يعني الحد للمهر قال: لا، ثمّ قال: كان صداق النبيّ (صلى الله عليه وآله) اثنتي عشرة أوقية ونشّاً، والنشّ نصف الأوقية، والأوقية: أربعون درهماً، فذلك خمسمائة درهم (البحار: ٢٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦؛ عن فروع الكافي: ٢/ ٢٠).
وروى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً من نسائه ولا زوج شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقيّة ونشّ، والأوقية: أربعون درهماً، والنش: عشرون درهماً. (البحار: ٢٢/١٩٨؛ عن معاني الأخبار: ٦٤ ـ ٦٥).
وكذلك ذكر المهر الطبرسي في إعلام الورى: ١٤٠ مرسلاً؛ وابن شهرآشوب في المناقب: ١/ ١٦١ عن (تاج التراجم). ويبدو من لحن هذه الأخبار أنها ناظرة إلى ردّ ما كان يُروى بغير هذا المعنى في مبلغ صداق أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) ولا سيما خديجة(رضي الله عنها).

ونقل ذلك عنه الإربلي في «كشف الغمة» بوساطة كتاب الجنابذي[١]، ثمَّ نقل عن الجنابذي قوله: «وعن ابن عباس: أنّه تزوجها وهي ابنة ثمان وعشرين سنة»[٢] ولم يسنده إلى أيّ سند، وما في كتاب الدولابي ليس كذلك، بل روى خبراً عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس ـ فيما يحسب ابن حمّاد ـ (كما في الكتاب) في تزويج خديجة بمباشرة أبيها ووليمتها لذلك. ثمّ قال: وبلغني.. وذكر مهرها وعمرها كما مرّ. والظاهر أنّ القائل: وبلغني هو ابن حمّاد الدّولابي ـ كما فهم كذلك الإربلي ـ ولا ابن عباس، ولكن خلط ابن الخشاب الجنابذي فنابذ الفهم والنقل الصحيح فنسب ذلك إلى ابن عباس على غير أساس. والله هو العاصم من الخطأ في القياس والمقياس، ومن وساوس الخنّاس في صدور الناس.

وعلى هذا، فينحصر الخبر بكون عمر خديجة عند زواجها بالرسول في الثامنة والعشرين، في مرفوعة الدوّلابي فحسب، ومن دون أن تصح نسبة ذلك إلى ابن عباس.

أمّا الخبر المشتهر عن كونها في الأربعين من عمرها: فاليعقوبي لم يصرّح بذلك ولكنّه ذكر في وفاتها أنها توفّيت «ولها خمس وستون سنة»[٣] وهذا يقتضي أن يكون عمرها حين زواجها حسب المشهور أربعين سنة.

أمّا الطبري فقد نقل عن الكلبي قوله: «وخديجة يومئذٍ ابنة أربعين سنة»[٤].

ومعنى كلّ هذا أنّ المؤرخين القدامى كالكلبي والواقدي وكاتبه ابن سعد واليعقوبي متفقون على المشهور في سن خديجة في زواجها أي الأربعين، وان كان الإسناد الوحيد ينحصر في حكيم بن حزام إذ يذكر تأريخ وفاتها عليها السلام وهي

---

(١) كشف الغمة: ٢/ ١٣٧.
(٢) كشف الغمة: ٢/ ١٣٩.
(٣) اليعقوبي: ٢/ ٣٥.
(٤) الطبري: ٣/ ٢٨٠.

عمّته، إذ هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، فهو أعلم بها، ولا يعارضه شيء اللهم إلا ما انفرد به ابن حماد الدولابي بقوله: وبلغني.. من غير إسناد، فلا يصح اعتماده.

هل كانت خديجة متزوّجة؟

قال ابن شهرآشوب في ترتيب أزواجه: تزّوج بمكّة أوّلاً خديجة بنت خويلد. قالوا: وكانت عند عتيِّق بن عائذ المخزومي، ثمَّ عند أبي هالة زرارة بن نبّاش الأسيدي[١].

وروى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في (الشافي) وأبو جعفر في (تلخيص الشافي): أنّ النبيّ تزوَّج بها وكانت عذراء. يؤكّد ذلك ما ذكر في كتابي (الأنوار والبدع): أنّ رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة[٢]!

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٥٩.

(٢) المناقب: ١/ ١٥٩. والظاهر أنّه يقصد بكتاب الأنوار: كتاب الأنوار ومفتاح السرور والأفكار لأبي الحسن البكري المتقدم الذكر سابقاً، وهو مخطوط، سرد عنه المجلسي قصّة زواجه من صفحة ٢٠ إلى ٧٧، ج١٦، ثمّ قال «إنما أوردت تلك الحكاية! لاشتمالها على بعض المعجزات والغرائب)! (وانْ لم نثق بجميع ما اشتملت عليه، لعدم الاعتماد على سندها كما أومأنا إليه، وإن كان مؤلفه من الأفاضل والأماثل» يقول ذلك لأنه التبس عليه ببكريّ آخر هو من مشايخ الشيخ الشهيد، كما قال قبل هذا، وعلّق عليه المحقق الرباني الشيرازي بأنّ هذا البكري ليس هو البكري من مشايخ الشيخ الشهيد، بل هو متقدم عليه وعلى ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ. ومعروف بالكذب وقد حكى هو أيضاً: أنّها كانت قد تزوجت قبله برجلين أحدهما عمرو الكندي! والثاني عتيِّق بن عائذ (البحار: ١٦/ ٢٢).
وكتاب (البدع) هو كتاب أبي القاسم الكوفي المذكور قبل ذلك، وهو (الاستغاثة في بدع الثلاثة) وقال فيه: إنّ الاجماع من الخاص والعام من أهل الآثار ونقلة الأخبار على أنّه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلا من خطب خديجة ورام تزويجها فامتنعت على جميعهم من ذلك، فكيف يجوز ـ في نظر أهل الفهم ـ أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش وأشرافها؟! ألا يعلم ذوو التميز والنظر أنّه من أبين المحال وأفظع المقال؟! (ص ٧٠). =

أما الطبرسي فقد ذكر الخبر بلا خلاف فيه[١] ونقله عنه المجلسي في (البحار) كذلك أيضاً[٢].

أولاد خديجة من النبيّ (صلى الله عليه وآله):

وقال الكُلَيني: وُلد له منها قبل مبعثه: القاسم، ورقية، وزينب وأُمّ كلثوم، ووُلد له بعد المبعث: الطيب والطاهر وفاطمة وروى أيضاً: أنّه لم يولد بعد المبعث إلّا فاطمة عليها السلام، وأنّ الطيب والطاهر ولدا قبل مبعثه[٣].

وعن ابن عباس قال: أوّل من وُلد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكّة قبل النبوّة القاسم وبه كان يُكنّى، ثمّ ولد له زينب، ثمّ رقيّة، ثمّ فاطمة، ثمّ أُمّ كلثوم، ثمّ ولد له في الإسلام عبد الله فَسُمّي الطيّب والطاهر. وأُمّهم جميعاً خديجة بنت خويلد. وكان أوّل من مات من وُلده القاسم ثمّ مات عبد الله بمكّة، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع وُلده فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٤].

= والإجماع ـ فيما نعلم ـ من أهل الآثار ونقلة الأخبار من الخاص والعام على خطبة خديجة من قبل جميع أشراف قريش، اللهم إلا ما انفرد بحكايته! البكري المذكور آنفاً فيما حكاه ممّا هو أشبه بقصص العامّة من التأريخ المسند والخبر المعتبر قال:
فلمّا ماتا خطبها عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي مهاب ـ ولكل منهما أربعمائة عبد وأمة ـ وخطبها أبو جهل بن هشام، وأبو سفيان، وخديجة لا ترغب في واحد منهم (البحار: ١٦/ ٢٢).
وأمّا (تلخيص الشافي) فلا يبقى إلا هو، والظاهر أنّه أخذه من كتاب أبي القاسم الكوفي، وقد عرفت حاله ومستنده.

(١) أعلام الورى: ١٣٩.
(٢) بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٢٠ وعكس في (الاستيعاب) وفي (شرح المواهب) فقالا: كانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي (لا التيمي) ومات أبو هالة في الجاهلية وقد ولدت له هنداً، فهو أخو فاطمة بنت خديجة، وكان هند فصيحاً بليغاً وصّافاً فروى عنه الحسن عليه السلام حديث صفة النبيّ قال: حدّثني خالي هند بن أبي هالة. وقد شهد بدراً وقيل: أحداً. وقتل مع عليّ عليه السلام يوم الجمل. وولدت خديجة لأبي هالة أيضاً هالة بن أبي هالة. وبعد تزوّجها عتيّق بن عابد (كذا) المخزومي فولدت له هنداً بنت عتيّق، وقد أسلمت وصحبت. راجع ترجمة خديجة في (الاستيعاب).
(٣) أصول الكافي: ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
(٤) الكوثر: ٣.

وقال ابن هشام: أكبر بنيه القاسم، ثمّ الطيّب، ثمّ الطّاهر، وأكبر بناته رقيّة، ثمّ زينب، ثمّ أم كلثوم، ثمّ فاطمة[١].

مولد فاطمة عليها السلام:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وُلدت فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) بعد مبعث رسول الله بخمس سنين. وتوفّيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً»[٢].

ذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمة خديجة: أنّ الطيّب قد ولد بعد النبوة، وولدت بعده أُمُّ كلثوم، ثمّ فاطمة.

ولكنّ الشيخ المفيد قال: «كان مولد السيدة الزهراء سنة اثنتين من المبعث»[٣] وتبعه الشيخ الطوسي ثمّ قال: «والعامّة تروي أنّ مولدها قبل المبعث بخمس سنين»[٤].

عليٌّ عند النبيّ (صلى الله عليه وآله):

نصّ بعض المؤرّخين أنّه بعد بناء البيت بسنة، وقبل البعثة بالنبوة بأربع سنين كانت سنة إصابة قريش بقحط شديدٍ كان من آثاره أن تكفّل الرسول (صلى الله عليه وآله) بعيشة علي عليه السلام عنده في داره مع أولاده[٥] فقد نقل الطبرسي عن «دلائل النبوة» للبيهقي

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٠٢.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٤٥٧.

(٣) كما في بحار الأنوار: ٤٣/٩ عن الإقبال عن حدائق الرياض للشيخ المفيد.

(٤) المصباح للطوسي: ٥٥٤، ط. الهند.

(٥) وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين تزوّج خديجة قال لعمّه أبي طالب: إنّي أحب أن تدفع إليّ بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي. فقال أبو طالب: خذ أيهّم شئت. فأخذ علياً عليه السلام. (المناقب: ٢/ ١٨٠). ولا يمكن التسليم لظاهر هذا الخبر، إذ كيف يمكن أن يكون النبيّ (صلى الله عليه وآله) أخذه إليه «حين تزوّج خديجة» في حين أنّ علياً عليه السلام ولد بعد ثلاثين سنة من عام الفيل ـ على المشهور ـ وهو (صلى الله عليه وآله) قد تزوّج خديجة قبل ذلك بخمس سنين على المشهور أيضاً! اللهم إلا أن يُحمل الخبر على خلاف المشهور في ميلاد عليّ أو زواج خديجة عليها السلام أو المسامحة في قوله «حين تزوّج خديجة» بأكثر من سبع سنين.

(ت٥٤٨هـ) بسنده عن مجاهد بن جبر (ت١٠١) قال: «كان ممّا أنعم الله على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأراد به الخير: أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للعباس عمّه ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ: يا عباس! إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وأصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق حتّى تُخفّف عنه من عياله.

فانطلقا إليه وقالا له ذلك، فقال: اتركوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم. فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً فضمّه إليه. فلم يزل عليّ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى بعثه الله نبيّاً فاتّبعه عليّ وآمن به وصدّقه»[١].

ونقله ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن البلاذري والأصفهاني وجاء فيه: وأخذ محمّد (صلى الله عليه وآله) عليّاً عليه السلام وقال لهم: قد اخترت من اختاره الله لي عليكم: عليّاً. قالوا: فكان عليّ عليه السلام في حِجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ كان عمره ست سنين.

وهذا يطابق قوله عليه السلام: «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين» وقوله: «كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله حينئذٍ صامت ما أُذِنَ له في الإنذار والتبليغ».

وذلك لأنّه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه إلى رسول الله من أبيه وهو ابن ست، فقد صحّ أنّه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين، وابن ستّ تصحّ منه العبادة إذا كان ذا تمييز، على أنّ عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب واستخزاء[*] الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة. ومثل هذا موجود في الصبيان[٢].

ومهما كان، فإنّ كلام ابن أبي الحديد توجيه وجيه لكلام الإمام عليه السلام.

---

(١) إعلام الورى: ٣٩ ـ ٣٨.

(*) استخزى الجوارح: كَفَّها عن هواها، وراضَها (من باب الاستعارة). (المدقّق).

(٢) شرح النهج للمعتزلي: ١/ ١٥.

الفصل الثاني

البعثة النبويّة المباركة

كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) منذ بدء أمره محدَّثاً مسدّداً:

عن عليّ عليه السلام أنّه قال في وصف الرسول (صلى الله عليه وآله): «ولقد قرن الله به، من لَدُنْ أن كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»[1].

وروى ابن أبي الحديد: أنَّ بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2] فقال عليه السلام: «يوكلُ الله تعالى بأنبيائه ملائكة يُحصون أعمالهم، ويؤدّون إليهم تبليغهم الرسالة. ووكّل بمحمّد مَلَكاً عظيماً منذ فُصل عن الرضاع يُرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق»[3].

ومن مصاديق ذلك ما رواه الصدوق عن العباس بن عبد المطّلب عن أبي طالب في خبر بُحَيْرا الراهب أنّه قال للنبيّ (صلى الله عليه وآله): «يا غلام! أسألك بحق اللات والعُزّى... فزعموا أنّ رسول الله قال له: لا تسألني باللات والعزّى، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قَطّ بُغضَهما»[4].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة: ٢٩٢، المقطع: ١١٨، عن مسعدة بن صدقة عن الباقر عليه السلام.

(٢) الجنّ: ٢٧.

(٣) شرح النهج للمعتزلي: ١٣/ ٢٠٧.

(٤) إكمال الدين: ١٧٨ ـ ١٨٥؛ وابن هشام: ١/ ١٩٣، عن ابن إسحاق مرفوعاً.

عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: مَن الرسول؟ من النبيّ؟ من المحدَّث؟ فقال: «الرسول: الّذي يأتيه جبرائيل فيكلّمه قُبلاً كما يرى أحدكم صاحبه الّذي يكلّمه، فهذا الرسول» إلى قوله: «وأمّا المحدَّث، فهو: الّذي يسمع كلام المَلَك فيحدّثه، من غير أنْ يراه، ومن غير أنْ يأتيه في النوم»(١).

وعن الأحول قال: سألت أبا جعفر عن الرسول والنبيّ والمحدَّث؟ قال: «الرسول: الّذي يأتيه قُبلاً فيراه ويكلّمه، فهذا الرسول» إلى قوله: «وأمّا المحدَّث، فهو: الّذي يحدَّث فيسمع، ولا يعاين، ولا يرى في منامه»(٢).

ثمّ كان نبيّاً مُبشّراً:

وعن الإمام عليّ الهادي أنّه قال: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا ترك التجارة إلى الشام، وتصدّق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كلّ يوم إلى حِراء يصعده وينظر من قُلَلِه(*) إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات، ويعبد الله حقّ عبادته»(٣).

وذكر علي بن إبراهيم وهو من أجلّ رواة أصحابنا قال: «إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لمّا أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في نومه كأنّ آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله! وكان بين الجبال يرعى غنماً (لأبي طالب)، فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: أنا، أرسلني الله إليك ليتّخذك رسولاً. وكان

---

(١) كما في بحار الأنوار: ١٨/ ٢٧٠؛ عن بصائر الدرجات: ١٠٩. ونحوه خبر آخر فيه عنه عن الباقر عليه السلام أيضاً وآخر عنه عن الصادق عليه السلام.

(٢) أصول الكافي: ١/ ١٧٦، ونحوه خبران آخران فيه عنه وعن الرضا عليه السلام.

(*) القُلَل: جمعُ قُلّة، وهي الرأس من كلّ شيء (كتاب العين).

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما في بحار الأنوار: ١٨/ ٢٠٥.

رسول الله يكتم ذلك، فأنزل بماء من السماء فقال: يا محمّد قم فتوضأ، فعلّمه الوضوء على الوجه واليدين من المرفق، ومَسح الرأس والرجلين إلى الكعبين وعلّمه الركوع والسجود»[١].

ونقل ذلك ابن شهرآشوب فقال: «ولبعثته درجات: أوّلها: الرؤيا الصادقة، والثانية: ما رواه الشعبي، وداود بن عامر[٢]: أنّ الله قرن بنبوة نبيّه ثلاث سنين يسمع حسّه ولا يرى شخصه، ويعلّمه الشيء بعد الشيء، ولا ينزل عليه القرآن. فكان في هذه المدّة مبشَّراً غير مبعوث إلى الأمة».

ويقصد بما رواه الشعبي: ما رواه ابن سعد في «الطبقات» عن الواقدي بسنده عنه قال: قُرن إسرافيل بنبوة رسول الله ثلاث سنين، يسمع حسّه ولا يرى شخصه، ثمّ كان بعد ذلك ﷺ[٣].

قبل أنْ نقف وإياكم على مختلف الأخبار في هذا المضمار، لنعد فنعيد النظرة إلى واقع حال الرسول (صلى الله عليه وآله) فيما قبل البعثة من حيث العبادة والدّيانة.

والحقيقة هي أنّ واقع الحال في البعثة وما قبلها غير بيّن، فالقرآن الكريم يقول: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[٤] فحيث لم يكن يدري قبل بعثته ما الكتاب ولا الإيمان، أَفَلَم يكن كذلك يؤمن ويتديّن بكتاب أو دين كما هو ظاهر لفظ القرآن الكريم؟ أم ماذا؟

وأقدم ما نعلم من السابقة التاريخية لهذا التساؤل ـ مع الأسف ـ ليس عصر

---

(١) قصص الأنبياء: ٣١٨، وليس في تفسير القميّ فالظاهر أنّ الطبرسي نقله عن الراوندي في: إعلام الورى: ٣٦؛ وعنه ابن شهرآشوب في المناقب: ١/ ٤٣، ولعلّه لهذا نقله المجلسي عن المناقب. وفي آخر خبر الطبرسي: «فلمّا تمَّ له أربعون سنة أمره بالصلاة وعلّمه حدودها، ولم ينزّل عليه أوقاتها فكان يصلي ركعتين في كلّ وقت».

(٢) كذا في المناقب: ١/ ٤١؛ والصحيح: ما رواه داود عن عامر الشعبي.

(٣) الطبقات: ١/ ١٩١؛ والطبري: ٢/ ٣٨٦ عنه.

(٤) الشورى: ٥٢.

الرسول نفسه أو المعصومين من عترته ﷺ، بل حتّى بعد عصر الغيبة الصغرى وفي بدايات الغيبة الكبرى، فقد طرح هذا السؤال نفسه ضمن مسائل علم الأصول، واليك نماذج من ذلك:

السيد المرتضى علم الهدى (رضي الله عنه) يقول في كتابه «الذريعة إلى أصول الشريعة»: «قد استقصينا هذا الكلام وفرّغناه في كتاب «الذخيرة»[1] ويقرّره كذلك في «الذريعة» فيقول: «هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعبّداً بشرائع من تقدّمه من الأنبياء ﷺ؟ في هذا الباب مسألتان: إحداهما: قبل النبوة، والأخرى: بعدها. وفي المسألة الأولى ثلاثة مذاهب: أحدها: أنّه (صلى الله عليه وآله) ما كان متعبداً قطعاً. والآخر: أنه كان متعبّداً قطعاً. والثالث: التوقّف. وهذا هو الصحيح. والّذي يدلّ عليه: أنّ العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه الله تعالى من المصلحة بها في التكليف العقلي، ولا يمتنع أنْ يعلم الله تعالى أنْ لا مصلحة للنبيّ قبل نبوته في العبادة بشيء من الشرائع، كما أنّه غير ممتنع أنْ يعلم أنّ له في ذلك مصلحة، فإذا كان كلّ واحد من الأمرين جائزاً، ولا دلالة توجب القطع على أحدهما، وجب التوقف.

وليس يقتضي علمه (صلى الله عليه وآله) بأنْ غيره نبيّ أن يتعبّد بشريعته، بل لا بدّ من أمر زائد على هذا العلم. ولو ثبت أنّه حج أو اعتمر قبل نبوّته لقُطع به على أنّه كان متعبداً، وبالنظنّي لا يثبت مثل ذلك. ولم يثبت أنّه تولّى التزكية بيده، ولو ثبت أنه زكّى بيده لجاز أنْ يكون من شرع غيره في ذلك الوقت أنْ يستعين بغيره في الزكاة فزكّى على سبيل المعونة لغيره، ولا شبهة في أنّ أكل لحم المزكّي غير موقوف على الشرع، لأنّه بعد الزكاة يصير مثل كلّ مباح.

---

(١) حقق الكتاب المحقق السيد أحمد الحسيني، وطبع في مؤسسة النشر الإسلامي بقم المقدّسة سنة ١٤١١هـ في ٦٠٧ صفحة، يبدأ فيه باب النبوات من ٣٢٢ إلى ٤٠٨، ولم أجد الكلام المذكور فيه ولا في سائر أبواب الكتاب، بل التحويل على الذخيرة لا يوجد في الذريعة أيضاً ٢/ ٥٩٥، ط. جامعة طهران.

وليس لمن قطع على أنّه ما كان متعبداً أنْ يتعلّق بالقول: بأنّه لو كان تَعبَّد بشيء من الشرائع لكان فيه متّبعاً لصاحب تلك الشريعة ومقتدياً به، وذلك لا يجوز، لأنّه أفضل الخلق، وإتّباع الأفضل للمفضول قبيح.

ذلك أنّه غير ممتنع أنْ يوجب الله تعالى عليه بعض ما قامت عليه الحُجَّة به من بعض الشرائع المتقدمة، لا على وجه الاقتداء بغيره فيها ولا الإتباع»[1].

وبخصوص الصلاة فقد مرّ خبر القطب الراوندي عن علي بن إبراهيم القمّي: أنّه بعد ما «أتى عليه سبع وثلاثون سنة... نزل عليه جبرائيل وأنزل عليه ماءً من السماء وعلّمه الوضوء والركوع والسجود»[2] فقط، لا الصلاة بحدودها وأوقاتها، ففي تمام الخبر: «فلمّا تمَّ له أربعون سنة علّمه حدود الصلاة ولم ينزّل عليه أوقاتها، فكان يصلي ركعتين ركعتين في كلّ وقت»[3] ممّا يدلّ عليه كثير من معتبر الأخبار، في تفصيل تشريع الصلوات في أبواب عديدة من «وسائل الشيعة» وكذلك لدى العامة أيضاً.

وأمّا شأنه (صلى الله عليه وآله) في كثير من المناسك والمناهي والتروك فليكن كشأن آبائه وأجداده الأمجاد ممّا دلّ عليه كثير من الأخبار التاريخية وغيرها كما مرّ في محلّه، أمّا أكثر من ذلك التحنّث بالحنيفية «الإبراهيمية» فلا نصّ يصرّح به، ولا دليل عليه.

ولنعد لنَستثني مِن نفينا لنصّ صريح في الإجابة عن السؤال بهذا الشأن: ما رواه الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العلم أهو شيء يتعلمه العالم [منكم] من أفواه الرجال؟ أمْ في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟

---

(١) الذريعة إلى أصول الشريعة: ٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦، ط. جامعة طهران.

(٢) قصص الأنبياء: ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٣) إعلام الورى: ٣٦.

قال: الأمرُ أعظم مِنْ ذلك وأوجب، أما سمِعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[1] ثمّ قال: أيّ شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ أيقرّون أنّه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري ـ جُعلت فداك ـ ما يقولون، فقال: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتّى بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ الروح الّتي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح الّتي يعطيها الله ـ عزّ وجلّ ـ من شاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم»[2].

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان»؟ قال: «خلق من خلق الله أعظم من وميكائيل، كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمة من بعده»[3].

عن المفضّل بن عمر قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته، مُرخى عليه ستره؟ فقال: «يا مفضّل، إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ (صلى الله عليه وآله) خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب، وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة ـ فإذا قبض النبيّ (صلى الله عليه وآله) انتقل روح القدس فصار إلى الإمام ـ وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو ـ والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتسهو ـ وروح القدس كان يَرى به»[4].

وبعد كلّ ما تقدم، فإنّ ما نستطيع الجزم به هو: أنّه (صلى الله عليه وآله) كان مؤمناً موحّداً يعبد الله ويلتزم بما ثبت له أنّه شرع الله تعالى، وبما يؤدّي إليه عقله الفطري

(١) الشورى: ٥٢.
(٢) أصول الكافي: ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
(٣) أصول الكافي: ١/ ٢٧٣.
(٤) أصول الكافي: ١/ ٢٧٣.

السليم، والمؤيَّد المسدَّد، فكان أفضل الخلق وأكملهم خَلقاً وخُلُقاً وعقلاً... وعليه فما يُذكَر عنه ممّا يتنافى مع التسديد وفقاً لشرع الله، لا أساس له من الصحة... كالخبر عن استلامه الأصنام! إنّه حديث موضوع[1].

ثمّ كان نبيّاً رسولاً:

روى الصفّار بسنده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: مَن الرسول؟ مَن النبيّ؟ مَن المحدَّثُ؟ فقال: «الرسول... والنبيّ... ومنهم من تُجْمَع له الرسالة والنبوة، فكان رسول الله رسولاً نبيّاً: يأتيه جبرائيل قُبلاً فيكلّمهُ ويراه، ويأتيه في النوم»[2].

عن محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: «لقد مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكّة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقّب، ويخاف قومه والناس. وما أجاب رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) أحد قبل علي بن أبي طالب وخديجة (صلوات الله عليهما)»[3].

فأوّلاً ـ كان الخوف والاختفاء حتّى عن قومه فضلاً عن سائر الناس.

وثانياً ـ مع ذلك كانت الدعوة قد شملت علياً وخديجة واستجابا له ومعه.

عن الصادق عليه السلام قال: «مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكّة بعدما جاءه الوحي من الله ـ تبارك وتعالى ـ ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر، حتّى أمره الله أنْ يصدع بما أمر به، فأظهر الدعوة حينئذ»[4].

«سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ كيف كان؟ وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة؟ فقال: إنّه نزل جملة واحدة

(1) كما في السيرة الحلبية، ١/ ١٢٥ و٢٧٠؛ والسيرة النبوية لدحلان: ١/ ٥١؛ راجع الصحيح: ١/ ١٥٨.

(2) بصائر الدرجات: ٣٧١، ط. ١٣٨١هـ.

(3) إكمال الدين: ١٨٩ و١٩٧؛ كما في البحار: ١٨/ ١٧٧ و١٨٨.

(4) المصدر نفسه.

في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثمَّ نزل من البيت المعمور إلى النبيّ في طول عشرين سنة»(١).

وعن عامر الشعبي قال: «إنّ رسول الله نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ولم ينزّل القرآن. فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة: عشراً بمكّة وعشراً بالمدينة»(٢).

والّذي نريده من هذه الروايات هو أنّ مبدأ نزول القرآن الكريم كان متأخراً عن النبوة بثلاث سنين، فإذا لاحظنا الروايات القائلة بأنّ مدّه نزول القرآن على النبيّ استغرقت عشرين عاماً، مع الروايات القائلة بأنّ مدّة مكث النبيّ بعد النبوة بمكّة كانت ثلاث عشرة سنة، استنتجنا: أنّ مبدأ نزول القرآن كان بعد النبوة بثلاث سنين، إذ لا شكّ أنّ القرآن كان ينزل عليه حتّى عام وفاته(٣).

أخبار البعثة:

عن الصادق عليه السلام قال: «لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب، فإنّه اليوم الّذي أنزلت فيه النبوّة على محمّد(ص»(٤).

وروى الطوسي بسنده عن الهادي عليه السلام قال: «يوم السابع والعشرين من رجب يوم بعث الله محمّداً (صلى الله عليه وآله) إلى خلقه رحمةً للعالمين»(٥).

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٦٦.
(٢) الطبري: ٢/ ٣٨٧؛ وابن سعد في الطبقات: ١/ ١٢٧؛ ومثله اليعقوبي مرسلاً: ٢/ ٢٣؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٣/ ٤ عن ابن حنبل؛ والسيوطي في الإتقان: ١/ ٤٥.
(٣) التمهيد: ١/ ٨٢.
(٤) الفروع من الكافي: ٢/ ١٤٩، ط. الآخوندي.
(٥) التهذيب: ١/ ٤٣٨، إلى خبرين آخرين رواهما الشيخ في أماليه: ٣٤٩، عن الصادق عليه السلام وفي مصباح المتهجد عن الجواد عليه السلام في صيام ذلك اليوم من دون ذكر للبعثة؛ وراجع وسائل الشيعة: ٧/ ٣٢٩.

كيفية بدء البعثة:

رُوي أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال ـ وهو يصف بعثة النبي محمّد (صلّى الله عليه وآله) ـ: «... حتّى استكمل سنّ الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلّها، وأطوعها وأخشعها، فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين المطوّق بالنور طاووس الملائكة، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه وقال: يا محمّد! إقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: يا محمّدا ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١] ثمّ أوحى إليه ما أوحى وصعد إلى ربه.

ونزل محمّد من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال أبهته ما ركبه الحمّى النافضة، وقد اشتدّ عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش إيّاه ونسبته إلى الجنون، وقد كان أعقل خلق الله وأكرم بريّته، وكان أبغض الأشياء إليه الشياطين وأفعال المجانين، فأراد الله أن يشجّع قلبه ويشرَحَ صَدْرَه، فجعل كلما يمرّ بحجر وشجر ناداه: السلام عليك يا رسول الله»[٢].

هذا الخبر هو ممّا يدل على أنّ أوّل سورة نزلت ـ أو الآيات الأولى ـ هي هذه الآيات الخمس الأول من سورة العلق، ولكنّه الخبر الوحيد الّذي يدلّ على أنّها نزلت في بداية البعثة في اليوم السابع والعشرين من رجب.

أوّل ما نزل من القرآن:

أمّا ما يدلّ على أنّها أوّل ما نزل: ففي تفسير القمّي عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣] قال: ذلك أنّ أوّل سورة

---

(١) العلق: ١ ـ ٥.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، كما في بحار الأنوار: ١٨/٢٠٦.

(٣) الضحى: ٣.

نزلت كانت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ثمّ أبطأ جبرائيل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلا يرسل إليك؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[1].

وروى الكُلَيني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «أوّل ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وآخر ما نزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾[2] ورواه الصدوق أيضاً[3].

ونقل العلّامة الطبرسي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «سألت النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأوّل ما نزل عليه بمكّة: فاتحة الكتاب، ثمّ اقرأ باسم ربّك، ثمّ ن والقلم»[4].

هذه الأخبار في أوّل ما نزل من القرآن، غير مقيّدة له ببداية البعثة، اللهمَّ إلا ما مرّ أوّلاً عن تفسير الإمام عليه السلام.

وليس لنا في كيفية البعثة غير هذا الخبر المنفرد كما ترى ـ من تفسير الإمام ـ سوى نصّ علي بن إبراهيم القميّ، فيما إذا تلقيناه كالنّص عند إعواز النصوص.

قال: «وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب، فنظر إلى شخص، يقول له: يا رسول الله! فقال له: مَن أنت؟ قال: جبرائيل، أرسلني الله إليك ليتخذك رسولاً... ونزل وأنزل عليه ماءً من السماء وقال: يا محمّد! قم وتوضّأ للصلاة. وعلّمه الوضوء وغسل الوجه واليدين من المرفق، ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وعلّمه السجود والركوع».

---

(١) تفسير القمي: ٢/٤٢٨.
(٢) أصول الكافي: ٢/٦٢٨.
(٣) عيون أخبار الرضا: ٢/٦.
(٤) مجمع البيان: ١٠/٤٠٥.

فلمّا تمّ له (صلى الله عليه وآله) أربعون سنة أمره بالصلاة وعلّمه حدودها، ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلّي ركعتين ركعتين في كلّ وقت.

وكان عليّ بن أبي طالب يألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه ولا يفارقه، فدخل علي عليه السلام إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يصلّي، فلمّا نظر إليه يصلّي قال: يا أبا القاسم! ما هذه؟ قال: الصلاة الّتي أمرني الله بها. فدعاه إلى الإسلام، فأسلم وصلّى معه. وأسلمت خديجة. فكان لا يصلّي إلا رسول الله وعلي وخديجة.

فلمّا أتى لذلك أيام دخل أبو طالب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه جعفر، فنظر إلى رسول الله وعلي عليه السلام بجنبه يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صِلْ جناح ابن عمّك. فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، فلمّا وقف جعفر على يساره برز رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بينهما وتقدّم.

فلمّا أسلم عليّ وخديجة وجعفر أسلم زيد (بن حارثة الكلبي) بعدهم. فكان يصلّي خلف رسول الله: علي وجعفر وزيد وخديجة[١].

وهذا النصّ من القمّي وإن لم يكن نصاً من إمام معصوم كما هو المفروض في الخبر عن تفسير الإمام عليه السلام، ولكنّه على أحسن الظّن بالقميّ، وباستبعاد أكيد أنْ يكون قد أخذ ذلك عن غيرهم عليهم السلام، لا يقلّ شأناً عن النصّ عند إعواز النص، بل يفضل النص السابق عن تفسير الإمام، بإنفراده ـ خبر التفسير ـ وتضافر أخبار غير قليلة من الخاصة والعامّة تنصّ على بدء بعثة الرسول بصلاته ثمَّ صلاة علي وخديجة ثمّ زيد وجعفر بن أبي طالب بتوصية أبيه أبي طالب، من دون نصّ على نزول شيء من القرآن، ببدء بعثة النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الأربعين من عمره[٢].

أخبار الصلاة:

وروى الكليني بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: سألت علي بن

---

(١) إعلام الورى: ٣٦ ـ ٣٧؛ ولم نجده في تفسيره، ورواه عنه ابن شهرآشوب بتغيير يسير كما مرّ.
(٢) شرح النهج المعتزلي: ١٣/٢٢٩.

الحسين عليه السلام: ابن كم كان عليٌّ بن أبي طالب يوم أسلم؟ فقال: أو كان كافراً قط؟! إنّما كان لعليّ عليه السلام حيث بعث الله عزّ وجلّ رسوله (صلى الله عليه وآله) عشر سنين، ولم يكن يومئذٍ كافراً، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى ورسولِه (صلى الله عليه وآله) وسبق الناس كلهم إلى الإِيمان بالله ورسوله، وإلى الصلاة ثلاث سنين، وكانت أوّل صلاة صلاّها مع رسول الله الظهر ركعتين[1].

وروى الشيخ المفيد عن عفيف اسكندي قال: كنت جالساً مع العبّاس بن عبد المطّلب(رضى الله عنه) بمكّة قبل أنْ يظهر أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فجاء شاب فنظر إلى السماء حين تملّقت الشمس، ثمّ استقبل الكعبة فقام يصلّي. ثمّ جاء غلام فقام عن يمينه، ثمّ جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، ثمّ رفع الشاب فرفعا، ثمّ سجد الشاب فسجدا. فقلت: يا عبّاس، أمر عظيم! فقال العبّاس: أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ هذا محمّد بن عبد الله ابن عبد المطّلب، ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا عليّ بن أبي طالب ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد.

إنّ ابن أخي هذا حدّثني أنّ ربّه ربّ السماوات والأرض أمره بهذا الدّين الّذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة[2].

وروى الطبرسي خبر ضمّ النبيّ علياً إليه في صغره عن كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي (ت٤٥٨) بسنده عن ابن إسحاق عن ابن جَبْر، ورَوى قبله بسند البيهقي عن عفيف الكندي قال:

---

(١) روضة الكافي: ٢٧٩.

(٢) الإرشاد: ٢٠ ـ ٢١. ومن أقدم من بحث هذا الموضوع كلامياً هو المتكلّم المعتزلي الأقدم الشيخ أبو جعفر الإِسكافي المتوفى في ٢٤٠هـ.، في كتابه: المعيار والموازنة: ٦٦ ـ ٧٨، بتحقيق الشيخ المحقّق المحمودي. وقد أكثر النقل عن الإِسكافي ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج. ومن الباحثين الأقدمين في الموضوع بعد الإِسكافي: القاضي النعمان المصري في كتابه: شرح الأخبار: ١٧٨ ـ ١٩١، فراجع.

كنت امرأً تاجراً، فقدمت منى أيام الحج، وكان العبّاس بن عبد المطّلب امرأً تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه. فبينا نحن كذلك إذ خرج رجل من خباء، وأخذ يصلّي تجاه الكعبة، ثمّ خرجت امرأة فقامت تصلّي معه بصلاته، وخرج غلام وأخذ يصلّي معه بصلاته. فقلت: يا عبّاس، ما هذا الدّين؟ فقال: هذا محمّد بن عبد الله يزعم أنّ الله أرسله، وأنّ كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد، آمنت به، وهذا الغلام ابن عمّه علي بن أبي طالب آمن به، قال عفيف: فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانياً تابعه[١].

وعن ابن إسحاق عن عفيف قال: فلمّا خرجت من مكّة إذا أنا بشاب جميل على فرس قال: يا عفيف ما رأيت في سفرك هذا؟ فقصصت عليه فقال: لقد صدقك العبّاس، والله إنّ دينه لخير الأديان، وإنّ أمّته أفضل الأُمم. قلت: فلمن الأمر من بعده؟ قال: لابن عمّه وختنه على بنته، يا عفيف، الويل كلّ الويل لمن يمنعه حقّه!

أجل، هذه عيّنة وافية من أخبار الباب، وهي كما رأيناها خالية عن ذكر القرآن ونزوله والقراءة منه في صلاتهم ولكن ـ قال صاحب التمهيد ـ «لا شكّ أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يصلّي منذ بعثته، وكان يصلّي معه عليّ عليه السلام وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة، «ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»... فلا بدّ أنّ سورة الفاتحة كانت مقرونةً بالبعثة»[٢].

«وإن كان أوّل ما نزل من القرآن سورة العلق أو آيٌ منها فلِمَ سمّيت سورة الحمد بفاتحة الكتاب؟ إذ ليس المعنى: أنّها كتبت في بدء المُصحف، لأنّ هذا الترتيب شيء حصل بعد وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) أو لا أقلّ في عهد متأخّر من حياته فرضاً، في حين أنّها كانت تسمّى بفاتحة الكتاب منذ بدايات نزولها».

وللإجابة يقول: أمّا الآيات الخمس من سورة العلق فهي أوّل فترة الوحي:

---

(١) إعلام الورى: ٣٨.
(٢) التمهيد: ١/٩٦.

في تفسير القمّي عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قال: ذلك أنّ أوّل سورة نزلت كانت ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ثمّ أبطأ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلا يرسل إليك؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[١].

قال ابن إسحاق: ثمّ فتر الوحي عن رسول الله فترة من ذلك حتّى شقّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه بسورة الضحى: يُقسم له ربّه ـ وهو الّذي أكرمه بما أكرمه به ـ أنّه ما ودّعه وما قلاه، ويقول: ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبّك، وما عندي من مرجعك إليّ خيرٌ لك ممّا عجّلتُ لك من الكرامة في الدّنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من الفُلُج[٢] في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ ثمَّ يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامة في عاجل أمره ومنّه عليه في يُتمه وعيلته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فاذكرها وادعُ إليها. فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئنّ إليه من أهله[٣].

ولو كان كذلك فلا ينسجم هذا مع ما رواه الطبرسي عن ابن عبّاس قال: احتبس الوحي عنه (صلى الله عليه وآله) خمسة عشر يوماً، فقال المشركون: إنّ محمّداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من الله لتتابع الوحي عليه، فنزلت السورة[٤].

أمّا اليعقوبي فقد قال في نزول سورة المدّثّر: وبُعث رسول الله لمّا استكمل أربعين سنة... وعلى جُبّة سندس، وأخرج له دُرنوكاً[*] من درانيك الجنة، فأجلسه

---

(١) تفسير القميّ: ٢/٤٢٨.
(٢) الفُلُج: الفوز والغلبة.
(٣) سيرة ابن هشام: ١/٢٥٧ ـ ٢٥٩.
(٤) مجمع البيان: ١٠/ ٧٦٤.
(*) الدُّرنوك: ضَرْب من الثياب له خَمَلٌ قصير كَخَمَلِ المناديل: كتاب العين، مادة درنك، ص٢٩٠. (المدقّق).

عليه، وأعلمه أنّه رسول الله وبلّغه عن الله وعلّمه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وأتاه من غد وهو متدثر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ * قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾[١].

هل نزل القرآن في دَوْرِ الكتمان؟

وممّا يؤيّد عدم نزول القرآن في دَور الكتمان أننا لا نجد من آيات القرآن، ممّا لا خلاف في نزوله قبل سورة الحجر الّتي في أواخرها قوله سبحانه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٢] وهي السورة الرابعة والخمسون في ترتيب النزول، وقبلها في النزول سورة الشعراء وهي السابعة والأربعون الّتي في أواخرها قوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[٣] لا نجد في كلّ ذلك ما يتناسب مع مرحلة الكتمان، بل من خصائص السُّوَر المكّية ـ ومنها هذه السُّوَر ـ خطابها المشركين وجدالها معهم في شركهم وكفرهم وجحودهم للمبدأ والمعاد، ممّا لا يتناسب بظاهره مع الكتمان وإنما الإعلان.

فسور النمل والقَصص والإسراء ويونس وهود ويوسف وحتّى الحجر، وهي السور النازلة بعد الشعراء وقبل الحجر، هي سور تساور المشركين وتحاورهم في كثير من آياتها، وسورة الحجر بالخصوص تقول في بدايتها: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤] فهل هي من الكتمان في شيء؟!

بل قال العلّامة الطباطبائي في تفسيره في التعريف بسورة الحجر: «تشتمل السورة على الكلام حول استهزاء الكفّار بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) ورميه بالجنون، ورمي

---

(١) تأريخ اليعقوبي: ٢/٢٣.
(٢) الحجر: ٩٤.
(٣) الشعراء: ٢١٤.
(٤) الحجر: ٢ ـ ٧.

القرآن الكريم بأنّه من أهذار الشياطين. ففيها تعزية للنبيّ (صلى الله عليه وآله) وأمر بالصبر والثبات والصفح عنهم وتطييبٌ لنفسه الشريفة وإنذار وتبشير.

ثمّ لم يبيّن أنّه (صلى الله عليه وآله) إذا كان ـ كما قال ـ لا يدعو إلا آحاداً خفيةً وسراً ممّن يرجو منهم الإيمان، فأين كان المستهزئون وبماذا كانوا يستهزئون؟ وكيف كان استهزاؤهم حتّى إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) دعا عليهم فكفاه الله شرّهم وشرّ استهزائهم؟ وإذا كان آخر هذه السورة بداية الإذن بالإعلان فما معنى أنْ تكون السورة لتعزية الرسول وصبره؟!

ولا يختصّ هذا الإشكال بالعلّامة الطباطبائي، فقد درج الجميع على هذا القول بلا بيان لهذا الإجمال.

ولعلّه التفاتاً إلى هذا الإشكال ودفعاً له قال السيد المرتضى في «الصحيح»: بعد أن أنذر عشيرته الأقربين انتشر أمر نبوته في مكّة، وبدأت قريش تتعرض لشخصه (صلى الله عليه وآله) بالاستهزاء والسخرية وأنواع التهم[1].

ومن قبله السيد الحسني فقال في «سيرة المصطفى»: لقد حدَّث ـ بعد دعوته (صلى الله عليه وآله) عشيرته الأقربين ـ جميع الناس في مكّة عن دعوته، وتسرّبت أنباؤها إلى خارج مكّة ولم يعد أمرها خافياً على أحد من سكان مكّة وجوارها بعد أن أعلنها بصراحة على بني عمومته وعشيرته[2].

ومعنى ذلك أنّ الأمر اختلف بعد دعوة العشيرة عمّا قبلها فإنّما تسرّبت الدعوة بعد ذلك، أمّا ما قبلها فالسر والكتمان. ولكننا لا نجد في ما أوحي قبل ذلك ما يختلف عما بعده بل نجد الأمر نفسه قبله.

ولكن في مقابل كلّ ذلك ممّا يؤيّد سرّية المرحلة الأولى من الدعوة ونزول القرآن فيها: هو ـ من جانب ـ التناسب الكمّي في ما بين ما نزل من القرآن إلى

---

(١) الصحيح: ٢/٢٦.
(٢) سيرة المصطفى: ١٣٣.

سورة الحجر مع تلك الفترة، ومن جانب آخر: عدم التناسب أو على الأقل استبعاد أن تكون دعوة العشيرة الأقربين قد حصلت حسب آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ من سورة الشعراء السابعة والأربعين في ترتيب النزول من دون أن تكون المرحلة السابقة سرّية مكتومة، أي بعد أن يمرّ على الدعوة زهاء ثلاث سنين من الدعوة العلنية العامّة، ممّا لا يتناسب ودعوة العشيرة خاصّة بعد كل هذه المدة الطويلة من الدعوة العامّة.

حديث الإنذار:

عن أبي رافع، مولى العبّاس بن عبد المطّلب، قال: إنّ رسول الله جمع وُلد عبد المطّلب في الشِعب، وهم يومئذٍ ـ وُلده لِصُلبه وأولادهم ـ أربعون رجلاً. فصنع لهم رِجْلَ(*) شاة وثرد لهم ثريدة فصبّ عليه ذلك المرق واللحم، ثمّ قدّموها إليهم فأكلوا منه حتّى شبعوا، ثمّ سقاهم عُسّاً واحداً من لبن فشربوا كلّهم من ذلك العُسّ حتّى رَوُوا[١].

فقال أبو لهب: والله إنّ منّا نفراً يأكل أحدهم الجفرة[٢] وما يصلحها فما تكاد تُشبعه، ويشرب الفَرَق من النبيذ فما يُرويه، وإنّ ابن أبي كبشة[٣] دعانا على رِجل شاة وعُسّ من شراب فشبعنا ورَوِينا، إنّ هذا لهو السحر المبين!

ثمّ دعاهم، فقال لهم: إنّ الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين ورهطي المخلَصين، وإنكم عشيرتي الأقربون ورهطي المخلَصون، وإنّ الله لم يبعث نبيّاً إلا جعل له أخاً من أهله ووارثاً ووصيّاً ووزيراً، فأيّكم يقوم فيبايعني على أنه

(*) العُسّ: القدَحُ الضخم. كتاب العين، ص٦٣٢. (المدقّق).

(١) العُسّ: القدح الكبير.

(٢) الجَفرة مؤنث الجَفر، وهو من أولاد المعز ما فصل عن أمه وبدأ بالرعي بعد أربعة أشهر، كما في النهاية للجزري.

(٣) هو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان، شبّهوه به، كما في النهاية للجزري.

أخي ووزيري ووارثي دون أهلي، ووصيّي وخليفتي (في أهلي) ويكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبّي بعدي؟! فأمسك القوم.

فقال: والله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ في غيركم ثمّ لتندمُنّ! فقام عليّ عليه السلام وهم ينظرون إليه كلّهم، فبايعه وأجابه إلى ما دعاه إليه[1].

وقد يؤيّد دعوى ابن أبي رافع بأنَّ ذلك الجمع وتلك الدعوة كانت في الشّعب أي بعد الإعلان: أنّ أبا لهب يلتهب بمشاهدته المعجزة فيتهم الرسول بالسحر وينبزه بكنية ابن أبي كبشة ممّا اعتاد عليه المشركون بالنسبة إليه (صلى الله عليه وآله) فالحالة ليست حالة مفاجأة بعد سرّ وكتمان وإنما تناسب سابق خبر أو علم أو إعلان.

والظاهر أنّ خبر أبي رافع خبر حاضر ناظر مباشر إذ هو مولى العبّاس بن عبد المطّلب وهو من بني هاشم المدعوّين والمجتمعين، فلعلّه كان مصطحباً لمولاه هذا، ولا نجد في ما بأيدينا مباشراً غيره سوى علي عليه السلام، ورجل من أصحاب النبيّ من ولد عبد المطّلب، لم يُعرَّف بسوى هذا، روى عنه الخبر: السيد ابن طاووس في «سعد السعود» عن الجزء الخامس من تفسير محمّد بن العبّاس الحجّام بسنده عن مبارك بن فضالة والحسن البصري عن عبد الله بن عبّاس عن علي عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعاني فقال لي: يا علي، إنّ الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره، فصمتُّ على ذلك، فجاءني فقال: يا محمّد إنّك إنْ لم تفعل ما أُمرت به عذّبك ربّك! فاصنع لنا، يا عليّ، صاعاً من طعام واجعل عليه رِجل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن. ثمّ اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أكلّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به.

ففعلت ما أمرني به ثمّ دعوتهم أجمع، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب...

---

(١) تفسير فرات: ٣٠٠ ـ ٣٠٤، ح٤٠٤ ـ ٤٠٨، وبهامش الصفحات مصادر أخرى من غير الشيعة.

فلمّا اجتمعوا له دعاني بالطعام الّذي صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول الله جِذْمة[١] من اللحم فنتفها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصفحة ثمّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى صدروا مالهم بشيء من الطعام حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم. وأيمُ الله الّذي نفس عليّ بيده إنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم. ثمّ جئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رَوُوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلمّا أراد رسول الله أنْ يكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم! فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله.

فقال لي من الغد: يا عليّ، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أنْ أكلّمهم. فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم لي. ففعلت ثمّ جمعتهم، فدعاني بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، وأكلوا حتّى مالهم به من حاجة، ثمَّ قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رووا منه جميعاً.

ثمَّ تكلّم رسول الله فقال: يا بني عبد المطّلب إنّي ـ والله ـ ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزّ وجلّ أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي (في أهلي) من بعدي؟

فأمسك القوم وأحجموا عنها جميعاً.

فقمت... فقلت: أنا ـ يا نبي الله ـ أكون وزيرك على ما بعثك الله به. فأخذ بيدي ـ وإنّي لأحدثهم سنّاً وأرمصُهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً ـ ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا...

---

(١) الجِذمة: القطعة، وفي الطبري: جِذيةً من اللحم: ما قُطع طولاً.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أنْ تسمع لابنك وتطيع[١].

ورواية الخبر عن عبد الله بن عبّاس نوع اعتراف بعدم إسلام أبيه العبّاس يومذاك بهذه الدعوة الخاصّة المكررة ثلاثاً، بينما فيه من التعريض بأبي طالب وكأنّه قد عُرف فيهم بالسمع والطاعة للرسول، كما فيه معرفة أبي لهب السابقة عن النبيّ بما وصفه بالسحر، فكأنّه أمر قد عرف من قبل، وإنْ كان نص الخبر بالمبادأة.

ولا يفوتني في الخاتمة أَنْ الفت نظر القرّاء الكرام إلى أنّ ما عدا هذا الخبر الأخير من أخبار الإنذار في يوم الدار للأقربين من العشيرة، تكاد تُجمع على أنّ المُعِدّ للطعام وطابخه لهم هو علي عليه السلام دون سواه لا خديجة ولا جواريها ولا فاطمة بنت أسد... قد يكون في ذلك سرٌّ إلهي... وقد يكون ذلك ممّا يؤيّد كون الدعوة أيام المحاصرة في شِعب أبي طالب(رضي الله عنه).

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٣٠١، ح٤٠٦؛ وعنه في بحار الأنوار: ٣٨/٢٢٣ وفي ١٨/١٩١؛ عن أمالي الطوسي: ٥٨١، ح٢٠٦.

الفصل الثالث

مرحلة إعلان الدعوة

مرحلة الدعوة العلنية العامّة:

عن الصادق عليه السلام قال: مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكّة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة، مستخفياً منها ثلاث سنين، خائفاً لا يظهر حتّى أمر الله عزّ وجلّ أنْ يصدع بما أُمر، فأظهر حينئذٍ الدعوة(1).

عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال: كان المستهزئون (برسول الله) خمسة من قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزُهْري، والأسود بن المطّلب، والحرث بن الطلاطلة الثقفي(2).

وقال القمّي في تفسيره: إنّ النبوة نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين وأسلم عليّ عليه السلام يوم الثلاثاء ثمّ أسلمت خديجة زوج النبيّ (صلى الله عليه وآله)، ثمَّ دخل أبو طالب إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو يصلّي وعليّ عليه السلام بجنبه، وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صلّ جناح ابن عمّك، فوقف جعفر على يسار رسول الله، فبدر رسول الله من بينهما. فكان رسول الله يصلّي، وعليّ وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتمون به.

---

(1) إكمال الدين: ١٩٧؛ كما في البحار: ١٨/١٧٧.
(2) الخصال: ١/٢٧٨ ـ ٢٧٩.

فلمّا أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ* إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾(١).

والمستهزئون برسول الله خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن المطّلب، والأسود بن عبد يغوث، والحرث بن طلاطلة الخزاعي.

أمّا الوليد: فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا عليه ـ لما كان يبلغه من إيذائه واستهزائه ـ فقال: اللهمَّ اعم بصره وأثكِلْه بولده! فعمي بصره... ومرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً له فوطأ على بعضها فأصاب عقبه قطعة من ذلك فدميت. فمرّ برسول الله ومعه جبرائيل فقال جبرائيل: يا محمّد، هذا الوليد بن المغيرة، وهو من المستهزئين بك؟ قال: نعم، فلمّا مرّ أشار جبرائيل إلى ذلك الموضع (من النبل في عقبه) فرجع الوليد إلى منزله ونام على سريره، فسال منه الدم حتّى صار إلى فراش ابنته، فانتبهت فقالت: انحلّ وكاء القربة! قال الوليد: ما هذا وكاء القربة ولكنه دم أبيك، فاجمعي لي ولدي وولد أخي فإنّي ميت. فجمعتهم.

فقال لعبد الله بن أبي ربيعة: إنّ عُمارة بن الوليد بأرض الحبشة بدار مَضيعة، فخذ كتاباً من محمّد إلى النجاشي أن يردّه! ثمّ فاضت نفسه.

ومرّ ربيعة بن الأسود(٢) برسول الله، فأشار جبرائيل إلى بصره فعمي ومات.

ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبرائيل إلى بطنه فلم يزل يستسقي حتّى انشق بطنه.

ومرّ العاص بن وائل فأشار جبرائيل إلى رجليه، فدخل عود في أخمص قدميه وخرج من ظاهره ومات.

ومرّ به الحارث بن طلاطلة فأشار جبرائيل إلى وجهه، فخرج إلى جبال تهامة

(١) الحجر: ٩٤ ـ ٩٥.
(٢) كذا، ولم يذكر كذلك من قبل، والظاهر أنّ ربيعة هنا مصحّف: أبي زمعة الأسود بن المطّلب!

فأصابته من السماء ديم فاستسقى حتّى انشق بطنه. فهذا هو قول الله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾.

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقام على الحجر فقال: «يا معشر قريش، يا معشر العرب، أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة».

فاستهزأوا به وقالوا: جُن محمّد بن عبد الله. ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب[1].

نقول بأنّ الصدع بالأمر لم يكن بداية إعلان بل كان عن امتناع وقع للتهديد الأكيد من هؤلاء المستهزئين، وهو المتعيّن الراجح.

وفي خبر الراوندي أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) أتى البيت ومعه جبرائيل عن يمينه والقوم في الطواف.

فأيّ طواف كان هذا لهم جميعاً بعد تهديدهم إياه؟

لعلّنا نجد جواب هذا في ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرته: أنّ نفراً من قريش اجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة ـ وكان ذا سنّ فيهم وقد حضر الموسم ـ فقال لهم: يا معشر قريش! إنّه قد حضر هذا الموسم. وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً[2].

لنا من هذا النص التصريح بأنّ مناسبة عقد هذا المؤتمر بل المؤامرة على الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت هي حضور موسم الحج أو العمرة ووفود العرب إليهم لذلك وهم قد سمعوا بأمره (صلى الله عليه وآله).

---

(١) تفسير القميّ: ١/ ٣٧٩.
(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٨٨.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقعد في الحجر فيقرأ القرآن...

فاجتمعت قريش إلى الوليد فقالوا: يا أبا عبد شمس، ما هذا الّذي يقول محمّد؟ أشعر هو؟ أم كهانة؟ أم خُطَبٌ؟ فقال: دعوني أسمع كلامه.

فدنا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك! قال: ما هو شعر، ولكنّه كلام الله الّذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه. فقال: اتل عليّ منه شيئاً. فقرأ رسول الله ﴿حم السجدة﴾ فلمّا بلغ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1] اقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته. ومرّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك.

فمشوا إلى أبي جهل (عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي) فقالوا له: يا أبا الحكم، إنّ أبا عبد شمس قد صبا إلى دين محمّد، أما تراه لم يرجع إلينا!

فغدا أبو جهل إليه فقال له: يا عمّ، نَكَّسْتَ رؤوسنا وفضحتنا وأشمتَّ بنا عدوّنا وصبوتَ إلى دين محمّد؟!

فقال: ما صبوت إلى دينه ولكنّي سمعت منه كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود! فقال له أبو جهل: أخُطَبٌ هو؟ قال: لا، إنّ الخُطَبَ كلام متصل، وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً. قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنّي قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورَجَزها، وما هو بشعر. قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه!

فلمّا كان من الغد قالوا: يا أبا عبد شمس، ما تقول في ما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحرٌ فإنّه آخِذٌ بقلوب الناس.

فأنزل الله على رسوله في ذلك: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا

(١) فصّلت: ١٣.

عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾[1] وكان من المستهزئين برسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

وعلى هذا فقوله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ و﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ كان تصعيداً في تهديده وإنذاره قبل تبشير الرسول بكفاية شرّه بهلاكه والمستهزئين معه بقوله ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ وهذا أيضاً ممّا يلازم كون الصدع بأمره قبلَ هذا بغير قليل، حتّى تكون وفود العرب في الموسم ـ كما قال الوليد ـ قد سمعوا بأمره (صلى الله عليه وآله)، فإنّ الدعوة السريّة أو غير العلنية لا يبلغ صداها هذا الحد أبداً، بحيث يحتار المشركون في كيفية مواجهتهم له في الموسم. وَلعلّ الوليد بعد موقفه هذا ونزول هذه الآيات فيه بالتهديد قابل هو وأصحابه النبيَّ بالتهديد الشديد والأكيد لتحديد دعوته دون حضور الموسم، ثمّ حضروا طواف الموسم فوسمهم جبرائيل بعذاب الله الشديد في الدنيا قبل الآخرة، وبذلك كفى رسول الله شرّهم وشرّ استهزائهم له ولرسالته. فانطلق الرسول بخطبته العامّة في الموسم على حجر إسماعيل حول البيت في مطاف المسجد الحرام.

وممّا يؤيّد ذلك تعبير الرسول (صلى الله عليه وآله) في تلك الخطبة، إذ هي بالإضافة إلى مخاطبة قريش تحتوي على الخطاب للعرب، وهو إذا ضُمّ إلى مخاطبة قريش ـ مثلاً ـ دلّ على العرب ممّا عداهم لا هم.

فلننظر إلى نصّ الخطاب:

خُطَبُ النبي (صلى الله عليه وآله) للدعوة العلنية:

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقام على «الحجْر» فقال:

---

(١) المدثّر: ١١ ـ ٢٧.

(٢) تفسير القميّ: ٢/٣٩٣ ـ ٣٩٤؛ وعنه في إعلام الورى: ٤١ ـ ٤٢.

فالخطاب لقريش عامّة وللعرب بالأعم، والمُقام الّذي اختاره لخطابه العام هذا هو حجر إسماعيل حول البيت في مطاف المسجد الحرام أي من أجمع مجامع الحجّ وأشرف مواقفه وصدرت العرب عن ذلك الموسم بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلّها[١].

وهذا هو ما كان يحذره أولئك المستهزئون المهدّدون لمنعه عن الإعلان بدعوته في ذلك الموسم العام.

ولكنْ هل كان هذا هو البيان الأوّل العامّ لدعوته العلنية العامّة؟

أمّا اليعقوبي فيقول: وأقام رسول الله بمكّة ثلاث سنين... يدعو إلى توحيد الله عزّ وجلّ وعبادته، والإقرار بنبوّته ويكتم أمره... حتّى قالت قريش: إنّ فتى ابن عبد المطّلب ليُكلَّم من السماء... ثمَّ أمره الله أنْ يصدع بما أرسله به فأظهر أمره وقام «بالأبطح» فقال:

«إنّي رسول الله، أدعوكم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام الّتي لا تنفع ولا تضر، ولا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت» فاستهزأت به قريش وآذته.

وكان المُؤذون له جماعة منهم: أبو لهب، والحكم بن أبي العاص، وعُقبة بن أبي مُعيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وعمرو بن الطلاطلة الخزاعي.

وكان المستهزئون به: العاص بن وائل السهمي والحارث بن قيس بن عدي السهمي، والأسود بن المطّلب بن أسد، والوليد بن المغيرة المخزومي، والأسود بن عبد يغوث الزُهْري. وكانوا يوكلون به صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحب[٢].

فهو يروي أوّل خطبة له بالأبطح لا الحجر، فلعله قبل الموسم. ثمّ هو يرى

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٩١.
(٢) اليعقوبي: ٢/ ٢٤.

قصة المستهزئين بعد الصدع بالأمر، وكأنّه يرى صدعه بالأمر بمعنى أنّه «عاب عليهم آلهتهم، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً»[١] أو هو مرحلة ما بعد الصدع.

ثمَّ هو يرى فرقاً بين المُؤذين له وهم خمسة والمستهزئين به وهم خمسة آخرون. فلعلَّ محمّد بن ثور الّذي عدّهم سبعة عشر رجلاً قد خلط بينهم.

فهل يعني ذلك أنّه لمّا بادى قومه لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتّى صدع بأمره كما أمره الله فذكر آلهتهم وعابها، فأنكروا ذلك وأعظموه وعادوه وأجمعوا على خلافه؟ لعلّه يعني ذلك.

وإذا كان كذلك فلعلّه (صلى الله عليه وآله) بعد مرحلة الدعوة السرية، وبعد مرحلة الدعوة الخاصّة للأربعين للأقربين من العشيرة بني عبد المطّلب أو بني هاشم، بادى قومه بدعوته العامّة العلنية دون هذا المعنى من الصدع بالأمر، فبدأ بخطبته على «الصفا» الخالية من هذا المعنى من الصدع بالأمر، أي عيب الآلهة وذكرها بالسوء، كما في «المناقب» لابن شهرآشوب قال: رُوي أنّه لمّا نزل قوله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (أي بعد هذه المرحلة) صعد رسول الله ـ ذات يوم ـ الصفا، فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لَكَ؟ قال: أرأيتكم إنْ أخبرتكم أنّ العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقونني؟ قالوا: بلى، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

قال قتادة: ثمّ إنّه خطب فقال: أيّها الناس، إنّ الرائد لا يكذب أهله، ولو كنت كاذباً لما كذبتكم، والله الّذي لا إله إلا هو، إنّي رسول الله إليكم حقّاً خاصّة وإلى الناس عامّة، والله لتموتون كما تنامون، ولتبعثون كما تستيقظون، ولتحاسبون كما تعملون، ولتُجزَوْنَ بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنّها الجنة أبداً أو النار أبداً. وإنّكم أوّل من أُنذرتم[٢].

---

(١) اليعقوبي: ٢/ ٢٤.
(٢) المناقب: ١/ ٤٦ ـ ٤٧.

وهذه الجملة الأخيرة من هذه الخطبة على «الصفا» هي الّتي تحملنا على القول: بأنّها أوّل خطبة، فالخطبة «بالأبطح» ثمّ الخطبة «بالحجر» في الموسم. فلعلّ هذا هو وجه الجمع المعقول بين الخطب الثلاث.

من هم المقتسِمون؟

قال مقاتل في قوله سبحانه: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[١] إنّهم هم الّذين اقتسموا طرق مكّة يصدُّون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإيمان به.

وقال ابن عبّاس: إنّهم كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة «أيّام الموسم» يقولون لمن أتى مكّة: لا تغترّوا بالخارج منا المدّعي النبوة. فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرّ ميتة.

وجعلوا القرآن عِضين أي جزّؤوه أجزاءً فقالوا: سحر، وقالوا: مفترى، وقالوا: أساطير الأوّلين[٢] إلى عقبات مكّة أيّام الحج على طريق الناس (الحجاج) على كلّ عقبة أربعة منهم، ليصدّوا الناس عن النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وإذا سألهم الناس عمّا أُنزل على رسول الله قالوا: أحاديث الأوّلين وأباطيلهم[٣].

ثمّ إنّ الوليد جمع إليه هؤلاء النفر من قريش وقال لهم: اجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضا. فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به... ثمّ قال لهم: إنّ أقرب القول فيه أنّ تقولوا هو ساحرٌ جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل

(١) الحجر: ٩٠ ـ ٩١.
(٢) مجمع البيان: ٦/ ٥٣١.
(٣) مجمع البيان: ٦/ ٥٤٩.

الناس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إيّاه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله فيه قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[1].

ثمّ نزل فيه خاصّة وفي خمسة من أصحابه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

والموسم ذُكر في كلا الأمرين: المقتسمين، والمستهزئين، من دون تفريق بينهما ممّا يُحمل بظاهره على أوّل موسم بعد إعلان الدعوة العامّة، فإن كانت طبيعة الأمور تقتضي فاصلاً زمنياً أطول من موسم واحد بين الأمرين ـ كما هو ظاهر الحال ـ فمن المحتمل أن يكون الاقتسام في الموسم الأوّل، ثمّ محاولة الاعتبار بالتجربة من اختلاف آرائهم وأقوالهم في الرسول والقرآن، فالسعي في توحيد آرائهم وأقوالهم فيهما في الموسم الثاني، وأنّ ما نزل في الوليد والمستهزئين والمقتسمين في سورتي الحجر والمدثّر كان في الموسم الثاني بعد إعلان الدعوة لا الأوّل.

ما نزل من القرآن قبل ﴿فَاصْدَعْ﴾ :

إذ وقفنا على الحوادث المشار إليها بقوله سبحانه ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[2]وقوله سبحانه ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[3] والآيات من أواخر سورة الحجر، وهي الرابعة والخمسون في ترتيب النزول[4] أي يسبقها من القرآن في النزول ست وخمسون سورة، ولنا فيها آيات وإشارات إلى ما يسبق ما أشير إليه في هذه الآيات الأخيرة من سورة الحجر ممّا يدخل في تأريخ الإسلام، فلنقف عليها على ترتيبها على التوالي:

رتّبوا في ترتيب النزول بعد سورة العلق: سورة القلم الّتي تفتتح بالآية: ﴿نٓ

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٢) الحجر: ٩٠ ـ ٩١.
(٣) الحجر: ٩٤ ـ ٩٥.
(٤) التمهيد: ١/ ١٠٥؛ وتلخيصه: ١/ ٩٨.

﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ممّا يوحي بأنّ هذه الجملة إنّما هي تنزيه له عمّا اتّهمه به المشركون من الجنون، كما في الآية بعدها: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ وكما في الآية بعدها: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ و﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(١) وليس من التأويل إذا بحث الدارس لهذه الآيات عن الشخص المعيّن المعنيّ بها، بل الظاهر من الآيات هو ذلك وما عداه خلاف الظاهر.

وثالثة السور ـ «المزمّل»:

وعاشرة آياتها: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾(٢) قال في «المجمع»: قيل: نزلت في صناديد قريش والمستهزئين(٣) وأليس من الإعلان الآيات التالية في السورة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾(٤).

ورابعة السور ـ «المدّثّر»:

وفيها الآيات بشأن الوليد بن المغيرة المخزومي، وقد مرّ خبره مع المستهزئين. وقد مرّ قبل خبر جابر بن عبد الله الأنصاري عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّها أوّل سورة نزلت عليه بعد الفترة بعد حِراء، وعليه تكون ثانية السور لا الرابعة، ويمكن الجمع بينهما بمثل الكلام في سورة العلق، بأنّ ما نزل ثانياً بعد الفترة هي

---

(١) القلم: ١٠ ـ ١٥.
(٢) المزمّل: ١٠ ـ ١١.
(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٥٧٣.
(٤) المزمل: ١٥ ـ ١٩.

حتّى الآية العاشرة، أي إلى ما قبل ما يتعلق بالوليد، ثمّ نزل باقيها ـ بعد المزمّل ـ رابعاً.

السورة الخامسة ـ «الفاتحة»:

فقد قال اليعقوبي: إنّها الفاتحة[1] والظاهر أنّها هي رواية جابر بن زيد[2] أمّا خبر ابن عبّاس فلم يعرض للفاتحة. ومرّ ترجيح أن تكون الفاتحة ـ كما هو معنى الفاتحة ـ فاتحة كتاب الله. وقد يوجّه عدم ذكر ابن عبّاس للفاتحة بأنّ العلق فما بعد من القرآن في دور الإعلان والفاتحة كانت نازلة من قبل. وهي السورة الوحيدة ـ في عداد هذه السور الأوائل ـ الّتي ليس فيها ما يقتضي أو يستدعي سبق شيء من القرآن أو الإسلام قبلها.

سادسة السور ـ «المسد»:

سورة تبّت أو أبي لهب أو المسد.

روى الطبرسي أيضاً ما يصلح شأناً لنزول السورة من دون هذه الملازمات، قال: عن سعيد بن المسيّب قال: كانت لأُمّ جميل بنت حرب أخت أبي سفيان قلادة فاخرة من جوهر فقالت: لأُنفقنّها في عداوة محمّد! قال الطبْرسي: ولمّا أنذر النبيّ أبا لهب بالنار قال: إن كان ما تقول حقّاً فإنّي أفتدي بمالي وولدي[3] فأنزل الله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ بدل القلادة. وهذا لا يستلزم ما كان يستلزمه الخبران عن ابن عبّاس، ولكنّه يستلزم سبق الإعلان والمجاهرة حتّى حدّ العداء الحادّ من أبي لهب وامرأته.

---

(1) اليعقوبي: ٢/ ٣٣.

(2) التمهيد: ١/ ١٠٣؛ وتلخيصه: ١/ ٩٥.

(3) مجمع البيان: ١٠/ ٨٥٢.

السورة الثامنة ـ «الأعلى»[١]:

وروى العياشي في تفسيره عن عقبة بن عامر الجُهني قال: لمّا نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجعلوها في سجودكم.

ورواه أيضاً في «الدر المنثور» عن أحمد وأبي داود وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه عن عقبة عنه (صلى الله عليه وآله)[٢].

ومرّ عن ابن شهرآشوب في «المناقب» عن تفسير القطّان عن ابن مسعود: أنّ علياً عليه السلام سأل رسول الله: ما أقول في السجود في الصّلاة؟ فنزل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وسأله: ما أقول في الركوع؟ فنزل: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فكان أوّل من قال ذلك[٣].

السورة العاشرة ـ «الضحى»:

أو الحادية عشرة هي «سورة الضحى» وفي تفسير القمّي في سبب نزولها روى عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قال: ذلك أنّ أوّل سورة نزلت كانت ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ثمّ أبطأ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت خديجة: لعلّ ربّك قد تركك فلا يُرسل إليك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٤] وهذا يقتضي أن تكون الضحى الثانية لا العاشرة.

اللهمَّ إلا أن نخلص من ذلك كما خلص ابن إسحاق فلم يقل بشيء من ذلك، وإنّما قال: ثمَّ فتر الوحي عنه فترة حتّى شق عليه وأحزنه فجاءه جبرائيل بسورة الضحى.

---

(١) السر في عدم ذكرنا لبعض السور هو عدم اشتمالها على الآيات ذات الإشارة إلى الحوادث التأريخية.

(٢) الميزان: ٢٠/ ٢٧٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٤ ـ ١٩.

(٤) تفسير القميّ: ٢/ ٤٢٨.

ولم يقل ما الّذي نزل من القرآن قبلها حتّى في ابتداء تنزيله، ولكنّه بعد أن ذكر ابتداء النزول في شهر رمضان قال: ثمّ تتامَّ الوحي إليه (صلى الله عليه وآله) وهو مؤمن بالله ومصدّق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمّل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم... فمضى على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى[1] ثمّ يقول: ثمَّ فتر الوحي... فلو كان (صلى الله عليه وآله) إنّما جعل يذكر النبوة سِرّاً إلى من يطمئنّ إليه من أهله بعد قوله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2] فكيف ومن أين علم به قومه فيتحمّل ما يلقاه منهم من الخلاف والأذى؟!

السورة الثانية عشرة ـ «الشرح»:

هي متتالية للضحى إنْ لم نقل بوحدتهما كما نقل ذلك الفخر الرازي عن طاووس بن كيسان اليماني وعمر بن عبد العزيز، وجاء في بعض أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام[3] وأفتى به بعض فقهائنا[4].

واختلفوا في معنى الوِزْر في قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ويبدو لي بقرينة وحدة سياق السورتين أنَّ المقصود بالوزر ما تَحمّله من ثقل انقطاع الوحي عنه واحتباسه، وهو العُسر الّذي تَحمَّله واليُسر بعده تجديد الوحي إليه، واليوم، وقد فرغ من ذلك الهمّ والغمّ، فعليه أن ينصَب في التحديث بما أنعم الله عليه من النبوّة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾.

السورة الثالثة عشرة ـ «العصر»:

وقال الطبرسي: قيل: المراد بالإنسان هو الوليد بن المغيرة وأبو جهل[5]

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٥٧.
(٢) ابن هشام: ١/ ٢٥٨.
(٣) الميزان: ٢٠/ ٣٦٥.
(٤) المحقّق الحلّي في الشرائع والمعتبر.
(٥) مجمع البيان: ١٠/ ٨١٥.

ونسب السيوطي إلى ابن عبّاس القول بأنّه أبو جهل[1]. وعلى هذا فلا يخلو قوله ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن تعريض به أو بهما إذ كانا يتواصيان بالباطل والصبر عليه في مواجهة الحقّ. وهذا أيضاً ممّا يقتضي الإعلان، كما يقتضيه إطلاق قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

السورة الرابعة عشرة ـ «العاديات»:

روى الطبرسي في «مجمع البيان» مرسلاً، وقبله الطبري في تفسيره مسنداً إلى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: بينما أنا في الحِجر جالس إذ أتاني رجل فسأل عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقلت له: الخيل حين تُغير في سبيل الله ثمَّ تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم.

فانفتل الرجل عنّي وذهب إلى علي بن أبي طالب وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألتَ عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عبّاس فقال: الخيل حين تُغير في سبيل الله... قال: فاذهب فادعُه لي. فلمّا وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به؛ والله إنْ كانت لأوّل غزوة في الإسلام، بدرٌ وما كانت معنا إلا فرسان: فرسٌ للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات الخيل؟! بل ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ : الإبل من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى.

قال ابن عبّاس: فرغبت عن قولي ورجعت إلى الّذي قاله علي (عليه السلام)[2] وإذا كنّا هنا نحاول أنْ نواكب في السور المكيّة الأوائل الآيات المشيرة إلى الحوادث الزمنية المعاصرة لها يومئذٍ، فعلى الخبر الأوّل عن ابن عبّاس عن علي (عليه السلام) لعلّ نزول هذه السورة كان في أيّام الإفاضة في الحجّ لأوّل موسم بعد البعثة ونزول القرآن، مشيرة إلى تقرير القبول بأصول مناسك الحج.

(١) الدر المنثور: ٦/ ٣٩١.
(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٨٠٣؛ وجامع البيان: ٣٠/ ١٧٧؛ والدر المنثور: ٦/ ٣٨٣.

السورة الخامسة عشرة ـ «الكوثر»:

قال القميّ في تفسير الكوثر: نهر في الجنة، أعطاه الله محمّداً عوضاً عن ابنه إبراهيم.

أمّا الطبرسي فقد روى عن ابن عباس: أنّه كان قد تُوفّي عبد الله بن محمّد (صلى الله عليه وآله) من خديجة، وكانوا يسمّون من ليس له ابن: أبتر، واتفق أن التقى العاص بن وائل السهمي عند باب بني سهم برسول الله وهو يخرج من المسجد فتحادثا، وكان أناس من صناديد قريش جلوساً في المسجد، فلمّا دخل العاص سألوه: من كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتر، فسمّته قريش بالأبتر[١].

والّذي تشير إليه السورة وتدلّ عليه الأخبار التأريخية والتفسيرية هو أيضاً ممّا يقتضي الإعلان لا الكتمان، بل المجاهرة بالإحن والشنآن، والحنق والعدوان.

السورة السادسة عشرة ـ «التكاثر»:

روى الطبرسي عن مقاتل والكلبي قالا: نزلت في حيّين من قريش: بني عبد مناف بن قصي، وبني سهم بن عمرو، تكاثروا وعدّوا أشرافهم، فكثرهم بنو عبد مناف، ثمّ قالوا: نعدّ موتانا! حتّى زاروا القبور فعدّوهم قالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان، فكَثَرهم بنو سهم لأنّهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية[٢] فنزلت السورة. وعليه فلا يصح ما قيل من مثل ذلك في الأنصار أو اليهود ممّا يقتضي مدنية السورة.

السورة السابعة عشرة ـ «الماعون»:

روى الطبرسي عن ابن جريج قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب، كان ينحر في كلّ أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه.

---

(١) مجمع البيان: ١٠/٨٣٦.
(٢) مجمع البيان: ١٠/٨١١.

وفي السورة آية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ ممّا يشير إلى وجود مصلّين وفيهم مراؤون، فهل يتفق هذا وقول ابن إسحاق: أنّهم قبل إعلان الدعوة كانوا إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى شِعاب مكّة فاستخفّوا بصلاتهم فيها؟ فمن كان يرائي لمن؟

السورة الثامنة عشرة ـ «الكافرون»:

قال الطبرسي نزلت السورة في نفر من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة المخزومي، والأسود بن عبد يغوث الزُهري، والأسود بن المطّلب بن أسد، وأُمية بن خلف (وهم المستهزئون) قالوا: هلمّ يا محمّد فاتّبع ديننا نتّبع دينك ونشركك في أمرنا كلّه، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإنْ كان الّذي جئت به خيراً ممّا بأيدينا كنّا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإنْ كان الّذي بأيدينا خيراً ممّا في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه. قال: معاذ الله أن أشرك به غيره. قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدّقك ونعبد إلهك. فقال: حتّى انظر ما يأتي من عند ربّي. فنزل: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

فعدل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم ثمّ قرأ عليهم حتّى فرغ من السورة، فأيسوا عند ذلك فآذوه وآذوا أصحابه[١]. وروى قريباً منه الشيخ في أماليه عن ميناء[٢].

وعليه فهذه هي بداية أذية المشركين للرسول والمسلمين، وهي تقتضي الإعلان لا الكتمان. وكأنّ أذى أبي لهب وزوجته للرسول من قبل كان خاصّاً به وبهما فاختصّت السورة بهما.

---

(١) مجمع البيان: ١٠/ ٨٤٠.
(٢) أمالي المفيد: ٣٤٦ بسنده عن ابن إسحاق؛ ورواه الطبري: ٢/ ٣٣٧.

السورتان العشرون والواحدة والعشرون ـ «المعوّذتان»:

قال القمّي: حدّثني أبي، عن بكر بن محمّد، عن الصادق عليه السلام قال: كان سبب نزول المعوّذتين أنّه وَعَكَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنزل جبرائيل بهاتين السورتين فعوّذه بهما[1].

ونقل المجلسي في باب معجزاته في كفاية شرّ الأعداء عن كتاب «الخرائج والجرائح» للقطب الراوندي قال: روى أنّ امرأة من اليهود عملت له سحراً فظنّت أنّه ينفذ فيه كيدُها. والسحر باطل مُحال، إلا أنّ الله دلّه عليه فبعث من استخرجه، وكان على الصفة الّتي ذكرها وعلى عدد العقد الّتي عُقد فيها ووصف، ما لو عاينه معاين لغفل عن بعض ذلك[2].

ولعلّه أخذ القول باليهودية ممّا اختصره ابن جزي الكلبي في «التسهيل» قال: قيل: إنّ بنات «لُبيد» كنّ ساحرات، فهنَّ ـ وأبوهنَّ ـ سحرن رسول الله وعقدن له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوّذتين: إحدى عشرة آية بعدد العقد، وشفى الله رسوله[3].

السورة الثانية والعشرون ـ «التوحيد»:

قال القمي في تفسيره: كان سبب نزولها: أنّ اليهود جاءت إلى رسول الله فقالت: ما نَسَبُ ربّك؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[4].

ولكن روى القميّ أيضاً عن الضحّاك عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبيّ بمكّة: صف لنا ربّك لنعرفه فنعبده. فأنزل الله على النبيّ (صلى الله عليه وآله): ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[5] وروى الطبرسي تفصيله عنه أيضاً قال: إنّ عامر بن الطفيل وأربد بن

---

(1) تفسير القمي: ٢/ ٤٥٠.
(2) بحار الأنوار: ١٨/ ٥٧.
(3) التسهيل: ٤/ ٢٢٥.
(4) تفسير القمي: ٢/ ٤٤٨.
(5) تفسير القمي.

ربيعة ـ أخا لبيد الشاعر ـ أتيا النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فقال له عامر بن الطفيل: إلى ما تدعونا يا محمّد؟ فقال: إلى الله فقال: صِفه لنا أمن ذهب هو أم من فضّة أم من حديد أم من خشب؟ فنزلت السورة. وأرسل الله الصاعقة على أربد فأحرقته وطُعن عامر في خنصره فمات[١].

وقد يُجمع بينهما بأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) تلى التوحيد عليهم، فاستهزأوا به فنزل العذاب بهم، أمّا نزول السورة فقد كان من قبلُ لليهود القادمين إليه من المدينة، فلا تنافي.

وفي إتيان اليهود إليه من المدينة دلالة على انتشار خبره وبلوغه إليها، وهذا أيضاً ممّا لا يتلاءم مع دور الكتمان، بل الإعلان.

السورة الثالثة والعشرون ـ «النجم» ومعراج الرسول (صلى الله عليه وآله):

قال القمي: النجم رسول الله و«إذا هوى» أي لمّا أُسري به إلى السماء. فهو قسم برسول الله وردّ على من أنكر المعراج[٢].

ولعلّه أخذ ذلك من خبر رواه الطبرسي عن الصادق عليه السلام قال: إنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله) لمّا نزل من السماء السابعة ليلة المعراج[٣] مع ما بين النصين من الفرق.

إسلام حمزة عمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله):

كان أبو جهل قد تعرض لرسول الله وآذاه بالكلام، واجتمعت بنو هاشم وكان حمزة في الصيد فأقبل ونظر إلى اجتماع الناس فقال: ما هذا؟ فقالت له امرأة: يا أبا يعلى إنّ عمرو بن هشام (أبا جهل) قد تعرض لمحمّد وآذاه. فغضب حمزة ومرّ

---

(١) مجمع البيان: ١٠/ ٨٥٩.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٣٣. وجاء في اللغة: هوى في الجبل أي صعد فيه، فهوى من الأضداد.
(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٢٦١.

نحو أبي جهل وأخذ قوسه فضرب بها رأسه ثمّ احتمله فجلد به الأرض. واجتمع الناس فقالوا: يا أبا يعلى صبوت إلى دين ابن أخيك؟ قال: نعم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله. على جهة الغضب والحمية. ورجع إلى منزله.

وغدا على رسول الله فقال: يا بن أخ أحقّ ما تقول؟ فقرأ عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سورة من القرآن فاستبصر، وثبت على دين الإسلام، وفرح رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وسُرَّ أبو طالب بإسلامه وقال في ذلك:

فصبْراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مُظهراً للدين ـ وفُقّت ـ صابراً

وحُطْ من أتى بالدين من عند ربّه بصدق وحقّ، لا تكن ـ حمزُ ـ كافراً

فقد سرّني إذ قلت: إنّك مؤمن فكن لرسول الله ـ في الله ـ ناصراً

وناد قريشاً بالّذي قد أتيته جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحراً[1]

أمّا إسلام عثمان: فقد قال ابن إسحاق: بلغني أنّه أسلم بعد أبي بكر[2]. وروى ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» عن المدائني عن عمر بن عثمان عن أبيه: أنّه دخل على خالته أروى بنت عبد المطّلب، فدخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فجعل ينظر إليه وقد ظهر شأنه، فجرى له معه حديث وقرأ عليه بعض الآيات ثمَّ قام فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته وأسلمت[3].

وكما روى ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ما دلّ على عدم إسلام عثمان بدعوة أبي بكر بل بدعوة الرسول نفسه، كذلك روى المقدسي في «البدء والتاريخ» رواية مفادها أنّ طلحة ذهب بنفسه إلى الرسول فأسلم، وقالوا: إنّه كان في بُصرى الشام، فسمع من راهب فيه خروج نبيّ في ذلك الشهر اسمه «أحمد» فلمّا قدم مكّة سمع الناس يقولون: تنبّأ محمّد بن عبد الله، فأتى إلى أبي بكر فسأله فأخبره ثمّ أدخله على رسول الله فأسلم[4].

---

(1) إعلام الورى: ٤٨.

(2) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٦٧.

(3) الاستيعاب: ٤/ ٢٢٥.

(4) البدء والتأريخ: ٥/ ٨٢؛ والبداية والنهاية: ٣/ ٢٩؛ ومستدرك الحاكم: ٣/ ٣٦٩.

وأمّا الزبير بن العوّام: فكان قد أسلم قبل أبي بكر[١].

فرض الصلوات:

عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام أنّه حدّث بحديث معراج الرسول عن لسانه إلى أن قال: ثمّ غشيتني صبابة (أو سحابة) فخررت ساجداً فناداني ربّي: إنّي قد فرضت على كلّ نبيّ كان قبلك خمسين صلاة، وفرضتها عليك وعلى أمّتك، فقم بها أنت في أُمّتك.

قال رسول الله: فانحدرت حتّى مررت على إبراهيم فلم يسألني عن شيء، حتّى انتهيت إلى موسى فقال: ما صنعت يا محمّد؟ فقلت: قال ربّي: فرضت على كلّ نبيّ كان قبلك خمسين صلاة، وفرضتها عليك وعلى أُمتك. فقال موسى: يا محمّد إنّ أُمّتك آخر الأمم وأضعفها. وإنّ ربّك لا يردّ عليك شيئاً، وإنّ أُمّتك لا تستطيع أن تقوم بها، فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف لأُمّتك. فرجعت إلى ربّي حتّى انتهيت إلى سدرة المنتهى فخررت ساجداً ثمّ قلت: فرضتَ عليَّ وعلى أمّتي خمسين صلاة ولا أطيق ذلك ولا أمتي فخفّف عنّي. فوضع عنّي عشراً. فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: لا تطيق، فرجعت إلى ربّي، فوضع عنّي عشراً. فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع. وفي كلّ رجعة أرجع إليه أخرّ ساجداً، حتّى رجع إلى عشر صلوات، فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: لا تطيق، فرجعت إلى ربّي فوضع عنّي خمساً، فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: لا تطيق، فقلت: قد استحييت من ربّي ولكن أصبر عليها.

فناداني (ربّي): كما صبرت عليها فهذه الخمس بخمسين، كلّ صلاة بعشر، ومن هَمَّ من أمتك بحسنة يعملها كتَبْتُ له عشراً، وإنْ لم يعملها كتَبْتُ واحدة. ومن هَمَّ من أمتك بسيئة فعملها كتَبْتُ عليه واحدة، وإنْ لم يعملها لم أكتب عليه شيئاً[٢].

---

(١) شرح النهج: ١٣/ ٢٢٤.
(٢) تفسير القميّ: ٢/ ١٢.

السورة الرابعة والعشرون ـ «عبس»:

روى الطبرسي في «مجمع البيان»: عن الصادق عليه السلام: «أنّها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فجاء ابن أمّ مكتوم، فلمّا رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه».

السورة الخامسة والعشرون ـ «القدر»:

فهي أوّل سورة وآيات ذكر فيها ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وأنّها سلام حتّى مطلع الفجر بل خير من ألف شهر، وأنّ الملائكة والروح تنزّلُ فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر، وقد نَزَلت فيها بالقرآن على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والنازل منه إذ ذاك هذه الخمس والعشرون سورة.

السورة التاسعة والعشرون ـ «قريش»:

وليس قبلها الفيل ولا في رواية، فلا مجال للقول بتعلق اللام في بداية هذه السورة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ بكيفية هلاك أصحاب الفيل، فضلاً عن القول بوحدة السورتين، بل المترجّح المتعيّن ما نقله الطبرسي في «مجمع البيان» عن الخليل وسيبويه: أنّ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ يتعلق بـ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ أي: ليجعلوا عبادتهم شكراً لنعمة إيلافهم واعترافاً بها[١].

السورة الثانية والثلاثون ـ «الهُمزَة»:

روى الطبرسي عن مقاتل قال: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبيّ من ورائه ويطعن عليه في وجهه. وهذا يوافق قول قتادة وسعيد بن جبير في معنى الهُمزة وبأنّه المغتاب، واللُّمَزة بأنّه الطعان.

---

(١) مجمع البيان: ١٠/٨٢٩، وانظر رد الطباطبائي لأخبار وحدة السورتين: ٢٠/٣٦٤.

السورة الثالثة والثلاثون ـ «المرسلات»:

وفيها روى السيوطي في «الدر المنثور» عن عبد الله بن مسعود قال: بينا نحن مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾(١).

السورة الرابعة والثلاثون ـ «ق»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾(٢) وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: قيل: إنّها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم. فيكون المراد بالخير الّذي يمنع عنه هو الإسلام(٣).

السورة الخامسة والثلاثون ـ «البلد»:

قال الطبرسي في «مجمع البيان» قال مُقاتل الكلبي: هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنّه دخل في الإسلام وأذنب ذنباً فاستفتى رسول الله فأمره أنْ يكفّر، فقال: لقد ذهب مالي في الكفّارات والنفقات منذ دخلت في دين محمّد... وكان كاذباً لم ينفق ما قاله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أيظنّ أنَّ الله تعالى لم ير ذلك فَعَل أو لم يفعل، أنفق أو لم ينفق.

السورة السابعة والثلاثون ـ «القمر»:

روى القمّي في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربعَ عشرة من ذي الحجة، فقالوا للنبيّ: ما من نبيّ إلا وله آية، فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبيّ: ما الّذي تريدون؟ فقالوا: ألم يكن لك عند ربك قدرٌ؟! فَأْمُر القمر أن ينقطع قطعتين!

---

(١) الدر المنثور: ٦/ ٣٠٢.

(٢) ق: ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٢٢٠.

فهبط جبرائيل وقال: يا محمّد إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: إنّي قد أمرت كلّ شيء بطاعتك. فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين! فانقطع قطعتين! فسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) شكراً لله... ثمّ رفع النبيّ رأسه ورفعوا رؤوسهم ثمّ قالوا: يعود كما كان؟ فعاد كما كان! ثمّ قالوا: ينشقّ رأسه! فأمره فانشقّ. فسجد النبيّ شكراً لله...

فقالوا: يا محمّد حين يُقدم مسافرونا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة؟ فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنّه من ربك، وان لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنّه سحر سحرتنا به! فأنزل الله ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ إلى آخر السورة[1].

وعليه فهذه هي المرة الثانية لتجربتهم صدق مقال الرسول (صلى الله عليه وآله) بتصديق المسافرين له، بعد إخباره عن الإسراء به إلى بيت المقدس. ولعلّهم قالوا ذلك بعد أن قالوا: سحرنا محمّد، فقال رجل ـ كما رواه الطبرسي عن جبير بن مطعم ـ إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلّهم.

قال الطبرسي: وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم: عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وعليه جماعة المفسّرين، بل أجمع المسلمون على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه.

السورة الثامنة والثلاثون ـ «ص»:

روى الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا: إنّ ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومُرْه فليكفّ عن آلهتنا ونكفّ عن إلهه!

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٣٤١.

فبعث أبو طالب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدعاه، فلمّا دخل النبيّ لم ير في البيت إلا مشركاً فقال: السلام على من اتبع الهدى، ثمّ جلس. فأخبره أبو طالب بما جاؤوا به. فقال: أوَ هل لهم في كلمة خير لهم من هذا، يسودون بها العرب ويطأون أعناقهم! فقال أبو جهل: نعم وما هذه الكلمة؟ قال: تقولون: لا إله إلا الله. فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا وهم يقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ فأنزل الله في قولهم ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[1] ونقله القمي في تفسيره بمعناه بلا إسناد وأضاف: نزلت بمكّة لمّا أظهر رسول الله الدعوة اجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب! إنّ ابن أخيك قد سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا. فإن كان الّذي يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالاً حتّى يكون أغنى رجل في قريش ونملّكه علينا!

فأخبر أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك فقال: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته، ولكن يعطونني كلمة يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ويكونون ملوكاً في الجنة.

السورة التاسعة والثلاثون ـ «الأعراف»:

وأوّلها: ﴿المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فهل هذا يعني الإنذار الخاص والسرّي، وذكرى للمؤمنين كذلك؟ بل الظاهر غير ذلك.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ

(١) أصول الكافي: ٢/ ٦٤٩.
(٢) الأعراف: ١ ـ ٢.

ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

قال القمي في تفسيره: إنّ أناساً كانوا يطوفون عراةً بالبيت، الرجال بالنهار والنساء بالليل، وكانوا لا يأكلون إلا قوتاً، فأمرهم الله بلبس الثياب، وأن يأكلوا ويشربوا ولا يُسرفوا[٢] ورواه الطبرسي عن جماعة من المفسّرين[٣].

وفي السورة قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام والزهري ومجاهد عن سعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير عن ابن مسعود وابن عباس قالا: كان المسلمون يتكلّمون في صلاتهم ويسلّم بعضهم على بعض، وإذا دخل داخل فقال لهم: كم صليتم؟ أجابوه. فنُهوا عن ذلك وأُمروا بالاستماع[٥].

السورة الحادية والأربعون ـ «يس»:

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فهو من الأنبياء المرسلين، وظاهر الخطاب بل صريحه فعليته العامّة لا شأنيته بالقوّة، ولا الفعلية السريّة أو الخاصة، بل ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٦].

وهنا قال القمي في تفسيره: إنّها نزلت في أبي جهل بن هشام ونفر من أهل

---

(١) الأعراف: ٣١ ـ ٣٣.
(٢) تفسير القمي: ١/ ٢٢٨.
(٣) مجمع البيان: ٤/ ٦٣٧.
(٤) الأعراف: ٢٠٤.
(٥) مجمع البيان: ٤/ ٧٩١.
(٦) يس: ٦ ـ ٩.

بيته، وذلك أنّه حلف أبو جهل: لئن رأى النبيّ يصلي ليدمغنّه، فجاء والنبيّ قائم يصلي (حول الكعبة) ومعه حجر، ولكنّه جعل كلمّا رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه ولا يدور الحجر بيده، ولمّا يرجع إلى أصحابه يسقط الحجر من يده. فقام رجل آخر من رهطه فقال: أنا أقتله! فلمّا دنا منه سمع قراءة رسول الله فأُرعب، فرجع إلى أصحابه وقال: حال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه، فخِفت أن أتقدم. فلم يؤمن من أولئك الرهط من بني مخزوم أحد[١].

السورة الثانية والأربعون ـ «الفرقان»:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا . . .﴾.

في تفسير القمي: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنون: أبا فكيهة وجَبْراً وعَدَاساً وعابساً مولى حُوَيطب. وقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ هو قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة «اكتتبها» قال القمّي: قالوا: هذا الّذي يقرأه محمّد ويخبرنا به إنّما يتعلّمه ويكتبه عن رجل من علماء النصارى يقال له: ابن قبيطة[٢].

السورة الرابعة والأربعون ـ «مريم»:

وهي الّتي قرأ شطراً منها جعفر بن أبي طالب الطيار على النجاشي ملك الحبشة في الهجرة إليها، فيُعلَم أنّها نزلت قبل ذلك وأنّ الهجرة إليها بعد هذه السورة.

السورة السادسة والأربعون ـ «الواقعة»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣] وروى العيّاشي في تفسيره

(١) تفسير القمي: ٢/ ٢١٢؛ ونقل مثله الطبرسي في مجمع البيان: ١٠/ ٦٤٩.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ١١١؛ سيرة ابن إسحاق: ١/ ٣٢١.
(٣) الواقعة: ٧٤.

عن عُقبة بن عامر الجهني قال: لمّا نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجعلوها في ركوعكم.

وهذا ممّا يؤيد ما مرّ عن أنّ الصلاة في أوائل تشريعها كانت بسجود بلا ركوع، ثمّ شُرّع فيه الركوع بعد ذلك.

السورة السابعة والأربعون ـ «الشعراء»:

وفيها آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وقد سبق القول فيها.

السورة التاسعة والأربعون ـ «القَصص»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن...﴾.

والعلّامة الطباطبائي مع أنّه يذكر في بحوثه الروائية روايات أسباب النزول لم يذكر هذا الخبر عن «مجمع البيان» ولكنّه قال في تفسير الآيات: سياق الآيات يشهد بأنّ المشركين من قوم النبيّ (صلى الله عليه وآله) راجعوا بعض أهل الكتاب واستفتوهم في أمره وعرضوا عليهم بعض القرآن النازل عليه، وهو مصدق للتوراة.

فأجابوهم بتصديقه والإيمان بما يتضمّنه القرآن من المعارف الحقّة، وأنّهم كانوا يعرفونه بأوصافه قبل أن يُبعث كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾[1].

إيمان أبي طالب:

وفيها بعده قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2].

قال القمّي في تفسيره: نزلت في أبي طالب (عليه السلام)، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان

---

(1) القصص: 53.

(2) القصص: 56.

يقول: يا عمّ قل: لا إله إلا الله، أنفعك بها يوم القيامة، فيقول: يا بن أخي أنا أعلم بنفسي. ولكنّه لم يمت حتّى شهد العباس بن عبد المطّلب عند رسول الله: أنّه تكلّم بها عند الموت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أرجو أنْ تنفعه يوم القيامة. وقال: لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمّي، وأخ كان لي مواخياً في الجاهلية[١].

وروى القمّي هذا الأخير قبل هذا عن أبيه عن محمّد بن أبي عمير عن معاوية وهشام عن الصادق عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢].

وقال الطبرسي في سورة الأنعام: وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعُهم حجّة ؛ لأنهم أحد الثقلَين اللذَين أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بهما بقوله: «إن تمسكم بهما لن تظلّوا».

قال: وروى الطبري بإسناده: أنّ رؤساء قريش لمّا رأوا ذبّ أبي طالب عن النبيّ اجتمعوا عليه وقالوا: جئناك بفتى قريش جَمالاً وجُوداً وشهامة: عمارة بن الوليد، ندفعه إليك وتدفع إلينا ابن أخيك الّذي فرّق جماعتنا وسفّه أحلامنا فنقتله!

فقال أبو طالب: ما أنصفتموني، تعطونني ابنكم فأغذوه وأعطيكم ابني فتقتلونه[٣]، بل فليأت كلّ امرئ منكم بولده فأقتله. وقال:

معنا الرسولُ رسولُ المليك ببِيضٍ تَلالأُ كلمْع البرُوق
أذودُ وأحمي رسولَ المليك حمايةَ حامٍ عليه شفيق

قال: وأقواله وأشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تُحصى، فمن ذلك قوله:

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٤٢.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ٢٥.
(٣) الطبري: ٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ عن ابن إسحاق؛ والخبر في المسيرة: ١/ ٢٨٥؛ والنقل لا زال عن الطبرسي في مجمع البيان.

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خُطّ في أوّل الكتْبِ
أليس أبونا هاشمٌ شدّ أزرَه وأوصى بنيه بالطعانِ وبالحرْبِ

وقوله من قصيدة:

وقالوا لأحمدَ: أنت امرؤٌ خَلوفُ اللسانِ ضعيفُ السببْ
إلا إنّ أحمدَ قد جاءهم بحقٍّ ولم يأتهم بالكذِبْ

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبيّ (صلى الله عليه وآله):

وقد كان في أمرِ الصحيفة عِبرةٌ متى ما يُخبَّرْ غائبُ القوم يَعْجَبِ
محا الله منها كفرَهم وعقوقَهم وما نقموا من ناطقِ الحق مُعربِ
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدَّقاً على سخَطٍ من قومنا غيرَ مُعْتَبِ

وقوله في قصيدة يحضّ أخاه حمزة على اتّباع النبيّ والصبر في طاعته:

فصبراً ـ أبا يعلى ـ على دين أحمد وكن مُظْهراً للدين ـ وُفّقتَ ـ صابراً
فقد سرّني إذ قلت إنّك مؤمن فكن لرسول الله ـ في الله ـ ناصراً

وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة:

أوصي بنصر النبيّ الخيرِ مشهدُه عليّاً ابني وشيخَ القوم عبّاساً
وحمزةَ الأسدَ الحامي حقيقتَه وجعفراً: أن يذودا دونه الناسا
كونوا ـ فداءً لكم أمي وما ولدَت ـ في نصر أحمدَ دون الناس أترْاساً

في أمثال هذه الأبيات ممّا هو موجود في قصائده المشهورة، ووصاياه وخطبه، ما يطول به الكتاب[١] فإنّ استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير، وما رُوي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يُحصى، يكاشف فيها من كاشف النبيّ ويناضل عنه ويصحّح نبوته... ولا شكّ في أنّه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحاً لهم ولحسن تدبيره في دفع كيدهم، لئلّا يُلجئوا الرسولَ إلى ما ألجأوه إليه بعد موته[٢].

(١) مجمع البيان: ٣/٤٤٦.
(٢) مجمع البيان: ٧/٤٠٦.

وقال العلاّمة الطباطبائي: وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام مستفيضة على إيمانه، والمنقول من أشعاره مشحون بالإقرار على صدق النبيّ وحقيقة دينه، وهو الّذي آوى النبيّ صغيراً وحماه بعد البعثة وقبل الهجرة، وقد كان أثر مجاهدته وحده في حفظ نفسه الشريفة في العشر السنين قبل الهجرة يعدل أثر مجاهدة المهاجرين والأنصار بأجمعهم في العشر السنين بعد الهجرة(١).

السورة الخمسون ـ «الإسراء»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(٢) روى الطبرسي عن الزجاج والجُبّائي قالا: نزلت في قوم كانوا إذا صلّى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتلا القرآن عند الكعبة ليلاً يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين. وقال الكلبي: هم أبو سفيان وأبو جهل وامرأة أبي لهب والنضر بن الحرث، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءته للقرآن، فكانوا يأتونه ويمرّون به ولا يرونه، حال الله بينه وبينهم حتّى لا يؤذوه(٣).

وبعدها قوله سبحانه: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾(٤) قال الطبرسي قيل: يعني به أبا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وحويطب بن عبد العزّى، اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبيّ، فقال أبو جهل: هو مجنون، وقال زمعة: هو شاعر، وقال حويطب: هو كاهن. ثمّ أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال: هو ساحر(٥).

---

(١) الميزان: ١٦/ ٥٧.
(٢) الإسراء: ٤٥.
(٣) مجمع البيان: ٧/ ٦٤٥.
(٤) الإسراء: ٤٧.
(٥) مجمع البيان: ٧/ ٦٤٦.

وبعدها قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[١].

روى الطبرسي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد قالوا: إنّ المراد بـ ﴿ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ ما أراه في إسرائه إلى المسجد الأقصى برؤية العين لا رؤيا المنام، ولكنّه حيث رأى ذلك ليلاً وأخبر بها حين أصبح سمّاها رؤيا.

السورة الحادية والخمسون ـ «يونس»:

روى الطبرسي عن مقاتل قال: نزلت في خمسة نفر: عبد الله بن أُميّة المخزومي، والوليد بن مغيرة المخزومي، ومكرز بن حفص، والعاص بن عامر بن هاشم، وعمرو بن عبد الله العامري، قالوا للنبيّ (صلّى الله عليه وآله): ائت بقرآنٍ ليس فيه ترك عبادة اللات والعزّى ومناة وهُبل وليس فيه عيبُها.

السورة الثانية والخمسون ـ «هود»:

روى الكليني في «الكافي» بإسناده عن سدير الصيرفي الكوفي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أخبرني جابر بن عبدالله: أنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله (صلّى الله عليه وآله) حول البيت، طأطأ أحدهم رأسه وظهره (هكذا) وغطّى رأسه بثوبه لا يراه رسول الله، فأنزل الله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾.

وروى الطبرسي عن ابن عبّاس: أنّ رؤساء مكّة من قريش أتوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالوا: يا محمّد إنْ كنت رسولاً فحوّل لنا جبال مكّة ذهباً أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة! فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟...﴾[٢].

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) مجمع البيان: ٥/ ٢٢١.

السورة الرابعة والخمسون ـ «الحِجْر»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾[1] وما مرّ فيها من أبحاث.

والآن وبعد أن استعرضنا ما نزل من القرآن الكريم قبل هذه الآية ممّا فيه إشارة إلى حوادث البعثة وما بعدها، فهل كان فيه ما ينسجم مع سرّية الدعوة حتّى نزول هذه الآية وبداية الإعلان للعموم بها مع نزول هذه الآية؟ أم كان جُلّه أو كله ممّا لا ينسجم إلا مع الإعلان بالدعوة للعموم منذ الأوّل أو الأوائل؟ ممّا يؤيّد الخبر والقول بتقدم المرحلة السرّية على نزول القرآن، وبدء الدعوة العلنية العامّة مع بدء نزول القرآن أو قريباً منه، وقد مرّ خبره والقول به قبل هذا.

وسبق أيضاً في معنى قوله سبحانه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ عدم التسليم لمّا اشتهر في معناه أنّه أمر بإظهار الدعوة العامّة والإعلان بها، واختيار خبر المفيد أنّ الآية أمر بالإعراض عن تهديد المشركين المستهزئين الستة المقتسمين الأبوابَ الستّة لمنع الحجاج والمعتمرين عن الاستماع والاستجابة للرسول الأمين، الّذين أمهلوه إلى الزوال ليترك أمره أو يقتلوه. فالآية أمر له بالإعراض عن هذا التهديد لهؤلاء المشركين والصدع بأمره، لا ابتداءً به بل استمراراً واستدامة فيه. وسبق أنْ لولا هذا المعنى لما كان أيّ معنى مناسب للإعراض عن المشركين في الآية، بل كان الأنسب أنْ يؤمر بالتصدّي لهم، لا بالإعراض عنهم. وكذلك ما كان من المناسب أن يتواجد هناك مستهزئون معروفون بذلك، مقتسمون لأبواب مكّة للمنع عنه في حين أنّ دعوته سرّية.

إذاً فالصدع بالأمر وإعلان الدعوة لم يكن الحدث الآخر المشار إليه في هذه الآيات الأواخر من «سورة الحجر» بل هو الحدث الأوّل المشار إليه بالآيات الأوائل من سورة القلم أو المدثّر أو الضحى.

---

(١) الحجر: ٩٤ ـ ٩٥.

ويبقى أهمّ الأحداث المشار إليها في ما نزل من القرآن إلى آخر «سورة الحجر»: المعراج في (سورة النجم: ٢٣) ثمّ إنذار العشيرة الأقربين في (سورة الشعراء: ٤٢) ثمّ الإسراء في (سورة الإسراء: ٥٠). إذاً فالإنذار كان بين المعراج والإسراء، بعد المعراج بكثير وقبل الإسراء بقليل. فمتى كانت هذه الحوادث؟

وقبل الوصول إلى جواب هذا السؤال أقول: إنّما فرّقت هنا بين المعراج والإسراء وقدّمت ذكر المعراج على الإسراء تبعاً لسورتي النجم والإسراء في ترتيب النزول، وسورة النجم لم تذكر الإسراء وسورة الإسراء لم تذكر أكثر من الإسراء، بل إنّ الضمائر في آيات سورة النجم غير صريحة في الرجوع إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) بل هي مرددة بينه وجبرائيل عليه السلام لولا أنّ الأخبار والروايات والأحاديث فسّرتها بالمعراج وبعد الإسراء، بل إنّ الآيات إنّما أشارت إلى ما كان قد تحدّث عنه الرسول فجادله فيه المشركون ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ وفي سورة الإسراء أضافت الأخبار بالمعراج بعد الإسراء، فلم تجعل المعراج بلا إسراء، ولا الإسراء بلا معراج فكان كلاهما إسراء ومعراجاً، ممّا جعل أخبارهما متداخلة غير متمايز أوّلها من الثاني، بل ولا أحدهما من الآخر.

ومن المحتمل أن تكون الآية الأولى من سورة الإسراء إنّما تُذكّر بما تضمّنته وأضمرت عنه وأشارت إليه سورة النجم السابقة، لولا أنّ الأخبار أفادت التكرار مرتين[1]، ولكنّهما غير متمايزتين حتّى في تأريخهما.



(١) انظر: أصول الكافي: ١/ ٤٤٢؛ والمناقب: ١/ ١٧٧؛ وسعد السعود: ١٠٠؛ والميزان: ١٣/ ٢٧٠.

الفصل الرابع

الإسراء والمعراج

تأريخ المعراج والإسراء:

عن علي عليه السلام أنّه: لمّا كان بعد ثلاث سنين من مبعثه (صلى الله عليه وآله) أُسري به إلى بيت المقدس وعُرج به منه إلى السماء ليلة المعراج، فلمّا أصبح من ليلته حدّث قريشاً بخبر معراجه[1].

أمّا سورة النجم فإنّها نزلت بعد اثنتين أو ثلاث وعشرين سورة، وقد نزل بعدها أربع وستون سورة في مكّة[2] فالطبيعي أن تكون قد نزلت فيما بين الثلثين الأوّل والثاني من العشر السنين مدّة التنزيل بمكّة قبل الهجرة، أي في نهاية السنة الثالثة أو بدايات العام الرابع من تلك المدّة.

إلا أنّه يمكن القول بأنّ السور الأوائل من القصار المفصَّلات، بينما ما يليها من المئين والمثاني المطوّلات، فمن المحتمل أنْ تكون السور العشرون الأوائل نازلة في السنة الأولى من تلك المدّة، والسور الستون البواقي نازلة في السنين التسع البواقي، وعليه فيكون المعراج ونزول سورته في أواخر السنة الأولى من تلك المدّة.

ومع الالتفات إلى التفريق بين البعثة بالنبوة والرسالة ينتفي الخلاف بين عمدة

---

(١) الخرائج والجرائح: ١/ ١٤١، ط. قم.

(٢) راجع مجمع البيان: ١٠/ ٦١٢، في سورة الإنسان والتمهيد: ١٠٥، وتلخيصه: ٩٥.

الأقوال: السنة الثانية والخامسة، فالثانية من الرسالة والتنزيل هي الخامسة من البعثة بالنبوة، ولا سيّما أنّ رواية السنة الثانية تنتهي إلى ابن عبّاس وهو المعروف بالقول بنزول القرآن في عشر سنين، فكأنّه لا يحسب الثلاث السنوات الأولى لاعتبار أنّه (صلى الله عليه وآله) إنّما أُمر بالإنذار بعدها.

وابن عبّاس أدرك مدّة قصيرة من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولم يكن معه حين معراجه حتّى يكون شاهداً بتأريخه، فلا بدّ أنّه نقله عن شخص آخر لم يذكره، فهو نقل تأريخي لم يُذكر المصدر فيه فلا قيمة له عند التحقيق، لولا أنّا نعلم أنّ أكثر علم ابن عبّاس هو من علم علي عليه السلام، فيبدو أنّه ينقله عنه عليه السلام، إلا أنّ النقل اختلف عنهما بين الاثنتين والثلاث.

ولعلّ مِن أقوى ما يدلّ على تأريخ المعراج بأوائل السنة الخامسة: ما مرّ من إثبات ميلاد فاطمة الزهراء عليها السلام في السنة الخامسة من النبوّة، بالإضافة إلى ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام وابن عبّاس وسعد بن مالك وسعد بن أبي وقّاص وعائشة: أنّها إذ عاتبته على كثرة تقبيله لابنته الزهراء قال لها: يا عائشة! لمّا أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرائيل الجنة، فناولني منها تفّاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها[1].

وقد عُلم مِمّا مرّ أنّ فاطمة وُلدت بعد البعثة بخمس سنين أي في السنة الثانية من الرسالة والتنزيل ـ وهو محمل قول الشيخ المفيد.

---

(١) بحار الأنوار: ١٨/ ٣١٥ و٣٥٠ و٣٦٤، عن تفسير القمّيّ وعلل الشرائع والمختصر؛ وملحقات إحقاق الحق للمرعشي: ١٠/ ١ ـ ١١؛ أخبار الدول: ٨٧؛ وتأريخ بغداد ٥/ ٨٧؛ وذخائر العقبى: ٣٦؛ وكنز العمّال: ٣٠/ ٩٤ و١٤/ ٩٧؛ ومجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٢؛ ومحاضرات الأوائل: ٨٨؛ ومستدرك الحاكم: ٣/ ١٥٦؛ وتلخيصه للذهبي والمطالب السنية: ٢٣٩؛ ومفتاح النجا: ٩٨ مخطوط؛ ومقتل الخوارزمي: ٦٤؛ ومناقب المغازلي: ٣٥٨؛ والمواهب اللدنية: ٢/ ٢٩؛ وميزان الاعتدال: ١/ ٣٨ و٢٥٣، ٢/ ٢٦ و٨٤ و١٦٠ و٢٩٧؛ ونزهة المجالس: ٢/ ١٧٩؛ ونظم درر السمطين: ٧٧؛ ووسيلة المآل: ٧٨؛ وينابيع المودة: ٩٧.

وعليه فيكون ما في «الخرائج» عن علي عليه السلام من تأريخ المعراج بالسنة الثالثة تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني، فإمّا كذلك في شهر رمضان أيضاً أو في شهر ربيع الأوّل في ليلة السابع عشر منه أي ميلاد الرسول (صلّى الله عليه وآله) كما عن «الإقبال»[1].

أمّا إذا افترضنا ميلاد الزهراء عليها السلام بعد الإسراء والمعراج الثاني، وافترضنا ما في «الخرائج» عن علي عليه السلام تأريخاً له ـ أي للثاني ـ فإنّ ميلاد الزهراء سيكون في السنة الثالثة من الرسالة والسادسة من النبوة، مِمّا لا يتفق مع القول المعوّل عليه والروايات المعتمدة. وكذلك أيضاً إذا افترضنا السنة الثالثة تأريخاً للمعراج الأوّل. اللهمَّ إلا أنْ نقول بتأخير الولادة عن الإسراء والمعراج إلى السنة الخامسة من الرسالة، أي بعد سنتين من المعراج في السنة الثالثة، ولكنّه خلاف ظاهر الأخبار، نعم إلا أن نقول بأنّ الإسراء والمعراج الثاني كان في السنة الخامسة من الرسالة والولادة بعدها فيها كذلك. ولكنّ هذا يقتضي أن يكون عمر الصدّيقة حين الهجرة خمس سنين وحين الزواج ست سنين ممّا لم يقل به أحد ولا يُعقل. فنرجع إلى ترجيح كونها من المعراج الأوّل وميلادها بعده كما مرّ، وحيث لم يتّفق ذلك مع كون المعراج الأوّل في السنة الثالثة من الرسالة كما مرّ آنفاً، فليكن ذلك تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني.

ويبقى أننا لو رجّحنا أن تكون السنة الثالثة في ما رواه «الخرائج» عن علي عليه السلام تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني، فهنا إشكالان:

الأوّل: أنّ الخبر بصدد بيان ما يتعلق بالمعراج بالتفصيل، فلماذا لم يبيّن بل لم يُشر إلى المعراج الأوّل السابق ـ أو الآخر اللاحق ـ لا من قريب ولا من بعيد؟ وكذلك أكثر أخبار الإسراء والمعراج.

الثاني: أنّنا لو رجّحنا القول بكون الإسراء والمعراج الثاني في السنة

(١) الإقبال: ٦٠١.

الخامسة من الرسالة كان ذلك منسجماً مع كون سورة الإسراء السورة الخمسين في ترتيب النزول، ونزل في الخمس السنين بعدها زهاء ثلاثين سورة من المئين أو المثاني المطوّلات نسبيّاً، بينما لو رجّحنا السنة الثالثة تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني استلزم أن يكون النازل في مدّة هذه السنين الثلاث خمسون سورة، بينما النازل في السبع السنين البواقي ثلاثون سورة. اللهمَّ إلا أن يلتزم بذلك بحجة أنَّ السور الأوائل قصار مفصّلات والبواقي مئين أو مثان مطوّلات نسبيّاً.

ولعلّ ممّا يؤيّد هذا ما رواه السيوطي في «الدر المنثور» بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال عن سورة الإسراء ومريم والكهف: إنّهنّ من العتاق الأول[1] هذا وهو من المهاجرين إلى الحبشة، وهي كانت في السنة الخامسة.

والظاهر أنَّ المقصود بالخامسة هي الخامسة من النبوة لا الرسالة والتنزيل، أي بعد الرسالة والتنزيل بعامين، ولكن حتّى لو كانت الخامسة من الرسالة فإنّ ظاهر الخبر أنّ سورة الإسراء كانت قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة بمدّة ليست بقصيرة بل طويلة.

تأريخ يوم الدار:

أمّا تأريخ إنذار يوم الدار فهو يتبع تأريخ الإسراء والمعراج الثاني قبله بمدة تسع وتتناسب لنزول سورتي: النمل ٤٨ وآياتها ٩٢، والقصص ٤٩ وآياتها ٨٨. فلو قلنا بكون المعراج الثاني في السنة الخامسة أو الثالثة، فلو كان في الربيع الأوّل منها وهو الشهر الثامن منها كان من الممكن أن يكون الإنذار في أوائلها أواخر شهر رجب أو شعبان أو رمضان منها، أمّا لو كان المعراج في شهر رمضان فاقتضى أن يكون الإنذار في أوائل السنة السابقة: الرابعة أو الثانية من الرسالة.

ويكون عمر علي عليه السلام يومئذٍ ـ على أنّ ميلاده بعد عام الفيل بثلاثين سنة ـ في

---

(١) الدر المنثور: ٤/ ١٣٦ عن ابن الضريس وابن مردويه ؛ وصحيح البخاري: ٣/٩٦.

السنة الثانية من الرسالة: خمس عشرة سنة، وفي السنة الرابعة منها: ست عشرة سنة.

وحيث جرّنا البحث عن المرحلة السرّية والعلنية إلى ملاحظة سير الحوادث بعد البعثة والتنزيل من خلال الآيات الكريمة حتّى آخر السورة الرابعة والخمسين، سورة الحِجْر، فلا بأس بأنْ نستمر على هذه الطريقة لنلاحظ سير الحوادث من خلال نزول التنزيل.

السورة الخامسة والخمسون ـ «الأنعام»:

الّتي نزلت جملة واحدة كما في خبر أبي بن كعب عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) كما في «مجمع البيان»[١]. وخبر العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام[٢] والقمي عن الرضا عليه السلام[٣] وفيها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٤].

وروى الطبرسي عن الكلبي قال: نزلت في عبد الله بن أبي أُميّة ونضر بن الحارث ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمّد لن نؤمن لك حتّى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنّه من عند الله وأنّك رسوله[٥] وكذلك رواه ابن شهرآشوب في المناقب[٦].

وفيها قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا

(١) مجمع البيان: ٤/ ٤٢١، وعن عكرمةوقتادة.
(٢) تفسير العياشي: ١/ ٣٥٣.
(٣) تفسير القمي: ١/ ١٩٣.
(٤) الأنعام: ٧ ـ ٩.
(٥) مجمع البيان: ٤/ ٤٢٨.
(٦) مناقب ابن شهرآشوب: ١/ ٤٨.

يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[(١)].

قال الطبرسي قيل: إنّ أهل مكّة قالوا لرسول الله: يا محمّد تركتَ ملة قومك، وقد علمنا أنّه لا يحملك على ذلك إلا الفقر، فإنّا نجمع لك من أموالنا حتّى تكون أغنانا، فنزلت الآية[(٢)] ونقله كذلك ابن شهرآشوب في «المناقب»[(٣)]. وأحداث هذه السورة كثيرة وقد أشرنا إلى بعضها طلباً للاختصار.

هذا وقد روى في أوّل تفسيره للسورة عن قتادة وعكرمة عن أبي بن كعب وعن النبيّ (صلى الله عليه وآله): أنّها نزلت بمكّة جملة واحدة ليلاً[(٤)] فكيف التوفيق بين هذا وبين أخبار أسباب نزول الآيات من هذه السورة؟ ويصدق هذا القول قبل الطبرسي على القمي والعياشي أيضاً وكثير من المفسّرين الآخرين كذلك.

أمّا العلاّمة الطباطبائي فقد خصّص الجزء السابع من تفسيره «الميزان» بتفسير سورة الأنعام، وقطّعها إلى أكثر من عشرة مقاطع، وختم كلّ مقطع ببحث روائي شمل عدداً غير قليل من أخبار شأن نزول آيات منها، وعلّق في موارد متعددة عليها بأنّها تنافي نزول السورة جملة واحدة بمكّة، منها فيما رواه ـ ورويناه ـ عن القميّ عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ رسول الله كان يحب إسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف... فقال: إنّها لا تلائم الروايات الكثيرة الدالة على نزول السورة دفعة. ولكنّه عاد فقال: وإن كان يمكن توجيهها بوقوع السبب قبل نزول السورة ثمّ الإشارة بالآية إلى السبب المحقّق[(٥)] ويمكن هذا التوجيه في جميع ما نقلناه من أخبار أسباب النزول لآيات هذه السورة. وإن كان وضعَ سورة الصافات

(١) الأنعام: ١٤ ـ ١٥.
(٢) مجمع البيان: ٤/ ٤٣٣.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ١/ ٤٩.
(٤) مجمع البيان: ٤/ ٤٢١.
(٥) الميزان: ٧/ ٦٨.

تحت رقم السادسة والخمسين ولم يذكرها المصنف لعله لعدم وجود حدث تاريخي.

السورة السابعة والخمسون ـ «لقمان»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

في تفسير القميّ: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وكان راوياً لأحاديث الناس وأشعارهم[2]. ولعلّه هو الرجل الّذي روى عنه الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علاّمة، فقال: وما العلاّمة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية. فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه، ثمّ قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل[3].

وفي آخر السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4]. وفي «أسباب النزول» للواحدي: أنّ رجلاً من بني مازن يُقال له الحارث بن عمرو جاء إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وقال له: يا محمّد! قد علمت بأيّ أرض وُلدتُ فبأيّ أرض أموت؟ وقد تركت امرأتي حُبلى فمتى تلد؟ وقد أجدبت بلادنا

(١) لقمان: ٦ ـ ٧.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٦١.
(٣) أصول الكافي: ١/ ٣٢.
(٤) لقمان: ٣٤.

فمتى تخصب؟ وقد علمتُ ما كسبت اليوم فماذا أكسب غداً؟ ومتى تقوم الساعة؟ فنزلت هذه الآية[١].

السورة الستون ـ «الزُمر»:

ويظهر من خلال آيات السورة أن المشركين من قومه (صلى الله عليه وآله) سألوه أن ينصرف عمّا هو عليه من التوحيد والدعوة إليه والتعرض لآلهتهم، وخوّفوه بآلهتهم، فنزلت السورة... تؤكّد الأمر بأنْ يخلص دينه للّه سبحانه ولا يعبأ بآلهتهم وأن يُعْلِمهم أنّه مأمور بالتوحيد وإخلاص الدين... وذكّرت المشركين وأنذرتهم بما سيلحقهم من الخسران وعذاب الآخرة مضافاً إلى ما يصيبهم في الدنيا، ولَعذاب الآخرة أكبر... ووصفت المؤمنين بأجمل أوصافهم وبشّرتهم بما سيثيبهم الله في الآخرة مرة بعد مرّة»[٢].

ومنها قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣] قال الطباطبائي: هذا حثٌّ وترغيب لهم في الهجرة من مكّة، إذ كان التوقف فيها صعباً على المؤمنين بالنبيّ، والمشركون يزيدون كل يوم في التشديد عليهم وفتنتهم... والّذي ينطبق على مورد الآية هو الصبر على مصائب الدنيا وخاصة ما يصيب من جهة أهل الكفر والفسوق من آمن بالله وأخلص له دينه واتقاه[٤] ولم ينسبه إلى أحد.

ظلم المشركين للمستضعفين من المسلمين:

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ المشركين عدَوا على من أسلم واتبع رسول الله من أصحابه، فوثبت كلّ قبيلة على مَن فيها مِن المسلمين مَنْ استضعفوه منهم،

(١) أسباب النزول: ٢٨٩؛ ورواه السيوطي في الدر المنثور عن عكرمة، وسمّى الرجل: الورّاث.
(٢) الميزان: ١٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٣) الزمر: ١٠.
(٤) الميزان: ١٧/ ٢٤٤.

فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم، بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكّة إذا اشتدّ الحرّ، ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم مَنْ يُصلب لهم ويعصمه الله منهم، ومنهم من يُفتن من شدّة البلاء الّذي يصيبه...

وكان أبو جهل الفاسق في رجال من قريش يُغرون بالمسلمين، وكان إذا سمع بالرجل أسلم وله شرف ومنَعَة، أنبّه وأخزاه وقال له: تركتَ دينَ أبيك وهو خير منك! لنُسَفّهنَّ حِلمك ولنُفَيّلَنَّ (نُخَطّئنّ) رأيك ولنضَعنَّ شرفك! وإن كان تاجراً قال له: لنُكَسِّدَنَّ تجارتك ولنُهلِكَنَّ مالَك! وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به غيره.

حتّى إنّ الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي حين أسلم، مشى رجال من بني مخزوم إلى أخيه هشام بن الوليد[1] ليأخذه وفتية آخرين منهم قد أسلموا منهم: سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، فقالوا لهشام: إنّا قد أردنا أنْ نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الّذي أحدثوه لنأمن بذلك من غيرهم. فقال هشام في أخيه الوليد: فعليكم به فعاتبوه واحذروا على نفسه! فتركوه.

وكانوا يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة يعذّبونهم برمضاء مكّة. فبلغني أنّ رسول الله كان يمرّ بهم فيقول لهم: صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة.

ومرّ ببلال بن رباح، وكان أمية بن خلف الجُمَحي يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكّة، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ويقول له: لا تزال هكذا حتّى تموت أو تكفر بمحمّد وتعبد اللات والعُزّى! فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وكانت دار أبي بكر في بني جُمح، فمرّ به وهم يصنعون به ذلك، فقال لأُميّة بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتّى متى! قال: أنت الّذي أفسدته فأنقذه ممّا ترى. فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام

(١) من هنا يعلم أنّ هذا كان بعد هلاك الوليد في المستهزئين الستة.

أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أُعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر عنه غلامه وأخذه فأعتقه(١).

وقال اليعقوبي: وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين؛ فأخذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الإسلام والشتم لرسول الله، فكان ممّن يعذّب في الله: عمّار بن ياسر وياسر أبوه وسُمية أمه... وخبّاب بن الأرت، وصُهيبُ بن سنان، وأبو فكُيهة الأزدي، وعامر بن فهيرة، وبلال بن رباح، واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم، فرجع عن الإسلام خمسة نفر، منهم: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس الفاكه بن المغيرة(٢).

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/٣٣٩ ـ ٣٤٣، بتصرف.

(٢) اليعقوبي: ٢/٢٨.

الفصل الخامس

الهجرة الأولى

الهجرة إلى الحبشة:

قال ابن إسحاق: فلمّا رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتّى يجعلَ الله لكم فرَجاً ممّا أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفِراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوّل هجرة في الإسلام.

وكان أوّل من خرج من المسلمين: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي.

وعثمان بن عَفّان بن أبي العاص بن أمية، ومعه امرأته رقيّة بنت رسول الله. وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ووَلدت له بأرض الحبشة محمّد بن أبي حذيفة.

وعامر بن ربيعة العدوي، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة العدوي. والزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد. ومصعب بن عمير، من بني عبد الدارَ. وعبد الرحمن بن عوف الزُهْري. وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم العامري. وسهيل بن وهب الفهري.

وعثمان بن مظعون الجُمحي[١] وكان عليهم عثمان بن مظعون، في قول ابن هشام[٢] وروى الواقدي: أنّ الّذين هاجروا الهجرة الأولى خرجوا متسلّلين سرّاً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتّى انتهوا إلى الشُعيبة، منهم الراكب ومنهم الماشي.

ثمّ قال ابن إسحاق: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ـ سوى أبنائهم الّذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها ـ ثلاثة وثمانين رجلاً، إنْ كان عمّار بن ياسر فيهم، وهو يُشك فيه[٣].

إذاً فهو في هذا العدّ يعدّد أهل الهجرة الثانية إلى الحبشة وعليهم جعفر بن أبي طالب، ولعلّه في عدده ـ ثلاثة وثمانين رجلاً ـ قد جمع أهل الهجرة الأولى مع الثانية، بينما اليعقوبي جرّد أعداد الهجرة الثانية فقط فقال بالسبعين، أو باستثناء النساء والأطفال كما قال.

كتاب النبيّ إلى النجاشي:

عن ابن إسحاق قال: «بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمرو بن أمية الضَمْري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً» ثمّ ذكر صورة الكتاب، وجواب النجاشي[٤].

ويظهر من الحلبي في السيرة: أنّ عمرو بن العاص خرج إلى الحبشة بعد غزوة بدر وإنّ رسول الله لمّا بلغه ذلك بعث عمرو بن أمية إلى النجاشي بكتاب يوصي فيه بالمسلمين، قال: «لمّا أوقع الله بالمشركين يوم بدر ورجعوا خائبين

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ عن ابن إسحاق؛ وأضاف الواقدي: عبد الله بن مسعود كما في الطبقات: ١/ ٢٠٤؛ وعنه في الطبري: ٢/ ٣٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٢٤ منه.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٤٥ ـ ٣٥٣؛ ونقله الطبري بعبارة: وقال آخرون؛ وذكر العدد: اثنين وثمانين، الطبري: ٢/ ٣٣٠؛ ورواه عن محمّد بن إسحاق كذلك ٢/ ٣٣١.

(٤) إعلام الورى: ٤٥ ـ ٤٦؛ وفي مستدرك الحاكم: ٢/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤؛ والطبري: ٢/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

قالوا: إنّ ثارنا بأرض الحبشة، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي ليدفع إليهما مَن عنده من المسلمين، فلمّا بلغ ذلك رسول الله بعث إلى النجاشي عمرو بن أمية الضَمْري بكتاب يوصي فيه بالمسلمين»[١].

ولنعد الآن إلى ذكر نصّ كتاب النبيّ إلى النجاشي بالروايتين: الخالية عن ذكر جعفر والّتي فيها ذكره، على التوالي:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهدُ أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده.

وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتّبعني وتوقن بالّذي جاءني، فإنّي رسول الله، وإنّي أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ.

وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى»[٢].

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك، فإنّي أحمدُ إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

وانّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالّذي جاءني فإنّي رسولُ الله، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر

(١) سيرة الحلبي: ٣/ ٢١٢؛ وانظر: مكاتيب الرسول: ١/ ١٢٠ ـ ١٣٠، ط. الأولى.
(٢) صبح الأعشى: ٦/ ٣٧٩؛ والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني: ٣/ ٣٧٩؛ والسيرة الحلبية: ٣/ ٢٧٩.

من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرِهم ودع التجبّر. وإنّي أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ.

وقد بلّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصحي. والسلام على من اتبع الهدى[١].

فلمّا وصل الكتاب إلى النجاشي أخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض إجلالاً وإعظاماً، ثمّ أسلم ودعا بحُقّ من عاج وجعل فيه الكتاب[٢].

ثمّ أحضر جعفراً وأصحابه وأسلم على يدي جعفر وكتب بذلك إلى رسول الله: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، إلى محمّد رسول الله، من النجاشي: الأصحم بن أبْجَر، سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، من الله الّذي لا إله إلا هو، الّذي هداني إلى الإسلام.

أمّا بعد؛ فقد بلغني كتابك ـ يا رسولَ الله ـ فيما ذكرت من أمر عيسى، فوَرَبِّ السماء والأرض إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفْروقاً[٣] إنّه كما قلت. وقد عَرَفنا ما بُعثتَ به إلينا، وقد قَرَينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنّك رسول الله صادقاً مصدَّقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه للّه ربّ العالمين.

وقد بعثت إليك بابني أزها ابن الأصحم بن أبْجر[٤]، فإنّي لا أملك إلا

---

(١) أقدم من نقله عن ابن إسحاق: الطبري: ٢/ ٦٥٢؛ ثمّ الحاكم الحسكاني في المستدرك: ٢/ ٦٢٤؛ ثمّ الطبرسي في إعلام الورى: ٤٥؛ ثمّ ابن الأثير في أسد الغابة: ١/ ٦٢؛ والكامل: ٢/ ٦٣؛ وروى الرسالة ابن كثير في البداية: ٣/ ٨٤؛ وابن القيم في زاد المعاد: ٣/ ٦١؛ وأشار ابن سعد في الطبقات: ١/ ٢٥٨؛ ورواها المستوفي في الوثائق السياسية: ٤٦ عن مصادر منها أعلام السائلين لابن طولون؛ وبحث حولها المحقق الأحمدي في مكاتيب الرسول: ١/ ١٢١ ـ ١٣١.

(٢) مكاتيب الرسول: ١/ ١٢٨؛ عن الطبقات والسيرة الحلبية وزيني دحلان بهامش الحلبية: ٣/ ٦٧.

(٣) الثُفْروق: قمع التمر، ويكنّى به عن قلة الشيء، يقال: ماله ثفروق، أي ليس له شيء.

(٤) في الروض الأنف: أن علياً وجد أبا نيزر ابن النجاشي عند تاجر بمكّة فاشتراه منه واعتقه=

نفسي، وإن شئتَ أن آتيكَ فعلتُ يا رسول الله، فإنّي أشهد أنّ ما تقول حقّ، والسلام عليك يا رسول الله»[١].

هذه هي إجابة النجاشي على كتاب النبيّ إليه في دعوته إلى الإسلام ضمن كتبه إلى الملوك والرؤساء بعد صلح الحديبية وقبل خيبر في أوائل السنة السابعة من الهجرة، على ما يبدو من فحوى الرسالة، كما في كلّ المصادر التأريخية تقريباً، ومن المستعبد أن يكون كتاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) إليه وهذا الجواب من النجاشي عليه متزامناً مع بداية هجرة الحبشة كما يبدو هذا من الطبرسي في «إعلام الورى» عن الحاكم الحسكاني[٢].

=مكافأة لمّا صنع أبوه بالمسلمين. ويقال: إنّ الحبشة أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر بعد أبيه النجاشي ليملّكوه فأبى عليهم وقال: ما كنت لا طلب الملك بعد أن منّ الله عليّ بالإسلام. ولم يكن لونه لون الحبشة بل كان حسن الوجه طويلاً.

(١) الطبري: ٢/ ٦٥٣ عن ابن إسحاق؛ وعنه في المستدرك: ٢/ ٦٢٤؛ وعنه في إعلام الورى: ٤٦؛ وأسد الغابة: ١/ ٦٢؛ والكامل: ٢/ ٦٣؛ والبداية: ٣/ ٨٤؛ وزاد المعاد: ٣/ ٦١؛ وصبح الأعشى: ٦/ ٣٧٩؛ والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني: ٣/ ٣٧٩؛ والسيرة الحلبية: ٣/ ٢٧٩؛ وسيرة زيني دحلان بهامش الحلبية: ٣/ ٦٧؛ ومجموعة الوثائق السياسية: ٤٦؛ ومكاتيب الرسول: ١/ ١٢١ ـ ١٣١. ومن الغريب مع كل هذه المصادر تشكيك السيد الحسني في سيرته في صحة رواية إسلام النجاشي بعد أن نقل رواية الرسالة عن البداية لابن كثير، سيرة المصطفى: ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) وقد تزامن مع هذا الكتاب والجواب أمران آخران هما: خطبة النبيّ لأمّ حبيبة بوساطة النجاشي، وتجهيزه المسلمين من الحبشة إليه إلى المدينة، وكتاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) خلو منهما بروايتيه، وقد مرّ تقريب أن يكون ذلك برسالة شفوية مع حامل الكتاب عمرو بن أمية الضَّمْري، ولم يُروَ كتاب آخر في ذلك، ومن المستبعد ذلك أيضاً.
وتفرّد من بين المصادر مصدران نقلا جوابين آخرين للنجاشي على كتابين آخرين للنبيّ (صلى الله عليه وآله) في الأمرين، هما «سواطع الأنوار» و«الطراز المنقوش»: أنّ النجاشي كتب إليه في جواب كتابه في تزويج أم حبيبة:
«بسم الله الرّحمن الرّحيم، إلى محمّد (صلى الله عليه وآله) من النجاشي أصحمة (كذا) سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته. أمّا بعد؛ فإنّي قد زوّجتك امرأة من قومك وعلى دينك، وهي السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديتك هدية جامعة: قميصاً وسراويل وعطافاً وخُفّين ساذجين. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».
وكتب إليه (صلى الله عليه وآله) في جواب كتابه (صلى الله عليه وآله) في تجهيز المسلمين إلى المدينة: =

وفد قريش إلى النجاشي:

قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: لمّا اشتدّت قريش في أذى رسول الله وأصحابه الّذين آمنوا به بمكّة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب أنْ يخرج معهم.

فخرج جعفر، ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتّى ركبوا البحر.

فلمّا بلغ قريشاً خروجُهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي، ليردّوهم إليهم، وكان عمرو وعمارة متعاديين... فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص[1].

فوردوا على النجاشي، وكانوا قد حملوا إليه هدايا فقبلها منهم.

ثمّ قال عمرو بن العاص: أيّها الملك، إنّ قوماً منّا خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا إليك، فردّهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر فجاؤوا به.

فقال له: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟ قال جعفر: أيّها الملك وما يقولون؟ قال: يسألون أنْ أردّكم إليهم. قال: أيّها الملك، سَلْهم: أعبيد نحن لهم؟ فقال عمرو: لا، بل أحرار كرام. قال: فسلْهم: ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال:

= «بسم الله الرّحمن الرّحيم، إلى محمّد (صلى الله عليه وآله) من النجاشي أصحمة (كذا) سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا الّذي هداني للإسلام، أمّا بعد فقد أرسلت إليك ـ يا رسول الله ـ من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكّة إلى بلادي، وها أنا أرسلت إليك ابني اريجا (كذا) في ستين رجلاً من أهل الحبشة، وإن شئتَ أتيتك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإنّي أشهد أنّ ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» كما في الوثائق السياسية: ٤٨ عن الباب الأوّل من الطراز المنقوش وسواطع الأنوار: ٨١.

(١) فلمّا ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عمارة لعمرو بن العاص ـ وكان قد أخرج معه أهله ـ قل لأهلك تقبّلني، فقال عمرو: لا يجوز هذا، فسكت عمارة، ولمّا انتشى عمرو ـ وكان على صدر السفينة ـ دفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبّث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه.

لا ، مالنا عليكم ديون. قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا. قال: فما تريدون منّا؟! آذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيّها الملك خالَفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وأفسدوا شبابنا وفرّقوا جماعتنا، فردّهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيّها الملك، خالفناهم بأنّه بعث الله فينا نبيّاً أمر بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة[١]، وحرّم الظلم والجور، وسفك الدماء بغير حقها، والزنا، والربا، والميتة والدم[٢] وأمرنا بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ونَهَى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

---

(١) وردت الزكاة في السور المكية منها في المزمّل في قوله سبحانه: }وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً{ (المزمل: ٢٠) وهي السورة الثالثة أو الرابعة، وفي سورة الأعراف قوله سبحانه: }ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة{ (الأعراف: ١٥٦) وهي السورة التاسعة والثلاثون أو الأربعون في النزول، فهي قبل سورة مريم الرابعة والأربعين الّتي تلا منها جعفر على النجاشي. نعم يُدّعى أنّها آيات مدنيات في سور مكية، لأن تشريع الزكاة لم يكن في مكّة قبل الهجرة بل في المدينة بعد الهجرة ببضع سنين، ولكن لا ملازمة بين التسليم بتشريع الزكاة في المدينة وبين قبول هذه الدعوى بكون الآيات مدنية في سور مكية، إلا إذا سلّمنا بأن الزكاة في هذه الآيات بمعنى الزكاة المفروضة دون المندوبة، ولنا مندوحة عن قبول ذلك بترجيح تفسير الزكاة في هذه الآيات بالزكاة بالمعنى اللغوي العام أي الصدقات المستحبة المندوب إليها. وبذلك نتوسع في معنى الأمر في كلام جعفر بما يعم الندب أيضاً. وبهذا نتفصّى [نتفصّى: نبتعد عن.. أو نتخلّص من.. العين، ص٧٤٥. (المدقّق)] عن الإشكال بورود الزكاة في كلام جعفر.
ولكن لا مناص عن إشكال ورود الصيام في كلامه أيضاً. إلا أن ذلك لا يقودنا إلى القول بأن الرواية موضوعة كما ذهب إليه أحمد أمين في فجر الإسلام: ٧٦، كما لا يقودنا ذلك إلى الالتزام بأن الصيام قد شرع في مكّة قبل الهجرة أي قبل نزول آيتها في السنة الثانية بعد الهجرة ضمن آيات سورة البقرة. بل نحتمل السهو في حديث أم سلمة أو أحد الرواة، أو أن يكون ذلك مرجّحاً لكون هذه المناظرة بعد وقعة الأحزاب أو بعد بدر كما رواه الحلبي في سيرته كما مرّ، ولكن يلازم ذلك أن نلتزم بأن التشريعات الجديدة كانت تصلهم في الحبشة كيفما كان، وليس ذلك ببعيد.

(٢) إن أوّل ما نزل من القرآن في تحريم الميتة في الآية: ١٢١ من سورة الأنعام، وهي السورة ٥٥ في ترتيب النزول، فيحتمل أن تكون الهجرة بعدها، ولا نجزم به إذ فيها: }وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم{ وقبلنا فيه بقول الطبرسي بأن المراد به بيان النبيّ لا القرآن.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام! ثمّ قال: يا جعفر، هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيّك شيئاً؟ قال: نعم، ثمّ قرأ عليه «سورة مريم» فلمّا بلغ إلى قوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا * فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾.

فلمّا سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً وقال: هذا والله هو الحقّ.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إنّ هذا مخالفنا فردّه إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثمّ قال: اسكت، والله ـ يا هذا ـ لئن ذكرته بسوء لأفقدنك نفسك!

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول: إنْ كان هذا كما تقول ـ أيها الملك ـ فإنّا لا نتعرّض له.

ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم أنّ جعفراً في أرض الحبشة في أكرم كرامة(١).

وروى ابن إسحاق بسنده عن زوج رسول الله أُمّ سلمة هند ابنة أبي أمية بن

---

(١) وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذبُّ عنه، فنظرتْ إلى عمارة بن الوليد، فلمّا رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك، فراسلها فأجابته، فقال له عمرو: قل لها: تبعث إليك من طيب الملك شيئاً. فقال لها، فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، فأدخل عمرو الطيب على النجاشي وقال: أيّها الملك أن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يكرمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه: أن لا نغشه ولا نريبه، وإن صاحبي هذا الّذي معي قد أرسل إلى حرمتك وخدَعَها فبعثت إليه من طيبك. ثمّ وضع الطيب بين يديه، فغضب النجاشي وهمّ بقتل عمارة، ثمّ قال: لا يجوز قتله فإنهم دخلوا بلادي فلهم أمان، ثمّ دعا السحرة فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشدَّ عليه من القتل، فأخذوه ونفخوا في إحليله الزئبق فصار مع الوحش يغدو ويروح ولا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك فكمنوا له في موضع حتّى ورد الماء مع الوحش فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتّى مات، كما في تفسير القمي: ١/ ١٧٦ ـ ١٧٨؛ وعنه في أعلام الورى: ٤٣ ـ ٤٥ بلا إسناد؛ وكذلك اليعقوبي: ٢/ ٣٠؛ والأصفهاني عن الواقدي في الأغاني: ٨/ ٥٠.

المغيرة المخزومي أنّها قالت: لمّا نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها النجاشي خير جار: أمنّا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه.

فلمّا بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أنْ يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جَلدَين، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا ممّا يُستطرف من متاع مكّة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم، فجمعوا له أَدَماً كثيراً، فلم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية. وبعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم فقالوا لهما: ادفعا إلى كلّ بطريق هديته قبل أن تكلّما النجاشي فيهم، ثمّ قدّما إلى النجاشي هداياه، ثمّ سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

فخرجا حتّى قدما على النجاشي... فلم يبقَ من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلّما النجاشي، وقالا لكلّ بطريق منهم: إنّه قد لجأ إلى بلد الملك منّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتَدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلمَهم إلينا ولا يكلّمهم، فإنَّ قومهم أعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما، نعم.

ثمّ إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثمّ كلّماه فقالا له:

أيّها الملك، إنه قد لجأ إلى بلدك منّا غِلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردّهم إليهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فقالت بطارقته من حوله: صدقا أيها الملك، فإنَّ قومهم أعلم بما عابوا عليهم، فأسلمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي وقال: لا والله، لا أسلمهم إليهما، ولا يُكاد لقوم جاوروني

ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتّى أدعوهم فأسألهم عمّا يقول هذان في أمرهم، فإن كان كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما وأحسنت جوارَهم ما جاوروني.

ثمّ أرسل إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدعاهم فلمّا جاءهم رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ ما علمْنا وما أمرَنا به نبيّنا (صلى الله عليه وآله) كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلمّا جاؤوا سألهم النجاشي ـ وقد دعا أساقفته حوله ـ فقال لهم: ما هذا الدين الّذي قد فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فكان الّذي كلّمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيّها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية: نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضّعيف ؛ فكنّا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافَه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصَنات، وأمرَنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة ـ وعدّد عليه أمور الإسلام ثمّ قال ـ فصدّقناه وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله: فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا. فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا من عبادة الله إلى عبادة الأوثان، وأن نستحلّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث. فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلَم عندك أيّها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مِمّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر: نعم.

قال النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] فبكى ـ والله ـ النجاشي حتّى أخضلّت لحيته وبكت أساقفته حتّى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثمّ قال النجاشي: إنّ هذا والّذي جاء به عيسى لَيَخْرُجُ من مشكاة واحدة. ثمّ قال لعمرو وعبيد الله: انطلقا فلا ـ والله ـ لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون. فخرجا من عنده.

وقال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غداً عنهم بما أستأصلُ به خضراءهم؛ والله لأُخبرنّه أنّهم يزعمون أنَّ عيسى بن مريم عبدٌ. وكان عبد الله بن ربيعة أتقى الرجلين فقال: لا أفعل فإنّ لهم أرحاماً.

فغدا عليه عمرو من الغد فقال له: أيّها الملك، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسَلْهُم عمّا يقولون فيه: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول ـ والله ـ ما قال الله وما جاء به نبيّنا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه بالّذي جاء به نبيّنا (صلى الله عليه وآله): هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثمّ قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العودَ (أي بمقداره) فتناخرت بطارقته حوله، فقال لهم: وإنْ نخرتم والله.

ثمّ قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيُوم (آمنون) ومن سبّكم غَرِم، من سبّكم غَرِم، وما أُحِبُّ أنَّ لي دَبَراً (أي جبلاً) من ذهب وأنّي آذيت رجلاً منكم.

---

(١) مريم: ١، وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول.

ثمّ قال لرجاله: ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بهما.

فخرجا من عنده مقبوحَين مردوداً عليهما ما جاءا به.

وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار[١].

رضي الله عن أمّ المؤمنين أُمّ سَلَمَة إذ سَلِمَ لنا حديثُها، هذا المسند الوحيد عن هجرة الحبشة ووفد قريش إليها في طلبهم، وهي أحد المهاجرين إليها الأكثر من ثمانين رجلاً وامرأة، ولم يَسْلَمْ لنا سواه حديث مسند آخر عن أحد سواها من سائر المهاجرين الثمانين.

خروج الحبشة على النجاشي:

قال ابن إسحاق: وحدَّثني جعفر بن محمّد عن أبيه[٢] قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنّك قد فارقت ديننا.

فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيّأ لهم سُفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإنْ هُزمتُ فامضوا حتّى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا.

ثمّ عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، ويشهد أنّ عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم، ثمّ جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة فقال:

يا معشر الحبشة! ألستُ أحقَ الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقتَ ديننا وزعمت أنّ عيسى عبدٌ! قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله، فوضع يده على صدره على قبائه وقال: هو يشهد أنّ عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيئاً. ـ وهو يعني ما كتب ـ فرضوا وانصرفوا عنه[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٥٧ ـ ٣٦٢.

(٢) ولذلك عدّ الشيخ الطوسي ابن إسحاق من أصحاب الصادق عليه السلام في رجاله: ٢٨١. كما عدّه في أصحاب الباقر عليه السلام: ١٣٥.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٦٥.

وبالجملة فقد عدّ ابن إسحاق ـ عدا من قدم على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكّة، وسوى من حملهم النجاشيّ في السفينتين، مِمّن تخلّف عن بدر وقدم بعد ذلك ـ عدّهم: أربعة وثلاثين رجلاً[١] فهؤلاء مع من قدم مكّة: ثلاثة وثلاثون رجلاً، ومن حملهم النجاشي في السفينتين: ستة عشر رجلاً، فيكون المجموع: أربعة وثمانين رجلاً، سوى النساء. وقد عدّ جميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء: ستّ عشرة امرأة، سوى بناتهنّ اللاتي وُلدن هنالك[٢] وعدّ ممن وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة: خمسة، ومن البَنات: خمساً أيضاً[٣] فيكون المجموع: مائة وعشرة أشخاص من الرجال والنساء والبنين والبنات، وهم مع من مات منهم والّذي تنصّر مائة وعشرون.

جوار أبي طالب، والوليد:

قال ابن إسحاق: كانت أم أبي سلمة المخزومي: برة بنت عبد المطّلب، أخت أبي طالب، فكان أبو طالب خال أبي سلمة، ولذلك دخل مكّة في جواره.

ثمّ روى عن أبيه إسحاق بن يسار، عن حفيد أبي سلمة: سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، أنّه حدّثه: أنّ أبا سلمة لمّا استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب، لقد منعتَ منّا ابن أخيك محمّداً، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا؟ قال: إنّه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي.

فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لَتنتهُنّ عنه أو لَنقومَنّ معه في كل ما قام فيه حتّى يبلغ ما أراد!

---

(١) سيرة ابن هشام: ٤/ ١٠.
(٢) سيرة ابن هشام: ٤/ ١٠.
(٣) سيرة ابن هشام: ٤/ ١١.

فقالوا: بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عتبة.

فحين سمعه أبو طالب يقول ما يقول رجا فيه أنْ يقوم معه في شأن رسول الله، فقال (قصيدة) يحرّض بها أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثمّ ذكر عشرة أبيات منها قوله:

جزى الله عنّا: عبد شمس، ونوفلاً وتيماً، ومخزوماً: عقوقاً ومأثماً[١]

بتفريقهم من بعد وُدّ وأُلفة جماعتنا، كيما ينالوا المحارما

كذبتم ـ وبيت الله ـ نَبزي[٢] محمّداً ولمّا تروا يوماً ـ لدى الشّعب ـ قائماً[٣]

ويظهر من هذا البيت الأخير أنّ ذلك كان في حين حصار الشّعب، فالنبيّ كان بجوار عمّه أبي طالب، ودخل فيه معه ابن عمّة النبيّ أبو سلمة، وكذلك احتمى ذوو البيوتات والأسر بعشائرهم، وهاجر بعضُهم ومَن سواهم إلى الحبشة، ورجع منهم من رجع بجوار أو اختفى، وبقي الباقون في الحبشة، فرجع بعضهم إلى المدينة بعد بدر، وكان آخر من رجع العشرون رجلاً وامرأة في السفينتين بعد الحديبية وقبل خيبر.

وإن كان أبو سلمة المخزومي قد ترك حمى عشيرته بني مخزوم مستجيراً بخاله أبي طالب، فإنّ عثمان بن مظعون الجُمحي دخل بجوار من الوليد بن المغيرة المخزومي[٤]، ولكنّه:

لمّا رأى ما فيه أصحابُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إنّ غدوّي ورواحي آمناً بجوار رجلٍ من

---

(١) بتخفيف الهمزة من المأثم، وهذا من شواهد ما أشتهر عن قريش أ نّهم كانوا يخفّفون الهمزة، همزة الوسط لا الأوّل.

(٢) نبزي أي: ننفي محمّداً عن أنفسنا.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/٨ ـ ١١.

(٤) فهذا الخبر أيضاً من الأخبار الّتي تنافي هلاك الوليد مع المستهزئين الستة.

أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقَون من البلاء والأذى في الله مالا يصيبني، لنقص كبير في نفسي. فرجع عن جوار الوليد.

ويظهر منه ـ كما مرّ ـ أنّ ذلك كان في حين حصار الشِّعب، وقد ذكر القمي والطبرسي والراوندي وابن شهرآشوب أنّ مدة الحصار كانت أربع سنين[١] وقد قال الثلاثة ـ ما عدا القمي ـ: إنّ أبا طالب مات بعد ذلك بِشهرين. وقد روى الصدوق عن الصادق عليه‌السلام: أنّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزّ وجلّ إلى رسول الله: اخرج منها فليس لك بها ناصر، فهاجر إلى المدينة[٢]. وروى العياشي عن علي بن الحسين عليه‌السلام: أنَّ رسول الله لمّا فقد عمه أبا طالب أوحى الله إليه: يا محمّد اخرج من القرية الظالمِ أهلُها وهاجِرْ إلى المدينة فليس لك اليوم بمكّة ناصر[٣].

وعليه فإنَّ بدء حصار الشِعب كان متزامناً أو متقارباً مع بداية الهجرة إلى الحبشة، في شهر رجب من السنة الخامسة من مبعث رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله)[٤] وبما أنَّ بعثته كانت في شهر رجب على مذهب أهل البيت عليهم‌السلام كما مرّت أخباره، فذلك يعني أنَّ هجرة الحبشة كانت في نهاية السنة الخامسة وبداية السادسة. وعلى قول ابن شهرآشوب: فلمّا تُوفّي أبو طالب خرج النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى الطائف وأقام فيه شهراً ثمّ انصرف إلى مكّة ومكث بها سنة وستة أشهر في جوار المطعم بن عَدي[٥] فالمجموع أكثر من عشر سنين بعد البعثة. ولذلك فنحن ننتقل هنا إلى حديث شِعب أبي طالب(رضي الله عنه).

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٣٨٠؛ إعلام الورى: ٥٠؛ وقصص الأنبياء: ٣٢٩؛ والمناقب: ١/ ٦٥.
(٢) إكمال الدين: ١٧٢.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٥٧.
(٤) مجمع البيان: ٣/ ٣٦٠؛ والمنتقى للكازروني: ٤٤؛ كما في بحار الأنوار: ١٨/ ٤٢٢.
(٥) مناقب ابن شهرآشوب: ١/ ١٧٣.

حديث شِعب أبي طالب(رضي الله عنه):

قال الطبرسي: اجتمعوا في دار الندوة وكتبوا بينهم صحيفة: أن لا يواكلوا بني هاشم ولا يكلّموهم ولا يبايعوهم ولا يزوّجوهم ولا يتزوّجوا إليهم ولا يحضروا معهم، حتّى يدفعوا إليهم (رسول الله) ليقتلوه، وأنهم يد واحدة على محمّد، يقتلونه غيلة أو صُراحاً. وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كلّ رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلّقوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك، ولم يدخل فيها مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المطّلب(١).

وكان أبو طالب يحرسه، أي يحرس النبيّ بالليل والنهار: فإذا جاء الليل قام بالسيف عليه ورسول الله مضطجع، ثمّ يقيمه ويُضجعه في موضع آخر، فلا يزال الليلَ كلَّه هكذا. ووكّل به وُلْده ووُلد أخيه! يحرسونه بالنهار.

وكان أبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعُقبة بن أبي مُعَيْط يخرجون إلى الطُرُقات الّتي تدخل مكّة، فمَن رأوا معه ميرة نهَوْه أن يبيع بني هاشم شيئاً، ويحذّرونه إنْ باع شيئاً أن ينهبوا ماله.

فكان مَن يدخل من العرب مكّة لا يجسر أن يبيع بني هاشم شيئاً، ومن دخلها وباعهم شيئاً انتهبوا ماله. وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقته على رسول الله في الشِعب.

وبقُوا في الشِعب أربع سنين لا يأمنون إلّا في الموسم، ولا يشترون ولا يبايعون إلا في الموسم، وكان يقوم بمكّة في كلّ سنة موسمان: موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا جاء الموسم خرج بنو هشام من الشِعب فيشترون ويبيعون، ثمّ لا يجسر أحد منهم أن يخرج، إلى الموسم الثاني: فأصابهم الجهد بذلك.

وكان رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) يخرج في كلّ موسم ويدور على قبائل العرب فيقول

(١) أعلام الورى: ٤٩ و٥٠ وتلميذه الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٢٩.

لهم: تمنعون جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب الله ربّي، وثوابكم على الله الجنة؟ وأبو لهب في أثره يقول: لا تقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو ساحر كذّاب.

وكان أبو العاص بن الربيع ـ وهو ختن رسول الله على ابنته زينب ـ يجيء بالعير بالليل عليها البُرّ والتمر إلى باب الشِعب ثمّ يصيح بها فتدخل الشعب. ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لقد صاهرَنا أبو العاص فأحمَدَ صِهرَنا، لقد كان يَعْمِد إلى العير ـ ونحن في الحصار ـ فيرسلها في الشعب ليلاً».

إيمان أبي طالب(رضي الله عنه):

وبعثت قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمّداً لنقتله ونملّكك علينا! فقال أبو طالب قصيدته الطويلة الّتي يقول فيها:

ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنى بقول الأباطلِ
وأبيضُ يُستسقى الغَمامُ بوجههِ ... ثِمالُ اليتامى، عصمةٌ للأراملِ
يطوف به الهُلّاكُ من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضلِ
كذبتم ـ وبيتِ الله ـ نُبزي محمّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناضلِ
ونُسْلِمُه، حتّى أنْ نُصرَّعَ دونَه ... ونُذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ
لَعَمرْي لقد كُلِّفْتُ وَجْداً بأحمدٍ ... وأحببته حبَّ الحبيب المواصِلِ
وجُدْتُ بنفسي دونه وحَمَيْتُه ... ودافعتُ عنه بالذرا والكلاكلِ
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وشَيْناً لمن عادى، وزينَ المحافل
حليماً رشيداً حازماً غير طائشٍ ... يوالي إله الحقّ ليس بماحِل
فأيّده يا ربّ العباد بنصره ... وأظهرهُ ديناً حقُّه غيرُ باطِل

فلما سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه[1].

وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاء أبو طالب فأنهضه عن مضجعه وأضجع علياً مكانه ووكّل عليه ولده وولد أخيه.

(١) إعلام الورى: ٥٠ ـ ٥١. وذكرها تلميذه القطب الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣٩.

وروى من قصيدة أخرى له يقول:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خُطّ في أوّل الكُتُبِ
أليس أبونا هاشمٌ شدّ أزْرَه وأوصى بنيه بالطّعانِ وبالضَربِ
وإنّ الّذي علّقْتُمُ من كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السَّقْبِ[1]
أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفَرَ الثرى ويُصبحَ من لَمْ يَجْنِ ذنباً كذي الذنب[2]

السورة الحادية والستون ـ «السجدة» «فصّلت»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[3]. إنّ أبا جهل رفع ثوباً بينه وبين النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمّد! أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب، فاعمل أنت على دينك ومذهبك إننا عاملون على ديننا ومذهبنا[4] فنزلت سورة السجدة.

وبعده قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[5].

كانت قريش تطعم الحاج وتسقيهم، فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله)، فهذا هو الزكاة في هذا الموضع[6].

---

(١) يشير بذلك إلى قصة فصيل ناقة صالح (عليه السلام)، فالراغية من الرُغاء وهو صوت الإبل، والسَقْب: ولد الناقة.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٦٣ ـ ٦٥.
(٣) فصّلت: ٣ ـ ٥.
(٤) مجمع البيان: ٩/ ٤ ـ ٥.
(٥) فصّلت: ٦ ـ ٧.
(٦) مجمع البيان: ٩/ ٦.

السورة الثالثة والستون ـ «الزخْرف»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١].

عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: قلت لأبي علي بن محمّد عليهما السلام: هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يناظر المشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم؟

قال: بلى مراراً كثيرة، منها ما حكى الله من قولهم... ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾... وذلك أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قاعداً ذات يوم بمكّة بفناء الكعبة، إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم: الوليد بن المغيرة المخزومي (كذا) وأبو البختري ابن هشام، وأبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممّن يليهم كثير. ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدّي إليهم عن الله أمره ونهيه.

فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمّد وعظم خَطْبه، فتعالوا نبدأ (كذا) بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به، ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعله ينزع عمّا هو فيه من غيّه وباطله وتمرّده وطغيانه، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر!

السورة الرابعة والستون ـ «الدخان»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ وفي تفسير القمي قال: نزلت في أبي جهل[٢] وفي «مجمع البيان»: الأثيم أي الآثم وهو أبو جهل. روى: أنّ أبا جهل أُتي بتمر وزبد فقال: هذا هو الزّقُّوم الّذي يخوّفنا به محمّد[٣].

---

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٢٩٢.

(٣) مجمع البيان: ٩/ ١٠٢؛ وابن إسحاق في سيرته: ١/ ٣٨٨.

السورة السادسة والستون ـ «الأحقاف»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

عن الزهري قال: لما توفي أبو طالب اشتدّ البلاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعمد لثقيف بالطائف، رجاء أن يُؤْوُوه...

ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مكّة حتّى إذا كان (بنخلة) قام في جوف الليل يُصلّي فمرّ به نفر من جِنّ أهل (نصيبين) فوجدوه يصلّي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له. وهو مروي عن جماعة منهم سعيد بن جبير[2].

عن علقمة بن قيس قال: قلت لعبد الله ابن مسعود: من كان منكم مع النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الجن؟ فقال: ما كان منا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكّة، فقلنا اغتيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو استُطير! فانطلقنا نطلبه من الشعاب. فلقيناه مقبلاً من نحو حِراء، فقلنا: يا رسول الله! أين كنت؟ لقد أشفقنا عليك. وقلنا له: بتنا الليلة بشرّ ليلة باتَ بها قوم حين فقدناك! فقال لنا: إنّه أتاني داعي الجن فذهبت أُقرئهم القرآن. ثمّ ذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. فأمّا أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه[3]

ويبدو أن المتعيّن للقبول من هذين الخبرين الأخيرين عن ابن مسعود هو الأخير، إذ هو المنسجم مع الآية من سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: «أتاني داعي الجن» لا الخبر السابق: «إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة». فلا داعي للأخذ بما مرّ عن الزُهري تفسيراً للآية من الأحقاف، فيما كان

---

(١) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) مجمع البيان: ٩/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) مجمع البيان: ٩/ ١٤٠ و١٠/ ٥٤٤.

معنى الخبر هو خبر سعيد بن جبير المشتمل على بطن نخلة وقد مرّ عن البخاري ومسلم والواحدي أنّ خبره عن سورة الجن.

السورة التاسعة والستون ـ «الكهف»:

وكان سبب نزولها (يعني الكهف): أنَّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران: النضر بن الحارث بن كلدة، وعُقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا:

سلوه عن ثلاث مسائل، فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثمّ سلوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب. قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا وكم بقوا في نومهم حتّى انتبهوا؟ وكم كان عددهم؟ وأيّ شيء كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصّتهم؟

واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتّبع العالِم ويتعلم منه، من هو؟ وكيف تبعه؟ وما كانت قصّته معه؟

واسألوه عن طائف طاف مغرب الشمس ومطلعها حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج، من هو؟ وكيف كانت قصّته؟

ثمّ أملَوا عليهم أخبار هذه الثلاث مسائل وقالوا لهم: إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدقوه.

قالوا: فما المسألة الرابعة؟ قالوا: سلوه متى تقوم الساعة؟ فإن ادّعى علمها فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب(رضي الله عنه) فقالوا: يا أبا طالب! إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فإن أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يجبنا علمنا أنّه كاذب.

فقال أبو طالب: سلوه عمّا بدا لكم، فسألوه عن الثلاث المسائل.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): غداً أخبركم. ولم يستثن[١] فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتّى اغتمَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وشكّ أصحابه الّذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤوا وآذوا. وحزن أبو طالب.

فلمّا كان بعد أربعين يوماً نزلَ عليه جبرائيل بسورة الكهف. فقال رسول الله: يا جبرائيل لقد أبطأت! فقال: إنّا لا نقدر أن ننزل إلّا بإذن الله[٢].

وفي قوله سبحانه في السورة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣] قال: إنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) سُئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين فقال: أخبركم عنه غداً. ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه أياماً حتّى شُقَّ عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى[٤].

السورة السبعون ـ «النحل»:

نزلت لمّا سألت قريش رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ينزّل عليهم العذاب، فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[٥]

عن الحسن البصري قال: إنَّ المشركين قالوا للنبيّ (صلى الله عليه وآله): ائتنا بعذاب الله، فقال سبحانه ما معناه: إنَّ أمر الله آتٍ وكل ما هو آت قريب، فمعنى ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي قرب أمر الله بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر والتكذيب بيوم

---

(١) أي لم يقل: إن شاء الله.

(٢) تفسير القمّي: ٢/ ٣١ ـ ٣٢؛ وسند الخبر: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عنه عليه السلام، فهو صحيح لولا ما يبدو فيه من الانقطاع بين إبراهيم بن هاشم وابن أبي عمير. والخبر يقتضي أن تكون فترة الوحي الأربعون يوماً قبل نزول سورة الكهف، وستأتي الفترة كذلك في خبر ابن إسحاق إلا أنها خمس عشرة ليلة.

(٣) الكهف: ٢٣ ـ ٢٤.

(٤) مجمع البيان: ٦/ ٧١٢؛ وفي سيرة ابن هشام: ١/ ٣٢٧.

(٥) تفسير القمي: ١/ ٣٨٢.

القيامة وبعذاب الله، وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فتقديره: قل لهؤلاء الكفار: لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإنّ الله سيأتي بكل واحد منهما في وقته وحينه كما تقتضيه حكمته[١].

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[٢].

قال القمي في تفسيره: الأعجمي الّذي يلحدون إليه هو أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي، كان من أهل الكتاب وكان قد اتّبع نبي الله وآمن به، وكان أعجمي اللسان. فقالت قريش: هذا ـ والله ـ يعلّم محمّداً بلسانه[٣].

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٤].

وروى الطبرسي عن الكلبي قال: نزلت في المقتسمين، وهم ستة عشر رجلاً خرجوا إلى عقاب مكّة أيام الحج على طريق الناس، على كل عقبة أربعة منهم، ليصدّوا الناس عن النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فإذا سألهم الناس عمّا أُنزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا: أحاديث الأوّلين وأباطيلهم[٥] ونقل مثله في «المناقب»[٦].

---

(١) مجمع البيان: ٦/ ٥٣٧.
(٢) النحل: ١٠١ ـ ١٠٣.
(٣) تفسير القمي: ١/ ٣٩٠.
(٤) النحل: ٢٤ ـ ٢٥.
(٥) مجمع البيان: ٦/ ٥٤٩.
(٦) مناقب ابن شهرآشوب: ١/ ٤٩.

وقد يبدو للنظر: أن تكون هذه الفترة بين نزولي سورتي الحجر الرابعة والخمسين والنحل السبعين، هي فترة حصار الرسول وبني هاشم في شعب أبي طالب بالحجون، وهي الفترة الفاصلة بين المقتسمين الأوائل وبين تجديد عملهم مرة أخرى حين نزول سورة النحل.

ويدفعه: أنّ موسم الحج في الأشهر الحُرم كان مستثنى من حكم الحصار، ولذلك كان الرسول يخرج من الحصار فيه بشيراً ونذيراً، وقد ورد الخبر بالنصّ على مزاولة المشركين لعملهم ذلك في الصدّ عنه (صلى الله عليه وآله) في أيام الموسم أيام الحصار في الشعب، فلا فترة في البين.

وحصْر المشركين للرسول وبني هاشم مدة ثلاث سنين أو نحوها من جملة الحوادث المهمّة في تأريخ الإسلام بعد البعثة وقبل الهجرة، وهي: إنذار يوم الدار، والإسراء والمعراج، والهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى الطائف، ثمّ الهجرة إلى المدينة. وقد وردت الإشارة في آيات القرآن الكريم إلى الإنذار والإسراء والمعراج بالإجمال في سورتي الإسراء والنجم، وكذلك الهجرة الأخيرة إلى المدينة، أمّا حادث الحصار والهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى الطائف فلا نجد في آيات القرآن الكريم إشارة إليها حَسَب التفسير المشهور.

وهنا في سورة النحل في الآية الحادية والأربعين نقف على ذكر الهجرة في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١].

وهي أوّل آية تذكر الهجرة، وهي في عداد آيات سورة النحل المكية، وهي السورة السبعون، وبعدها ستّ عشرة سورة نزلت في مكّة قبل الهجرة، فهل المعنيّ بها الهجرة الأولى إلى الحبشة؟ أم الثانية إلى المدينة؟

عن الحسن وقتادة: أنّ قوله ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ إلى آخر السورة مدنية[٢]

(١) النحل: ٤١.
(٢) مجمع البيان: ٦/٥٣٥.

وكذلك نقل السيوطي في «الإتقان»[1] ثمّ ذكر الطبرسي سائر الأقوال بسائر الاستثناءات في الآيات، ولم يتضافر النقل باستثناء قتادة، بل روى السيوطي في «الدر المنثور» عن قتادة نفسه أيضاً أنها الهجرة إلى الحبشة[2].

وسنذكر أنَّ هذه السورة هي آخر سورة نزلت في شِعب أبي طالب، ونذكر بعد ذلك أنَّ بيعة العقبة الأولى أيضاً كذلك كانت في آخر موسم عمرة قبل الخروج من الشِعب، وأنّ النبيّ أذن لأصحابه بعد ذلك بالهجرة إلى المدينة تدريجيّاً. فلو كانت الآية العاشرة من سورة الزمر بقوله سبحانه فيها ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ مبدأ إذن النبيّ بالهجرة إلى الحبشة، فمن المحتمل أن تكون هذه الآية مبدأ إذن الرسول هذه المرّة بالهجرة إلى المدينة، مع وضوح الفرق بين الفترتين في حال البلدين. ولكنّنا لا نجد شيئاً في ذلك عند رواة الحديث والتفسير والتأريخ.

ومن المحتمل كذلك أيضاً أن تكون الآية بل السورة ممّا نزل في أواخر السنة الحادية عشرة للبعثة، قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، إذ كان قد قدم مكّة من أرض الحبشة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي مع زوجته أُمّ سَلَمة، فلمّا آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً، فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله[3].

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[4].

قال القمي في تفسيره: هو لسان أبي فكيهة مولى ابن الحضرمي، كان أعجمي اللسان، وكان قد اتبع نبيّ الله وآمن به، وكان من أهل الكتاب، فقالت قريش: هذا ـ والله ـ يعلّم محمّداً بلسانه[5].

---

(١) الإتقان: ١/ ١٥.
(٢) الدر المنثور: ٥/١١٨؛ والتمهيد: ١/ ١٥٣.
(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ١١٢.
(٤) النحل: ١٠٣.
(٥) تفسير القمي: ١/ ٣٩٠.

مقتل ياسر وسمية وتعذيب ابنهما عمّار:

ومنها قوله سبحانه: (إنّما يفتري الكذب الّذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرةِ وأنّ الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الّذين طبع الله على قلوبِهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أ نّهم في الآخرةِ هُم الخاسرون ثمّ إنّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثمّ جاهدوا وصبروا إنّ ربك من بعدها لغفور رحيم)[١].

عن الصادق عليه السلام: إنّ عمّار بن ياسر أكرهه أهل مكّة وقلبه مطمئن بالإيمان، فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله) عندها: يا عمّار إنْ عادوا فَعُد، فقد أنزل الله عذرك: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ وأمرك أن تعود إن عادوا[٢].

وعن قَتادة وابن عباس قال: نزلت الآية في جماعة أُكرهوا على الكفر، وهم: عمّار وياسر أبوه وأمه سمية وصُهيب وبلال وخبّاب، عُذّبوا حتّى قُتل أبو عمّار وأمه، فأعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه، فأخبر الله سبحانه بذلك رسوله، فقال قوم: كفر عمّار، فقال (صلى الله عليه وآله): كلّا إنّ عمّاراً مُلىء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وجاء عمّار إلى رسول الله وهو يبكي، فقال (صلى الله عليه وآله): ما وراءك؟ فقال: شرّ يا رسول الله، ما تُركتُ حتّى نِلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير! فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك فعُدْ لَهُم بما قلت. ثمّ قال: فنزلت الآية[٣].

ونجد بالقول بتعدد الموقف لعمّار، محملاً جميلاً لطيفاً لقول الرسول له:

---

(١) النحل: ١٠٥ ـ ١١٠.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ٢١٩؛ عن القمي أيضاً.
(٣) مجمع البيان: ٦/ ٥٩٧.

«إن عادوا لك فعُد لهم» بأنّها كلمة قالها له في هذهِ المرّة مشيراً له بلطف إلى أنّ هذا الأمر سيتكرّر منهم ومنك، وأنّ الإشارة إلى تكرار ذلك أيام هجرته. ولكنّ الرواة خلطوا فجعلوا هذه الجملة مقولة له من الرسول (صلى الله عليه وآله) في المدينة بعد الهجرة حيث لا توقع بعودة مشركي قريش إلى تعذيب عمّار لافتتانه عن دينه. فما معنى أن يقول له الرسول: إن عادوا فعُدْ لَهُم؟.

صحيفة المقاطعة الظالمة:

ذكر ابن شهرآشوب أنّ الآية: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ نزلت على النبيّ (صلى الله عليه وآله) في أواخر أيام الحصار في شِعب أبي طالب، فقال (صلى الله عليه وآله): كيف أدعوهم وقد صالحوا على تركي الدعوة؟ فنزل جبرائيل فأخبر النبيَّ: أنّ الله بعث على صحيفتهم الأرَضة، فلحستْها.

فأخبر النبيُّ أبا طالب، فدخل أبو طالب على قريش في المسجد، فعظّموه وقالوا: أردت مواصلتنا وأن تُسْلّم ابن أخيك إلينا؟ قال: والله ما جئت لهذا، ولكنّ ابن أخي أخبرني ـ ولم يَكذِبْني ـ أنّ الله قد أخبره بحال صحيفتكم، فابعثوا إلى صحيفتكم، فإن كان حقاً فاتّقوا الله وارجعوا عمّا أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم.

فأتوا بها وفكّوا الخواتيم، فإذا فيها «باسمك اللهم» واسم «محمّد» فقط! فقال لهم أبو طالب: اتقوا الله وكفّوا عمّا أنتم عليه. فسكتوا وتفرّقوا.

وفي ذلك قال أبو طالب:

ألا هل أتى بَحْريَّنا صنعُ ربِّنا ... على نأيهم؟[1] والله بالناس أرودُ
فيُخبرهُمُ: أنَّ الصحيفة مُزِّقَتْ ... وأنْ كلُّ ما لم يرضَهُ الله يَفْسُدُ
يراوحها إفكٌ وسحرٌ مُجَمَّعٌ ... ولم تلقَ سحراً آخرَ الدهر يصعدُ

---

(١) يقصد المهاجرين إلى الحبشة. وذكر القصيدة ابن إسحاق في سيرة ابن هشام: ١/١٧ ـ ١٩، ستة وعشرين بيتاً.

وله أيضاً في ذلك:

وقد كان من أمر الصحيفة عِبرةٌ متى ما يخبَّرْ غائب القوم يَعْجَبِ
محا الله منها كفرهم وعقوقَهم وما نقموا من ناطق الحق مُعْرِبِ
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يختلقْ ما ليس بالحق يُكذبِ
وأمسى ابنُ عبد الله فينا مصدَّقاً على سَخَطٍ من قومنا، غيرَ معْتَبِ

وروى القطب الراوندي: أنّه لمّا أتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشِعب أربع سنين، بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور، وتركت اسم الله، ونزل جبرائيل عليه فأخبره بذلك[1].

ثمَّ ذكر الخبر إلى أن قال: فتفرق القوم ولم يتكلم أحد منهم، وعند ذلك قال نفر من بني عبد مناف وبني قُصيّ ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم: مطعم بن عدي ـ وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد ـ وأبو البختري بن هشام، وزهير بن أمية المخزومي في رجال من أشرافهم، قالوا: نحن بَراء ممّا في هذه الصحيفة. وقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليل! ورجع أبو طالب إلى الشِعب وخرج منه هو والنبيّ ورهطه، وخالطوا الناس[2].

أمّا الآية التالية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[3] فقد اشتهر أنّ الآية نزلت بعد مقتل حمزة سيد الشهداء في أُحُد في الثالثة بعد الهجرة، وبمثله قال القمي في تفسيره[4] ورواه العياشي في تفسيره[5]، عن الصادق (عليه السلام). وعليه عدّ الآية بعضهم من مستثنيات السورة.

---

(١) قصص الأنبياء: ٣٢٩.
(٢) قصص الأنبياء: ٣٣٠.
(٣) النحل: ١٢٦.
(٤) تفسير القمي في آخر الجزء الأول.
(٥) تفسير العياشي: ١/ ٢٧٥.

ولكن نقل الطبرسي عن الحسن: نزلت الآية قبل أن يؤمر النبيّ بقتال المشركين، على العموم، وإنّما أُمر بقتال من قاتله.

وعليه فلعل قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أي عاقبتم مقاطعة المشركين وقطعهم لأرحامهم معكم بحصاركم في شعب أبي طالب، فعاقبوهم بمثل ما عاملوكم به من القطيعة والهجران. ثمّ يقول في الآية التالية: ﴿وَاصْبِرْ . . .﴾ عن المقابلة بالمثل ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لعدم هدايتهم وإصرارهم على ضلالهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من مكرهم السابق بحصركم في الشعب، ومكرهم اللاحق ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ وفي الآية التالية خاتمة السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ولذلك فإنهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

وعليه فالآية تشير إلى آخر أمر حصر الرسول وبني هاشم في شعب أبي طالب، وتكون سورة النحل آخر سورة نزلت قبل نهايته.

وإذا قرّبنا أن حصار الشِعب بدأ قريباً من بداية هجرة الحبشة بعد الإذن فيها في الآية العاشرة من سورة الزمر، وهي الستون في ترتيب النزول، وها نحن هنا قرّبنا أن تكون سورة النحل السبعون في النزول آخر ما نزل في آخر أيام حصار الشِعب، وقد مرّ أنّ مختار مؤرّخينا الطبرسي والراوندي وابن شهرآشوب أنَّ مدة الحصار كانت أربع سنين[1] فمن الطريف أن لازم ذلك أنّ ستين سورة إلى سورة الزمر نزلت في مدة خمس سنين، ولكن في مدة أربع سنين أخرى كان فيها الرسول في حصار الشِعب معه بعض المسلمين من بني هاشم وبني عبد المطّلب والمستضعفون من المسلمين الثمانين في هجرة الحبشة، وآخرون منهم في مكّة في جوار أو حلف أو استضعاف، معزولون عن الرسول إلا في أيام المواسم، لم ينزل من القرآن سوى عشر سور تقريباً. وتبقى من السور المكّية ست عشرة سورة تتناسب أن تكون قد نزلت في مدة سنة وستة أشهر مكث فيها النبيّ في مكّة بعد

---

(١) إعلام الورى: ٥٠؛ قصص الأنبياء: ٣٣٩؛ والمناقب: ١/ ٦٥.

وفاة أبي طالب وهجرة الطائف في قول ابن شهرآشوب[١] حسب كيفية النزول قبل حصار الشِّعب.

وفاة أبي طالب وخديجة:

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كانت خديجة قد ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة. فلمّا فقدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) سئم المُقام بمكّة ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفّار قريش، فشكا إلى جبرائيل ذلك، فأوحى الله إليه: يا محمّد أُخرج من القرية الظالم أهلُها، وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكّة ناصر[٢].

وقال الشيخ الطبرسي في «إعلام الورى»: خرج النبيّ ورهطه من الشِّعب وخالطوا الناس، ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة بعد ذلك، وورد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً، ودخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه وقال: يا عمِّ، ربَّيت صغيراً ونصرت كبيراً وكفلت يتيماً، فجزاك الله عني خير الجزاء[٣].

وقال الراوندي في وفاة أبي طالب: توفي أبو طالب عمّ النبيّ وله (صلى الله عليه وآله) ست وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعون يوماً. ثمّ قال: والصحيح أن أبا طالب توفي في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله). ثمّ توفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، فسمّى رسول الله ذلك العام: عام الحزن[٤].



(١) مناقب ابن شهرآشوب: ١/ ١٧٣.
(٢) تفسير العياشي: ١/ ٢٥٧.
(٣) إعلام الورى: ٥٢.
(٤) قصص الأنبياء: ٣١٧.

الفصل السادس

الهجرة إلى الطائف

النبيّ (صلى الله عليه وآله) يعرض نفسه على القبائل:

عُقَيْبَ وفاة أبي طالب، أُوحي إليه (صلى الله عليه وآله): أن اخرج منها فقد مات ناصرك.

فخرج إلى بني عامر بن صعصعة ومعه علي عليه السلام وحده، فعرض نفسه عليهم وسألهم النصر وتلا عليهم القرآن، فلم يجيبوه. فعادا إلى مكّة. وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام، وهي أوّل هجرة هاجرها بنفسه[١].

وهاجر (صلى الله عليه وآله) إلى بني شيبان، فما اختلف أحد من أهل السيرة أنّ علياً عليه السلام وأبا بكر كانا معه، وأنهم غابوا عن مكّة ثلاثة عشر يوماً، ولمّا لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوا من النُصرة عادوا إلى مكّة[٢].

ولقد هاجر النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن مكّة مراراً يطوف على أحياء العرب وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره[٣].

---

(١) شرح النهج: ٤/١٢٨.
(٢) شرح النهج للمعتزلي: ٤/١٢٦.
(٣) شرح النهج: ٤/١٢٥ ـ ١٢٦.

هجرته (صلى الله عليه وآله) إلى الطائف:

وأمّا هجرته (صلى الله عليه وآله) إلى الطائف فكان معه علي عليه السلام وزيد بن حارثة، في رواية أبي الحسن المَدائني.

وقال ابن إسحاق: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الطائف يلتمس النّصر من ثقيف والمنعَة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ.

وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا يصيحون به ويسبّونه، حتّى ألجؤوه إلى حائط (بستان) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه مَن كان يتبعه من سفهاء ثقيف.

لجوء النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى حائط بني مخزوم:

فعمد إلى ظلّ حَبَلة من عِنَب فجلس إليها، فلمّا اطمأنّ قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي. إلى مَن تكِلني؟ إلى بعيد يتجهّمني[1] أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟. إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ ـ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ـ من أن تُنزل بي غضبَك أو يحِلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلمّا رآه ابنا ربيعة: عُتبة وشيبة، ورأيا ما لقي، تحركت له رَحِمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له «عَدّاس» فقالا له: خذ قِطفا من هذا العنب فضَعْه في هذا الطبق ثمّ اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له: يأكل منه. ففعل عَدَّاس ثمّ أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال له: كُلْ: فلما وضع رسول الله فيه يده قال: باسم الله ثم أكل، فنظر عَدَّاس في وجهه ثم قال: والله إنّ هذا الكلام

(١) تجهّمه: استقبله بوجه كريه.

ما يقوله أهل هذهِ البلاد. فقال له رسول الله: ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عَدَّاس؟ وما دينك؟ قال: نصراني من أهل نينوى. فقال رسول الله: من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟ فقال له عَدّاس: وما يدريك ما يونس بن متّى؟ فقال رسول الله: ذاك أخي، كان نبيّاً وأنا نبيّ. فأكبّ عَدّاس على رسول الله يقبّل رأسه ويديه وقدميه(١).

فلمّا رجع عَدّاس قال له ابنا ربيعة: ويلك يا عَدّاس مالك تقبّل رأس هذا الرجل وقدميه؟!

قال يا سيديّ ما في الأرض أحد خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلّا نبيّ!

قالا له: ويحك يا عدّاس لا يصرفنّك عن دينك، فإنّ دينك خيرٌ من دينه!.

ولمّا يئس رسول الله من خير ثقيف انصرف راجعاً من الطائف إلى مكة(٢).

ثم روى ابن إسحاق أخباراً عن عَرضه نفسَه على القبائل في موسم العمرة أو الحج، وكأنّ هذه الأخبار عن فعله ذلك بعد رجوعه من الطائف، ممّا أدّى إلى بيعة الحجّاج من الأنصار له في العقبة:

فحدّث عن ابن شهاب الزُهري قال: إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أتى كندة في منازلهم، وفيهم سيّد لهم يقال له مُليح: فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه.

وأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

---

(١) وأشار اليعقوبي إلى إسلام عدّاس: ٢/ ٣٦؛ ونقل الواقدي: ١/ ٣٣، أنه بقي معهما حتّى خرج معهما إلى بدر فقتل معهما: ولكنه تردّد فيه ورجّح القول بأنه لم يخرج ولم يُقتل معهم، ١/ ٣٥.

(٢) ونقل الطبرسي خبر هجرة الطائف والإخوة الثلاثة وعدّاس، عن دلائل النبوة للبيهقي عن الزهري: ٥٣ ـ ٥٤.

فقال له رسول الله: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.

فقال له الرجل: أفتُهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

وروى أنه أتى بطناً من كلب يقال لهم بني عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه... فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

وروى أنه أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردّاً عليه منهم[١].

أوّل لقاء الخزرج بالنبيّ في موسم العمرة:

كان بين الأوس والخزرج حرب قد بَغَوْا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث، وكانت للأوس على الخزرج.

(ولكنّ) أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد القيس الخزرجيين خرجا في موسم من مواسم العرب في عمرة رجب إلى مكّة، يسألون الحلف على الأوس. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشِعب. وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه، وقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حرب، وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم.

فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرّغ مَعه لشيء.

قال أسعد: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال عتبة: خرج فينا رجل يدّعي أنّه رسول الله، سفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا.

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٦٠ ـ ٦٦، باختصار.

قال أسعد: مَن هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطّلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الّذين كانوا بينهم: النضير وقُريظة وقَيْنُقاع: أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة يكون مُهاجَره إلى المدينة، لنقتلكم به يا معشر العرب. فلمّا سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود. قال: فأين هو؟ قال: جالسٌ في الحِجر، وإنهم لا يخرجون من شِعبهم إلا في الموسم فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنّه ساحر يسحرك بكلامه.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بدّ لي من أن أطوف بالبيت؟

فقال عتبة: ضع في أذنيك القطن. فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه من القطن فطاف بالبيت ورسول الله جالس في الحِجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلمّا كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ماأجد أجهل منّي: أيكون مِثْلُ هذا الحديث بمكّة فلا نعرفه حتّى أرجع إلى قومي فأُخبرهم؟! ثمّ أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله: أنعِمْ صباحاً. فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحيّةَ أهل الجنة: السلام عليكم. فقال له أسعد: إنّ عهدك بهذا لَقريب، إلى ما تدعو يا محمّد؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

(١) الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢.

فلمّا سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله. ثمّ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أحد أعزّ منك. ومعي رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يُتمّم الله لنا أمرنا فيك. والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارُنا هجرتَك وعندنا مُقامُك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الّذي ساقني إليك. والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل ممّا أتيت له.

ثمّ أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الّذي كانت اليهود تبشّرنا به وتخبرنا بصفته، فهلمّ وأسلم. فأسلم ذكوان.

ثمّ قالا: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك. وكان مصعب بن عمير[1] فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضّلانه على أولادهم فلما أسلم جفاه أبواه. وكان لم يخرج من مكّة (إلى الحبشة) فكان مع رسول الله في الشِعب حتّى تغيّر وأصابه الجُهد. وكان قد تعلّم من القرآن كثيراً. فأمره رسول الله بالخروج مع أسعد. فخرج معه إلى المدينة فكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كلّ يوم يطوف فيه على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، من كل بطن الرجل والرجلان. وفَتَر أمر عبد الله بن أبي بن سَلول فكره ما جاء به أسعد وذكوان.

وقال أسعد لمصعب: إنّ خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تمّ لنا أمرنا، فهلّم فَأْتِهم.

فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن مُعاذ فقعد على بئر من آبارهم، واجتمع إليه قوم من أحداثهم، فأخذ يقرأ عليهم القرآن.

---

(١) عمير بن هاشم بن عبد مناف، بن عبد الدار ـ ابن إسحاق في السيرة: ١/٣٤٧.

فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حُضير: بلغني أنَّ أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلتنا مع هذا القرشي (مُصعب بن عمير) يُفسد شبابنا! فَأْتِه وانْهَه.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب بن عمير: إنّ هذا الرجل شريف فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا، فاصدق الله فيه.

فلمّا قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة! يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا ولا تُفسد شبابنا، واحذر الأوس على نفسك!.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً فإنْ أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحّينا عنك ما تكرهه. فجلس، فقرأ عليه سورة من القرآن. فقال أسيد: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟ قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين، ونشهد الشهادتين، ونصلي ركعتين.

فرمى أسيد بنفسه مع ثيابه في البئر، ثمّ خرج وعصر ثوبه ثمّ قال: أعرض عليّ. فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله. فقالها، ثمّ صلّى ركعتين ثمّ قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك، وأحتال عليه في أنْ يجيئك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلمّا نظر إليه سعد قال: أُقسم أنّ أسيدَ قد رجع إلينا بغير الوجه الّذي ذهب به من عندنا.

وأتاهم سعد بن مُعاذ، فقرأ عليه مُصعب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. . .﴾[1] فلمّا سمعها بعث إلى منزله فأُتي بثوبين طاهرين، واغتسل وشهد الشهادتين وصلّى ركعتين. ثمّ قام وأخذ بيد مصعب وحوّله إليه.

ثمّ جاء فوقف في بني عمرو بن عوف، فصاح: يا بني عمرو بن عوف لا

(١) فُصّلت: ١ ـ ٢.

يبقينَّ رجل ولا امرأة بكر ولا ذات بعل، ولا شيخ ولا صبّي إلا أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلمّا اجتمعوا أخذ بيد مصعب وقال له: أظهِر أمرك وادعُ الناس علانية ولا تهابنّ أحداً.

ثمّ قال لهم أسعد: كيف حالي عندكم؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك أمراً فمُرنا بما شئت. فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتّى تشهدوا أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله، والحمد لله الّذي أكرمنا بذلك، وهو الّذي كانت اليهود تخبرنا به.

فما بقي دار من دور عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة. وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه أشراف البطنين (الأوس والخزرج) وذلك لما عندهم من أخبار اليهود.

وكتب مصعب بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). فكان رسول الله يأمر من يعذّبه قومه بالخروج إلى المدينة، فأخذوا يتسلّلون رجلاً فرجلاً فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم[١].

السورة الثالثة والسبعون ـ «الأنبياء»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٢].

عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: لمّا نزلت هذه الآية وجَد منها أهل مكّة وجْداً شديداً، فدخل عليهم عبد الله بن الزّبعرى وكفار قريش يخوضون في هذه الآية، فقال ابن الزبعري: أمحمّد تكلم بهذه الآية؟ قالوا: نعم، قال ابن الزّبعرى: إن

(١) إعلام الورى: ٥٥ ـ ٥٩، ونقله تلميذه القطب الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣١ ـ ٣٣٣ بلا إسناد عنه، ولا يوجد الخبر في تفسير القمي.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

اعترف بها لأخصمنّه! فجُمع بينهما (كذا) فقال: يا محمّد، أرأيت الآية الّتي قرأت آنفاً أفينا وفي آلهتنا أم في الأمم الماضية وآلهتهم؟ قال: بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم الماضية إلا من استثنى الله. فقال ابن الزّبعرى: خاصمتك والله، ألست تُثني على عيسى خيراً؟ وقد عرفت أنّ النصارى يعبدُون عيسى وأمه، وأنَّ طائفة من الناس يعبدون الملائكة أفليس هؤلاء مع الآلهة في النار؟ فقال رسول الله: لا، فضحكت قريش وضحك، وقالت قريش: خصمك ابن الزبعرى! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قلتم الباطل، أما قلتُ: إلا مَنْ استثنى الله؟ وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1].

وهذه الرواية أتم وأكمل، وليس فيها أنّ الاستثناء نزل بعد اعتراض ابن الزبعرى، بل فيها أنّ الاستثناء كان من قبل وأنّ الرسول أشار إليه في حديثه.

والخبر ـ كسابقه ـ بظاهره لا ينسجم مع أيام حصار الشِعب، إلا إذا كان في أيام الموسم.

السورة التاسعة والسبعون ـ «المعارج»:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ وعن مجاهد قال: إنّ السائل هو النضر بن الحارث بن كلدة وقال: اللهمَّ إنْ كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فيكون المعنى: دعا داع على نفسه بعذاب واقع، مستعجلاً له، وهو واقع بهم لا محالة[2].

السورة الرابعة والثمانون ـ «الروم»:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ . . .﴾[3].

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٧٦.
(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٥٢٩.
(٣) الروم: ١ ـ ٤.

رُوي: أنَّ سبب ذلك هو أنّ الرومَ لمّا غلبتها فارس فرح المشركون بذلك وقالوا: أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا أهل الروم وهم أهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمّداً الّذي معه كتاب. فأنزل الله تعالى هذه الآيات تسلية للنبيّ والمؤمنين بأنَّ الروم وإن غلبتها فارس فإنها ستغلب فارس في ما بعد بضع سنين. قال أبو سعيد الخدري: كان النصر يوم بدر للفريقين: للنبيّ على قريش وللروم على فارس، ففرح المؤمنون بالنصرين. وقيل: كان يوم الحديبية[(١)].

«أدنى الأرض»: أي في أدنى الأرض من أرض العرب. ثمّ عيّنها عن عكرمة فقال: يريد أذرِعات وكَسْكر[(٢)].

ومدينة أذرِعات وبُصرى من كُور حوران من الشام[(٣)] بينما قال الحموي في «معجم البلدان»: بلد في أطراف الشام ممّا يلي البلقاء وعمّان[(٤)]. وهذا هو الأدنى من أرض العرب في الحجاز دون بُصرى وحوران الشام. وأمّا كَسْكر فإنها من أرض السواد أي العراق كانت في أسفل دجلة بعد المدائن قرب الواسط، ولعلّها هي أو قريبة من قلعةْ سَكَرْ، وكانت الأدنى من أرض العرب من جهة العراق.

عن مجاهد أنّ المقصود من «أدنى الأرض» هو أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة، فهي أقرب أرض الروم إلى فارس[(٥)] وقال الشيخ الطوسي: والمراد أدنى الأرض إلى جهة عدوّهم[(٦)].

روى الطبري في تفسيره وتأريخه: اقتتل فارس والروم في أدنى الأرض، وهي يومئذٍ أذرعات، فهُزِمت الروم، فبلغ ذلك النبيَّ (صلى الله عليه وآله) وأصحابَه وهم

(١) التبيان: ٨/ ٤٦١.
(٢) مجمع البيان: ٨/ ٤٦٠.
(٣) الطبري: ١٠/ ١٢٢.
(٤) معجم البلدان: ١/ ١٦٢.
(٥) مجمع البيان: ٨/ ٤٦٠.
(٦) التبيان: ٨/ ٢٢٩.

بمكّة، فشقّ ذلك عليهم. وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح الكفار بمكّة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وأنكم إن قاتلتمونا لَنَظْهرنَّ عليكمْ فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

وممّا يؤيّد أنّ هذا الانتصار الرومي على فارس كان بعد وقعة بدر بكثير ما رواه الطبرسي في «مجمع البيان» أنّ أبا بكر لمّا أراد الهجرة تعلق به أُبي بن خلف وأخذ ابنه عبد الله بن أبي بكر كفيلاً، وجُرح أبي في أُحد وعاد إلى مكّة فمات من تلك الجراحة، جرحه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعن الشعبي: لم تمض تلك المدة (تسع سنين) الّتي عقدها أبو بكر مع أُبي بن خلف حتّى غلبت الروم فارساً وربطوا خيولهم بالمدائن... فأخذ أبو بكر الخَطَر (الرهانة) من ورثته وجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتصدّق به[١].

السورة الخامسة والثمانون ـ «العنكبوت»:

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢].

عن الشِعبي: أنّ الآية نزلت في أُناس مسلمين كانوا بمكّة فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم، فمنهم من نجا ومنهم من قُتل.

ولعلّ هذا هو مورد ما رواه الكشي في رجاله بسنده عن الليث بن سعد عن عمر مولى غفرة قال: حُبس عمار فيمن حُبس وعُذّب، فانفلت فيمن انفلت من الناس، فقدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أفلح أبو اليقظان! قال: ما أفلح ولا أنجح لنفسه، لأنهم لم يزالوا يعذّبونه حتّى نال منك![٣].

(١) مجمع البيان: ٨/ ٤٦١ ـ ٤٦٢؛ والكشاف للزمخشري: ٣/ ٢١٤.
(٢) العنكبوت: ١ ـ ٢.
(٣) رجال الكشي: ٣٥.

وما أخرجه السيوطي عن ابن عباس قال: لمّا أراد الرسول أن يهاجر إلى المدينة قال لأصحابه... فأصبح بلال وخبّاب وعمّار... فأخذهم المشركون... وأمّا عمّار فقال لهم كلمة أعجبتهم، تقيَّةً... ثمّ خلّوا عنهم(١).

فهذه الأخبار تناسب هذه الفترة وهذه المرة أي حين الهجرة، ولا ترتبط بما حدث له في المرة الأولى حين نزول سورة النحل أواخر أيام حِصار الشِعب، من تعذيب مشركي قريش له ولوالديه وقتلهما وتقيّته وإفلاته بها.

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾(٢).

عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أمي: لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتّى تكفر بمحمّد، فامتنعتْ من الطعام والشراب، فنزلت الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾.

عن الكلبي قال: نزلت الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ في عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي، وذلك أنّه أسلم فخاف أهلَ بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فحلفت أمه أسماء بنت مخزمة التميمي: أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل بيتاً حتّى يرجع إليها.

وبعدها قوله سبحانه: (وقال الّذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولْنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملُنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون(٣).

---

(١) الدر المنثور: ٤/ ١٣٢.
(٢) العنكبوت: ٨ ـ ١١.
(٣) العنكبوت: ١٢ ـ ١٣.

قال القمي: كان الكفار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا، فإنّ الّذي تخافون أنتم ليس بشيء، فإن كان حقاً فإنّا نتحمل ذنوبكم. فيعذبهم الله مرتين مرة بذنوبهم ومرة بذنوب غيرهم[١].

ومنها قوله سبحانه: (يا عبادي الّذين آمنوا إنّ أرضي واسعة فإياي فاعبدون)[٢] عن مقاتل والكلبي قالا: نزلت في المستضعفين من المؤمنين بمكّة أُمروا بالهجرة عنها[٣].

ومنها قوله سبحانه: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٤] عن مقاتل والكلبي قالا: نزلت في جماعة كان يؤذيهم المشركون بمكّة فأُمروا بالهجرة إلى المدينة، فقالوا: كيف نخرج إليها وليس لنا بها دار ولا عقار، ومن يُطعمنا ومن يسقينا؟ فنزلت فيهم[٥].

وتختم السورة توصيتها المسلمين بالصبر والجهاد بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

عن ابن عباس في آخر سورة نزلت بمكّة قبل الهجرة، فبينما يروي الطبرسي عن ابن عباس أنّه ذكر في آخر السور المكية بعد العنكبوت: سورة المطفّفين[٦] الطبرسي في «مجمع البيان» القول بذلك عن الحسن والضحاك[٧] وأضاف عن عكرمة عن ابن عباس: لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة كانوا من أخبث الناس

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٤٩؛ وروَى السيوطي في الدر المنثور بسنده عن محمّد بن الحنفية قال: كان أبو جهل وصناديد قريش إذا جاء الناس يسلمون يتلقونهم فيقولون: إنّه يُحرّم الخمر ويُحرّم الزنا فارجعوا ونحن نحمل أوزاركم، فنزلت الآية.

(٢) العنكبوت: ٥٦.

(٣) مجمع البيان: ٨/ ٤٥٥.

(٤) العنكبوت: ٦٠.

(٥) مجمع البيان: ٨/ ٤٥٥.

(٦) مجمع البيان: ١٠/ ٦١٣.

(٧) مجمع البيان: ١٠/ ٦٨٥.

كيلاً، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. بل في رواية أبي الجارود في «تفسير القمي» عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: نزلت (سورة المطفّفين) على نبيّ الله حين قدم المدينة وهم يومئذ أسوأ الناس كيلاً، فأحسنوا الكيل[1].

وعليه فإنَّ آخر ما نزل من القرآن بمكّة هو سورة العنكبوت، وفيها الأمر بالهجرة كما مرَّ، فأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالهجرة فهاجروا زرافات ووحداناً، ولحق هو بهم.

(١) تفسير القمي: ٢/ ٤١٠.

الفصل السابع

بيعة العقبة وانتشار الإسلام في المدينة

بيعة العقبة:

قال القميّ في تفسيره: لمّا قدمت الأوس والخزرج مكّة، كان أكثرهم مشركين على دينهم، وفيهم عبد الله بن أُبيّ بن سَلول[1]، وفيهم ممّن أسلم بشر كثير. وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب (في منى في أيام موسم الحج) ومعه علي عليه السلام وحمزة والعباس. فجاءهم رسول الله وقال لهم: تمنعون جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربكم، وثوابكم على الله الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله فخذ لنفسك وربّك ما شئت. فقال: موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق فاحضروا دار عبد المطّلب على العقبة، ولا تنبّهوا نائماً.

فلمّا حجّوا رجعوا إلى منى، وجاءه منهم سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار. فلمّا اجتمعوا قال لهم رسول الله: تمنعون جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم وثوابكم على الله الجنة؟ فقال أسعد بن زرارة والبَراء بن معرور وعبد الله بن حرام[2]: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربّك.

فقال رسول الله: تمنعونني ممّا تمنعون منه أنفسكم، وتمنعون أهلي ممّا

---

(١) سَلُول: اسم جدّته لأبيه.
(٢) أبو جابر بن عبد الله الأنصاري، من شهداء أُحد.

تمنعون منه أهليكم؟ قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً في الجنة. فقالوا: قد رضينا.

فقام العباس بن نضلة الأوسي فقال: يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك الدنيا، فإن علمتم أنّه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه، فإنّ رسول الله ـ وإن كان قومه خالفوه ـ فهو في عزّ ومنعة.

فقال له عبد الله بن حرام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم ابن التيهان: ما لَكَ وللكلام؟! ثمّ قالوا: يا رسول الله، بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال رسول الله: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى مِن بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فقالوا: اختر من شئت.

فأشار جبرائيل عليه السلام إليهم، فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب حتّى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، والبَراء بن معرور، وعبد الله بن حرام ـ وهو أبو جابر بن عبد الله الأنصاري ـ ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت. وثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم بن التيهان اليمني حليف بني عمرو بن عوف، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة.

فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب، هذا محمّد والصُباة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم. فأسمَعَ أهل منى، فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح.

وسمع رسول الله النداء فقال للأنصار: تفرّقوا. فقالوا: يا رسول الله إنْ أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا.

فقال رسول الله: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله في محاربتهم.

فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا.

قال: أنتظر أمر الله (بالهجرة) فتفرّقوا.

وخرج حمزة وعلي بن أبي طالب فوقف حمزة على العقبة ومعه السيف.

فجاءت قريش عن بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، فلمّا نظروا إلى حمزة قالوا له: ما هذا الّذي اجتمعتم عليه؟

قال: ما اجتمعنا، وما ها هنا أحد، ووالله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي! فرجعوا. ورجع رسول الله إلى مكّة.

(ولم يُطلع المسلمون من الأوس والخزرج المشركين منهم، وفيهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فغدت قريش إليه) وقالوا له: قد بلغَنا أنّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا؟ فحلف لهم عبدالله: أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، فصدّقوه[١].

ابن شهرآشوب «مناقب آل أبي طالب» بل قال: كان النبيّ يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقي رهطاً من الخزرج ستة نفر، فقال: أفلا تجلسون أحدثكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا إليه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: والله إنّه للنبيّ الّذي كان يُوعدكم به اليهود، فلا تسبقنّكم إليه (فصدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام) وقالوا له: إنّا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمع الله بينهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك (ونعرض عليهم الّذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله بك فلا رجل أعزّ منك، ثمّ انصرفوا عن رسول الله راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا).

فلمّا كان العام المقبل أتى من الأنصار إلى الموسم اثنا عشر رجلاً فلقوا

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

النبيّ (صلى الله عليه وآله) فبايعوه على «بيعة النساء»[١] وبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم يصلي بهم (فكان يصلي بهم ويقرئهم القرآن حتّى سمّي) بينهم بالمقرئ، وحتّى لم تبق دار في المدينة إلّا وفيها رجال ونساء مسلمون.

(وفي الموسم القادم) خرج جمع من الأنصار مع حجاج قومهم، فاجتمعوا في ليلة من ليالي التشريق في الشّعب عند العقبة، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

فقام فيهم رسول الله فقال: أبايعكم على الإسلام؟

فقال له بعضهم: نُريد أن تعرّفنا ـ يا رسول الله ـ ما للّه علينا وما لك علينا وما لنا على الله. فقال: أمّا ما للّه عليكم: فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأمّا ما لي عليكم: فتنصروني مثل نسائكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عضّ السيف وأن يُقتل خياركم[٢].

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا على الله؟

قال: أمّا في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة الرضوان والجنة.

فقال أبو الهيثم ابن التيهان: إنّ بيننا وبين الرجال حبالاً، فهل عسيت إن نحن قطعناها أو قطعوها ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسّم رسول الله ثمَّ قال: بل الدم والهدم الهدم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.

فأخذ البَراء بن معرور بيده ثمَّ قال: والّذي بعثك بالحقّ لنمنعنَّك بما نمنع به أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كباراً عن كبار.

---

(١) اصطلح المسلمون فيما بعد باسم بيعة النساء على البيعة الّتي وردت في الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة، وإنما يكنّى بها عن بيعة لا قتال فيها في مقابل بيعة الحرب. وسورة الممتحنة نازلة بعد صلح الحديبية، فالتسمية متأخرة.

(٢) وهذا معناه أنّ بيعة النساء السابقة تغيّرت هنا إلى بيعة القتال والحرب.

فقال رسول الله: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً. فاختاروا.

فقال لهم: أبايعكم كبيعة عيسى بن مريم للحواريين، كفلاء على قومكم، على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فبايعوه على ذلك.

فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجُباجب[١] هل لكم في محمّد والصُباة معه؟! فإنهم قد اجتمعوا على حربكم. ففشا الخبر ونفر الناس وخرجوا في الطلب، فلم يدركوا منهم إلا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأمّا المنذر فأعجز القوم هرباً، وأمّا سعد فأدركوه فأخذوه وربطوه بحبل رحله وأدخلوه مكّة يضربونه.

فبلغ خبره إلى جبير بن مُطعم والحارث بن حرب بن أمية (أخي أبي سفيان صخر بن حرب) فأتياه وخلّصاه[٢].

كانت بيعة العقبة الأولى بمنى، بايعه خمسة نفر من الخزرج وواحد من الأوس، في خفية من قومهم «بيعة النساء».

وفي السنة القابلة ـ وهي العقبة الثانية ـ أنفذوا معهم ستة أخرى بالإسلام والبيعة.

ثمّ أنفذ النبيّ ﷺ معهم: مصعب بن (عمير) بن هاشم، فنزل دار أسعد بن زرارة، فاجتمعوا عليه وأسلم أكثرهم.

وفي السنة القابلة كانت «بيعة الحرب»[٣] كانوا سبعين رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج، واختار منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء قومهم: تسعة من

---

(١) الجُباجب: جمع جُبْجُبَةَ: الوعاء من أدم ونحوه، وتُطلق على منازلهم في منى لأنها أوعية لهم.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٨١ ـ ١٨٢، وهو مختصر خبر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: ٢/ ٧٠ ـ ٩٣.
(٣) في الكتاب: الحرث، أو الحرس، ولا ريب أن الحرس مصحّف الحرث، وهو مصحّف الحرب، فهو الصحيح ولا معنى لغيره.

الخزرج وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج: أسعد بن زرارة، وجابر بن عبد الله الأنصاري[١] والبَراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع. ومن القواقل: عُبادة بن الصامت. ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان، وأسيد بن حُضير، وسعد بن خَيثمة[٢].

كانت الصلاة يومئذٍ إلى بيت المقدس:

فلمّا انصرف عنه القوم (من بيعة العقبة الأولى) بعث رسولُ الله معهم مُصعبَ بنَ عُمير بن هاشم، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلّمهم الإسلام ويفقّههم في الدين... وكان يصلي بهم[٣].

عن كعب بن مالك (الخزرجي) قال: ما بلَغنا أنّ نبيّنا يصلي إلا إلى الشام فكُنّا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام (يعني القدس)... فلمّا خرجنا من المدينة في حجّاج قومنا... وتوجّهنا لسفرنا... وسيّدنا وكبيرنا البَراء بن مَعرور، قال لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟! قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيّة (الكعبة) بظهري بل أصلي إليها. فقلنا: والله ما بلغنا أنّ نبيّنا يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه. فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلّى هو إلى الكعبة، وقد عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة على ذلك وقال: إنّي لمصلّ إليها... حتّى قدمنا مكّة.

فلمّا قدمنا مكّة قال لي: يا بن أخي لقد وقع في نفسي ممّا صنعت في سفري

---

(١) روى الكشي في رجاله بسنده عن الباقر عليه السلام قال: كان عبد الله أبو جابر بن عبد الله من السبعين ومن الاثني عشر، وجابر من السبعين وليس من الاثني عشر. رجال الكشي: ٤١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥، وهو مختصر خبر ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: ٢/ ٧٣ ـ ٧٥ و٨١ ـ ٨٧. ومنها ما بين الأقواس.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ٧٦ ـ ٧٧.

شيء، لما رأيت من خلافكم إيّاي فيه، فانطلقْ بنا إلى رسول الله حتّى نسألَه عمّا صنعتُ.

وكان العباس بن عبد المطّلب عم النبيّ يَقدم علينا تاجراً، فكنا نعرف العباس (ويعرفنا) وكنا لا نعرف رسول الله ولم نره قبل ذلك، فخرجنا نسأل عنه، فلقينا رجلاً من أهل مكّة فسألناه عن رسول الله، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، فقال: فهل تعرفان العباس عمّه؟ قلنا: نعم، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

فدخلنا المسجد، فإذا العباس جالس، ورسول الله جالسٌ معه. فسلّمنا ثمّ جلسنا إليه. فقال رسول الله للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البَراء بن معرور سيّد قومه، وهذا كعب بن مالك، فقال رسول الله: الشاعر؟ قال العباس: نعم.

فقال له البَراء بن معرور: يا رسول الله، قد هداني الله للإسلام، وقد خرجت في سفري هذا، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنيّة بظهري فصليت إليها، وخالفني أصحابي في ذلك حتّى وقع في نفسي من ذلك شيّ، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: قد كنت على قِبلةٍ لو صبرتَ عليها. فرجع البَراء إلى قبلة رسول الله وصلّى معنا إلى الشام[1].

قصة صنم عمرو بن الجَموح:

ومن القصص المروية في أخبار إسلام الأنصار: قصة معاملة مُعاذ بن عمرو بن الجموح مع صنم أبيه عمرو بن الجَموح، قالوا: كان الأشراف يتّخذون لأنفسهم آلهة يطهّرونها ويعظّمونها، وكان عمرو بن الجَموح سيّداً من سادات بني سَلَمَة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب يسمّيه مَناة

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٨١ ـ ٨٢.

(أي الإلهة الّتي يُمنى أي يُراق لديها الدماء قرباناً لها) وكان ابنه مُعاذ بن عمرو بن الجَموح ممّن شهد العقبة وبايع رسول الله بها، فكان هو وأصحابه يُدلجون بالليل على صنم عمرو بن الجَموح فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفر بني سلمة منكَّساً على رأسه. فإذا أصبح عمرو غدا يلتمسه، حتّى إذا وجده غسله وطهّره وطيّبه. فإذا أمسى عمرو عَدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهّره ويطيّبه. ثمّ إذا أمسى يعدون عليه فيفعلون به مثل ذلك، فاستخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهّره وطيَّبه، ثمّ جاء بسيفه فعلّقه عليه ثمّ قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلمّا أمسى ونام عمرو، عدَوْا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثمّ ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ثمّ أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل. فلمّا غدا عمرو خرج وتَتَبّعه حتّى وجده في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميت، فلمّا أبصره ورآه قال يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن أنت وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ في قَرَنْ
أُفٍّ لَملْقاك إلهاً مستَدَنْ الآنَ فتَّشناك عن سوء الغَبَنْ

وكلّمه من أسلم من رجال قومه، فأسلم برحمة الله وحَسُن إسلامه[١].



(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٩٥ ـ ٩٦.

الفصل الثامن

هجرة المسلمين إلى المدينة

إذن النبي (صلى الله عليه وآله) لأصحابه بالهجرة إلى المدينة:

كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يؤمر إلا بالدعاء والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، فطالت قريش على المسلمين، فلمّا كثر عتوّهم أمر بالهجرة فقال (صلى الله عليه وآله): إنّ الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها وإخواناً.

فخرجوا أرسالاً، حتّى لم يبق مع النبيّ إلا علي عليه السلام وأبو بكر[1].

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتّى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم بين مفتون في دينه، وبين معذَّب في أيديهم وبين هارب في البلاد فراراً منهم: منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه.

لمّا أذن الله تعالى له في (أخذ البيعة) للحرب، وبايعه هذا الحيّ من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن تبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكّة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال لهم: إن الله عزّ وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٨٢.

فخرجوا أرسالاً (جمعاً فجمعاً). وأقام رسول الله بمكّة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكّة والهجرة إلى المدينة[1].

وكان عمر بن الخطّاب حين قدم المدينة قد نزل على رفاعة بن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف في قُباء، ولحق به من أهله وقومه: أخوه زيد بن الخطّاب، وصهره خُنيس بن حُذافة السهمي، وحُلفاؤهم: واقد بن عبد الله التميمي، وخَوْليّ بن أبي خَوْليّ وأخوه مالك، وسعيد بن زيد وإياس بن بُكير، وإخوانه: عاقل وعامر وخالد. ونزل عثمان بن عَفان على أوس بن ثابت أخي حسّان بن ثابت من بني النجار.

وهاجر عبد الرحمن بن عوف فنزل على سعد بن الربيع الخزرجي.

وهاجر صُهيب بن سنان (الرومي) فروى ابن هشام عن أبي عثمان النهدي قال: لمّا أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صُعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الّذي بلغت ثمّ تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟! والله لا يكون ذلك! فقال لهم صُهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي؟! قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. ثمّ هاجر فنزل على خُبيب بن أساف الخزرجي بالسنُخْ ومعه طلحة بن عبيد الله. فلمّا بلغ رسولَ الله أمر صُهيب قال: رَبح صُهيب! ربح صُهيب!

ونزل الزبير بن العوّام على منذر بن محمّد من بني جحْجَبي بالعُصْبة، ومعه أبو سبرة. ونزل: مُصعب بن عُمير بن هاشم على سعد بن مُعاذ (هذه المرة).

وهاجر من بني عبد المطّلب: حمزة بن عبد المطّلب فنزل على أسعد بن

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ١١٠ ـ ١١١؛ ومن المقارنة بين عبارة ابن شهرآشوب وابن إسحاق يبدو أن كلام ابن شهرآشوب انما هو مختصر ما ذكره ابن إسحاق، من دون إسناد.

زرارة (مكان مصعب). وهاجر معه موالي رسول الله: زيد بن حارثة وأبو كبشة، وأَنَسَة، وحليفا حمزة: أبو مِرثد الغَنَوي وابنه مِرثد، فنزلوا على كلثوم بن هِدم من بني عمرو بن عوف في قُباء، أو: سعد بن خَيْثمة، وكان عزباً فنزل عليه العُزّاب منهم.

ومن بني المطّلب: مِسطح بن أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب، وبنو الحارث بن المطّلب عبيدة وأخواه الطفيل والحُصين، ومعهم سُويبط بن سعد من بني عبد الدار، وطليب بن عمير، وخَبّاب (بن الأرَت) مولى عتبة بن غزوان، فنزلوا على عبد الله بن سلمة في قُباء.

ونزل مولى خبّاب: عتبة بن غزوان وأبو حذيفة عتبة بن ربيعة، وسالم مولاه، على عبّاد بن بِشر من بني عبد الأشهل.

ولم يتخلّف بمكّة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فتن، إلا عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة. وأقام رسول الله بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة[١].

وعُلم من هنا أن حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطّلب وإخوانه وموالي رسول الله: زيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة كانوا قد هاجروا، ولعلّ ذلك كان قبل بيعة العقبة الأولى فضلاً عن الثانية ولذلك لا يوجد لهم ذكر أو أثر فيها، بل روى ابن إسحاق أنّ العبّاس حضرها يتوثق لابن أخيه وهو على دين قومه، وقد مرّ الكلام فيه.

وقد ذُكر عن ابن عباس قال: كان أبي من المستضعفين من الرجال، وأُمّي كانت من المستضعفات من النساء، وكنتُ أنا من المستضعفين من الولدان، غلاماً صغيراً[٢] ويقصد بالمستضعفين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ١١٨ ـ ١٢٣.
(٢) مجمع البيان: ٣/ ١٥٠.

أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1] فإنْ صحّ قوله عن نفسه وأمه فالله أعلم بأبيه.



(١) النساء: ٩٧ ـ ٩٩.

الفصل التاسع

المؤامرة لقتل النبي (صلى الله عليه وآله)

شورى دار الندوة:

روى العياشي في تفسيره عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أناس، فانطلقوا إلى دار الندوة ليشاوروا في ما يصنعون برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا هم بشيخ قائم على الباب، وإذ ذهبوا ليدخلوا قال: أدخلوني معكم. قالوا: ومن أنت؟ يا شيخ، قال: أنا شيخ من مضر، ولي رأي أشير به عليكم.

فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس، وأجمعوا أمرهم على أن يُخرجوه.

فقال: ليس هذا لكم برأي، إن أخرجتموه أجْلَب عليكم الناس فقاتَلوكم.

قالوا: صدقت ما هذا برأي. ثمَّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يُوثِقوه.

قال: هذا ليس بالرأي، إن فعلتم هذا، ومحمّد رجل حلو اللسان أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم، وما ينفع أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه أو امرأته؟!

ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يُخرجون من كل بطن منهم بشاب فيضربونه بأسيافهم جميعاً[1].

عن الباقر عليه السلام عن علي عليه السلام قال: إنّ قريشاً لم تزل تجيل الآراء وتعمل

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٥٤.

الحيل في قتل النبيّ حتّى كان آخر ما اجتمعت عليه في يوم الدار دار الندوة... فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتّى اجتمعت آراؤها على أنْ يُنتدَب من كلّ فخذ من قريش رجل، ثمّ يأخذ كلّ رجل منهم سيفه ثمّ يأتي النبيّ وهو نائم على فراشه، فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تُسلِّمهم، فيمضي دمه هدْراً[١].

علي عليه السلام والمبيت في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله):

لمّا أخبر النبيَّ جبرائيل عليه السلام بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة، دعا رسول الله علي بن أبي طالب لوقته فقال له: يا علي، إنّ الروح هبط عليّ يخبرني أنّ قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنّه أُوحي إليَّ عن ربّي عزّ وجلّ أن أهجر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وإنه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتُخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت صانع؟

فقال علي عليه السلام: أَوَتَسْلَمَنَّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله؟ قال: نعم. فتبسّم علي ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه رسول الله به من سلامته، فكان علي ـ صلوات الله عليه ـ أوّل من سجد للّه شكراً، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فلمّا رفع رأسه قال له علي عليه السلام: امضِ بما أُمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومُرني بما شئت... وإنّ توفيقي إلا بالله... فقال له: فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي، ثمّ إني أخبرك يا علي أنّ الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا بن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً، فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين، ثمّ

---

(١) الخصال: ٣٦٧.

ضمّه النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى صدره وبكى وجداً به، وبكى علي عليه السلام جَزَعاً لفراق رسول الله (صلى الله عليه وآله).

كيفية هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة:

واستتبع رسول الله أبا بكر بن أبي قحافة[1] وهند بن أبي هالة فأمرهما أن يقعدا له بمكان ذكره لهما من طريقه إلى الغار. ولبث رسول الله بمكانه مع

---

(١) روى العياشي في تفسيره: ١/ ١٠١، عن ابن عباس قال: وجاء أبو بكر ـ وعلي عليه السلام نائم ـ وهو يحسب أنّه نبيّ الله)(فلمّا رآه علياً) قال: أين نبيّ الله؟ قال علي: إنّ نبيّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدركه. فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار.
وقال الطبري في تاريخه: ٢/ ٣٧٤، مشيراً إلى هذا: وقد زعم بعضهم: أنّ أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبيّ الله، فأخبره: أنّه لحق بالغار من ثور وقال: إن كانت لك فيه حاجة فالحقه. فخرج أبو بكر مسرعاً فلحق نبيّ الله في الطريق، فسمع جرس أبي بكر في ظلمة الليل فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله المشي فانقطع قَبالُ نعله ففلق إبهامه حجر فكثر دمها، وأسرع السعي، فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرفع صوته وتكلم فعرفه رسول الله فأقام حتّى أتاه، فانطلقا، ورجْل رسول الله تستنّ دماً حتّى انتهى إلى الغار مع الصبح فدخلاه.
وأصبح الرهط الّذين كانوا يرصدون رسول الله فدخلوا الدار، وقام علي عليه السلام عن فراشه، فلمّا دنوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري أوَ كنتُ رقيباً عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج. فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثمّ تركوه.
وجاء الحبس في خبر رواه الرضيّ في «الخصائص» عن علي عليه السلام قال: كنت على فراش رسول الله وقد طرح عليَّ ريطته، فأقبلت قريش مع كل رجل منهم هراوة فيها شوكها، فلم يبصروا رسول الله حيث خرج، فأقبلوا عليّ يضربونني بما في أيديهم حتّى تنفّض جسدي وصار مثل البيض، ثمّ انطلقوا بي يريدون قتلي، فقال بعضهم: لا تقتلوه الليلة، ولكن أخّروه واطلبوا محمّداً. فأوثقوني بالحديد وجعلوني في بيت (قرب البيت الحرام) واستوثقوا مني ومن !الباب بقفل. فبينا أنا كذلك، إذ سمعت صوتاً من جانب البيت يقول: يا علي! فسكن الوجع الّذي كنت أجده، وذهب الورم الّذي كان في جسدي، ثمّ سمعت صوتاً آخر يقول: يا علي، فإذا الحديد الّذي عليّ قد تقطّع، ثمّ سمعت صوتاً: يا علي، فإذا الباب قد تساقط ما عليه وفتح. فقمت وخرجت، وقد كانوا جاؤوا بعجوز كمهاء لا تبصر ولا تنام تحرس الباب، فخرجت عليها وهي لا تعقل من النوم. كما في خصائص الأئمة: ٥٨. ومن المستبعد جدّاً أن يكون أبو بكر قد علم باتّجاه الرسول بالسؤال من علي عليه السلام في فراش الرسول في حصار المشركين وهم يرمونه، بل المتّجه ما ذكره القطب الراوندي في الخرائج والجرائح: قال النبيّ لأصحابه: لا يخرج الليلة أحد من داره. كما في بحار الأنوار: ١٩/ ٧٣.

علي عليه السلام يوصيه ويأمره في ذلك بالصبر حتّى صلّى العشاءين، ثمّ خرج في فحمة العشاء الآخرة، والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(١) وأخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم، فما شعر القوم به حتّى تجاوزهم ومضى حتّى أتى إلى هند وأبي بكر فنهضا معه حتّى وصلوا إلى الغار، ثمّ رجع هند إلى مكّة بما أمره به رسول الله، ودخل رسول الله وأبو بكر الغار.

فلمّا غلّق الليل أبوابه وأسدل أستاره وانقطع الأثر أقبل القوم على علي عليه السلام يقذفونه بالحجارة فلا يشكّون أنّه رسول الله حتّى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح هجموا على علي عليه السلام ـ وكانت دور مكّة يومئذٍ سوائب لا أبواب لها ـ فلمّا بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة وثب عليّ فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قِماص البكر ويرغو رغاء الجمل ويُذْعَر ويصيح، وهم في عرج الدار من خلفه، وشدّ عليهم علي عليه السلام بسيفه ـ يعني سيف خالد ـ فأجفلوا أمامه إجفال النَعَم إلى ظاهر الدار، وتبصّروه فإذا علي عليه السلام، قالوا: وإنك لَعليّ؟ قال: أنا علي، قالوا: فإنّا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به. فأذكت قريش عليه العيون وركبت في طلبه الصّعب والذلول(٢).

وروى الطوسي في أماليه بسند عن الواقدي بسنده عن ابن عباس قال: اجتمع المشركون في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله، وأتى جبرائيل رسول الله فأخبره الخبر، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة. فلمّا أراد رسول الله المبيت أمر علياً عليه السلام أن يبيت في مضجعه (صلى الله عليه وآله). فبات علي عليه السلام وتغشّى ببُرد أخضر حضْرمي كان لرسول الله ينام فيه، وجعل السيف إلى جنبه. فلمّا اجتمع

---

(١) يس: ٩.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٦٣، ح ١٠٣١.

أولئك النفر من قريش يطوفون ويرصدونه يريدون قتله، خرج رسول الله وهم جلوس على الباب خمسة وعشرون رجلاً، فأخذ حفنة من البطحاء ثمّ جعل يذرّها على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ حتّى بلغ ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ فقال لهم قائل: ما تنتظرون؟ قالوا: محمّداً. قال: خبتم وخسرتم قد والله مرّ بكم فما منكم رجل إلا وقد جعل على رأسه تراباً! قالوا: والله ما أبصرناه![1].

وقال القمي في تفسيره: فلمّا أصبحت قريش أتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب علي عليه السلام في وجوهم وقال: ما شأنكم؟ قالوا له: أين محمّد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نُخرجه من بلادنا؟! فقد خرج عنكم. فأقبلوا يضربون أبا لهب ويقولون له: أتخدعنا منذ الليلة؟!

وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: أبو كرز، يقفو الآثار، فقالوا له: يا أبا كرز اليوم اليوم! فوقف بهم على حجرة رسول الله فقال: هذه قدم محمّد، والله إنها لأخت القدم الّتي في المقام[2] هذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، فما زال بهم حتّى أوقفهم على باب الغار ثمّ قال: ما جاوزا هذا المكان، إمّا أنْ يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا تحت الأرض.

وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار... وصرفهم الله عن رسوله فتفرقوا[3].

وكانت قريش في الجاهلية تدعو محمّداً: الأمين، فكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكّة من العرب في الموسم، وجاءته النبوة

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٤٥، ح ٩٩٥.
(٢) مقام إبراهيم، وهي قدمه.
(٣) تفسير القمي: ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٦؛ ونقله الطبرسي في إعلام الورى: ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨؛ والقطب الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣٧ ـ ٣٣٥؛ وفي الخرائج والجرائح: ١/ ٤٤، ح ٢٣١. وذكر اسم الرجل: أبا كريز.

والرسالة والأمر كذلك. فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوة وعشيّاً: من كان له قِبَل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤدّ إليه أمانته. ثمّ قال له: إنهم لن يصلوا إليك من الآن ـ يا عليّ ـ بأمر تكرهه حتّى تُقدِم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً.

ثمّ إني مستخلفك على ابنتي فاطمة، ومستخلف ربّي عليكما ومستحفظه فيكما.

ثمّ أمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع للهجرة من بني هاشم وقال له: فإذا قضيتَ ما أمرتك من أمر فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إليَّ لقدوم كتابي عليك ولا تلبث. ثمّ مكث في الغار ثلاثاً ثمّ انطلق لوجهه يؤمّ المدينة[١].

ونقل ابن شهرآشوب عن الثعلبي في تفسيره عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: أوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه. فأيّكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرها الموت.

فأوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل وليّي علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد نبيّي فآثره بالحياة على نفسه، فظلّ على فراشه يقيه بمهجته، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فهبط جبرائيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرائيل يقول: بخ بخ! مَن مثلك يا بن أبي طالب والله يباهي بك الملائكة؟!

وأنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[٢].

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٤٣، ح ١٠٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٦٤ ـ ٦٥؛ والكليني في الروضة: ١١٩؛ والطوسي في الأمالي: ٤٦٣، ح ١٠٣١؛ والكراجكي في كنز الفوائد عن الخطيب الخوارزمي في مناقبه. واليعقوبي: ٢/ ٣٩. والآية في البقرة: ٢٠٧.

منازل الطريق:

قال الطبرسي: وخرج رسول الله من الغار وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطريق (الأعظم) إلا بقديد[١].

فنزلوا على أم مَعبد هناك[٢]. وكانت امرأة بَرْزَة تحتبيء وتجلس بفناء الخيمة، فسألوا تمراً ولحماً ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مُرملون، وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرْى. فنظر رسول الله في كِسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم مَعبد؟ قالت: شاة خلّفها الجُهد عن الغنم. فقال: هل بها من لبَن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلبَها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها. فدعا رسول الله بها فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهمَّ بارك في شاتها. فتفاجّت ودرّت! فدعا رسول الله بإناء لها يُربِض الرهط فحلب فيه ثجّاً حتّى علته ثُمالته فسقاها، فشربتْ حتّى رُويتْ، ثمّ سقى أصحابه فشربوا حتّى رُووا، فشرب هو آخرَهم وقال: ساقي القوم آخرهم شِرباً. فشربوا جميعاً علّا بعد نَهَلٍ حتّى أراضوا، ثمّ حلب فيه ثانياً عَوْداً على بدء فغدوا عندها ثمّ ارتحلوا عنها.

فقلّما لبثت أن جاء زوجُها أبو معبد يسوق عَنزاً عِجافاً هُزّلاً، ومُخاجُهنّ

---

(١) قاله ابن إسحاق في سيرته وأضاف: ثمّ أجاز بهما فسلك بهما الخرّار، ثمّ سلك بهما ثنيّة المرَّة، ثمّ سلك بهما لفتاً أو لقفاً، ثمّ أجاز بهما مدلَجة لقَفْ، ثم استبطن بهما مُدلجة مِجاح أو محاج، ثم سلك بهما مرجح مجاح، ثم تبطنّ بهما مرجح ذي الغضوين أو العضوين ثمّ بطن وادي ذي كَثْر، ثمّ أخذ بهما على الجداجد ثمّ على الأجرد، ثمّ سلك بهما ذا سلَمَ من بطن مدلَجة تِعْهِن، ثمّ على العبابيد أو العبابيب أو العيثانة، ثمّ أجاز بهما الفاجّة أو القاحة، ثمّ هبط بهما العَرْج، ثمّ خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنيّة العائر أو الغائر عن يمين ركوبة، حتّى هبط بطن يرئم، ثمّ هبط بهما قُباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتدّ الضحى بل كادت الشمس أن تعتدل. سيرة ابن هشام: ١٣٦/٢. وانظر خريطة مسير الهجرة في أطلس تاريخ الإسلام: ٦٩ برقم ٣٩ ـ الترجمة الفارسية.

(٢) إعلام الورى: ١٤٩/١.

قليل، فلمّا رأى اللبن قال: من أين لكِ هذا؟ والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت(١).

خروج علي عليه السلام بالفواطم:

قال الطوسي: في أوّل ليلة من شهر ربيع الأوّل كان مبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذ هاجر من مكّة وكانت ليلة الخميس، وفي ليلة الرابع منه كان خروجه من الغار متوجهاً إلى المدينة(٢).

عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: كان خروج رسول الله من مكّة في أوّل يوم من ربيع الأوّل يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل مع زوال الشمس فصلى الظهر ركعتين(٣).



(١) إعلام الورى: ١/٧٦؛ وذكره في الخرائج: ١/١٤٦ ـ ١٤٧، خ ٢٣٤، وفيه أنه قصد رسول الله فآمن هو وأهله.

(٢) مصباح المتهجّد: أوّل أعمال ربيع الأوّل.

(٣) روضة الكافي: ٢٨٠؛ وبحار الأنوار: ١٩/١١٥ عنه.



الباب الثاني

العهد المدني

- ١ -

دور البناء والدفاع



الفصل الأول

أهم حوادث السنة الأولى للهجرة

وصول الرسول إلى يثرب

الوصول إلى قُباء:

عن علي بن الحسين عليه السلام: قدِم (الرسول) المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، فنزل بقُباء، فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين.. وكان نازلاً على (بني) عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً؟ فيقول: لا، إني أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله.

فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة، فإنّ القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تُقِم هاهنا تنتظر علياً، فما أظنّه يَقدم إليك إلى شهر!

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ولست أُريم حتى يَقدم ابن عمّي وأخي في الله عزّ وجلّ وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين!

فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأزّ وداخله من ذلك حسد لعليّ عليه السلام، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في علي عليه السلام، وأول خلاف على

رسول الله. فانطلق حتى دخل المدينة، وتخلّف رسول الله بقُباء حتى ينتظر علياً عليه السلام[1].

إسلام سلمان:

إنّ سلمان الفارسي كان بعض أهل الكتاب قد أخبروه بالدين الحنيف، فكان قد خرج من بلاده فارس يطلب ذلك الدين، فوقع إلى راهب من رهبان النصارى بالشام فصحبه حتى سأله عن ذلك فقال له: اطلبه بمكة مخرجه، واطلبه بيثرب فثَمّ مُهاجَره.

فقصد مكة، فسباه بعض الأعراب فباعه لرجل من يهود المدينة، فكان سلمان يعمل في نخلِه، وكان على نخلة إذ دخل على صاحبه رجل من اليهود وقال له: يا أبا فلان، أشعرتَ أنّ هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيّهم؟

فقال سلمان: جعُلت فداك ما الذي تقول؟!

فقال له صاحبه: ما لَك وللسؤال عن هذا؟! أَقبِل على عملك..

ونزل سلمان وأخذ طبقاً من ذلك الرُطب وحمله إلى رسول الله.

فقال له رسول الله: ما هذا؟

قال: صدقة تمورنا، بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد، فأحببت أن تأكلوا من صدقتنا. فقال رسول الله لأصحابه: سمّوا وكلوا.

فعقد سلمان بإصبعه وقال بالفارسية: «إينْ يكي»: هذه واحدة (أي من العلائم). ثم ذهب فأتاه بطبق آخر من التمر. فقال له رسول الله: ما هذا؟ فقال له سلمان: رأيتُك لا تأكل الصدقة، فهذه هديّة أهديتها لك. فأكل عليه الصلاة والسلام. فعقد سلمان بيده ثانية وقال بالفارسية: «إينْ دوتا»: هاتان اثنتان. ثم دار

---

(١) روضة الكافي: ٢٨٠.

خلفه «وطلب إليه أن يزيح قميصه عن كتفه» فألقى عن كتفه الإزار، فنظر سلمان إلى خاتم النبوة على الشامة، فأقبل يقبّلها (وأسلم). فقال له رسول الله: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل فارس ـ وحدّثه بحديث طويل ـ فقال له رسول الله: أبشر واصبر، فإنّ الله سيجعل لك فرجاً من هذا اليهودي[(١)].

إسلام عبد الله بن سلام:

قال: لما سمعت برسول الله (صلى الله عليه وآله) عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقّبه ونتوقّعه له، ولكني كنت مستسرّاً لذلك ساكتاً حتى قدم رسول الله المدينة[(٢)].

فلمّا نزل بقُباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث جالسة عندي، فلمّا سمعت الخبر بقدوم رسول الله كبّرت، فحين سمعت عمّتي تكبيري قالت: خيّبك الله! والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران قادماً ما زدت! فقلت لها: هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به. فقالت: أهو النبيّ الذي كانوا يخبروننا عنه أنه يُبعث مع الساعة؟ فقلت لها: نعم.

ثم خرجت إلى رسول الله فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث. وكتمت إسلامي من اليهود.

ثم جئت رسول الله فقلت: يا رسول الله.. إني أحب أن تُدخلني في بعض

---

(١) إعلام الورى: ١/ ١٥١ ـ ١٥٢؛ روى الخبر ابن إسحاق في سيرته: ١/ ٨٧ ـ ٩٣.

(٢) نقل الطبرسي في مجمع البيان عن القاضي في تفسيره: أنّ عبد الله بن سلام انطلق إلى رسول الله وهو بمكة فقال له رسول الله: أُنشدك بالله هل تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال: انعت لنا ربك. فنزلت هذه السورة (التوحيد) فقرأها النبيّ فكانت سبب إسلامه، إلا أنه كان يكتم ذلك إلى أن هاجر النبيّ إلى المدينة ثم اظهر الإسلام: مجمع البيان: ١٠/ ٨٥٩؛ وقال ابن إسحاق: كان عبد الله بن سلام الحبر الأعلم لبني قينقاع، وكان اسمه الحُصين بن سلام فلمّا أسلم سمّاه رسول الله: عبد الله، سيرة ابن هشام: ٢/ ١٦٢.

بيوتك وتغيّبني عنهم ثم تسألهم عنّي حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به عابوني وبهتوني.

فأدخلني رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض بيوته (وأرسل إليهم أن يأتوه) فدخلوا عليه.. فقال لهم: أيّ رجل فيكم الحُصين بن سلام؟

قالوا: سيّدنا وابن سيّدنا، وحَبرنا وعالمنا.

فخرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتّقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، وأؤمن به وأُصدقه وأعرفه.

فقالوا: كذبت! ثم وقعوا بي.

فقلت لرسول الله: ألم أخبرك يا رسول الله إنهم قوم أهل غدر وكذب وفجور![١].

ثم روى حديثاً عن شهادة صفية بنت حُييّ بن أخطب من بني النضير ـ وهي التي تزوّجها الرسول فيما بعد ـ تشهد بمعرفة أبيها وعمها بالنبيّ وعداوتهما له.

بناء مسجد قُباء:

ولا خلاف في أخبار السيرة عامّة أنه (صلى الله عليه وآله) مكث في قُباء حتى جاء أبو الأوصياء علي عليه السلام، وأنه (صلى الله عليه وآله) أمر علياً عليه السلام فخطّ لمسجد قُباء[٢]، فلما أسّسه الرسول استتمّ بنيانه عمار[٣].

وعن الصادق عليه السلام: أنّ المسجد الذي أسس على التقوى في قوله سبحانه: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[٤] هو مسجد قباء[٥]،

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) تاريخ الخميس: ١/ ٣٣٨؛ ووفاء الوفاء: ١/ ٢٥١.
(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٤٣، الهامش عن الروض الأنف.
(٤) التوبة: ١٠٨.
(٥) فروع الكافي: ١/ ٨١؛ كما في بحار الأنوار: ١٩/ ١٢٠.

وقال: ابدأ بقُباء فصلّ فيه فإنّه أول مسجد صلّى فيه رسول الله في هذه العرصة[١].

أول صلاة جمعة وأول خطبة:

عن علي بن الحسين عليه السلام قدم علي عليه السلام والنبيّ في بيت (بني) عمرو بن عوف فنزل معه، ثم تحوّل منهم إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه، مع طلوع الشمس من يوم الجمعة، فخطّ لهم مسجداً ونصب قبلته (إلى بيت المقدس) وصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين[٢].

قال: الحمد للَّه، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأُعادي من يكفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل وقلّة من العلم.

والخطبة هذه كما ترى واحدة، مع ما فيها من استشهاد بآيات من سور نازلة في ما بعد. ولكنّ ابن إسحاق قد روى الخطبتين عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: ثم راح (بعد العصر) من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها، وعليّ عليه السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيته، وليس يمرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة فإنّها مأمورة. فانطلقت به ورسول الله واضع لها زمامها، حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ـ وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله الذي يُصلّى عنده على الجنائز ـ فوقفت عنده وبركت ووضعت جِرانَها على الأرض، فنزل رسول الله.

وأقبل أبو أيوب مبادراً حتى احتمل رَحْلَه فأدخله منزله، ونزل رسول الله

(١) فروع الكافي: ١/٣١٨؛ كما في بحار الأنوار: ١٩/ ١٢٠.
(٢) روضة الكافي: ٣٣٨ ـ ٣٤١.

وعليّ معه (عنده) حتى بُني له مسجده وبنُيت له مساكنه ومنزل علي عليه السلام، فتحوّلا إلى منازلهما[١].

سائر أخبار وصول الرسول:

عن ابن شهاب الزُهري قال: كان ناس من المهاجرين قد قدموا على (بني) عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله فنزلوا فيهم.. فلمّا أقبل رسول الله ووافى ذا الحليفة سأل عن طريق بني عمرو بن عوف فدلّوه.

فوافى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونزل، واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف وسُرّوا به، فنزل على شيخ صالح منهم مكفوف البصر هو كلثوم بن هِدم. وبنو عمرو بن عوف من بطون الأوس. فأقبل رسول الله يتصفّح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج.. لما كان بينهم من الحروب والعداوة.

فلمّا صلّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة المغرب والعشاء الآخرة جاء أسعد بن زُرارة مقنّعاً فسلّم على رسول الله ثم قال: يا رسول الله، ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك، إلا أنّ بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم، فكرهت أن آتيهم، فلمّا أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك!

فقال رسول الله للأوس: من يجيره منكم؟

فقالوا: يا رسول الله، جوارنا في جوارك، فأجره.

قال: لا، بل يجيره بعضكم. فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: نحن نجيره، فأجاروه، فكان يختلف إلى رسول الله فيتحدث عنده ويصلي خلفه.

فلمّا أمسى رسول الله فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول الله بقُبا نازلاً على كلثوم بن هِدم.

---

(١) روضة الكافي: ٢٨٠، وهذا يقتضي أن تكون الفواطم معه أيضاً.

فجاء أبو بكر فقال: يا رسول الله تدخل المدينة، فإنّ القوم متشوّقون إلى نزولك عليهم. فقال: لا أريم من هذا المكان حتى يوافي أخي علي عليه السلام.

فقال أبو بكر: ما أحسب علياً يوافي! فقال: بلى ما أسرعه إن شاء الله.

فبقي خمسة عشر يوماً فوافى علي عليه السلام بعيال الرسول وعياله وبقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد قدوم علي يوماً أو يومين، ثم ركب راحلته فاجتمع إليه بنو عمرو بن عوف فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا فإنّا أهل الجِدّ والجَهدْ والحلقة والمنَعة! فقال: دعوها فإنها مأمورة (أي الناقة).

وبلغ سائر الأوس والخزرج خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلبسوا السلاح وأقبلوا يعدون حول ناقته، وأخذ لا يمرّ بحيّ من أحياء الأنصار إلا وثبوا في وجهه وأخذوا بزمام ناقته وتطلّبوا إليه أن ينزل عليهم. ورسول الله يقول: خلّوا سبيلها فإنها مأمورة.

وكان خروج رسول الله من قُبا يوم الجمعة، فوافى بني سالم عند زوال الشمس.

فأرخى زمام ناقته، فمرت تخبّ به حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم، وكان مِرْبَداً ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل، وكانا في حِجْر أسعد بن زُرارة، فبركت الناقة على باب أبي أيّوب خالد بن يزيد، فنزل عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلمّا نزل اجتمع عليه الناس وسألوه أن ينزل عليهم، فوثبت أم أبي أيوب إلى الرَّحْل فحملته وأدخلته منزلها. فلما أكثروا عليه قال رسول الله: أين الرحل؟ فقالوا: أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها. فقال: المرء مع رحله. وأخذ أسعد بن زُرارة بزمام الناقة فحوّلها إلى منزله.

بناء مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله):

وكان (صلى الله عليه وآله) يصلي بأصحابه في المِربَدَ[1] فقال لأسعد بن زُرارة: اشترِ هذا

(١) المربِد: موضع نزول الإبل، وتجفيف التمور.

المِرْبَد من أصحابه.. فاشتراه بعشرة دنانير. وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله فَسُيِّل، وأمر باللبِن فضُربت. وحفروا في الأرض، ثم أمر بالحجارة فنُقلت إليه من الحرَّة (موضع الحجارة السود خارج المدينة) فأقبل رسول الله يحمل حجراً على بطنه، فاستقبله أُسيد بن حُضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمل عنك. قال: لا، اذهب فاحمل غيره. فنقلوا الحجارة (يضعونها في حفرة الجدار) حتى بلغ وجه الأرض فبناه بالسعيدة: (لبنة لبنة)، ثم بناه بالسميط (وهو لبنة ونصف)، ثم بناه بالأنثى والذكر: (لبنتين مخالفتين)، حتى رفع الحائط قدر قامة في مئة ذراع[١].

هذا، وقد روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن عبد الأعلى مولى آل سام قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كم كان طول مسجد رسول الله؟ قال: كان ثلاثة آلاف وستمئة ذراع مكسّرة[٢].

وظاهر الخبر السابق عن علي بن إبراهيم القمي: أنّ الأنحاء الثلاثة في البناء كانت في مرة واحدة.

وفاة أسعد بن زُرارة وصلاة الجنائز:

وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زُرارة، أخذته الذبحة أو الشهقة. هذا والمسجد يبْنى.

ثم روى أنّ رسول الله قال: بئس الميّت أبو أمامة! اليَهودُ ومنافقو العرب يقولون: لو كان نبيّاً لم يمت صاحبه! ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً[٣].

---

(١) إعلام الورى: ١/ ١٥٩، بتغيير يسير في الترتيب؛ ونقله القطب الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣٨.

(٢) فروع الكافي: ١/ ٨١ و٣١٧؛ والصدوق في الفقيه: ١/ ٧٥؛ والطوسي في التهذيب: ١/ ٣٢٧؛ كما في الوسائل: ٣/ ٥٤٦.

(٣) ابن هشام: ٢/ ١٥٣.

وهذا أول مورد ورد فيه ذكر المنافقين في المدينة.

كان أسعد بن زُرارة أول ميت بالمدينة من الأنصار، ودفن بالبقيع، ولم يكن قبل ذلك صلاة على الجنائز[١].

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله في بيت أبي أيوب حتى بُني له مسجده ومساكنه، ثم انتقل من بيت أبي أيوب إلى مساكنه[٢] ولم يُعيِّن مدة ذلك.

وكان مدة مُقامه عنده من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة القابلة[٣] وقيل سبعة أشهر، وقيل شهراً واحداً[٤].

أمّا عليّ عليه السلام فإنما حمل معه أمه فاطمة بنت أسد ومعها من بنات الرسول فاطمة، وأمّا سائر بناته: فزينب مع زوجها أبي العاص بن الربيع، ورقية مع زوجها عثمان في هجرة الحبشة، وأمّا أم كلثوم فقد مرّ أن عكرمة كان قد طلّقها ولم يذكر أنها هاجرت إلى الحبشة، ولم يذكر أن علياً عليه السلام حملها مع أختها فاطمة إلى المدينة. ولكن قالوا: إنّ رسول الله بعث أبا رافع القبطي وزيد بن حارثة الكلبي من المدينة إلى مكة فحملا إليه زوجته سودة بنت زمعة وسائر بناته[٥] بل هي أم كلثوم فقط. ويبدو أنّ ذلك كان قبل دخوله بعائشة لما مرّ أنّ أوّل بيت بناه كان لسودة ثم لعائشة فيبدو أنّ ذلك كان في الشهر السابع رمضان قبل دخوله بعائشة في الشهر الثامن شوّال، وعليه فمدة إقامته بدار أبي أيوب سبعة أشهر وفيها بني مسجده وبيته.

---

(١) تاريخ المدينة: ١/ ٩٦.
(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٤٣.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٨٦.
(٤) وفاء الوفاء: ١/ ٢٦٥؛ والسيرة الحلبية: ٢/ ٦٤.
(٥) الطبري: ٢/ ٤٠٠؛ وعنه الكازروني في المنتقى، وعنه في بحار الأنوار: ١٩/ ١٢٩.

تشريع أذان الإعلام:

قالوا: وفي السنة الأولى من الهجرة شُرّع الأذان[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: سُئل الحسين بن علي عليه السلام عن قول الناس في الأذان: إنَّ السبب فيه كان رؤيا رآها عبد الله بن زيد فأخبر بها النبيّ فأمر بالأذان، فغضب عليه السلام وقال: الأذان وجه دينكم، والوحي ينزل على نبيّكم وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟! بل سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله عزّ وجلّ ملكاً حين عرج برسول الله ـ وساق حديث المعراج بطوله إلى أن قال ـ فبعث الله ملكاً لم يُر في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده، فأذّن مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى. ثم قال جبرائيل للنبيّ: يا محمد هكذا أذّن للصلاة[2].

ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ تشريع أذان الإعلام كان من حين رجوعه (صلى الله عليه وآله) من ذلك المعراج في مكة، بل لعله كان كما روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: هبط جبرائيل بالأذان على رسول الله وكان رأسه في حجر عليّ عليه السلام فأذّن جبرائيل وأقام. فلمّا انتبه رسول الله قال: يا علي سمعت؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: حفظت؟ قال: نعم. قال: ادعُ بلالاً فعلّمْه. فدعا علي عليه السلام بلالاً فعلّمه[3].

وروى بسنده عن الصادق عليه السلام قال: قال (رسول الله) لبلال: إذا دخل الوقت يا بلال أُعلُ فوق الجدار ـ وكان طول حائط مسجد رسول الله قامة ـ وارفع صوتك بالأذان[4].

---

(١) بحار الأنوار: ١٩/ ١٣١؛ عن المنتقى للكازروني.

(٢) دعائم الإسلام: ١/ ١٤٢؛ وعنه في مستدرك الوسائل: ٤/ ١٧؛ ومثله عن الجعفريات: ٤٢.

(٣) فروع الكافي: ٨٣؛ ومن لا يحضره الفقيه: ١/ ٥٧؛ والتهذيب: ١/ ٢١٥.

(٤) فروع الكافي: ١/ ٨٤؛ والتهذيب: ١/ ١٥٠.

وهذا يقتضي أنَّ الأذان كان بعد بناء المسجد، وقد مرّ ترجيح أنه كان بعد سبعة أشهر من الهجرة، أي في شهر رمضان المبارك من السنة الأولى للهجرة.

وقال اليعقوبي: وكان بلال يؤذّن، ثم أذّن معه ابن أم مكتوم، أيهما سبق أذّن، فإذا كانت الصلاة أقام واحد.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الأنصار والمهاجرين أُخوّة الدين، فكان يؤاخي بين الرجل ونظيره. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: هذا أخي.

قال حذيفة: فرسول الله ـ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول ربّ العالمين الذي ليس له في الأنام شبه ولا نظير، ـ وعلي بن أبي طالب أَخَوَان[١].

وأضاف: وكان حمزة بن عبد المطلّب[٢] أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت. وجعفر بن أبي طالب[٣] ذو الجناحين الطيّار في الجنة ومُعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين. وكان أبو بكر الصدّيق ابن أبي قحافة وخارجة بن زُهير الخزرجي أخوين. وعمر بن الخطاب وعِبان بن مالك الخزرجي أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر الخزرجي أخوين.. والزبير بن العوّام وسلمة بن سلامة أخوين.. وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين.. وعبد الرحمان بن عوف وسعد بن الربيع الخزرجي أخوين.. وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن معاذ أخوين.. ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب (الأنصاري الخزرجي) أخوين.. وعمار بن ياسر وحذيفة بن

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٨٧، ح١٢١٥؛ وعنه في بحار الأنوار: ٣٨/ ٣٣٣؛ ورواه ابن طاووس في الطرائف: ٢٨؛ عن مناقب ابن المغازلي: ٤٢؛ كما في بحار الأنوار: ٣٨/ ٣٤٦.
(٢) وهذا يقتضي أنّ عقد الأخوّة كان قبل أُحُد في الثالثة.
(٣) وهذا يقتضي أنّ يكون عقد الأُخوّة بعد خيبر في السابعة! وهذا غريب!.

اليمان حليف الخزرج أخوين.. وأبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو الخزرجي أخوين.. وسلمان الفارسي[١] وأبو الدّرداء عويمر أخوين. وبلال مؤذّن رسول الله وأبو رويحة الخثعمي أخوين.. فهؤلاء ممن سُمّي لنا ممن كان رسول الله آخى بينهم من أصحابه[٢].

ونقل المقريزي في «إمتاع الأسماع» عن عبد الرحمان بن الجوزي قال: أحصيت جملة من آخى النبيّ صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا مئة وستة وثمانين رجلاً. ويقال: كانوا تسعين رجلاً: خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعين رجلاً من الأنصار. ويقال: خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء. ويقال: إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري.

وصرّح ابن سيد الناس بأنّ هذه المؤاخاة كانت قبل الهجرة[٣] كما جاء في «السيرة الحلبية» أيضاً[٤] وهو الظاهر من رواية الحاكم الحسكاني النيشابوري في «المستدرك على الصحيحين»[٥].

أوّل سريّة بالمدينة:

إنّ عير قريش جاءت من الشام تريد مكّة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وفيها أبو جهل (بن هشام) في ثلاثمئة راكب من أهل مكة. فعقد رسول الله لواءً (أبيض) لحمزة بن عبد المطّلب، وكان أول لواء

---

(١) وهذا يقتضي أنّ يكون عقد الأُخوّة بعد الخندق في الخامسة!

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٥١ ـ ١٥٣.

(٣) السيرة لابن سيد الناس: ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣؛ كما في الغدير: ٣/ ١١٤؛ وقد ذكر الأميني في الغدير عدداً من مصادر أخبار المؤاخاة بين النبيّ والوصي: ٣/ ١١١ ـ ١٢٥ من العامة؛ والمجلسي في بحار الأنوار: ٣٨/ ٣٣٠ ـ ٣٤٧ عن العامة والخاصة؛ وذكر ابن عساكر عشرين خبراً بإسنادها في ذلك، من الخبر ١٤١ إلى ١٦١؛ وأضاف المحقّق المحمودي مصادر أخرى للأخبار من صفحة ١١٧ إلى ١٣٢ من القسم الأوّل من ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تأريخ دمشق لابن عساكر.

(٤) السيرة الحلبية: ٢/ ٢٣ و١٠٢.

(٥) مستدرك الحاكم: ٣/ ٤.

عقده بعد أن قدم المدينة (وكان يحمله أبو مرثد الغنوي)[1]، بعثه في ثلاثين راكباً خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار، يعترضون لعير قريش.

فبلغوا سِيف البحر والتقوا هناك واصطفّوا للقتال. وكان مجديّ بن عمرو حليفاً(؟) للفريقين فلم يزل يمشي إلى هؤلاء وإلى هؤلاء حتى انصرف القوم وانصرف حمزة راجعاً إلى المدينة في أصحابه.

وكان مجديّ بن عمرو الجُهَنيّ موادعاً للفريقين فحجز بينهم[2].

سريّة عُبيدة بن الحارث:

ثمّ عقد لواءً لعبيَدة بن الحارث، في شوّال على رأس ثمانية أشهر، إلى رابغ ـ ورابغ على عشرة أميال من الجُحفة إلى قُديد ـ فخرج عبُيدة في ستّين راكباً كلّهم من قريش (من المهاجرين ليس فيهم أنصاري) فلقي أبا سفيان بن حرب على ماءٍ يقال له أحياء من بطن رابغ، وأبو سفيان يومئذٍ في مئتين.. لم يسلّوا السيوف ولم يصطفّوا للقتال.. وتقدم سعد بن أبي وقّاص أمام أصحابه ونثر كنانته (ليرميهم) وترّس أصحابه عنه، فرمى بما في كنانته حتى أفناها، وكان فيها عشرون سهماً، وليس منها سهم إلا يقع فيجرح إنساناً أو دابّةً (ومع ذلك فإنّهم) لم يسلّوا السيوف ولم يصطفّوا للقتال، بل انصرفوا.. فقال سعد لعبُيدة: لو اتّبعناهم لأصبناهم فإنّهم قد ولّوا مرعوبين. فلم يتابعه عبُيدة على ذلك، بل انصرفوا إلى المدينة[3].

وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله لأحد من المسلمين، ولكنّ بعثَه وبعْثَ عبُيدة كانا معاً فشُبّه ذلك على الناس[4].

---

(١) الطبري: ٢/ ٤٠٢ عن الواقدي، وليس المغازي؛ وقال عنه اليعقوبي: كان حليفه: ٢/ ٧٠.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤٥؛ واليعقوبي: ٢/ ٦٩؛ وأشار إليه في: ٢/ ٤٤؛ والتنبيه والإشراف: ٢٠٠؛ والطبرسي في إعلام الورى بلا إسناد: ١/ ١٦٢.

(٣) مغازي الواقدي: ١/ ١٠ ـ ١١ بتصرّف؛ وكذلك في رواية الطبري عنه: ٢/ ٤٠٢؛ والتنبيه والإشراف: ٢٠١.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢ بتصرّف؛ واليعقوبي: ٢/ ٦٩ نقل نص ابن إسحاق.

بيت سَودة ثم عائشة:

مرّ عن السمهودي عن الذهبي: أنه (صلى الله عليه وآله) بنى بيت سودة أوّلاً.. ثم لما احتاج إلى منزل عائشة بناه، وهكذا سائر بيوته بناها في أوقات مختلفة[١].

أن دخوله بعائشة كان في شهر شوال الثامن من هجرته، وعليه فيبدو أنّ إرساله لأبي رافع القبطي وزيد بن حارثة الشيباني من المدينة إلى مكة ليحملا إليه أهله سودة بنت زمعة بن قيس كان قبل دخوله بعائشة في المدينة.

ورجع عبد الله بن أُريقط من المدينة إلى مكة فأخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه بالسُنح من المدينة، فخرج عبد الله بعيال أبيه إليه وفيهم عائشة ومعهم طلحة بن عبيد الله التيمي[٢].

ثم روى الطبري عن الكلبي: أنّ رسول الله تزوّج عائشة قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي ابنة سبع سنين، وجُمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهي ابنة تسع سنين، في شوال[٣].

سريّة الخرّار:

في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله لسعد بن أبي وقاص: اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرّار، فإنّ عيراً لقريش ستمرّ به. والخرّار من الجُحفة قريب من خُم[٤] وعقد له لواءً أبيض كان يحمله المقداد بن عمرو[٥] وعهد إليه أن لا يجاوز الخرّار.

---

(١) وفاء الوفاء: ٢/ ٤٦٢.

(٢) الطبري: ٢/ ٤٠٠؛ والمنتقى؛ وعنه في بحار الأنوار: ١٩/ ١٢٩.

(٣) ولكنه أضاف: «وكان وفاتها سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين» فيكون عمرها في زواجها اثنتي عشرة سنة لا تسعاً. ومن الطبيعي أن تصغّر المرأة عمرها!.

(٤) مغازي الواقدي: ١/ ١١.

(٥) الطبري: ٢/ ٤٠٣، عن الواقدي وليس في المغازي.

فخرج في أحد وعشرين رجلاً (مهاجراً) على أقدامهم، يكمنون النهار ويسيرون بالليل، فبلغوا الخرّار صباح الليلة الخامسة، فكان العير قد فاتهم فلم يدركوه فرجعوا[١]. وهذه هي السرية الثالثة والأخيرة في ثلاثة أشهر: رمضان وشوال وذي القعدة وقعدوا عن الخروج للحرب في الأشهر الحرم: ذي الحجة ومحرم، ويعود الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى القتال في شهر صفر من السنة الثانية.

وفالأولى رواية ابن إسحاق إذ تجعل الخرّار في جُمادى الأولى من السنة الثانية[٢].

موقف اليهود وأحبارهم:

إن اليهود في المدينة لمّا رأوا أنّ الله اختار رسوله من العرب دونهم حسدوه فكذّبوه وجحدوه وعادوه.

وكان أحبارهم، من بني النضير: حييّ بن أخطب، وأخواه، وابنا أخيه. ومن بني قُريظة: الزبير بن باطا بن وهب. ومن يهود بني قَينُقاع.

وكان حبرهم الأعلم الحُصين بن سلام، وهو الذي أسلم فسماه رسول الله: عبدالله[٣].

اليهود من حلف الأوس والخزرج إلى عهد المسلمين:

عن ابن عبّاس قال: إنّ اليهود كانوا فريقين: طائفة منهم بنو قَينُقاع، وهم حلفاء الخزرج، وطائفتا النضير وقُريظة، وهم حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينُقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كلّ فريق حلفاءه على إخوانه حتّى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم[٤].

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١١.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٥١.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٦٠ ـ ١٦٢.

(٤) التبيان: ١/ ٣٣٦؛ ومجمع البيان: ١/ ٣٠٣؛ وإليه الإشارة في قوله سبحانه: }ثمّ أنتم هؤلاء=

هذا وقد استجاب جمهور الخزرج لدعوة الإسلام وتبعهم الأوس، فلم يبق لحلفهم مع اليهود معنى..

نقل المحقق الأحمديّ هذه المعاهدة في كتابه القيمّ «مكاتيب الرسول» ثم علّق عليها يقول: إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان سيد الحكماء قبل أن يكون سيد الأنبياء، فقد آتاه رشده من قبل أن يؤتيه الكتاب، وكفى لذلك شاهداً هذه المعاهدة الخالدة الباقية ما بقي الدهر، قليل لفظها غزير معناها. فعلى القرّاء الكرام التدبّر في شروطها ونتائجها، فأرجِعوا النظر وفكروا في تفاصيلها[1].

ونحن نفهم من مفهومها ومنطوقها: أنَّ العرب يومئذٍ ـ ومنهم الخزرج والأوس واليهود منهم بالمدينة ـ كانوا إذا تحاربوا فأسر بعضهم بعضاً، كانت تجتمع كل طائفة فتفتدي الأسير منها، وإذا تقاتلوا فقتل بعضهم بعضاً كانت تجتمع كل طائفة فتؤدي العقل أي دية القتيل إلى أهله.

ونفهم أن الأنصار من الأوس كانوا أقلَّ من الخزرج، وأنَّ الأنصار من الخزرج كانوا على طوائف: بني عوف، وبني ساعدة، وبني الحارث، وبني جُشَم، وبني النجّار ـ ومنهم آمنة بنت وهب أم الرسول، فهُم أخواله ـ وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، وبني الأوس.

ونفهم أنَّ الأوس كان منهم يهود، وأنَّ الخزرج كذلك كان منهم يهود من طوائف: بني النجّار، وبني عوف، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جُشَم وبني ثعلبة ومنهم بنو جَفْنة، وبني الشُطَيبة.

ونفهم أنَّ هذه المعاهدة تركت المهاجرين من قريش على رِبعتهم أي حالتهم التي جاءهم الإسلام وهم عليها من فِداء الأُسراء وعقل القتلى أي ديتهم، وكذلك

=تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من دياركم تَظاهرون عليهم بالإثم والعدوان{ البقرة: ٨٥.

(١) مكاتيب الرسول: ١/ ٢٦١ و٢٦٣.

تركت الأنصار من الأوس والخزرج واليهود منهم على رِبعتهم أيضاً، لم تغيّر من ذلك شيئاً.

ونفهم أنَّ القودَ أي القِصاص كان مقرّراً وأقرّته هذه المعاهدة، إلا أن يرضى وليّ المقتول، إلا أنَّها استثنت قتل المؤمن قِصاصاً بكافر. وكذلك قررت المعاهدة قصاص الجراحة أيضاً.

ونفهم أنَّ البيّنة بمعنى الشهادة البيّنة كانت مفهومة وأقرّتها المعاهدة في القتل. وطبيعيّ بعد هذه المعاهدة أنَّ البيّنة تُقام عند النبيّ أو من أقرّه لذلك حاكماً أو قل قاضياً، أو من تراضى به الخصمان فترافعا إليه، مع سكوت المعاهدة عن ذلك.

ونفهم أنَّ الغزو والقتال في سبيل الله كانا قائمين، وقرّرت المعاهدة أنه إذا غزت جماعة غزواً فعليهم أن يعقب بعضهم بعضاً في الغزو على العدل والتساوي، فلا يسلم جمع من المؤمنين عن القتال في سبيل الله دون جمع آخرين.

وأنه يجوز أن يجير مؤمن ـ ولو من أدنى المؤمنين ـ كافراً. ولكن ليس له أن ينصر كافراً ـ ولو ولده ـ على مؤمن، ولا أن ينصر مُحدثاً ولا أن يؤويه.

أمّا الكفار المشركون في المدينة ومن حولها من الأعراب فلا يجوز لأحدهم أن يجير نفساً من مشركي قريش ولا مالاً له، فيحول دونه أو دون ماله على مؤمن(١).

واشترطت المعاهدة على اليهود:

١ ـ أن إذا حارب أحدٌ أهلَ هذه الصحيفة أو دَهَم يثرب فعلى اليهود النصح والنصرُ بنفقتهم. على كلّ أناس حصتهم التي من جانبهم.

---

(١) وهذا يعني أنهم كفّار حربيون لا أمان لهم من مثلهم، إلا من مؤمن. وهذا يقتضي الإذن في القتال أيضاً.

٢ ـ وأنّه إذا دُعي المسلمون إلى صلح فدعا المسلمون اليهود إليه كان عليهم أن يستجيبوا لذلك.

٣ ـ وأن لا يجيروا قرشياً ولا من نَصَرها.

٤ ـ وأن لا يجيروا حُرمةً من غير قريش والمحاربين إلا بإذن أهلها.

٥ ـ وأنهم إذا اختلفوا في شيء فمردّه إلى محمد رسول الله.

واشترطت المعاهدة لهم:

١ ـ أنّ من تبعنا من اليهود فإنَّ له أُسوة بغيره من المسلمين، وله النصر على المسلمين بنفقتهم ولا يُتناصر عليه.

٢ ـ وأنّ لهم أن يجيروا غير قريش والمحاربين بشرط أن يكون الجوار بإذن أهل الداخل في الجوار.

٣ ـ وأنّ لهم أن يصالحوا غير قريش والمحاربين ولهم ذلك على المؤمنين.

وتوكيداً للأمن بين المسلمين واليهود حرّم الرسول في المعاهدة جوف يثرب على أهل الصحيفة لصالحهم.

وبذلك أمن المسلمون ـ حسب المعاهدة ـ على أموالهم وذراريهم ودورهم وزروعهم، من أن يتّحد اليهود مع المشركين عليهم. وبه وجدوا مجالاً لقتال المشركين ولنشر الدين.

وتحريم النبيّ لمدينة «يثرب» إمّا ضمن هذه المعاهدة أو مستقلاً، كان مكتوباً في أديم خَولاني عند رافع بن خديج جابه به مروان بن الحكم لمّا ذكر حرمة مكة[1]. ولا يذكر ابن إسحاق سنده إلى المعاهدة، فلعلّه اكتتبها من رافع بن خديج هذا.

---

(١) كما في مسند أحمد: ١٤١/٤.

ونلاحظ أنّ اسم المدينة «يثرب» في هذه المعاهدة على ما كان عليه لم يُغيّر، وهذا يتّفق مع ما رُوي عن أبي قتادة الأنصاري وسهل بن سعد الساعدي: أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لما قدم من غزوة تبوك قال: هذه طيبة أسكننيها ربّي[1].

رأس المنافقين:

ركب رسول الله إلى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته، على حمار مخطوم بخطام من الليف فوقه قطيفة فدكيّة، فركبه وأردفني خلفه. فمرّ في طريقه إلى سعد على عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وهو في ظلٍّ وحوله رجال من قومه منهم عبد الله بن رواحة في رجال من المسلمين، فلمّا رآه رسول الله كره أن يتجاوزه ولا ينزل إليه. فنزل وسلّم وجلس قليلاً. ثم تلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجلّ وذكر الله وحذّر وبشّر وأنذر، وابن أُبيّ ساكت لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله من مقالته، قال: يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا ـ إن كان حقّاً ـ! فاجلس في بيتك! فمن جاءك له فحدّثْهُ إيّاه، ومَن لم يأتك فلا تَغْشَه به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه!.

فقال عبد الله بن رواحة: بلى فاغشَنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا! فهو والله ممّا نحبّ ومما أكرمنا الله به وهدانا له.

نزول سورة البقرة:

قال ابن إسحاق: بلغني أنّ صدر سورة البقرة إلى المئة منها[2]، نزل في هؤلاء المنافقين من أحبار اليهود والأوس والخزرج.

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبّة: ١/١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) هي قوله سبحانه: }أو كلّما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم، بل أكثرهم لا يؤمنون{ وبعدها قوله: }ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون{ ممّا ظاهره وحدة السياق، وقد نقل ابن إسحاق ما يقتضي ذلك كذلك أيضاً، بل استمرّ في سياق الآيات بشأن اليهود إلى الآية المئة والسبعين. كما سيأتي ذلك. وروى في «فتح الباري»: ٨/ ١٣٠ عن عائشة قالت: نزلت سورة البقرة وأنا عنده.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ شكاً. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي إنّما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب إلى آخر الآيات!

ويُفهم من سياق الآيات أنّ هناك أسباباً لنزولها.

فمنها: ما يفهم من سياق الآية: ٢٦: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾: إنّ الذين كفروا وجهروا بالكفر أو نافقوا كانوا قد سمعوا الآية ٤١ من سورة العنكبوت المكيّة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ فقالوا: ماذا أراد الله من ذكر هذا؟[1] أو إنّ الله أجلّ من أن يضرب مثلاً[2] فردّ الله عليهم بهذه الآية من سورة البقرة.

ومنها: أنّ اليهود كانوا يزعمون جهلاً أنهم إذا أقرّوا برسول الله لزمهم الإقرار، وإلا فإنّ لهم الإنكار، ولذلك كانوا يتواصون بالإنكار وأن لا يتحدثوا إلى المسلمين بما فتح الله للمسلمين على اليهود برسول الله بعد أن كانوا هم (اليهود) يستفتحون به على غيرهم من العرب في يثرب. وكأنّهم إذا تحدّثوا إلى المسلمين بذلك قامت الحجة عليهم بذلك، وإن لم يتحدثوا إليهم بذلك لم يكن علمهم بذلك حجة عليهم! فردّ الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ

---

(١) التبيان: ١/ ١١١ عن قتادة. وأرى أنّ إضافة الذّباب إلى العنكبوت من خطأ الرواة إذ إنّ الذباب في سورة الحج المدنية المتأخرة عن البقرة بكثير.

(٢) التبيان: ١/ ١١١ عن ابن عباس وابن مسعود.

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1].

عن الباقر عليه السلام قال: كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمد (صلى الله عليه وآله) فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا: لا تخبروهم بما (فتح الله عليكم) في التوراة من صفة محمد (صلى الله عليه وآله) فيحاجُّوكم به عند ربكم. فنزلت الآية[2].

(١) البقرة: ٧٦ و٧٧؛ والخبر في سيرة ابن هشام: ٢/ ١٨٥ بالمعنى.
(٢) التبيان: ١/ ٣١٦؛ ونقله في مجمع البيان: ١/ ٢٨٦.

الفصل الثاني

أهم حوادث السنة الثانية للهجرة

أُولى الغزوات غزوة الأبواء[1]:

قدم رسول الله المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول.. فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، والجماديين، ورجباً وشعبان، وشهر رمضان، وشوّالاً، وذا القعدة وذا الحجة والمحرم.

ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، حتى بلغ وَدّان ـ وهي غزوة الأبواء ـ يريد قريشاً[2].

ولاقى بني ضمرة من كنانة، فوادعه سيدهم مخشيّ بن عمرو الضَمْري[3] فكاتبهم على أن لا يعينوا عليه أحداً ولا يُكثروا عليه (فكان ثاني عهد بعد عهد اليهود) ثم رجع، فكانت غيبته عن المدينة خمس عشرة ليلة[4] وكان معه في هذه الغزوة علي عليه السلام[5] فلعله هو الذي كتب كتاب العهد.

فأقام في المدينة بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول[6].

---

(١) الأبواء: من قرى المدينة بعد الجحفة بثلاثة وعشرين ميلاً = ٤٦ كم، معجم البلدان: ١/ ٩٢.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤١.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤١.

(٤) مغازي الواقدي: ١/ ١٢.

(٥) الإرشاد: ١/ ٧٩، برواية البختري القرشي.

(٦) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤١.

زواج عليّ بالزهراء عليها السلام (العقد):

زوّجها رسول الله بعليٍّ بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله، فلما زوّجها علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوّجته ولكنّ الله زوّجه[1].

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: تزوّج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة لليال بقين من شهر صفر من السنة الثانية[2].

فالراجح إذاً، أن نبني في تاريخ الزواج على تحديد الطبري: لليال بقين من صفر، وفي تاريخ الزفاف على تحديد الدولابي، بإضافة تحديد اليوم من «مصباح المتهجّد» قال: في أول يوم من ذي الحجة زوّج رسول الله فاطمة بأمير المؤمنين عليه السلام[3].

وعليه فالفاصل الزمني بين الأمرين كان عشرة أشهر تقريباً، ولعلَّ الإسراع بالعقد عليها كان ليقول الرسول كلمة الفصل في الإجابة على الخطوبات المُلِحَّة لها، وعدم الإسراع في زفافها كان نظراً لصغرها ريثما تتعدّى طور الصِّبا وتكبر عنه شيئاً ما فتبلغ مبالغ النساء جسداً، وإن كانت هي سيدتهنّ عقلاً ونُبلاً، وحكمة ودراية بالأُمور، بل هي معصومة عن الرجس والشرور، وعن التقصير والقصور.

عن علي بن إبراهيم القمي قال: وكان رسول الله حيث بنى منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده، فخطبها أبو بكر، فقال له رسول الله: أنتظر أمر الله عزّ وجلّ، ثم خطبها عمر فقال له مثل ذلك. فقالوا لعليّ: لِمَ لا تخطِب فاطمة؟ قال: والله ما عندي شيء. فقيل له: إنّ رسول الله لا يسألك شيئاً.

فجاء إلى رسول الله فاستحيا أن يسأله، فرجع.

---

(١) اليعقوبي: ٢/ ٤١.
(٢) الطبري: ٢/ ٤١٠.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٩٢.

ثم جاءه في اليوم الثاني فاستحيا، فرجع.

ثم جاءه في اليوم الثالث فقال له رسول الله: يا عليّ، ألك حاجة؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: لعلك جئت خاطباً؟

قال: نعم، يا رسول الله.

قال: فهل عندك شيء يا عليّ؟

قال: ما عندي شيء ـ يا رسول الله ـ إلا درعي(١).

فزوّجه رسول الله على اثنتي عشرة أوقية ونشّ(٢) ودفع إليه درعه(٣).

وقد يستغرب السامع من خطبة أبي بكر لفاطمة، ويلاحظ أنّ ذلك كان متزامناً مع بناء النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعائشة ابنة أبي بكر، فلعلّ أبا بكر كان يرى ذلك مبرّراً لخطبته ابنة النبيّ لنفسه.

غزوة بُواط:

وأقبلت قافلة تجارة لقريش فيها مئة رجل منهم، وفيهم أُميّة بن خلف، ومعهم ألفان وخمسمئة بعير. فغزاهم رسول الله في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً، يعترض للقافلة، حتى بلغ بُواط من المدينة على ثلاثة بُرد نحو ناحية ذي خُشب (اثني عشر فرسخاً = ستة وستين كيلومتراً) ولم يلق قتالاً فرجع(٤).

ثم رجع إلى المدينة فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى(٥).

---

(١) من هنا يُعلَم أنه كان قد أعدّ درعاً لنفسه للمشاركة في السرايا التي كانت قد بدأت.

(٢) النشّ: هو النصف أي ونصف الأوقية، وقد مرّ في مهر الرسول لخديجة تقديره.

(٣) أعلام الورى: ١/ ١٦١ وليس في تفسير القمي. ومعنى الخبر أنّ المهر كان غائباً على الذمة.

(٤) مغازي الواقدي: ١/ ١٢.

(٥) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤٨؛ واختصر الخبر الطبرسي في إعلام الورى: ١/ ١٦٤.

غزوة بدر الأولى (الصغرى):

أغار كرْز بن جابر الفهري (من مشركي قريش) على (مواشٍ) لأهل المدينة كانت ترعى بنواحي الجماء (على ستّة كيلومترات نحو الجُرف).

فغزا في طلبه رسول الله في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً[١] حتى بلغ (بئر) بدر، ولم يدركه[٢] وكان يحمل لواءه علي بن أبي طالب عليه السلام، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة[٣] بينما يؤرخها ابن إسحاق بقرب العشر من جمادى الآخرة[٤].

غزوة ذي العُشيرة:

وجاءه الخبر بفصول العِير من مكة تريد الشام، قد جمعت قريش لها أموالها فهي في تلك العِير. فندب أصحابه فخرج في مئة وخمسين أو مئتين، يعترض لِعير قريش، على رأس ستة عشر شهراً، فسلك على نَقْب بني دينار إلى بيوت السُقيْا (إلى جهة الجُحفة)[٥].

عليّ أبو تراب:

عن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة، فلمّا نزلها رسول الله وأقام بها، رأينا أُناساً من بني مُدْلج يعملون في عين لهم وفي نخل. فقال لي عليّ بن أبي طالب: يا أبا اليقظان، هل لك في أن نأتي هؤلاء، فننظر كيف يعملون؟ قلت: إن شئت.

---

(١) هكذا يؤرخ الواقدي عن لسان رواته حتى يبلغ ستة وخمسين شهراً، أي خمس سنين من الهجرة، ممّا قد يدل على عدم وجود قرار بالتأريخ بالسنين من الهجرة.

(٢) مغازي الواقدي: ١/ ١٢.

(٣) الطبري: ٢/ ٤٠٧ عن الواقدي ولا يوجد في المغازي المنشور.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٥١.

(٥) مغازي الواقدي: ١/ ١٢.

فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشيَنا النومُ، فانطلقتُ أنا وعليّ حتى اضطجعنا بين صغار النخيل، في التراب اللّين فنِمنا. فما أيقظنا إلا رسول الله يحركنا برجله وقد تترّبنا من ذلك التراب اللين الذي نِمنا فيه، وقال لعليّ: ما لك يا أبا تراب؟ لِما رأى عليه من التراب.

ثم قال لنا: ألا أُحدثكما بأشقى الناس رَجُلَين؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة. والذي يضربك يا علي على هذه ـ ووضع يده على مقدّم رأسه ـ حتى يبُلّ منها هذه. وأشار إلى لحيته[١].

ثم رجع إلى المدينة.. فأقام بها بقية جُمادى الآخرة ورجباً وشعبان[٢].

سريّة نخلة:

عن عبد الله بن جحش قال: حين صلى العشاء رسول الله دعاني فقال: وافِ مع الصبح معك سلاحك أبعثْك وجهاً. فوافيت صلاة الصبح وعليّ سيفي وقوسي وجَعبتي ومعي دُرَقتي. فلمّا صلّى النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالناس الصبح سبقته إلى باب داره، وإذا معي نفر من قُريش، وانصرف النبيّ عن صلاته فوجدني واقفاً عند بابه ومعي نفر من قريش، فدخل رسول الله، ودعا أُبيّ بن كعب فدخل عليه، فأمره فكتب صحيفة من أديم خَوْلاني[٣] فأعطانيها وقال: استعملتك على هؤلاء النفر (وأشار إلى النفر من قريش) فامض حتى إذا سرتَ ليلتين فانشُر كتابي ثم امض لما فيه.

قلت: يا رسول الله، أيّ ناحية؟

فقال: اسلك النجديّة تؤمّ ركيّةً[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) البداية والنهاية: ٣/ ٢٤٨.

(٣) خَولان: قريتان باليمن والشام كما في معجم البلدان: ٥/ ٩٤، والأديم من إحداهما، وهذه أول مرة يذكر فيها أُبيّ بن كعب كاتباً لرسول الله في غير الوحي، بعد الهجرة.

(٤) الركيّة: البئر.

فانطلق حتى إذا كان ببئر ابن ضُميرَة نشر الكتاب فقرأه فإذا فيه: سِر على اسم الله وبركاته، ولا تُكرهَنّ أحداً من أصحابك على المسير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة، فترصَّدْ بها عِير قُريش[١] وتَعلَّمْ لنا من أخبارهم[٢].

فلما قرأ عليهم الكتاب قال لهم: لست مستكرهاً أحداً منكم، فمن كان يُريد الشهادة[٣] فليمضِ، فاني ماضٍ لأمر رسول الله، ومن أراد الرجعة، فمن الآن.

فقالوا: نحن سامعون مطيعون للّه ولرسوله ولك، فَسِر على بركة الله حيث شئت.

فسار حتى بلغ نخلة، فوجد عيراً لقريش، فيها: عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كَيسان المخزومي (مولاهم) وعثمان بن عبد الله المخزومي، ونوفل بن عبد الله المخزومي[٤].

وكان ذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخُلنّ الحرم فليمتنعُنّ به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام[٥].

وغلب على الأمر الذين كانوا يريدون عرض الحياة الدنيا[٦] فشجّعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم[٧].

فخرج واقد بن عبد الله يقدم القوم قد فوّق سهمه في قوسه وكان لا يخطىء،

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٣.
(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٥٢.
(٣) وهذه أول مرة تذكر فيها الشهادة، ممّا يشهد أنّ رسول الله كان قد شرحها لهم.
(٤) مغازي الواقدي: ١/ ١٤.
(٥) بالحرمة القديمة أو بالسنة. والخبر في السيرة: ٢/ ٢٥٣.
(٦) مغازي الواقدي: ١/ ١٤.
(٧) ابن هشام: ٢/ ٢٥٣.

فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله. وشدّ القوم عليهم. فهرب نوفل بن عبد الله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكَم بن كيسان (مولاهم) واستاقوا العير(١).

وأقبل عبد الله بالأسيرين والعير، وكان ذلك قبل أن يفرض الله الخمس في المغانم، فقال عبد الله لأصحابه: إنّ لرسول الله ممّا غنمنا الخمس، فعزل لرسول الله خمس العير، وقسم سائرها بين أصحابه.

فلمّا قدموا على رسول الله المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام.

فلما قال رسول الله ذلك سُقِطَ في أيدي القوم وظنّوا أنهم قد هلكوا. وعنّفهم إخوانهم من المسلمين في ما صنعوا.

ووقّف رسول الله العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً(٢)، حتى رجع من بدر، فقسّمها مع غنائم أهل بدر.

وفي شهر شعبان من هذه السنة الثانية قال الطبري والمسعودي: فُرض صوم شهر رمضان(٣).

غزوة بدر الكبرى:

كانت بدر على رأس ستة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة(٤) وكان سبب ذلك أنَّ عيراً لقريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم (ورجعت)(٥) فأمر رسول الله أصحابه بالخروج إليها ليأخذوها وأخبرهم: أن الله قد وعده إحدى

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٥.
(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٥٤.
(٣) الطبري: ٣/ ٤١٧؛ والتنبيه والإشراف: ٢٠٣، ولم يقولا بنزول آيات الصيام.
(٤) تفسير القمي: ١/ ٢٧١.
(٥) قال الواقدي: ولمّا تحيّن رسول الله انصراف العير من الشام.. بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتجسّسان خبر العير، قبل خروجه من المدينة بعشر ليال: ١/ ١٩، ثم يقول: وخرج يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان: ١/ ٢١، فكان بعث الرجلين في الثاني من رمضان.

الطائفتين: إمّا العير وإمّا قريش إن ظفر بهم. فخرج في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً[(١)].

وكان في العير أبو سفيان[(٢)] فلمّا بلغه أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قد خرج يتعرض للعير[(٣)] خاف خوفاً شديداً. فلمّا وافى البهرة (من نواحي المدينة) اكترى ضمضم بعشرة دنانير وأعطاه قَلوصاً وقال له: امض إلى قريش وأخبِرهم: أنّ محمداً والصبُاة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم فأدركوا العير. وأوصاه: أن يخرم أنف ناقته ويقطع أُذنها حتى يسيل الدم، ويشق ثوبه من قُبُل ودُبُر، فإذا دخل مكة ولى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب، اللطيمةَ اللطيمةَ، العيرَ العيرَ، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإنّ محمداً والصُباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم!.

فخرج ضمضم يُبادر إلى مكة، ووافاها ينادي في الوادي: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمةَ اللطيمةَ، العيرَ العيرَ، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإنّ محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم التي فيها خزائنكم!.

---

(١) وقال الواقدي: وخرج رسول الله بمن معه يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان حتى انتهى إلى بيرت السقيا بالبُقع من نقب بني دينار، وبيوت السقيا متصلة بالمدينة: ١/ ٢١، وكانت تسمى البُقع فسماها النبيّ بيوت السقيا: ١/ ٢٣ وضرب عسكره هناك واستعرضه وصلى في بيوت السقيا ودعا لأهل المدينة (وسماها المدينة) فقال:
«اللهمَّ إنّ إبراهيم عبدك وخليلك ونبيّك دعاك لأهل مكة، وإني محمد عبدك ونبيّك أدعوك لأهل المدينة: أن تبارك لهم في مدّهم وصاعهم وثمارهم. اللهمَّ حبّب إلينا المدينة، واجعل ما بها من الوباء بخُمّ. اللهمَّ إني قد حرّمت لابتيها كما حرّم إبراهيم خليلك مكة»: ١/ ٢٢.

(٢) في إعلام الورى: ١/ ١٦٨: في أربعين راكباً من قريش تجاراً قافلين من الشام.

(٣) روى الواقدي: ١/ ٢٨، عن عبد الله بن جعفر عن أبي عون مولى المِسوَر، عن مخرمة بن نوفل قال: أدركنا بالشام رجل من جذام فأخبرنا: أنّ محمداً كان قد عرض لعيرنا في بدأتنا، وأنه ينتظر رجعتنا وقد حالف أهل الطريق ووادعهم. وعن عمرو بن العاص: أنه لقيهم في رجوعهم من غزّة الشام بالزرقاء بناحية مَعان من أذرعات على مرحلتين. وأنه قال: عرض لكم محمد وأصحابه في بدأتكم فأقام شهراً ثم رجع إلى يثرب.

خروج رسول الله:

وكان في عسكره فرسان: فرس للزبير بن العوّام، وفرس للمقداد بن عمرو، وكان لهم سبعون جملاً يتعاقبون عليها، فكان رسول الله وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل مرثد[1].

إفطار الصوم وقَصْر الصلاة:

أنَّ النبيّ أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم يومئذٍ وشرب منه.

أي نهار اليوم الأوّل من سفره في شهر رمضان بعد فرض الصيام فيه. وبعد يوم أو يومين ـ قال الواقدي ـ نادى مناديه: يا معشر العصاة إنّي مُفطر فأفطِروا! وذلك أنّه قد كان قال لهم قبل ذلك: أفطِروا، فلم يفعلوا[2].

وأقبل أبو سفيان بالعير، فلمّا شارف بدراً تقدم العير وأقبل وحده حتى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جُهينة يقال له: كشد الجُهني فقال له: يا كشد، هل لك علم بمحمد وأصحابه؟ قال: لا. قال: واللات والعزّى لئن كتمتنا أمر محمد فلا تزال قريش معاديةً لك آخرَ الدهر؛ فإنه ليس أحد من قريش إلا وله في هذه العير شيء فصاعداً، فلا تكتمني.

فقال (كَشَد): والله ما لي علم بمحمد، وما بال محمد وأصحابه بالتجار؟! إلا أني رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا وأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماء ورجعا، فلا أدري من هما.

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٢٦٢. قال الواقدي: ثم سلك طريق المكيمن من بطن العقيق حتى خرج على بطحاء ابن أزهر وأصبح ببطن مَلَل وتُربان بين الحفيرة ومَلَل. وهناك أشار رسول الله لسعد بن أبي وقاص ـ وكان أرماهم بسهم ـ إلى ظبي وقال له: إرم. فرماه في نحره، ثم عدا فوجده به رمق فذكّاه، فقسّمه: ١/ ٢٦ ـ ٢٧. وهذا أول ذكر للتذكية في الإسلام.

(٢) مغازي الواقدي: ١/ ٤٧ ـ ٤٨؛ وانظر الكافي: ٤/ ١٢٧؛ والفقيه: ١/ ٤٣٥؛ والتهذيب: ٤١٣.

فجاء أبو سفيان إلى مُناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى فقال: هذه علايف يثرب! هؤلاء عيون محمد!

ورجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق ومرّوا مسرعين. ونزل جبرائيل على رسول الله فأخبره: أنّ العير قد أفلتت، وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها. وأمره بالقتال، ووعده النصر.

اختبار الأنصار:

وكان نازلاً ماء الصفراء، فأحبّ أن يبلو الأنصار، لأنهم إنّما وعدوه أن ينصروه في الدار.

فاخبرهم: إنّ العير قد جازت، وإنّ قريشا قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وإنّ الله قد أمرني بمحاربتهم.

فجزع أصحاب رسول الله من ذلك وخافوا خوفاً شديداً!

فقال رسول الله: أشيروا علي.

فقام (أبو بكر) فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخُيلاءَها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت!

ولم تخرج (أنت) على هيئة الحرب!

فقال رسول الله له: اجلِس. فجلس. فقال: أشيروا عليّ.

فقام (عمر بن الخطّاب) فقال مثل مقال الأوّل.

فقال (صلى الله عليه وآله) له: اجلِس. فجلَس.

ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[1] وشوك الهَراش[2]

---

(١) الغضا: شجر عظيم صلب الأخشاب يتّقد طويلاً.

(٢) الهَراش: شجر شائك.

لخضنا معك. ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[1] ولكنّا نقول: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون.

فجزّاه النبيّ خيراً، فجلس. ثمّ قال: أشيروا عليّ[2].

فقام سعد بن مُعاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟

قال: نعم.

قال: فلعلك قد خرجت على أمرٍ قد أُمرت بغيره؟ قال: نعم.

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، والذي أخذت منه أحبّ إليّ من الذي تركت منه. والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك.

فجزّاه خيراً. ثم قال سعد:

ثم أمر رسول الله بالرحيل، فرحلوا حتى نزلوا عشاءً على ماء بدر، وهي العُدوة الشامية.

نزول قريش:

وأقبلت قريش فنزلت بالعُدْوَة اليمانية.

وبعثت عبيدها تستعذب الماء فأخذهم أصحاب رسول الله[3] وحبسوهم،

---

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) ونقل الطبرسي في مجمع البيان: ٤/ ٨٠٣ عن القمّي وغيره قالوا: وإنّما كان يريد الأنصار، لأنّ أكثر الناس منهم، ولأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنّا بُراء من ذمّتك حتى تصل إلى دارنا، ثمّ أنت في ذمّتنا نمنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان يتخوّف أن لا ترى الأنصار عليها نصرته إلا في المدينة.

(٣) في سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٦٨: روى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: فبعث رسول الله=

وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش. قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير. فأقبلوا يضربونهم.

وكان رسول الله يصلّي فانفتل من صلاته فقال:

إن صدّقوكم ضربتموهم وإن كذّبوكم تركتموهم؟! عليّ بهم. فأتوا بهم. فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمد، نحن عبيد قريش. قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم. قال: كم ينحرون في كل يوم جزوراً؟ قالوا: تسعة أو عشرة. فقال: تسعمئة أو ألف. ثم قال: فمن فيهم من بني هاشم؟ قالوا: العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، فأمر رسول الله بهم فحبسوهم.

وبلغ ذلك قريشاً فخافوا خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات.

وطلب رسول الله عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال لهما: ادخلا في القوم واتياني بأخبارهم.

فمضيا يجولان في عسكرهم لا يرون إلا خائفاً ذعراً. وسمعوا منبّه بن الحجاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتا

لا بدّ أن نموت أو نمُيتا

فلمّا ذكرا لرسول الله ذلك قال (صلى الله عليه وآله): والله كانوا شِباعاً ولكنّهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله على قلوبهم الرعب.

ولكن بلغ أصحابَ رسول الله كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وبكوا واستغاثوا.

=علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه. وفي الواقدي: فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبَسبس بن عمرو يتجسسون على الماء: ١/٥١.

فلمّا أمسى رسول الله وجنّه الليل[١] ألقى الله على أصحابه النُعاس حتى ناموا.

وأنزل الله عليهم السماء، وكان على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) رُذاذ بقدر ما لبد الأرض[٢] وكانت قريش في موضع أنزل الله عليهم السماء حتى ثبتت أقدامهم في الأرض (وطمست).

والتقى الجمعان:

فلمّا أصبح رسول الله عبّأ أصحابه بين يديه وقال لهم: غُضّوا أبصاركم، ولا تبدأوهم بالقتال، ولا يتكلّمنَّ أحد[٣].

---

(١) روى الطبرسي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال: قال النبيّ لأصحابه: من يلتمس لنا الماء؟ فسكتوا عنه وقال علي: أنا يا رسول الله، فأخذ القربة وذهب إلى القليب وملأ القربة وأخرجها، وجاءت ريح فأهرقته، فعاد إلى القليب وملأ القربة وخرج فجاءت ريح فأهرقته، فلمّا كانت المرّة الرابعة ملأها فأتى بها إلى النبي فأخبره بخبره فقال: أمّا الريح الأولى فجبرائيل في ألف من الملائكة سلّم عليك وسلّموا، وأما الريح الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة سلّم عليك وسلّموا، وأما الريح الثالثة فإسرافيل في ألف من الملائكة سلّم عليك وسلّموا. إعلام الورى: ١/ ٣٥٧.

(٢) الرذاذ: المطر الخفيف وقال القمي: ١/ ٢٦١، في قوله سبحانه: }وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب رجس الشيطان{: ذلك أنّ بعض أصحاب النبي احتلم. وروى الواقدي عن رفاعة بن مالك قال: غلبني النوم فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل: ١/ ٥٤. وهذا أول ذكر للاحتلام والاغتسال من جنابته. ولم يقل: قبل طلوع الفجر، لأنّهم لم يكونوا صُيّاماً.

(٣) وفي إعلام الورى: ١/ ١٦٨، وكان لواء رسول الله يومئذ أبيض مع مصعب بن عمير، ورايته مع علي عليه السلام؛ وذكر ذلك في مجمع البيان: ٢/ ٨٢٨، وأضاف: وصاحب راية الأنصار: سعد بن عبادة أو سعد بن معاذ؛ وكذلك في المناقب: ١/ ١٩٠؛ وفي الطبري: ٣/ ٤٣١ بسنده عن ابن عباس؛ والأغاني: ٤/ ١٧٥؛ وفي الواقدي: ١/ ١٠١، أنّ سعد بن عُبادة لمّا أخذ رسول الله في الجهاد كان يأتي دور الأنصار يحضّهم على الخروج، فنُهش في بعض تلك الأماكن فمنعه عن الخروج. وروى عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنّ رسول الله غزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عُبادة يقال له: العضب، ودرعه: ذات الفضول ١/ ١٠٣ فقال رسول الله حين فرغ من القتال ببدر: لئن لم يكن يشهدها سعد بن عُبادة لقد كان فيها راغباً. وضرب له بسهم من المغنم ١/ ١٠١.

وهنا روى ابن إسحاق: أنّ رسول الله عدّل صفوف أصحابه يوم بدر بسهم كان في يده، فمرّ=

وبعث رسول الله إلى قريش من يقول لهم عنه[١]:

يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إليَّ ممّن بدأ بكم[٢] خلّوني والعربَ، فإن أكُ صادقاً فانتم أعلى بي عيناً، وإن أكُ كاذباً كفتْكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا.

فقال عُتبة: والله ما أفلح قوم قط ردّوا هذا!

فلمّا سمع أبو جهل ذلك غاضه وقال:

إنّ عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيد قريش آخر الدهر.

المبارزة الأولى:

وتقدم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد.

ونادى: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش.

فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار من بني عفرا: عوف وعوذ ومُعوّذ.

فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم.

فقالوا: نحن بنو عفرا أنصار الله وأنصار رسول الله.

=بسواد بن غزيّة من حلفاء بني النجار وهو خارج عن الصف متقدم عليه، فطعنه النبيّ في بطنه بالسهم وقال: استوِ يا سواد. فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فَاقدِني! فكشف رسول الله عن بطنه وقال: استقِد. فاعتنق سواد رسول الله ثم انحنى فقبّل بطنه! فقال رسول الله: يا سواد ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك! فدعا له رسول الله بخير ٢/ ٢٧٨ وليس قُبيل وفاته كما زعم بعضهم.

(١) قال الواقدي: ١/ ٦١: أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) عمر بن الخطاب إلى قريش.

(٢) كذا، أي: ليس هناك في العرب من يكون أكثر مبغوضاً عندي ممن يبدأ القتال معكم، فأنا أُبغض أن أبدأ بالقتال معكم إن لم تقاتلوني.

قالوا: ارجعوا، لسنا إياكم نريد، إنما نريد الأكفاء من قريش!

فبعث إليهم رسول الله: أن ارجعوا، فرجعوا ووقفوا موقفهم[١].

ثم نظر رسول الله إلى ابن عمّه عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب وكان له سبعون سنة، فقال له: قم يا عُبيدة! فقام بين يديه بالسيف.

ثم نظر إلى حمزة بن عبد المطلب فقال: قم يا عم!

ثم نظر إلى أمير المؤمنين فقال له: قم يا علي. وكان أصغرهم.

ثم قال لهم: فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، قد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله.

ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة، وقال لحمزة: عليك بشيبة. وقال لعلي: عليك بالوليد بن عتبة.

فمرّوا حتى انتهوا إلى القوم. فقال عتبة: مَن أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم.

فقال عبُيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

فقال عتبة: كفوٌ كريم. فمن هذان؟

قال عبيدة: هما حمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب.

فقال عتبة: كفْوان كريمان. لعن الله من أوقفنا وإياكم هذا الموقف.

ووقف حمزة بإزاء شيبة، فقال له شيبة: من أنت؟

قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.

فقال شيبة: لقد لقيتَ أسدَ الحَلْفاء[٢]، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله.

---

(١) لكنهم استشهدوا بعد، كما يأتي.

(٢) نقل الواقدي ذلك، ونقل عن أبي الزناد قال: لم أسمع كلمة أوهن من قوله: أنا أسد الحَلْفاء. يعني بالحَلْفاء الأجَمَة ٦٩/١ والأجمة تعني الغابة.

فحمل عُبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته. وضرب عتبة عُبيدة على ساقه فقطعها، وسقطا.

وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيف حتى انثلما وكل واحد يتّقي بدُرْقته.

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من إبطه، فأخذ الوليد يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامة عليّ عليه السلام.

ونادى المسلمون: يا عليّ، أما ترى الكلب قد أبهر (أعجز) عمّك؟!

فحمل عليّ عليه السلام على شيبة وقال لعمّه حمزة: يا عمُّ طأطئ رأسك. فأدخلَ حمزة رأسه في صدره، فضرب عليّ على رأس شيبة فطيّر نصفَه!

ثمّ جاء إلى عتبة وفيه رمق فأجهزَ عليه.

ثمّ حمل هو وحمزة عبيدة بن الحارث حتّى أتيا به رسول الله، فنظر إليه رسول الله واستعبر فقال عبيدة: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمّي ألستُ شهيداً؟

قال رسول الله: بلى، أنت أوّل شهيد من أهل بيتي.

قال عبيدة: أما لو كان عَمُّك حيّاً لعلم أنّي أولى بما قال، منه.

حامل راية قريش:

وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: ادفعوا إليّ رايتكم. فدفعوها إليه.

وأقبلت قريش يقدمها إبليس في صورة سراقة بن مالك معه الراية.

وقال أبو جهل لقريش: عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزْراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرّفهم ضلالتهم التي كانوا عليها!

ونظر إليهم رسول الله فقال لأصحابه:

غضّوا أبصاركم، وعضّوا على النواجذ، ولا تَسِلّوا سيفاً حتى آذن لكم.

ثم رفع يده إلى السماء وقال:

يا رب إن تهلَك هذه العصابة لا تُعبد، وإن شئت أن لا تُعبد لا تُعبد.

ثم أصابته الغشية ثم سري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه ويقول لهم: هذا جبرائيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردِفين[١].

ونظر إبليس إلى جبرائيل فتراجع ورمى باللواء!

فأخذ منبّه بن الحجّاج بمجامع ثوبه ثم قال له: ويلك يا سراقة تَفُتُّ في أعضاد الناس!.

فركله إبليس ركلة في صدره وقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله.

وأخذ رسول الله كفّاً من حصى فرمى به في وجوه قريش وقال: شاهت الوجوه! فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش[٢] فكانت الهزيمة[٣].

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهمَّ لا يفلتنّ فرعون هذه الأمّة: أبو جهل بن هشام.

مقتل أبي جهل:

والتقى عمرو بن الجَموح بأبي جهل فضرب عمرو أبا جهل بن هشام على فخذيه، وضرب أبو جهل عمراً على يده فأبانها من العضد، فتعلقت بجلدة، فاتكأ عمرو على يده برجله ثم نزا في السماء حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده.

---

(١) وفي أعلام الورى: ١/ ١٦٨: وأيّدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة، وكثّر الله المسلمين في أعين الكفار، وقلّل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا؛ وكذلك في المناقب: ١/ ١٨٨.

(٢) وفي الإرشاد: ١/ ٦٩، قال: وختم الأمر بمناولة النبيّ (صلى الله عليه وآله) كفّاً من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه. فلم يبق منهم احد إلا ولّى الدبر منهزماً.

(٣) قال الواقدي: قالوا: وكان انهزام القوم وتولّيهم حين زالت الشمس. فأمر رسول الله عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها، وأمر نفراً من أصحابه أن يعينوه. وصلى العصر ببدر ثم رحل ١/ ١١٢، ويقال: صلّى العصر بالأثيل ١/ ١١٣.

وانتهى عبد الله بن مسعود إلى أبي جهل وهو يتشحّط في دمه فقال له: الحمد للّه الذي أخزاك!.

فرفع رأسه فقال: إنما أخزى الله عبد ابن أم عبد الله، لمن الدين ويلك؟ قال ابن مسعود: للّه ولرسوله. وإني قاتلك! ووضع رجله على عنقه.

فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مُرتقاً صعْباً يا رُويعي الغنم! أما إنه ليس شيء أشدّ عليّ من قتلك إيّاي في هذا اليوم! إلا تولّى قتلي رجل من المُطيّبين أو الأحلاف!.

فاقتلع ابن مسعود بيضة كانت على رأسه فقتله وأخذ رأسه وجاء به إلى رسول الله.

وقال: يا رسول الله البُشرى! هذا رأس أبي جهل بن هشام. فسجد شكراً لله.

أسر العباس وعقيل:

وأسر أبو اليَسَر الأنصاري العباس بن عبد المطّلب وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال له رسول الله: هل أعانك عليهما أحد؟ قال أبو اليَسر: نعم، رجل عليه ثياب بيض. فقال رسول الله: ذاك من الملائكة.

ثم قال العباس لرسول الله: يا رسولَ الله، قد كنت أسلمتُ، ولكنّ القوم استكرهوني.

فقال رسول الله: إن يكن ما تذكر حقاً فإن الله يجزيك عليه، فأمّا ظاهر أمرك فقد كنت علينا. ثم قال له: إنكم خاصمتم الله فخصمكم.

وكان القتلى (من المشركين) سبعين قتل منهم علي عليه السلام عشرين رجلاً[1].

(١) وفي المغازي للواقدي: ١/ ١٥٢: اثنين وعشرين رجلاً؛ وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: ١/ ٦٩ ـ ٧٢: كان المقتولون منهم سبعين رجلاً، تولّى كافة من حضر من المسلمين مع ثلاثة آلاف=

وكان الأسرى سبعين ـ ولم يأسر علي عليه السلام أحداً[١] ـ فجمعوهم وقرنوهم بالحبال. وجمعوا الغنائم[٢].

قصة القطيفة الغلول:

وكان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت. فقال رجل من أصحاب رسول الله: ما لنا لا نرى القطيفة؟ ما أظنّ إلا أنّ رسول الله أخذها!

فجاء رَجل إلى رسول الله فقال: إنَّ فلاناً غلّ قطيفة فأخبأها هنالك.

فأمر رسول الله بحفر ذلك الموضع، فأُخرجت القطيفة[٣].

=من الملائكة المسوّمين قتل الشطر منهم، وتولّى أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده، بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره.. قد أثبت رواة العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين، على اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح. ثم ذكر من سمّوه ثم قال: فذلك ستة وثلاثون رجلاً، سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر.

وفي إعلام الورى: ١/ ١٧٠: وقتل علي عليه السلام ببدر من المشركين ستة وثلاثين رجلاً. وسمّى عشرة ممن ذكرهم الشيخ المفيد، منهم: العاص بن سعيد بن العاص، وطُعمية بن عدي بن نوفل، ونوفل بن خويلد، وهو عمّ الزبير بن العوام، وهو الذي قرن طلحة وأبا بكر بحبل وعذّبهما قبل الهجرة. وعمير بن عثمان التيمي عمّ طلحة، ومالكاً وعثمان ابنَيْ عبيد الله أخوي طلحة، وحنظلة بن أبي سفيان أخا معاوية ومعه زمعة بن الأسود والحارث ابنه. وقتل عمار بن ياسر: أمية بن خلف. وأمر رسول الله أن تُلقى القتلى في قُليب بدر.

(١) أي لم يكن علي عليه السلام مشمولاً لعتاب الله للنبيّ والمسلمين على الأسر قبل الإثخان في القتل، ولم يطمع.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٢٥٦ ـ ٢٦٩؛ وقال ابن إسحاق: ثم إنّ رسول الله أمر بما في العسكر مما جمعه الناس فجُمع ٢/ ٢٩٥ وجَعل على النَفَل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف ٢/ ٢٩٧ وفي مغازي الواقدي استعمل عليها رسول الله عبد الله بن كعب بن عمرو المازني.. وكان فيها ابل ومتاع وأنطاع وثياب ١/ ١٠٠ وكانت الإبل مئة وخمسين بعيراً و١/ ١٠٢ وعشرة أفراس، وسلاحاً ١/ ١٠٣ وكانت الدروع فيهم كثيرة التقطها المسلمون ١/ ٩٦ وكان معهم أدَمٌ كثير حملوه للتجارة فغنمه المسلمون.

(٣) تفسير القمي: ١/ ١٢٦ ـ ١٢٧. ونقله الواقدي وقال: فسأل رسول الله الرجل. فقال: لم أفعل يا رسول الله. فقال الدالّ: يا رسول الله احفروا هاهنا. فأمر رسول الله فحفروا هناك، فاستُخرجت القطيفة. =

نزول سورة الأنفال:

ولمّا انهزم الناس كان أصحاب رسول الله على ثلاث فرق: فصنفٌ كانوا عند خيمة النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وصنف أغاروا على النهب، وفرقة طلبت العدو وأسروا وغنموا.

فاختلفوا فيما بينهم حتى سألوا رسول الله: لمن هذه الغنائم؟

فأنزل الله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

فرجع الناس وليس لهم في الغنيمة شيء.

ثم أنزل الله بعد ذلك: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

ولم يخمّس رسول الله ببدر، وقسمه بين أصحابه[3].

في منزل أُثَيل:

فرحل رسول الله، وساقوا الأُسارى على أقدامهم مقرونين بالحبال إلى الجمال. وعند غروب الشمس نزلوا الأُثيل[4] ـ وهو من بدر على ستة أميال (اثني

= فقال قائل: يا رسول الله، استغفر لفلان، مرّتين أو مراراً.
فقال رسول الله: دعونا من آتي جُرم ـ ١/١٠٢.
قالوا: وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس.. فصلى العصر ببدر ثم راح.
ولعله في الأصل: صلى الظهر ببدر ثم راح، إذ يعود فيقول: ويقال: صلى العصر بالأُثَيل (على أربعة أميال من بدر = ٨ كم) ١/١١٣ وسيأتي أنه على ستّة أميال.

(١) الآية الأولى من سورة الأنفال.
(٢) الأنفال: ٤١.
(٣) تفسير القمي: ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥؛ ورواه الواقدي بسنده عن عُبادة بن الصامت. وتمامه: ثم استقبل يأخذ الخمس بعد بدر.
(٤) وفي إعلام الورى: ١/١٦٩: بالصفراء.

عشر كيلومتراً إلى المدينة). ومرّ أنه على أربعة أميال ـ ونظر رسول الله إلى عقبة بن أبي مُعيط والنضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال لعلي ﷺ: يا علي، عليّ بالنضر وعقبة.

ثم التفت إلى عليّ وقال: قدّمه ـ يا عليّ ـ فاضرب عنقه (أيا النضر). فقدَّمه وضرب عنقه.

ثم قال: قدّم عُقْبة فاضرب عنقه. فقدَّمَه وضربَ عنقه[١].

فقام الأنصار وقالوا: يا رسولَ الله، قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين، وهم قومك وأُساراك، ولكن هبْهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلِقْهم[٢] قالوا: يا رسول الله لا تقتلهم وهبهم لنا حتى نفاديهم.

فنزل جبرائيل فقال: إنّ الله قد أباح لهم أن يأخذوا من هؤلاء الفداء ويطلقوهم، على أن يُستشهد منهم في عام قابل بقدر مَن يأخذون منه الفداء من هؤلاء. فأخبرهم رسول الله بهذا الشرط. فقالوا: قد رضينا به، نأخذ العام الفداء من هؤلاء نتقوى به ويُقتل منّا في عام قابل بعدد ما نأخذ منهم الفداء وندخل الجنة[٣].

فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم[٤].

العباس بن عبد المطلّب وعقيل بن أبي طالب:

عن الصادق ﷺ قال: إنّ رسول الله نهى يوم بدر أن يُقتل أحد من بني هاشم، فأسروا.

---

(١) كانا من المستهزئين والمحرّضين على حرب بدر ـ الواقدي: ١/٣٧.
(٢) تفسير القمي: ١/٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٣) تفسير القمي: ١/١٢٦.
(٤) تفسير القمي: ١/ ٢٧٠؛ وروى مثله الواقدي بسنده عن علي ﷺ في المغازي: ١/١٠٧.

وجيء بالعباس فقيل له: افدِ نفسك وافدِ ابني أخيك (فالتفت إلى النبيّ) وقال: يا محمد! تركتني أسأل قريشاً في كفّي؟!

قال رسول الله: أعط ممّا خلّفتَ عند أمّ الفضل وقلت لها: إن أصابني شيء في وجهي هذا فأنفقيه على نفسك وولدك.

قال: يا بن أخي! من أخبرك بهذا؟

قال: أتاني به جبرائيل من عند الله.

فقال: والمحلوف به! ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي، فأشهد أنك رسول الله[1].

قال الواقدي: ومنّ رسول الله من الأسرى يوم بدر على أبي عزة عمرو بن عبد الله الجُمحي، وكان شاعراً، فقال لرسول الله: لي خمس بنات ليس لهنّ شيء، فتصدّقْ بي عليهنّ يا محمد! وأُعطيك موثقاً لا أُقاتلك ولا أُكثر عليك أبداً.

ففعل رسول الله وأعتقه وأرسله[2].

الوصية بالأسرى:

قال: قالوا: ولمّا حُبس الأسرى ببدر استعمل النبيّ عليهم غُلامه شُقران وقد شهد بدراً ولم يعتقه يومئذٍ[3] وقال: إنّ بكم عَيلةً، فلا يفوتنّكم رجل من هؤلاء إلا بفداء أو ضربة عنق.

---

(١) روضة الكافي: ٢٠٢؛ ورواه العياشي في تفسيره: ٢/ ٦٨ و٦٩؛ والحميري في قرب الإسناد كما في الميزان: ٩/ ١٤٠.

(٢) فلمّا خرجت قريش إلى أُحُد خرج أبو عزّة يدعو العرب يحشرهم ثم خرج مع قريش إلى أُحُد فأُسر وحده من قريش، فقال: يا محمد! لي بنات فأمننّ عليّ وإنما أُخرجت مُكرها! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أين ما أعطيتني من العهد والميثاق؟! لا والله، لا تمسح عارضَيك بمكة تقول: سخرت بمحمد مرّتين، إنّ المؤمن لا يُلدغ من جُحر مرّتين. يا عاصم بن ثابت، قدّمه فاضرب عنقه. فقدّمه وضرب عنقه. مغازي الواقدي: ١/ ١١١.

(٣) مغازي الواقدي: ١/ ١٠٥ و١٠٧ و١١٦.

فقال عبد الله بن مسعود: يا رسول الله، إلا سهيلاً (أخٌ له) فإني رأيته يُظهر الإسلام بمكة. فسكت النبيّ فلم يردَّ عليه، ثم رفع رسول الله رأسه فقال: إلا سُهيلاً[(١)].

وقال لأصحابه في الأسرى: استوصُوا بهم خيراً. وغالباً مّا كان الأسير مع من أسره.

تقسيم الغنائم:

مرّ أنّ تقسيم الغنائم كان بعد اختلافهم فيها ونزول سورة الأنفال قطعاً لخلافهم فيها وجواباً عن سؤالهم عنها، قال ابن إسحاق: أمر رسول الله فجُمع ما جمعه الناس ممّا كان في عسكر المشركين ببدر.. وأمر الناس أن يردّوا ما كان في أيديهم من النَفَل.. ثم أقبل قافلاً إلى المدينة واحتمل معهم النَفل الذي أُصيب من المشركين، وجعل عليه عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف المازني من بني النجار. حتى خرج من مضيق الصفراء ونزل على كثيب بين المضيق والنازية يقال له سَيَر، فقسّم هنالك النَفَل على السّواء[(٢)].

وكانت الإبل التي غنموها يومئذٍ مئة وخمسين بعيراً معها أدَم كثير حملوه للتجارة. وغنموا من خيولهم عشرة أفراس وسلاحاً. فكانت تصيب الرجل بعير ومتاع وآخر أنطاع.

وكان لرسول الله صَفِيٌّ من الغنيمة قبل أن تُقسم، فكان جمل أبي جهل له (صلى الله عليه وآله)، فكان يغزو عليه حتى ساقه في هَدْي الحُديبية.

---

(١) مغازي الواقدي: ١/١٠٩ ـ ١١٠، وعليه فهذا ثاني مَن مُنَّ عليه وأطلق بلا فداء.
(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧.

بعث البشير بالفتح:

وقدّم رسول الله عبد الله بن رواحة (بشيراً إلى أهل العالية من المدينة، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة منها)[١].

وقدم زيد بن حارثة إلى المدينة على الناقة القَصْواء، للنبيّ (صلى الله عليه وآله)، فلمّا بلغ المصلّى صاح: قُتل عُتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل وأبو البخْتَري، وأُمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وأُسر سُهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة.

فقال رجل من المنافقين لأبي لبابة بن عبد المنذر: هذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب، وقد قُتل محمد وقتل معه عِلْيَةُ أصحابه، وقد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون بعده أبداً، وهذه ناقة محمد نعرفها!

استقبال الرسول:

واستقبله الناس بالروحاء يهنّئونه بفتح الله عليه.

أمّا الأسرى فقد قدموا بهم المدينة قبله أو بعده بيوم أو بعض يوم[٢].

البكاء على الشهداء:

وعقد أُسر الشهداء مناحة على شهدائهم منهم آل العفراء على ولديهم معوّذ وعوف ابني العفراء، وشاركتهم سودة بنت زمعة زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان ذلك قبل أن يُضرَب عليهن الحجاب[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٢٩٦؛ وذكر ابن رواحة في ٣/ ٥٤.

(٢) وقد قال في مرجعه من بدر: كان قتل عصماء بنت مروان لخمس ليال بقين من رمضان مرجع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من بدر، ١/ ١٧٤.

(٣) مغازي الواقدي: ١/ ١١٤ ـ ١١٨؛ والخبر الأخير في سيرة ابن هشام أيضاً ٢/ ٢٩٩.

الأسرى في المدينة:

ولمّا قدموا بالأسرى لم يبق بالمدينة يهودي ولا مشرك ولا منافق إلا ذَلّ، وقال كعب بن الأشرف اليهودي: بطن الأرض اليوم خيرٌ من ظهرها، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أُصيبوا[١].

وروى ابن إسحاق عن نُبيه بن وهب قال: لمّا أقبل رسول الله بالأسارى فرّقهم بين أصحابه واستوصاهم بهم خيراً[٢].

فداء الأسرى:

وكان أبو وَداعة بن ضُبيرة (السهميّ) أول من افتدي. وكان رسول الله قد قال لهم: إنّ له بمكة ابناً كيّساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه[٣] وهو مغلٍّ فداءه[٤]، فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق به[٥] ثم قدم بعده بثلاث ليال خمسة عشر رجلاً منهم في فداء أصحابهم: أُبيّ بن خلف الجُمحي، وجُبير بن مطعم، وخالد بن الوليد المخزومي، وطلحة بن أبي طلحة، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وعثمان بن أبي حُبيش المخزومي، وعكرمة بن

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٢١. وروى الواقدي بسنده عن كعب بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري قالا: لما رأى ابن الأشرف الأسرى مقرّنين كُبت وذلّ وقال لهم: ويلكم! والله لَبَطنُ الأرض خير من ظهرها اليوم! هؤلاء سَراة القوم قد قُتلوا وأُسروا، فما عندكم؟ قالوا: عداوته ما حيينا! قال: وما أنتم وقد وطأ قومه وأصابهم؟! ولكني أخرج إلى قريش فأحضّهم وأبكي قتلاهم، فلعلهم ينتدبون فأخرج معهم.
فخرج حتى قدم مكة، ووضع رحله عند أبي ودَاعة بن ضُبيرة السَّهمي (وهو صهر بني أُمية وأوّل أسير افتدي) فجعل يرثي قريشاً ـ المغازي: ١/ ١٨٥.
وروى ابن إسحاق عن رُواته قالوا: خرج حتى قدم مكة.. وجعل يُنشد الأشعار يبكي أصحاب القليب من قريش الذين أُصيبوا ببدر، ويحرّض بذلك على رسول الله ـ ٣/ ٥٥.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٩٩.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٠٣.

(٤) مغازي الواقدي: ١/ ١٢٩.

(٥) سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٠٣؛ ومغازي الواقدي: ١/ ١٢٩.

أبي جهل المخزومي، وعمرو بن قيس السهمي، وعمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع صهر الرسول، وفروة بن السائب المخزومي، ومكِرَز بن حفص، وهشام بن الوليد المخزومي، والوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وكان الفداء من أربعة آلاف، إلى ثلاثة آلاف، إلى ألفين، إلى ألف درهم، إلى قوم لا مال لهم منّ عليهم رسول الله[١].

وروى ابن سعد في «الطبقات» قال: كان رسول الله يفادي الأسرى على قدر أموالهم. وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء (وكان يكتب) دفع إليه عشرة من غِلمان المدينة فيعلّمهم (الكتابة) فإذا حَذَقوا (في الكتابة) فهو فداؤه[٢].

صهر النبيّ أبو العاص بن الربيع:

بعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن أبي الربيع (مع أخيه عمرو بن الربيع) قلائد لها كانت خديجة جهّزتها بها ـ وكان أبو العاص ابن أخت خديجة ـ فلمّا رأى رسول الله تلك القلائد قال: رحم الله خديجة، هذه قلائد هي جهزتها بها. فأطلقه رسول الله بشرط أن يبعث إليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به. فعاهده على ذلك ووفى له[٣].

أسير أُطلق لفكّ الرهينة:

كان من أسرى بدر: عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب، وكانت أمه بنت عُقبة بن أبي مُعيط وقد أسره عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وكان بالنقيع (من المدينة) شيخ مسلم من بني عمرو بن عوف يُدعى سعد بن النعمان بن أكّال، وكان في غنمٍ له. وكان ظنّه أنَّ قريشاً لا يعرضون لأحد جاء

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٢) الطبقات: ٢/ ١٤.
(٣) مجمع البيان: ٤/ ٨٥٩؛ وليس في تفسير القمي.

حاجّاً أو معتمراً إلا بخير، ولا يظنّ أنه يُحبس بمكة ولا يخشى ذلك. فخرج من النقيع معتمراً ومعه امرأته. فعدا عليه أبو سفيان بن حرب فحبسه بإزاء ابنه عمرو (رهينةً).

فمشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم. ففعل رسول الله ذلك (وأعطاهم عمرو بن أبي سفيان) فبعثوا به إلى أبي سفيان. فخلّى سبيل سعد بن النعمان.

تحويل القِبلة من القدس إلى الكعْبة:

«بعد رجوعه (صلى الله عليه وآله) من بدر» صُرف رسول الله إلى الكعبة، في ما رواه الشيخ الطوسي في «التهذيب» عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام[1].

عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: هل كان رسول الله يصلي إلى بيت المقدس؟ قال: نعم. فقلت: أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال: أمّا إذ كان بمكة فلا، وأمّا إذ هاجر إلى المدينة فنعم، حتى حُوّل إلى الكعبة[2].

وقال الصدوق ابن بابويه القمي: فلمّا أصبح صلى الغداة، فلما صلى من الظهر ركعتين جاء جبرائيل عليه السلام فقال له: «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام» ثم أخذ بيد النبيّ فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم، حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال. فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة.

وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحوّلوا نحو الكعبة، وكان أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة، فسمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين.

---

(١) التهذيب: ٢/ ٤٣، ح١٣٥.

(٢) فروع الكافي: ٣/ ٢٨٦، ح١٢؛ وعنه في وسائل الشيعة: ٤/ ٢٩٨.

فقال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس.

زكاة الفطرة وعيد الفطر:

وكأنه لمّا تكرّر السؤال عن الإنفاق لما حصل المسلمون على ما يُعتدّ به من المال من غنائم بدر وفداء الأسراء، ناسب أن يأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإخراج زكاة الفطر في هذه السنة[١]. وخرج بالناس إلى المصلّى في العيد ولم يخرج قبل ذلك، وذبح في المصلّى شاة أو شاتين بيده، ووُضعت العَنَزة ـ وهي الرمح الصغير[*] ـ بين يديه[٢].

وفسّر الرسول (صلى الله عليه وآله) في هذا اليوم ما جاء في آيات الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

غزوة بني سُليم:

ولم يَقُم رسول الله بالمدينة لمّا رجع إليها من بدر إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يُريد بني سُليم، حتى بلغ ماءً من مياههم يقال له: الكُدْر[٣]، فأقام عليه ثلاث ليال ولم يلق كيداً فرجع إلى المدينة[٤].

سريّة بني سُليم:

ويوم الأحد ولعشر ليال مضين من شوّال بعث غالب بن عبد الله الليثي في

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٠٦.

(*) والعنَزَة: مِن الفأس حَدُّها. (المدقّق).

(٢) اليعقوبي: ٢/ ٤٦.

(٣) قرارة الكُدْر على ثمانية بُرد من المدينة إلى جهة مكة ـ الطبقات: ٢/ ١٢.

(٤) إعلام الورى: ١/ ١٧٢.

سريّة إلى بني سُليم وغطفان، حيث بلغه اجتماعهم عليه[١] فقتلوا فيهم وقُتل منهم ثلاثة وأخذوا النعم وانصرفوا بالغنيمة إلى المدينة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال[٢].

تزويج المشركين والزواج بالمشركات:

وكان مرثد بن أبي مرثد الغنوي، قد بعثه رسول الله إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين. وكان قوياً شجاعاً، وكانت بينه وبين امرأة يقال لها عناق خُلّة في الجاهلية، فدعته إلى نفسها فأبى. فقالت: هل لك أن تتزوّج بي؟ فقال: حتى أستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله). فلما رجع استأذن في التزويج بها، فنزلت الآية[٣].

قتل المحرّض على النبيّ، نذراً:

كان في بني عمرو بن عوف شيخ كبير يدعى أبا عفَك بلغ مئة وعشرين سنة لم يدخل في الإسلام بل كان يحرّض على عداوة النبيّ، ولمّا خرج رسول الله إلى بدر ونصره الله حسده.

فقال سالم بن عمير من بني النجار: عليّ نذر أن أقتل أبا عفَك أو أموت دونه! وفي شوّال على رأس عشرين شهراً (من الهجرة) كانت ليلة صائفة[٤] نام فيها أبو عفك بفِناء بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم بن عمير حتى وضع السيف على كبده وحتى غرزه في الفراش، وصاح الرجل، وثاب إليه ناس فقبروه في منزله[٥].

---

(١) الطبري: ٢/ ٤٨٢.
(٢) الطبري: ٢/ ٤٨٣.
(٣) مجمع البيان: ٢/ ٥٦٠، وأسباب النزول للواحدي: ٦٦ ـ ٦٥؛ والآية من البقرة: ٢٢١.
(٤) صائفة: شديدة الحر.
(٥) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٤.

غزوة قينُقاع:

ويبدو أن حسد الرسول على نصر الله له ببدر والتحريض عليه لم يكن خاصاً بهذا الشيخ من بني عمرو بن عوف.

فقد روى الواقدي عن ابن كعب القُرظي قال: لما أصاب رسول الله أصحاب بدر وقدم المدينة، بغت يهود (بني قينقاع) وقطعت ما كان بينها وبين النبي من عهد[١].

فأتاهم رسول الله فقال: يا معشر اليهود، قد علمتم ما نزل بقريش، وهم أكثر عدداً وسلاحاً وكراعاً منكم، فادخلوا في الإسلام.

فاستخلف النبيّ (صلى الله عليه وآله) على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، كما كان[٢] وسار إليهم حسب الآية فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشدّ الحصار[٣] وهم لزموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا[٤] إذ قذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: أفننزل وننطلق؟ قال رسول الله: لا، إلا على حكمي. فنزلوا على[٥] صلح رسول الله وحكمه، على أن تكون أموالهم لرسول الله[٦] وكانوا صاغة، فكانت لهم آلات صياغة وسلاح كثير.. ولم تكن لهم مزارع ولا أرضون[٧] فكانت أموالهم لرسول الله، ولهم الذرية والنساء[٨] فلما نزلوا وفتحوا حِصنهم، قبض

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٦.
(٢) مغازي الواقدي: ١/ ١٨٠ عن أبي بكر بن حزم.
(٣) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٧؛ وفي السيرة: ٣/ ٥٢، ولم يُعيّنا البداية والنهاية إلا أنّ الواقدي أرّخ الغزوة: يوم السبت للنصف من شوّال على رأس عشرين شهراً من الهجرة ١/ ١٧٦، فتكون البداية أوائل شوّال.
(٤) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٨.
(٥) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٧.
(٦) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٨.
(٧) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٩.
(٨) مغازي الواقدي: ١/ ١٨٠.

محمد بن مَسلمة أموالهم[١] وأمر رسول الله المنذر بن قُدامة السُلَمي أن يربطهم، فكانوا يُكتَّفون كِتافاً.

وقبض محمد بن مَسلمة أموالهم[٢] وخمّس رسول الله ما أصاب منهم (وهو أول خمس خمّسه بعد آية الخمس) وقسّم ما بقي على أصحابه.

حاصرهم النبيّ يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً (من الهجرة) إلى هلال ذي القعدة[٣] وكان لواء رسول الله مع حمزة[٤] وفي ذي القعدة قعد النبيّ عن القتال.

صفوان يريد اغتيال الرسول:

إنّ عمير بن وَهب الجُمحي كان شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله وأصحابَه، ويلقَون منه عناءً وهو بمكة. وكان ممن حضر بدراً مع المشركين وأسر ابنه وهب. وكان بعد بدر بيسير جالساً مع صفوان بن أُمية الجُمحي، في حجر الكعبة، فذكر مُصاب أهل بدر من قريش وأصحاب القلَيب منهم.

فأمر عميرٌ بسيفه فشُحِذ وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة.

ثم دخل عمر على رسول الله فقال له: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحاً سيفه. قال: فأدخلْه عليّ.

فلما رآه رسول الله قال: أرسله يا عمر. ثم قال لعُمير: ادنُ يا عمير. فدنا وقال: أَنْعِمَوا صباحاً.

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٨.
(٢) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٨.
(٣) مغازي الواقدي: ١/ ١٧٤.
(٤) الطبري: ٢/ ٤٨١.

فقال رسول الله: قد أكرمنا الله بتحيّة خيرٍ من تحيّتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة.

فقال عمير: أما والله يا محمد، إنّي لحديث عهد بها.

قال: فما جاء بك يا عمير؟[١]

فقال: جئت في فكاك ابني (وهب).

فقال له: كذبت! بل قلت لصفوان بن أُمية، وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم: والله لَلموتُ أهون علينا من البقاء مع ما صنع محمد بنا! وهل حياة بعد أهل القُلَيب؟!

فقلت أنت: لولا عيالي ودَين عليَّ لأرحتك من محمد!

فقال صفوان: عليّ أن أقضي دينك وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهنّ ما يصيبهنّ من خيرٍ أو شر!

فقلت أنت فأكتمها علي وجهّزني حتى أذهب فأقتلَه! فجئت لتقتلني!

فقال: صدقت يا رسول الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله[٢].

فقال رسول الله: أطلقوا له أسيره، وفقّهوه في دينه وأقرئوه القرآن.

فقال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعلّ الله يهديهم، وإلا آذيتُهم في دينهم كما كنت أُوذي أصحابك في دينهم!

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٣١٧ ـ ٣١٦؛ ومغازي الواقدي: ١/١٢٥ ـ ١٢٨ بطريق آخر.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج: ١/ ٣٣٤، عن علي عليه السلام؛ ورواه في بحار الأنوار: ١٩/ ٣٢٦ عن المنتقى للكازروني عن ابن إسحاق؛ وفي ١٨/ ١٤٠ مختصر خبره عن مناقب آل أبي طالب للحلبي: ١/ ١١٣.

فأذن له رسول الله، فلحق بمكة.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذًى شديداً. فأسلم على يديه ناس كثير[١].

زواج عليّ بالزهراء عليها السلام (الزفاف):

كان بعد قدوم أختها زينب زوجة أبي العاص بن الربيع إلى المدينة إذ كان ذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه[٢] أي قريب منه.

ومع حضور أختها الأخرى أم كلثوم، أمّا الأخرى: رقية زوجة عثمان، فقد قالوا: إنها مرضت قبل بدر وماتت بعد بدر وقبل رجوع الرسول إلى المدينة، أي قبل زفاف أختها فاطمة في أول ذي الحجة بأكثر من أربعين يوماً تقريباً. ولكن سيأتي ترجيح أنها توفيت في ذي الحجة أو محرم، أي بعد زفاف فاطمة، فهي أيضاً كانت حاضرة شاهدة.

من سنن ليلة الزفاف:

عن ابن عباس قال:

إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل على النساء فقال لهنّ: إنّي قد زوّجت ابنتي لابن عمّي، وقد علمتنَّ منزلتها مني، وإني دافعها إليه، ألا فدونكنّ ابنتكنّ.

فقمن فجعلن في بيتها فراشاً، حشوه ليف، ووسادة، وكساءً خيبريّاً، ومِخضباً وهو المِرْكَن[٣] وصارت أم أيمن البوّابة. وقمن إلى الفتاة فعلّقن عليها من حُليهنّ وطيّبنها. ودعا رسول الله بلالاً فقال له: إني قد زوّجت فاطمة ابنتي بابن عمي وأنا أُحب أن يكون من سنن أُمتي الطعام عند النكاح، اذهب يا بلال إلى الغنم

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٣١٦ ـ ٣١٨ بتصرف.
(٢) ابن هشام: ٢/٣٠٨.
(٣) يُغسل فيه الثياب.

وخذ شاةً وخمسة أمداد[١] شعيراً، واجعل لي قصعة[٢] فلعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار! ففعل ذلك، وأتاه بها حين فرغ فوضعها بين يديه، فطعن في أعلاها وبرّك (من فمه) ثم قال: يا بلال، أُدع الناس من المسجد، زفّة زفّة[٣].

فجعل الناس يزفّون، كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس، وفضل منها. فعمد النبيّ إلى فضل ما فيها فبارك فيه (من فمه) ثم قال: يا بلال، احمل إلى أمّهاتك فقل لهنّ: كلن وأطعمن من غشيكنّ. ففعل بلال ذلك.

فأقبلا حتى جلسا مجلسهما، وحولهما أُمهات المؤمنين من وراء حجاب[٤].

ثم أقبل النبيّ (صلى الله عليه وآله) حتى دقّ الباب فقالت أم أيمن: مَن هذا؟ فقال: أنا رسول الله. ففتحت له الباب وهي تقول: بأبي أنت وأُمي. فقال لها رسولُ الله: أثَمَّ أخي يا أم أيمن؟ فقالت له: ومن أخوك؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقالت: يا رسول الله هو أخوك وزوَّجْتَه ابنتك؟ فقال: نعم. فقالت: إنما نعرف الحلال والحرام منك يا رسول الله.

ثم خرج وأغلق عليهما الباب وانطلق، ودخل فأغلق عليه بابه.

صباح النكاح:

عن (أسماء) قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما أصبحنا جاء النبيّ إلى الباب فقال: يا أم أيمن، ادعي لي أخي! قالت: هو أخوك وتنكحه ابنتك؟ قال: نعم، يا أم أيمن. وسمعت النساء صوت النبيّ فتخبّأن، واختبأت في ناحية.

---

(١) المُد: ثلاثة أرباع الكيلو أو أقل، ولعله ٧٠٠ غرام.

(٢) القصعة: إناء كبير يسع لعشرة أشخاص.

(٣) جماعة ثمَّ جماعة.

(٤) هذا ولم يجب الحجاب بعد. وفاصل بيتهما عن بيته (صلى الله عليه وآله) قليل، وليس في هذا الخبر المعتبر ما جاء في القصص من أراجيز النساء: سرن بعون الله جاراتي.

فجاء علي، فنضح النبيّ عليه من الماء ودعا له. ثم قال: ادعي لي فاطمة. فجاءته تمشي على استحياء وخجل، فقال لها رسول الله: اسكني (أي اطمئني) فقد أنكحتك أحبّ أهل بيتي إليّ. ثم نضح النبيّ عليها من الماء ودعا لها، ثم رجع.

فرآني بين يديه فقال: من هذا؟ قلت: أنا. قال: أسماء؟ قلت: نعم. قال: جئت تكرمين فاطمة بنت رسول الله في زفافها؟ قلت: نعم. فدعا لي[١].

غزوة السَّويق[٢]:

روى ابن إسحاق بسنده عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري: أنّ أبا سفيان حين رجع إلى مكة، ورجعت فلول المنهزمين من قريش من بدر، نذر أن لا يمسّ رأسه ماءٌ من جنابة[٣] حتى يغزو محمداً (صلى الله عليه وآله).

فخرج في أربعين راكباً[٤] أو مئتين، ليبرّ يمينه.

ثم بعث رجالاً من قريش إلى ناحية العُريض من المدينة، فوجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما، فقتلوهما وحرّقوا حرثهما أو صِغار النخل، ثم رجعوا.

فاستعمل رسول الله على المدينة أبا لُبابة بشير بن عبد المنذر (كما كان من قبل) ثم خرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكُدْر (بناحية المعدن تبعد عن المدينة ثمانية بُرد) وفاته أبو سفيان وأصحابه، فرجع. فقال أصحابه: أنطمع أن تكون لنا غزوة؟

---

(١) الطبقات: ٨/ ٢٤؛ وابن حنبل في الفضائل في موضعين برقمي: ٩٥٨ و١٣٤٢.

(٢) السَّويق: قمح أو شعير يُقلى ثم يطحن زاداً للمسافر يخلطه بلَبن أو بسمن أو عسل أو ماء فيأكله. وسُمّيت الغزوة به لكثرة ما طرح منه المشركون في انصرافهم يتخفّفون منه.

(٣) كان الاغتسال من الجنابة من بقايا الحنيفيّة الإبراهيمية في الجاهلية، كما قاله في الروض الأنف.

(٤) كما عن محمد بن كعب القرظي في الواقدي: ١/ ٤٧.

قال: نعم. فسمّوها: غزوة السَّويق، لأنهم رأوا سويقاً كثيراً قد طرحه المشركون يتخفّفون منه ليسرعوا هرباً. وكان ذلك في ذي الحجة[١]، يوم الأحد لخمس ليال خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً، فغاب خمسة أيام[٢] ومعنى هذا أنه (صلى الله عليه وآله) رجع إلى المدينة ليلة عيد الأضحى.

عيد الأضحى:

وفي عيد الأضحى روى النميري البصري بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان أول أضحى رآه المسلمون صبيحة عشر من ذي الحجة بعد ما رجعنا من بني قينقاع وذبحنا في بني سلمة، فعددت سبع عشرة أُضحية[٣].

وقال اليعقوبي: وضحى رسول الله بالمدينة، وخرج بالناس إلى المصلى.. وكانت العَنَزة بين يديه، وذبح بالمصلى شاة أو شاتين بيده، ومضى من طريق ورجع من أخرى[٤].

وفاة عثمان بن مظعون:

وفي ذي الحجة من هذه السنة مات عثمان بن مظعون، فدفنه رسول الله بالبقيع وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره[٥].

---

(١) ابن هشام: ٣/ ٤٧ ـ ٤٨؛ وإعلام الورى: ١/ ١٧٢؛ والمناقب: ١/ ١٩٠ مختصراً.
(٢) مغازي الواقدي: ١/ ١٨١.
(٣) تاريخ المدينة: ١/ ١٣٧ ـ ١٣٨؛ ونقله الطبري: ٢/ ٤٨١، عن الواقدي: وليس في المغازي، فلعله في سيرته.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٤٦؛ ومثله الطبري: ٢/ ٤٨١؛ والمسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٠٧؛ وعن الطبري الجزري في الكامل: ٢/ ٩٨؛ وعنه في بحار الأنوار: ٢٠/ ٨.
(٥) الطبري: ٢/ ٤٨٥؛ وعنه في الكامل: ٢/ ٩٨؛ وعنه في بحار الأنوار: ٢٠/ ٨.

وفاة رقيّة بنت الرسول:

لما ماتت رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال رسول الله الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون.

وبكى النساء، فجعل عمر يضربهنّ بسوطه! فأخذ النبيّ بيده وقال: دعْهنّ يا عمر! ثم قال للنساء: إياكنّ ونعيقَ الشيطان، فإنّه مهما يكن من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان.

فجلست فاطمة على شفير القبر وبكت، وجعل النبيّ يمسح دموعها بثوبه[١].



(١) الطبقات: ٨/ ٢٤ ـ ٢٥.

الفصل الثالث

أهم حوادث السنة الثالثة للهجرة

وقعة ذي قار:

وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة أو خمسة، إذ حاربت ربيعة كسرى وقالوا: عليكم بشعار التّهامي، فنادوا: يا محمد يا محمد، فقتلوا من جيوش كسرى حتى هزموهم، فلمّا بلغ ذلك رسول الله قال: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصروا[1].

غزوة قرقرة الكُدْر[2]:

بلغ رسولَ الله أنّ بقرارة الكُدْر جمعاً من بني سُليم وغَطفان (على العدوان) فاستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم يصلي بهم، ثم سار إليهم بمئتي رجل حتى أخذ عليهم الطريق، فرأى آثار النَعم ومواردها ولم يجد في المجال أحداً، فأرسل نفراً من أصحابه إلى أعلى الوادي.. فوجدوا ـ كما عن أبي أروى الدَّوسي ـ خمسمئة بعير يرعاها غلام يُسمىّ يسار، فساقوها في بطن الوادي، واستقبلهم رسول الله في بطن الوادي فسألهم عن الناس فقال يسار: إنما أنا في النَعَم والناس قد ذهبوا إلى المياه ولا علم لي بهم.

---

(١) اليعقوبي: ٢/٤٦.

(٢) قرقرة الكُدْر: بناحية معدن بني سُليم، قريب من الأخضية، وراء سدّ معونة، ثمانية بُرد عن المدينة = ١٧٦ كيلومتراً.

فاغتنم النَّعمَ النبيّ، واسترقّ العبد وانحدر إلى المدينة، فلما صلى الصبح رأى العبد يصلي، فتقبّله عن سهمه في الغنيمة وأعتقه. ولما انصرفوا إلى صِرار ـ على ثلاثة أميال = ٥ كيلومترات من المدينة ـ خمّس النَعَم فأخرج خُمسها مئة بعير، ثم قسّم أربعة أخماسها على المسلمين فأصاب كلُّ رجل منهم بعيرين بعيران(١).

غزوة ذي أمرّ:

بلغ رسولَ الله أنّ رجلاً من بني مُحارب يدُعى دُعثور بن الحارث جمع جمعاً منهم ومن ثعلبة بذي أمرّ يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله. فندب رسول الله المسلمين فخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً، فأخذ على المنُقى ثم مضيق الخُبيت (على بريد = ٢٢ كيلومتراً من المدينة (ثم خرج إلى ذي القَصَّة) إلى جهة نجد) فأصابوا بها رجلاً من بني ثعلبة يُدعى جبّاراً فأدخلوه على رسول الله فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فقالوا له: هل بلغك لقومك خبرٌ؟ قال: لا، إلا أنه بلغني أنّ دُعثور بن الحارث قد اعتزل في أُناس من قومه وأنهم إن سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال ولن يلاقوك، وأنا سائر معك ودالّك على ثغراتهم.

فضمّه النبيّ إلى بلال، وخرج بهم فأخذ طريقاً أهبطهم من كثب، فلما رآه أولئك الأعراب هربوا منه فوق الجبال، فلم يلاق النبيّ منهم أحداً، إلا أنه يراهم ويرونه من فوق الجبال(٢).

ونزل رسول الله وعسكر في مُعسكرهم.

سريّة قتل ابن الأشرف:

إنّ كعب بن الأشرف النَبْهاني الطائي لما رأى سَراة قريش ببدر أسرى بالمدينة

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ١٨٢ ـ ١٨٤.

(٢) ونقل قريباً منه ابن الأثير في الكامل: ٢/٩٩؛ وعنه في بحار الأنوار: ٢٠/٩، وقال: وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة.

لم يتحمّل ذلك دون أن خرج إلى قريش بمكة ليبكي قتلاهم فيحثهم بذلك ليخرجوا للانتقام من المسلمين فيخرج معهم، فخرج حتى قدم مكة على أبي وداعة بن ضُبيرة السَّهمي.

فلما بلغ النبيّ قدومُ ابن الأشرف قال: اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشرّ وقوله الأشعار[١].

رجع ابن الأشرف إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

فقال رسول الله لأصحابه: مَن لي بابن الأشرف؟

فقال محمد بن مَسلمة (الأوسي) وكان أخا ابن الأشرف من الرضاعة: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله.

قال: فافعل إن قدرت على ذلك.

فرجع محمد بن مَسلمةَ فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا ما يحفظ به نفسه، فذُكر ذلك لرسول الله، فدعاه فقال له: لِمَ تركت الطعام والشراب؟ فقال: يا رسول الله قلتُ قولاً لا أدري هل أفينَّ لك به أم لا؟ فقال: إنما عليك الجَهد[٢]، وشاوِر سعد بن مُعاذ في أمره.

فاجتمع محمد بن مَسلمة ونفر من الأوس منهم عَبّاد بن بشر بن وقش وأخوه سِلْكان بن سلامة بن وقش، وكان أخا ابن الأشرف من الرضاعة، والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جَبْر.. فقالوا: يا رسول الله، نحن نقتله، فأْذَنْ لنا فَلْنقُل[٣] فإنه لا بدّ لنا منه[٤] قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلّ من ذلك[٥].

---

(١) مغازي الواقدي: ١/١٨٦ ـ ١٨٧.
(٢) ابن هشام: ٣/٥٨.
(٣) يعني القول الكذب والباطل حيلةً.
(٤) مغازي الواقدي: ١/١٨٧.
(٥) ابن هشام: ١/١٨٧.

فاقبلوا حتى انتهوا إلى حصن ابن الأشرف، فهتف به أبو نائلة.

فنزل في مِلْحفته[١] من الحصن، فتحدث معهم وتحدثوا معه، ثم قال له أبو نائلة: هل لك ـ يا بن الأشرف ـ أن نتماشى إلى شِعب العجوز[٢] فنتحدث؟ فخرجوا يتماشون[٣].

وكان كعب حديث عهد بُعرس، وكان جميلاً يتطيّب وكان شعره جعداً، فأدخل أبو نائلة يده في مقدّم رأسه ثمّ شمّ يده وقال: ما رأيت طيباً أعطر قط! ثم مشَوْا ثم عادَ لمثلها ثم مشوا ثم عاد لمثلها وأمسك به وقال: اضربوا عدوّ الله، فضربوه فاختلفت أسيافهم عليه فلم تُغنِ شيئاً، وأصاب بعض أسيافنا الحارث بن أوس فجرحه في رجله.

قال محمد: فحين رأيت أسيافنا لم تُغنِ شيئاً ذكرت مِغْولاً[٤] في سيفي فأخرجته ووضعته قرب سُرّته ثم تحاملت عليه فوقع عدوّ الله.

فجئنا به رسول الله آخر الليل، فخرج إلينا وتفل على جُرح صاحبنا[٥] فلم يؤذه[٦] فأخبرناه بقتل عدوّ الله.

وأصبحنا وقد خافت اليهود لوقعَتنا بعدوّ الله، فلم يبق بها يهودي إلا خاف على نفسه[٧]. ففزعت اليهود ومن معها من المشركين. فجاؤوا إلى النبيّ حين أصبحوا فقالوا: قد طُرق صاحبنا كعب بن الأشرف الليلة (البارحة) وهو سيد من ساداتنا، قُتل غيلة بلا جُرم ولا حدث علمناه!

---

(١) ما يُلتحف به من شملة واسعة شاملة، وكأنهم كانوا في غير صيف.
(٢) موضع بظهر المدينة.
(٣) ابن هشام: ٣/ ٦٠.
(٤) سكين صغير.
(٥) ابن هشام: ٣/ ٦٠.
(٦) مغازي الواقدي: ١/ ١٩٠.
(٧) ابن هشام: ٣/ ٦٠؛ وعنه في الكامل: ٢/ ١٠٠؛ والمنتقى: ١١٦؛ وعنهما في بحار الأنوار: ٢٠/ ١٠ ـ ١٢.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنه لو قرّ ـ كما قرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ـ ما اغتيل، ولكنّه هجانا بالشعر ونال منا الأذى، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان له السيف.

ودعاهم رسول الله إلى أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه.

فكتبوا بينهم وبينه كتاباً تحت العَذق في دار ملة بنت الحارث.

فحذرت اليهود وخافت وذلّت من يوم قتل ابن الأشرف(١) وكتابة الكتاب.

غزوة بُحران من الفُرع:

بلغ رسولَ الله أن جمعاً كثيراً (قد اجتمع عليه) من بني سُليم في بُحران. فتهيّأ رسولُ الله لذلك، ولم يُبد وجهاً خاصاً، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

ثم خرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه، فأسرعوا السير حتى إذا كانوا دون بُحران بليلة، لقوا رجلاً من بني سليم فاستخبروه عن اجتماع القوم فأخبرهم: أنهم قد افترقوا ورجعوا إلى مائهم.

فسار النبيّ حتى ورد بُحران فإذا ليس به أحد، فأقام أياماً ولم يلق كيداً فرجع. وكانت غيبته عشر ليال.

كانت الغزوة لليال خلون من جُمادى الأولى(٢).

سريّة القرَدَة(٣):

قدم من مكة إلى المدينة نُعيم بن مسعود الأشجعي وهو على دين قومه، فنزل على كنانة بن أبي الحُقيق من بني النضير.. وكان سليط بن النعمان بن أسلم يذهب

---

(١) مغازي الواقدي: ١/١٩٢.

(٢) مغازي الواقدي: ١/١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) القرَدَة: طريق نجد إلى العراق إلى ناحية ذات عرق بعد الربذة وقبل الغمرة، كما في الطبقات: ٢/ ٢٤.

إليه، فشربوا عنده ـ ويومئذٍ لم تحرّم الخمر ـ فذكر نُعيم خروج صفوان بن أُمية الجُمحي بعير قريش وما معه من الأموال: ثلاثمائة مثقال ذهب وقطع مُذابة من الفضة وآنية فضة بوزن ثلاثين ألف درهم وبضائع أخرى، في رجال من قريش منهم حُويطب بن عبد العزّى وعبد الله بن أبي ربيعة، وأنهم خرجوا على ذات عرق(١).

فخرج سليط بن النعمان بن أسلم من ساعته إلى النبيّ فأخبره خبره.

فأرسل رسول الله زيد بن حارثة في مئة راكب، فاعترضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم وأسروا رجلاً هو فرات بن حيّان العجلي.

فلما أصابوهم، وقدموا بالعير على النبيّ خمّسها فكان خمسُها قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي على أهل السرية.

وقيل لفرات بن حيّان: إن تُسلم نتركك من القتل، فأسلم، فتركوه(٢).

أم شريك تهب نفسها للنبي:

وفي شهر رجب الحرام لم يذكر عنه (صلى الله عليه وآله) أمرٌ من قتال وغيره. وفي أزواج رسول الله بعد خديجة ثم سودة ثم عائشة عدّ اليعقوبي:

أم شريك غُزَيّة بنت دودان العامرية، وقال: وهبت نفسها للنبيّ. ثم عدّ حفصة بنت عمر(٣).

وقيل: إنها لمّا وهبت نفسها للنبيّ (صلى الله عليه وآله) قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن

---

(١) ذات عرق: من منازل الطريق إلى العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة كما في معجم البلدان: ٦/ ١٥٤.

(٢) مغازي الواقدي: ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨؛ واختصر الخبر ابن إسحاق وقال: كان فيها أبو سفيان ابن حرب ٣/ ٥٣؛ ونقل الطبري مختصر خبر الواقدي عنه وذكر فيه صفوان وأبا سفيان كليهما: ٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٢، ويبدو أنه نقله عن سيرة الواقدي لا المغازي. واختصر خبرهما الطبرسي في إعلام الورى: ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٣) اليعقوبي: ٢/ ٨٤.

أنفسهنّ بلا مهر؟! فنزلت الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا. . .﴾ إلى آخر الآية، فأحل الله عزّ وجلّ هبة المرأة نفسها للنبيّ ولا يحلّ ذلك لغيره(١).

ميلاد الحسن عليه السلام:

نقل الدولابي في «الذرية الطاهرة» عن الليث بن سعد قال: ولدت فاطمة بنت رسول الله الحسن بن علي في شهر رمضان سنة ثلاث(٢).

وقال المسعودي في السنة الثالثة: وللنصف من شهر رمضان كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام(٣).

تسمية الحسن عليه السلام وبعض السنن:

عن علي بن الحسين عليه السلام عن أسماء (بنت عُميس)(٤) قالت: إنَّ فاطمة لمّا حملت بالحسن عليه السلام وولدته جاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أسماء، هلمّي ابني.

فدفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في أُذنه اليُسرى، ثم قال لعليّ عليه السلام: بأي شيء سمّيت ابني؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله(٥).

فقال النبيّ: ولا أنا أسبق باسمه ربّي.

---

(١) فروع الكافي: ٥/٥٦٨، الحديث: ٥٣.

(٢) الذرية الطاهرة: ١٠١ ـ ٢٠٢؛ وعنه في كشف الغمة: ١/٥١٤؛ وعنه في بحار الأنوار: ٤٤/١٣٦. ونقل الدولابي قبله عن قتادة قال: ولدت حسناً بعد أُحُد بسنتين. ولا يصح وفي المناقب: ٤/٢٨.

(٣) التنبيه والإشراف: ٢١٠، وعليه قال في عمره: توفي في سنة ٤٩ وله ٤٦ سنة ٢٦٠؛ وكذلك نقل الأربلي في كشف الغمة: ٢/١٤٠ عن ابن طلحة في مطالب السؤول، وعن الكنجي الشافعي في كفاية الطالب.

(٤) فيه الإشكال بعدم حضور أسماء بنت عميس، والجواب بأنها هي بنت يزيد بن السكن الأنصارية الولّادة الخطّابة، وإنما الاشتباه والخلط من الرواة.

(٥) وروى الخبر الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٥.

فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد، العليُّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبيّ بعدك، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون.

فقال النبيّ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبّر. قال النبيّ: لساني عربي. قال جبرائيل: سمّه الحسن. فسمّاه الحسن.

فلما كان يوم سابعه عقّ النبيّ عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثم حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضة) وطلى رأسه بالخَلوق ثم قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية[1].

غزوة أُحُد:

كان سبب غزوة أُحُد: أن قريشاً لمّا رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر ـ فقد قتل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون ـ قال أبو سفيان: يا معشر قريش! لا تدَعوا النساء يبكين على قتلاكم، فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحُزن والحُرْقة والعداوة لمحمد، ويشمت بنا هو وأصحابه![2].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٥، ويُعلَم منه بعض السنن وأنّ العرب كانوا يطلّون رأس الوليد بالدم ليصبح دمويّاً جريئاً! فنسخه الإسلام.

(٢) في تفسير القمي: ١/ ١١٠ ـ ١١١، أنّ كعب بن الأشرف اليهودي لمّا خرج إلى مكة بعد بدر فنزل على أبي وداعة بن ضُبَيرة، جعل ينظم شعراً في رثاء قتلى بدر من قريش، ومن يلقاه من الصبيان والجواري ينشدهم الأبيات، فأخذها الناس منه، ورَثَوْا بها وأظهروا المراثي وناحت قريش على قتلاها شهراً، ولم تبق دار بمكة إلا فيها نَوْح، وجزّ النساء شعر الرؤوس، كان يؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتُوقف بين أظهرهم فينوحون حولها، وخرجن إلى السكك في الأزقة وقطعن الطرق لينُحنَ! ١/ ١٢٢.
وبلغ نوفل بن معاوية الديلي أنّ قريشاً بكت على قتلاها فقدم مكة وقال لقريش: يا معشر قريش؛ لقد خفّت أحلامكم وسَفُه رأيكم وأطعتم نساءكم! ومثل قتلاكم يُبكى عليهم؟! هم أجلّ من البكاء، مع أنّ ذلك يُذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ولا ينبغي أن يَذهب الغيظُ عنكم إلا أن تُدرِكوا ثأركم من عدوّكم. =

وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف: ألف فارس وألفي راجل. وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثّنّهم على حرب رسول الله، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة، وعمرة بنت علقمة الحارثية.

فلما بلغ رسولَ الله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أنّ الله قد أخبره: أنّ قريشاً قد تجمعت تريد المدينة(١).

قال الطبرسي: فلما صار على الطريق قالوا: نرجع. فقال (صلى الله عليه وآله): ما كان لنبيّ إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم(٢).

= فلمّا سمع أبو سفيان كلامه قال: يا أبا معاوية، والله ما ناحت امرأة من بني عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم، ولا بكاهن شاعر إلا نهيته حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه، وإني لأنا الموتور الثائر، قُتِل ابني حنظلة وسادة أهل هذا الوادي: ١/ ١٢٤ ـ ١٢٥.
إذاً فنهي أبي سفيان إنما كان نافذاً في بني عبد شمس، أمّا سائر قريش فلم يتمالكوا أكثر من شهر ثم ناحوا شهراً ولم يتمكن أبو سفيان من منعهم ثم منعهم نوفل بن معاوية وقد قربوا من موسم الحج بعد بدر.

(١) تفسير القمي: ١/ ١١١.
وروى الواقدي بسنده عن ابن أبي حُكيمة الأسلمي قال: لمّا أصبح أبو سفيان بالأبواء أخبر: أن عمرو بن سالم الخزاعي وأصحاباً له مرّوا بهم راجعين إلى مكة.
فقال أبو سفيان: أحلف بالله أنهم قد ذهبوا إلى محمد فأخبروه بمسيرنا وعددنا، فهم الآن يلزمون صياصيهم، فما أرانا نُصيب منهم شيئاً في وجهنا!
فقال صفوان بن أمية: إن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل ولا خيل لهم، ونقاتل على وِتر ولا وِتر لهم. وإن لم يُصحروا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه فتركناهم ولا أموال لهم ولا يَجبرونها أبداً!

(٢) إعلام الورى: ١/ ١٧٦؛ وقصص الأنبياء: ٣٤٠؛ ومناقب آل أبي طالب ١/ ١٩١.
قال الواقدي: فلما أبوا إلا الخروج، صلّى رسول الله الجمعة بالناس، ثم وعظ الناس (أي بخطبة بعد الصلاة؟!) وأمرهم بالجدّ والجهاد وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا. وأمرهم بالتهيّؤ لعدّوهم فأعلمهم بذلك بالشخوص إلى عدوّهم، ففرح الناس بذلك، وكرهه كثير من أصحابه.
وحشد الناس وحضر أهل العوالي وصعد النساء على الآطام، وحضر بنو عمرو بن عوف وحلفاؤهم والنبيت وحلفاؤهم وقد لبسوا السلاح لصلاة العصر فصلى بهم رسول الله. ثم دخل بيته.. واصطفّ له الناس ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه.
فجاءهم أُسيد بن حضير وسعد بن مُعاذ فقالا: قلتم لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء؟! فردّوا الأمر إليه فما أمركم به فافعلوه وما رأيتم له فيه=

أبو البنين وأبو البنات:

روى ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار، عن بعض بني سلمة قالوا: لما كان يوم أُحُد، كان لعمرو بن الجموح أربعة بنين كليوث العرين، وكان أبوهم ابن الجموح أعرج شديد العرج، فقالوا له: إن الله عزّ وجلّ قد عذرك، وأرادوا حبسه.

فأتوا رسول الله، فقال عمرو: يا رسول الله، إنّ بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج فيه معك، ووالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة!

فقال له رسول الله: أمّا أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك.

وقال لبنيه: لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة. فخرج[(١)].

وكانوا ألف رجل، فلما كانوا في بعض الطريق انخذل عنهم عبد الله بن أُبيّ بثلث الناس، وقالوا: والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا والقوم قومه؟! وهمت بنو حارثة وبنو سلمة بالرجوع ثم عصمهم الله عزّ وجل[(٢)].

فضرب رسول الله معسكره ممّا يلي طريق العراق[(٣)].

=هوًى أو رأي فأطيعوه. وكان بعضهم كارهاً للخُروج فقالوا: القول ما قال سعد، ما كان لنا أن نلحّ على رسول الله أمراً يهوى خلافه، وبعضهم مصرٌّ على الشخوص، إذ خرج رسول الله قد لبس لأمته ودرعين ظاهر بينهما (أي جعل ظهر أحدهما لوجه الآخر) وتحزّم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدَم، واعتمّ وتقلد سيفاً.

فقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك.

فقال: قد دعوتكم إلى هذا فأبيتم ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. انظروا ما آمركم به فاتّبعوه، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم. ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤.

(١) ابن هشام: ٣/ ٩٦؛ ومغازي الواقدي: ١/ ٢٦٤.

(٢) إعلام الورى: ١/ ١٧٦؛ وقصص الأنبياء: ٣٤١؛ ومناقب آل أبي طالب: ١/ ١٩١.

(٣) تفسير القمي: ١/ ١١١.

اللواء والرّاية:

قال الطبرسي: وأصبح رسول الله فتهيّاً للقتال، وجعل على راية المهاجرين عليّاً عليه السلام وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله في راية الأنصار(١).

الرُّماة على الشِعب:

ووضع (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشِّعب، أشفق أن يأتي كمين المشركين من ذلك المكان، وقال رسول الله لعبد الله بن جُبير وأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم(٢).

وقال: اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم. وأقامهم عند رأس الشعب(٣).

وقال: لا تبرحوا مكانكم هذا وإن قُتلنا عن آخرنا، فإنما نؤتى من موضعكم هذا(٤).

وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمشي على رجليه يسوّي تلك الصفوف، و«يبوّئ

---

(١) إعلام الورى: ١/ ١٧٦؛ وقصص الأنبياء: ٣٤١؛ ومناقب آل أبي طالب: ١/ ١٩١ و١٩٢. وقال ابن إسحاق: دفع اللواء إلى مصعب بن عمير من بني عبد الدار ٣/ ٧٠ فلما قُتل أعطى رسول الله اللواء لعلي بن أبي طالب.. وجلس رسول الله تحت راية الأنصار (ولم يقل بيد سعد) وأرسل رسول الله إلى عليّ أن: قدّم الراية. فتقدم علي وهو يقول: أنا أبو القَصْم ٣/ ٧٨. وسيأتي معناه في: ١٣١.

قال في الإرشاد: ١/ ٧٨: وكانت راية رسول الله فيها بيد أمير المؤمنين كما كانت بيده يوم بدر، فصار إليه اللواء يومئذٍ دون غيره، فكان هو صاحب الراية واللواء جميعاً، وكان الفتح له كما كان له ببدر سواء.

(٢) تفسير القمي: ١/ ١١٢.

(٣) إعلام الورى: ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧؛ وقصص الأنبياء: ٣٤١.

(٤) الإرشاد: ١/ ٨٠؛ ومناقب آل أبي طالب: ١/ ١٩٢.

المؤمنين مقاعد للقتال» يقول: تقدّم يا فلان، وتأخّر يا فلان، حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخّره..

ثم قام رسول الله فخطب الناس فقال:

يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه. ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذُخر لمن ذكر الذي عليه ثم وَطّن نفسه على الصبر واليقين، والجدّ والنشاط، فإن جهاد العدوّ شديد كَرْبُه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإنّ الله مع من أطاعه وإنّ الشيطان مع من عصاه. فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فإني حريص على رَشَدكم، فإنّ الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفَر.

يا أيها الناس قُذف في صدري: أنّ من كان على حرام فرّق الله بينه وبينه، ومن رغب عنه غفر الله ذنبه.. وإنه نَفثَ في روعي الروح الأمين: أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا يُنقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنّكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم، فانه لا يُقدر على ما عنده إلا بطاعته، وقد بيَّن لكم الحلال والحرام، غير أنّ بينهما شُبَهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عَصَمَ، فمن تركها حفظ عِرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، وليس مَلِكٌ إلا وله حمى، ألا وإنّ حمى الله محارمه.

والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى له سائر الجسد، ومن أحسن من مسلم (أو كافر) وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يقرّبكم إلى الله إلاّ وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل

يقرّبكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه.. ومن صلّى عليّ (مّرة) صلّى الله عليه وملائكته عشراً. والسلام عليكم.

نشوب الحرب:

إنّ أوّل من أنشب الحرب أبو عامر عبد عمرو (بن صيفي الراهب الفاسق) إذ طلع في خمسين من قومه ومعه عبيد قريش، فنادى: يا آل أوس، أنا أبو عامر! (وكان رسول الله سمّاه الفاسق، فلما سمعه قومه (قالوا: لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق!) فلما سمع ردّهم عليه) قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ثم تراموا فيما بينهم والمسلمين بالحجارة، ثم ولّوا مدبرين[١].

وتقدم نساء المشركين أمام صفوفهم قبل اللقاء يضربن بالدفوف والطبول الكبار، ثم رجعن فكنّ في أواخر الصفوف[٢] خلف الرجال وبين أكتافهم يذكرن من أُصيب ببدر ويحرّضن بذلك الرجال ويضربن بالدفوف ويقلن:

نحن بنات طارقْ
نمشي على النمارقْ
إن تُقبلوا نعانقْ!
أو تُدبروا نفارقْ
فراق غير وامق

الملتحقون بأُحُد:

وإن تخلّف عن رسول الله أولئك فقد التحق به عدد مذكورون، أولهم حنظلة بن أبي عامر الراهب الفاسق وصهر ابن أُبيّ بن سلول المنافق! وقد مرّ أنّ الرسول سمّى أباه بالفاسق، وسيأتي أنّ النبيّ يصف الولد بغسيل الملائكة!

(١) مغازي الواقدي: ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٣.
(٢) مغازي الواقدي: ١/ ٢٢٥؛ وسيرة ابن هشام: ٣/ ٧٢.

قال القمي: وفي تلك الليلة التي كان في صبيحتها حرب أُحُد تزوّج بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول، واستأذن رسول الله أن يقيم عندها، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] فأذن له رسول الله.

فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها فأصبح وهو جنب.

وهناك من الملتحقين بالمسلمين بأُحُد يهودي من أحبارهم بالمدينة يُدعى مُخيريق من بني ثعلبة، قال ابن إسحاق: قال (لأصحابه): يا معشر يهود، والله لقد علمتم أنّ نصر محمد لحقٌّ عليكم! ثم أخذ عُدّته وسيفه فقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا (صباحاً) إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأسلم وكان معه حتى قتل، فقال رسول الله فيه: مخيريق خير يهود[2] فكانت صدقات النبيّ منها[3].

ومن الداخلين في الإسلام يومئذٍ والملتحقين بالمسلمين بأُحُد: عمرو بن ثابت بن وَقَشْ من بني عبد الأشهل، وكان قومه قد أسلموا وهو يأبى ذلك، ثم بدا له في الإسلام إذ خرج رسول الله إلى أُحُد فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتى التحق بهم ودخل في عرضهم[4].

أداء حقّ السيف:

ومدّ رسول الله سيفاً وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال ـ

---

(١) النور: ٦٢؛ وقال القمي: وهذه الآية في سورة النور، وأخبار أُحُد في سورة آل عمران، فهذا دليل على أنّ التأليف على خلاف ما أنزله الله.

(٢) ابن هشام: ٣/ ٩٤.

(٣) مغازي الواقدي: ١/ ٢٦٣.

(٤) ابن هشام: ٣/ ٩٥؛ والواقدي: ١/ ٢٦٢؛ وتفسير القمي: ١/ ١١٧، مع تغيير يسير.

منهم الزبير بن العوام ـ[1] فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خَرشَة من بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني! قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه! فأعطاه إياه. فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، ثم أخذ يمشي متبختراً![2].

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ هذه لمشية يبغضها الله عزّ وجلّ إلا عند القتال في سبيل الله[3].

بَدْء البراز بأُحُد:

قال القمي في تفسيره: كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي (أي) من بني عبد الدار، فبرز ونادى:

يا محمّدا تزعمون أنكم تُجهزوننا بأسيافكم إلى النار، ونُجهزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرُز إليّ!

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

يا طَلْحُ إن كنت كما تقولُ   لنا خيول ولكم نُصولُ
فاثبت لننظر أيّنا المقتول   وأيّنا أَوْلى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصوولُ   بصارم ليس به فلولُ
ينصره القاهر والرسولُ

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب.

---

(١) ابن هشام: ٣/ ٧٢ ـ ٧٣؛ وقال الواقدي: قالوا: وما حقه؟ قال: يُضرب به العدو! فقال عمر: أنا، فأعرض عنه رسول الله، ثم عرضه بذلك الشرط فقام الزبير فقال: أنا، فأعرض عنه حتى وجد عمر والزبير في أنفسهما، ثم عرضه الثالثة فقال أبو دجانة: أنا يا رسول الله آخذه بحقه! فدفعه إليه ١/ ٢٥٩؛ ولعلّ ابن إسحاق أو ابن هشام اختصر الخبر، على ما قاله في مقدمته، أنه يحذف ما يشنع أو يسوء بعض الناس ذكره ١/ ٤.

(٢) ابن هشام: ٣/ ٧١؛ ومغازي الواقدي: ١/ ٢٥٩.

(٣) فروع الكافي: ١/ ٣٢٩؛ كما في بحار الأنوار: ٢٠/ ١١٦.

قال طلحة: قد علمتُ ـ يا قَضيم[1] ـ أنّه لا يجسر عليّ أحد غيرُك!

فشدّ عليه طلحة، فاتقاه أمير المؤمنين بالجحفة (الترس)، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرَحِم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.

وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مسافع بن طلحة، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

---

(١) ثم حدّث القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام قال: سُئل الصادق عليه السلام عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لمّا بارزه علي عليه السلام: يا قضيم؟ فقال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لا يجسر عليه أحد بمكّة لموضع أبي طالب، فأغروا به الصبيان، فكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، فشكا ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إذا خرجت فأخرجني معك. فخرج رسول الله ومعه علي عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم؛ فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي. فلذلك سمّي القضيم ١/ ١١٤.
وروى ابن هشام: ٣/ ٧٨: أنّ أبا سعيد بن أبي طلحة لما خرج بين الصفّين فنادى: أنا قاصمٌ من يبارزني، فمن يبارز برازاً؟ فلم يخرج إليه أحد! فقال: يا أصحاب محمد! زعمتم أنّ قتلاكم في الجنة وأنّ قتلانا في النار! كذبتم واللّات! لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلي بعضكم!
فخرج إليه علي بن أبي طالب.. فتقدم وقال: أنا أبو القَصَم!
فناداه أبو سعيد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، قال: هل لك ـ يا أبا القَصَم ـ من حاجة في البراز؟ قال: نعم فبرزا بين الصفّين فاختلفا بضربتين فضربه علي فصرعه. فقيل قتله، وقيل: إنه انصرف عنه ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟! فقال: إنه استقبلني بعورته! فقيل: إنّ سعد بن أبي وقاص طعنه فقتله ٣/ ٧٨.
والقصَم: الكسر البين، ويبدو أنّ أبا القصم تصحيف عن القضيم بمعنى القاضم أي الذي كان يقضم الآذان والأنوف، وإن رغمت أنوف!.

فأخذها أبو عذير بن عثمان، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عبد الله بن حُميد، فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض.

وقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار أُرطاة بن شرحبيل فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مولاهم صواب، فضربه أمير المؤمنين على يمينه فقطعها فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يا بني عبد الدار، هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية.

فأخذتها عمرة بنت علقمة (عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانيّة) فقبضتها[١].

معصية الرّماة:

فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله في سوادهم. وانحطّ خالد بن الوليد في مئتي فارس فلقي عبد الله بن جُبير (وأصحابه) فاستقبلوهم بالسهام (فردّوا).

ونظر أصحاب عبد الله بن جُبير إلى أصحاب رسول الله ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله بن جُبير: تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟!

فقال لهم عبدالله: اتّقوا الله، فإنّ رسول الله قد تقدم إلينا أن لا نبرح!

فلم يقبلوا منه وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مركزهم، وبقي عبد الله ابن جبير في اثني عشر رجلاً[٢].

---

(١) تفسير القمي: ١/ ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) تفسير القمي: ١/ ١١٢؛ وقال الواقدي: كان ضرار بن الخطّاب الفهري يحدث عن وقعة أُحُد يقول: لمّا التقينا ما أقمنا لهم شيئاً حتى هزمونا فانكشفنا مولّين، فقلت في نفسي: هذه أشد من وقعة بدر وجعلت أقول لخالد بن الوليد: كُرّ على القوم! فجعل يقول: وترى وجهاً نكِرّ فيه؟ حتى نظرت إلى الجبل ـ الذي عليه الرماة ـ خالياً، فقلت: أبا سليمان، انظر وراءك! فعطف=

وانحطّ خالد بن الوليد على عبد الله بن جُبير وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشِعب، واستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف(١).

=عِنان فرسه، فكرّ وكررنا معه، فانتهينا إلى الجبل فلم نجد عليه أحداً له بال، وجدنا نفُيراً فأصبناهم، ثم دخلنا العسكر والقوم غارّون ينتهبون العسكر فأقحمنا الخيل عليهم فتطايروا في كل وجه ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا ١/ ٢٨٣.

وقال الواقدي: وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أُحُداً، قال كل واحد منهم: والله إني لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات ما دون أخذهن شيء لمن أراد ذلك. وكلما كان خالد يأتي من قبل ميسرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ليجوز حتى يأتي من قبل السفح كان يردّه الرماة، وفعل ذلك مراراً وفعلوا.

وانهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى أبعدوهم عن معسكرهم وأخذوا ينتهبونه، فقال بعض الرماة لبعض: لِمَ تقيمون هاهنا في غير شيء؟ قد هزم الله العدوّ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم! وأجابهم بعضهم: ألم تعلموا أنّ رسول الله قال لكم: احموا ظهورنا ولا تبرحوا من مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تَشركونا؟! فقال الآخرون: لم يُرد رسول الله هذا وقد أذلّ الله المشركين وهزمهم، فادخلوا المعسكر فانتهبوا مع إخوانكم!

فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله وأن لا يخالفوا أمر رسول الله. فعصوه وانطلقوا حتى لم يبق منهم مع أميرهم عبد الله بن جبير إلا نفير ما يبلغون العشرة.

ثم روى عن نِسطاس مولى صفوان بن أمية قال: دنا القوم بعضهم من بعض واقتتلوا ساعة، ثم إذا أصحابنا منهزمون، ودخل أصحاب محمد عسكرنا، فأحدقوا بنا وأسرونا وانتهبوا العسكر.. وضُيِّعَت الثغور التي كان بها الرماة وجاؤوا إلى النهب، فأنا أنظر إليهم متأبّطين قسيَّهم وجعابهم كل رجل منهم في يديه أو في حضنه شيء قد أخذه ١/ ٢٣١.

ثم روى عن رافع بن خديج قال: لما انصرف الرماة إلا من بقي، نظر خالد بن الوليد إلى خلأ الجبل وقلة أهله، فكرّ بالخيل، وتبعه عِكرمة في الخيل، فانطلقا إلى بقية الرماة فحملوا عليهم، فراموا القوم حتى أُصيبوا، ورامى عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر، ثم كُسِر جَفن سيفه فقاتلهم حتى قتل (قتله عكرمة ١/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

وكان أبو بردة بن نيار وجُعال بن سراقة آخر من انصرف من الجبل بعد مقتل عبد الله ابن جبير ١/ ٢٣٢.

قال نِسطاس: فدخلت خيلنا على قوم غارّين آمنين، فوضعوا فيهم السيوف فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وتفرق المسلمون في كل وجه وتركوا ما انتهبوا وأخلوا العسكر، وخلّوا أسرانا. واسترجعنا متاعنا وما فقدنا منه شيئاً، حتى الذهب وجدناه في المعركة١/ ٢٣١.

(١) تفسير القمي: ١/ ١١٣.

ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رُفعت، فلاذوا بها.

هزيمة المسلمين:

وانهزم أصحاب رسول الله هزيمةً قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه.

فلمّا رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: إنّي أنا رسول الله، فإلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله؟![١].

موقف علي عليه السلام وسائر الصحابة:

قال القمّي: وحمل عليّ عليه السلام كفّاً من الحصى فرمى به في وجوههم ثمّ قال: شاهت الوجوه وقُطّت ولُطّت (أي قُطعت وشُقّت وضربت) إلى أين تفرّون؟! إلى النار؟! فلم يرجعوا، فكرّ عليهم ثانية وبيده صحيفة يقطر منها الموت فقال لهم: بايعتم ثمّ نكثتم؟! فوالله لأنتم أولى بالقتل ممّن قُتل! وكأنّ عينيه قدحان مملوءان دماءً أو زيتان يتوقّدان ناراً!

ولم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أمير المؤمنين وأبو دجانة سماك بن خَرَشة الأنصاري، وكلّما حملت طائفة على رسول الله استقبلهم أمير المؤمنين فيدفعهم عن رسول الله ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه[٢].

فلمّا انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بالسلاح، وقد انقطع سيفي! فدفع إليه رسول الله سيفه «ذا الفقار» وقال: قاتل بهذا.

فلم يكن يحمل على رسول الله أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رأوه رجعوا.

---

(١) تفسير القمي: ١/ ١١٤.
(٢) تفسير القمي: ١/ ١١٥.

وانحاز رسول الله إلى ناحية أُحُد فوقف، وكان القتال من وجهٍ واحد، وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة.

وسمعوا منادياً ينادي من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ».

ونزل جبرائيل على رسول الله وقال: هذه والله المواساة يا محمّد!

فقال رسول الله: لأنّي منه وهو منّي!

فقال جبرائيل: وأنا منكما[1].

قال: ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دُجانة سماك بن خَرَشة وأمير المؤمنين عليه السلام.

موقف نُسيبة الخزرجية:

وبقيت معه نُسيبة بنت كعب المازنيّة، وكانت تخرج مع رسول الله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه وقالت: يا بُني إلى أين تفرّ؟ عن الله وعن رسوله؟! فردَّته!

فحمل عليه رجل يقتله فأخذت سيف ابنها وحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته!

فقال رسول الله: بارك الله عليك يا نُسيبة! وكانت تقي رسول الله بصدرها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة.

مقام عليّ عليه السلام:

قال زيد بن وهب: فقلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله حتى لم

---

(١) تفسير القمي: ١١٦؛ ومثله روضة الكافي عن الصادق عليه السلام: ٣٢٠.

يبق معه إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟! فقال: ولحقهم طلحة بن عبيد الله.

فقلت: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممّن تنحّى![1]

قلت: وأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة أيّام من الوقعة! فقال له رسول الله: لقد ذهبت فيها عريضة!

فقلت له: وأنت أين كنت؟ قال: كنت ممّن تنحّى.

فقلت: فمن حدّثك بهذا الحديث؟ قال: عاصم وسهل بن حنيف.

فقلت له: إنّ ثبوت عليّ في ذلك المقام لعجب!

فقال: وإن تعجب من ذلك فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أنّ جبرائيل عليه السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ!

قلت: فمن أين عُلم أنّ ذلك من جبرائيل عليه السلام؟ قال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبيّ عنه فقال: ذاك جبرائيل[2].

ولم يعد بعدها أحد منهم، وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله)[3].

ورمى رسولَ الله ابنُ قميئة بقُذافة فأصاب كفّه حتى ندر السيف من يده، فقال: أذلّك الله وأقمأك. ورماه عبد الله بن شهاب بقُلاعة فأصاب مرفقه. وضربه عتبة بن أبي وقاص حتى أدمى فاه[4]. قال: قلت: كُسرت رَباعيته كما يقول

(١) وكما في بحار الأنوار أيضاً: ٢٠/ ٧٠ و٧١.

(٢) الإرشاد: ١/ ٨٣ ـ ٨٥.

(٣) الإرشاد: ١/ ٨٩.

(٤) وقال الواقدي: ورمى عتبة بن أبي وقاص رسول الله بأربعة أحجار؛ فكسر رَباعيته اليمنى السفلى. =

هؤلاء؟ قال: لا والله ولكنّه شُجّ في وجهه.. وقيل له: ألا تدعو عليهم؟! قال:

= وكان أبو عامر الراهب الفاسق قد حفر حُفراً للمسلمين كالخنادق، وكان رسول الله واقفاً لدى بعضها وهو لا يشعر به، وأقبل ابن قميئة (الفهري) وهو يقول: دُلّوني على محمد! فوالذي يُحلف به لئن رأيته لأقتلنّه! وعرفه فقصده وعلاه بالسيف، ورماه عتبة بن أبي وقاص في الحال التي جلّله ابن قميئة فيها بالسيف، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ فارساً وعليه درعان، فوقع في الحفرة التي أمامه فجُرحت ركبتاه.

فروى بسنده عن أبي بشير المازني قال: رأيت ابن قميئة علا رسول الله بالسيف فرأيته وقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتى توارى، فجعلت أصيح، حتى رأيت الناس ثابوا إليه، وانتهض رسول الله وعلي آخذ بيديه وطلحة يحمله من ورائه حتى استوى قائماً ١/ ٢٤٤.

ثم روى بسنده عن كعب بن مالك: أنّ ابن أُبيّ بن كعب كان قد أُسر في بدر وافتداه أبوه، فأقبل يوم أُحُد يحمل على رسول الله، فقتله النبي بطعنة بالحربة ١/ ٢٥٠ و٢٥١.

ثم قال: وكان عثمان بن عبد الله المخزومي مأسوراً في سرية بطن نخلة، وافتُدي ورجع إلى مكّة، وأقبل يوم أُحُد على فرس له أبلق يريد رسول الله وهو متوجّه إلى الشِّعب، ويصيح: لا نجوتُ إن نجوتَ! فوقف له رسول الله، وعثر الفرس بعثمان في بعض تلك الحفر التي كان أبو عامر (الراهب الفاسق) قد حفرها، فوقع الفرس لوجهه وخرج فعقره أصحاب رسول الله، ومشى الحارث بن الصمّة إلى عثمان فتضاربا بالسيف، حتى ضرب الحارث رجله فبرك، فأجهز عليه. فقال النبيّ: الحمد لله الذي أحانه (أي أهلكه).

عن عليّ عليه السلام قال: كنت يومئذٍ أذبُّهم في ناحية، وأبو دجانة في ناحية يذبّ طائفة منهم، وسعد بن أبي وقّاص يذب طائفة منهم، وانفردت منهم في فرقة خشناء فيها عكرمة بن أبي جهل فدخلت وسطها بالسيف فضربت به واشتملوا عليّ حتى أفضيت إلى آخرهم، ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت، واستأخر الأجل، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً وحتى فرج الله ذلك كله ١/ ٢٥٦.

وكانت أم عمارة نُسيبة بنت كعب الخزرجية امرأة غَزية بن عمرو، شهدت أُحُداً هي وزوجها وإبناها، وخرجت من أول النهار معها قربة تسقي منه الجرحى، فقاتلت يومئذٍ وأبلت بلاءً حسناً، فجُرحت اثني عشر جُرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.

قالت: انكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلا نفير ما يتمّون عشرة! وأنا وابناي (عمارة وعبدالله) وزوجي (غَزية بن عمرو) بين يديه نذبّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، وأنا لا تُرس معي، ورأى رجلاً مولّياً معه ترس فقال له: يا صاحب الترس، ألق تُرسك إلى من يقاتل! فألقى تُرسه، فأخذتُه فجعلت أُترّس عن رسول الله به، فأقبل رجل على فرس فضربني فترّست له فلم يصنع سيفه شيئاً وولّى، وضربت عرقوب فرسه فوقع على ظهره، وصاح النبيّ (صلى الله عليه وآله) لابني: يا بن أم عمارة، أمّك أمّك! فعاونني عليه حتى أوردته الموت ١/ ٢٧٠.

ثم روى بسنده عن ابنها عبد الله بن زيد أنّ رجلاً طويلاً ضربه على عضده اليسرى ومضى عنه، فجرح ولم يرقأ الدم وناداه الرسول: إعصب جُرحك، فأقبلت إليه أمه ومعها عصائب في=

اللهمَّ أهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون. قلت: فالغار في أُحُد الذي يزعمون أنّ رسول الله صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه.

=حَقويها قد أعدّتها للجراح، فربطت جُرحه ثم قالت له: انهض يا بني فضارب القوم، والنبي واقف ينظر، فقال لها: ومن يُطيق ما تطيقين يا أم عمارة!

وعاد الرجل الضارب فقال لها رسول الله: هذا ضارب ابنك! فاعترضت له فضربت ساقه فبرك، فتبسّم رسول الله حتى بدت نواجذه! وعلوه بالسلاح حتى مات فقال لها النبيّ: الحمد للّه الذي ظفّركِ وأقرّ عينكِ من عدوّكِ وأراكِ ثأركِ بعينكِ ١/ ١٧١.

ثم روى بسنده عنه أيضاً قال: لما تفرق الناس عن النبيّ بقيت أُمّي تذبّ عنه ودنوت منه لذلك ورميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، والنبيّ ينظر ويتبسّم، ونظر إلى جُرح بعاتق أُمّي فقال لي: اعصب جُرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أُمّك خير من مقام فلان وفلان ومقامك لخير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت، فقالت له أمي: ادعُ الله أن نرافقك في الجنة فقال: اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة، فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا ١/ ٢٧٢ و٢٧٣.

وروى عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله يوم أُحُد يقول: ما التفتّ يميناً ولا شمالاً إلا وأرى نُسيبة تقاتل دوني ١/ ٢٧١.

إذاً فلم يكن عمر حاضراً إذ ذاك، وإلا لكان بإمكانه أن يشهد لها بذلك شهادة مباشرة، ولم يكن بحاجة إلى أن يروي ذلك عن النبيّ رواية وحكاية.

ثمّ روى أنّ وَهْب بن قابوس المزني لمّا جاءت الخيل من خلف المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، واختلطوا، قاتل المزني أشد القتال.. فما زال كذلك وهم محدقون به حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه ومُثّل به أقبح المُثْلَة.. فكان عمر بن الخطّاب يقول: إنّ أحبّ ميتة أموت عليها لما مات عليها المزني ١/ ٢٧٥ هذا ولم يرو عنه طعنة برمح ولا ضربة بسيف ولا رميٌ بسهم ولا رشق بنبل ولا رضخ بحجر فكيف كان يتمنّى ذلك؟

ثم قال: وكان ممّن ولّى عمر وعثمان (في النسخة المطبوعة: فلان، وفي أنساب الأشراف ١/ ٣٢٦، عن الواقدي: عثمان، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥/ ٢٤، عن الواقدي: عمر وعثمان) ثمّ عدّ سبعة سواهما.

ثم قال: ويقال: كان بين عبد الرحمان (بن عوف) وعثمان كلام، فأرسل عبد الرحمان إلى الوليد بن عُقبة فدعاه فقال له: اذهب إلى أخيك فبلّغه عنّي ما أقول لك، قل: يقول لك عبد الرحمان: شهدتُ بدراً ولم تشهد، وثَبتُّ يوم أُحُد ووليّت عنه ١/ ٢٧٨.

ونظر عمر إلى عثمان فقال: هذا ممّن عفا الله عنه.. كان تولّى يوم التقى الجمعان ١/ ٢٧٩.

وحضر عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي الشافعي البغدادي (ت ٦٥٦) عند السيّد محمّد بن معدّ العلوي الموسوي الفقيه على رأس الشيعة الإماميّة في داره بدرب الدواب ببغداد سنة ٦٠٨ وقارئ يقرأ عنده (مغازي الواقدي) فقرأ روايته بسنده عن محمّد بن مَسْلمة: أنّه رأى رسول الله=

صرخة إبليس؟!

أمّا عن سبب الهزيمة، ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ الله لمّا أخبر المؤمنين بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم في الجنة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهم أرنا القتال نستشهد فيه! فأراهم الله إيّاه في يوم أُحُد، فلم يبق إلا من شاء الله منهم وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾[1]، وكسبب لهذا الانقلاب على الأعقاب قال: جُرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أُحُد وعهد العاهد به على تلك الحال، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: النَجاءَ، فإنّ رسول الله قد قُتل![2].

أمّا عن صرخة إبليس: فإنّ القميّ بعد ذكره أمره (صلى الله عليه وآله) بجمع القتلى وصلاته عليهم ودفنهم قال: وصاح إبليس بالمدينة: قُتل محمّد! فلم يبق أحدٌ من نساء المهاجرين والأنصار إلا خرجن، وخرجت فاطمة بنت رسول الله، تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3].

وعليه فالصحابة كانوا منهزمين من كرّة عِكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد المخزوميين، وإنما سببت صيحة الصائح أن تحيّر أولئك المنهزمون من قبل فأخذوا يميناً وشمالاً.

وإذ لم يُذكر حمزة في الثابتين عُلم أنّه قُتل في الحملات قبل النكسة، وقد

=يوم أُحُد وقد انكشف الناس عنه إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه وهو يقول: إليّ يا (فلان)، إليّ يا (فلان) أنا رسول الله فما عرّج عليه واحد منهما ومضيا. فأشار ابن معد إلى ابن أبي الحديد: أن اسمع: قال: فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما! فقلت: ويجوز أن لا يكون عنهما، لعلّه عن غيرهما. فقال: ليس في الصحابة من يُحتشم ويُستحيا من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلا هما! قلت له: هذا وَهْم ممنوع! فقال: دعنا من جَدَلك ومنْعِك! ثم بان في وجهه التنكّر من مخالفتي له وحلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما، وأنّه لو كان غيرهما لذكره صريحاً، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٣ و٢٤.

(١) آل عمران: ١٤٣.

(٢) تفسير القمي: ١/١١٩.

(٣) تفسير القمي: ١/١٢٣ ـ ١٢٤.

يكون مقتله من عوامل التراجع عند المسلمين والتجرّؤ لدى المشركين، فلننتقل إلى:

مقتل حمزة عليه السلام:

كانت هند بنت عتبة جعلت لوحشيّ جَعلاً على أن يقتل رسول الله أو أمير المؤمنين أو حمزة بن عبد المطّلب ـ سلام الله عليهم ـ فقال: أمّا محمّد، فلا حيلة لي فيه لأنّ أصحابه يطيفون به، وأمّا عليّ فإنّه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأمّا حمزة فإنّي أطمع فيه، لأنّه إذا غضب لم يُبصر بين يديه. وكان حمزة يومئذٍ قد أعلم بريشة نعامة في صدره.

فكمن له وحشيّ في أصل شجرة، فرآه حمزة فبدر إليه.

قال وحشيّ: وهززت حربتي حتى إذا تمكّنت منه رميته فأصبته في أُربيته فأنفذته، وتركته حتى إذا صرت إليه فأخذت حربتي، وشغل عنّي وعنه المسلمون بهزيمتهم.

وجاءت هند فأمرت بشقّ بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأُذنيه ومثّلوا به، ورسول الله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره[١].

مقتل حنظلة غسيل الملائكة:

لمّا حضر القتال نظر حنظلة إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكرين، فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض وصاح: يا معشر قريش، أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي! وعدا أبو سفيان، وحنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه، فمشى حنظلة مع طعنته إلى طاعنه فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام (أبي جابر) وجماعة من الأنصار.

---

(١) الإرشاد: ١/ ٨٣.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رأيت الملائكة يغسلون حنظلة بين السماء والأرض بماء المُزن من صحائف من ذهب! فكان يسمّى: غسيل الملائكة[١].

مقتل جمع من الشهداء:

أمّا عمرو بن الجموح فإنّه كان في الرعيل الأوّل ممّن ثاب من المسلمين بعد الانكشاف، كان يعرج وهو يقول: والله أنا مشتاق إلى الجنّة، وأخذ ابنه يعدو في أثره حتى قتلا جميعاً[٢].

أمّا عبد الله بن جحش فإنّه قبل يوم أُحُد بيوم قال لرسول الله: يا رسول الله، إنّ هؤلاء قد نزلوا حيث نرى، وقد سألت الله ـ عزّ وجلّ ـ فقلت: اللّهم إنّي أُقسم عليك أن نلقى العدوّ غداً فيقتلونني ويبقرونني ويمثّلون بي.

فبرز يوم أُحُد فقاتل حتى قُتل، ومُثّل به كلّ المَثْل[٣].

مرّ مالك بن الدُخْشُم على خارجة بن زيد بن أبي زهير ـ وهو قاعد وبه ثلاثة عشر جُرحاً كلّها قد خلصت إلى مقتل ـ فقال له: أما علمت أنّ محمّداً قد قُتل! فقال خارجة: فإن كان قد قُتل فإنّ الله حيّ لا يموت، فقد بلّغ محمّد، فقاتل عن دينك!

ومرّ على سعد بن الربيع ـ وبه اثنا عشر جُرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل ـ فقال له: أما علمت أنّ محمّداً قد قُتل! فقال سعد بن الربيع: أشهد أنّ محمّداً قد بلّغ رسالة ربّه، فقاتل عن دينك، فإنّ الله حيّ لا يموت.

ومرّ أنس بن النضر بن ضمضم ـ عم أنس بن مالك ـ على رهط من المسلمين قعودٍ وفيهم عمر بن الخطّاب، فقال لهم: ما يُقعدكم؟ قالوا: قُتل رسول الله،

---

(١) تفسير القمي: ١/ ١١٨؛ الفقيه: ١/ ١٥٩، ح٤٤٥، ط. طهران و١/ ١٩٧، ح٤٦، ط. نجف.
(٢) مغازي الواقدي: ١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٣) مغازي الواقدي: ١/ ٢٩١.

قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثمّ قاتل حتى قُتل.

نهايات الحرب:

وتراجع المنهزمون من أصحاب رسول الله فصاروا على الجبل.. وصعدت جماعة من قريش على الجبل فيهم أبو سفيان، فنادى: أعْلِ هُبلُ (أي أعلِ دينك يا هُبل).

قال القميّ في تفسيره: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين عليه السلام: قل له: الله أعلى وأجلّ. فقال عليّ ذلك، فقال أبو سفيان: يا عليّ، إنّه قد أنعَمَ علينا: فقال عليّ عليه السلام، بل الله أنعم علينا.

ثمّ قال أبو سفيان: يا عليّ، أسألك باللات والعُزّى هل قتل محمّد؟

فقال له عليّ عليه السلام: لعنك الله ولعن الله اللات والعُزّى معك، والله ما قُتل محمّد، وهو يسمع كلامك[1]. ثمّ نادى أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عامٍ قابل. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ عليه السلام: قل: نعم[2].

قريش إلى أين؟

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَن رجلٌ يأتينا بخبر القوم؟ فلم يجبه أحد: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا آتيك بخبرهم. قال: اذهب، فإن ركبوا الخيل وجنّبوا الإبل فهم يريدون المدينة، والله لئن أرادوا المدينة لا يأذن الله فيهم. وإن كانوا ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة.

فمضى أمير المؤمنين عليه السلام على ما به من ألم الجِراحات، حتى كان قريباً من

(١) تفسير القمي: ١/ ١١٧.
(٢) تفسير القمي: ١/ ١٢٤.

القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنّبوا الخيل. فرجع أمير المؤمنين إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله: أرادوا مكّة[١].

تفقّد الجرحى والقتلى:

وطابت أنفس المسلمين بذهاب العدوّ فانتشروا يتتبّعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلا وقد مثّلوا به إلا حنظلة بن أبي عامر، كان أبوه مع المشركين فتُرك له. ووجدوا حمزة وقد شُقَّ بطنه وجُدع أنفه وقُطعت أُذناه وأُخذ كبده[٢].

مصرع حمزة:

ثمّ قال رسول الله: مَن له علمٌ بعمّي حمزة؟ فقال الحارث بن الصِمّة: أنا أعرف موضعه. فجاء حتى وقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله فيخبره.

فقال رسول الله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ، أُطلب عمّك. فجاء عليّ عليه السلام فوقف على حمزة فكره أن يرجع إليه.

فجاء رسول الله حتى وقف عليه[٣].

فروى العيّاشي في تفسيره عن الحسين بن حمزة عن الصادق عليه السلام قال: لمّا رأى رسول الله ما صُنع بحمزة بن عبد المطّلب قال: اللّهمَّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى.

قال القمي: فألقى رسولُ الله على حمزة بُردة كانت عليه، فكانت إذا مدّها على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدّها على رجليه بدا رأسه، فمدّها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش.

---

(١) تفسير القمي: ١٢٤.
(٢) إعلام الورى: ١/١٨١ ـ ١٨٢.
(٣) تفسير القمي: ١/١٢٣، وفيه الحارث بن سميّة مصحّفاً.

وأمر رسول الله أن يجمعوا القتلى فصلّى عليهم (مع حمزة) وكبّر على حمزة سبعين تكبيرة. ودفنهم في مضاجعهم[1].

---

(١) وروى ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ١٠٢. إنّ رسول الله أشرف على القتلى يوم أُحُد فقال: أنا شهيد على هؤلاء أنّه ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يُدمي جُرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك.

ورواه كذلك عن عمّه موسى بن يسار عن أبي هريرة ٣/ ١٠٤ وكأنّه كان في مقام الاكتفاء بدمائهم عن غُسلهم، فقد روى الخبر الواقدي قال: ولم يُغسّل رسول الله الشهداء يومئذٍ (ممّا يوهم غسلهم قبلِ ذلك) وقال: لفّوهم بدمائهم وجِراحهم فإنّه ليس أحد يُجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لونُ جُرحِه لون الدم وريحه ريح المسك. ثمّ قال: ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة.

قال: وكان ابن عبّاس وجابر بن عبد الله وطلحة بن عبيد الله يقولون: صلّى رسول الله على قتلى أُحُد وقال: أنا شهيد على هؤلاء. فقال أبو بكر: ألسنا إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا! قال: بلى، ولكنّ هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً، ولا أدري ما تُحدثون بعدي! فبكى أبو بكر وقال: إنّا لكائنون بعدك! ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠.

ونقل ابن إسحاق ـ أيضاً ـ عن آل عبد الله بن جحش، وهو ابن أُميمة بنت عبد المطّلب أُخت حمزة، فحمزة خاله، قالوا: إنّ رسول الله دفنه مع حمزة في قبره. وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

ثمّ روى عن بني سلمة قالوا: إنّ رسول الله حين أمر بدفن القتلى قال: انظروا إلى عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام (أبي جابر بن عبدالله) فاجعلوهما في قبر واحد فإنّهما كانا متصافيين في الدنيا ٣/ ١٠٣ و١٠٤.

وقال أبو طلحة: كان عمرو بن الجموح في الرعيل الأوّل حين ثاب المسلمون (بعد الهزيمة) ولكأنّي أنظر إلى ضَلعه (عوجٍ في رجله خلقة) وهو يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنّة، وابنه يعدو في أثره، فقاتلا حتى قُتلا جميعاً ١/ ٢٦٥.

فوُجد (هو وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر) وقد مُثل بهما كلّ المَثْل قد قُطعت أعضاؤهما حتى لا يعرف أبدانهما، فقال النبيّ: ادفنوا هذين المتحابّين في الدنيا في قبرٍ واحد. وكان عبد الله بن عمرو رجلاً أحمر أصلع، وكان عمرو بن الجموح طويلاً.

فلمّا أراد معاوية أن يُجري عينَ كَظامة (قناة من أُحُد إلى المدينة) نادى مناديه: من كان له قتيل بأُحُد فليشهد. فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم طرايا يتثنّون، وأصابت المسحاة رجلاً منهم فانبعث دماً! وكلّما حفروا التراب فاح عليهم المسك ١/ ٢٦٨ وحُفر عنهما وعليهما نَمِرتان (شملتان). وكانت يد عبد الله على جرح وجهه فأُميطت يده فانبعث الدم فرُدّت إلى مكانها فسكن الدم، وما تغيّر من حاله قليلٌ ولا كثير، كأنّه نائم وبين ذلك وبين دفنه ست وأربعون سنة ٢٦٧ : ١ وكانت القناة تمرّ على قبرهما فحوّل إلى مكانٍ آخر ١/ ٢٦٨. =

وخرجت فاطمة بنت رسول الله تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله[١].

فلمّا دنت فاطمة من رسول الله ورأته قد شُجَّ في وجهه وأُدمي فوه إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله[٢].

= قال الواقدي: قال رسول الله للمسلمين يومئذٍ: احفروا وأوسِعوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر وقدّموا أكثرهم قرآناً. فكان المسلمون يقدّمون في القبر أكثرهم قرآناً.
وقد كان رسول الله يزورهم في كلّ حول، فإذا صار بفم الشِعب رفع صوته، يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار!
ومرّ رسول الله على مُصعب بن عمير فوقف عليه وقرأ: ...} رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً{ (الأحزاب: ٢٣) ثمّ قال لأصحابه: أشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم وسلّموا عليهم، والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه.
وكان يقول: ليت أنّي غودرت مع أصحاب الجبل (شهداء أُحُد).
وكانت أم سلمة زوج النبيّ تذهب فتسلّم عليهم في كلّ شهر فتظلّ يومها عندهم، فجاءت يوماً ومعها غلامها نَبهان فلم يسلّم، فقالت له: يا لُكع لئيم ألا تسلّم عليهم؟! والله لا يسلّم عليهم أحد إلا ردّوا إلى يوم القيامة!
وكانت فاطمة بنت رسول الله تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو.
وعدّ من الزائرين: سلمة بن سلامة، ومحمّد بن مَسلمة وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة وأبا بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقّاص ومعاوية ١/ ٣١٣ و٣١٤.

(١) تفسير القمي: ١/ ١٢٣ و١٢٤

(٢) إعلام الورى: ١/ ١٧٩. وقال ابن إسحاق: وبلغني أنّ صفية بنت عبد المطّلب أقبلت لتنظر إليه (حمزة) ـ وكان أخاها لأبيها وأمّها ـ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابنها الزبير بن العوّام: إلقَها فأرجِعْها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أُمّاه، إنّ رسول الله يأمرك أن ترجعي. قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أن قد مُثّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان في ذلك، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله!
فلمّا جاء الزبير إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بذلك، قال: خلّ سبيلها. فأتته فنظرت إليه فصلّت واسترجعت واستغفرت له، ٣/ ١٠٢ و١٠٣.
وحدّث الواقدي عن صفيّة قالت: عرفت انكشاف أصحاب رسول الله... فخرجت والسيف في يدي حتى إذا كنت في بني حارثة أدركت نسوة من الأنصار ومعهنّ أم أيمن، فعدونا حتى انتهينا إلى رسول الله وأصحابه أوزاع (متفرّقون) فأوّل من لقيت علياً ابن أخي، فقال: ارجعي يا عمّة، فإنّ في الناس تكشّفاً. فقلت: ورسول الله؟ فقال: صالح بحمد الله. قلت: أدلُلني عليه حتى أراه، فأشار لي إليه إشارة خفيّة من المشركين، فانتهيت إليه وبه الجِراحة. =

بعض النساء المفجوعات:

واستقبلته حَمْنَةُ[1] بنت جحش، فقال لها رسول الله: احتسِبي. فقالت: مَن يا رسول الله؟ قال: أخاك (عبد الله بن جحش) قالت: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة. ثم قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسولَ الله؟ قال: حمزة بن عبد المطلب (خالك) قالت: إنا لله وإنّا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة. ثم قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسولَ الله؟ قال: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزناه!

فقيل لها: لم قلت ذلك في زوجك (دون سواه)؟

قالت: ذكرتُ يُتم ولده.

رجوع الرسول من أُحُد:

لمّا فرغ رسول الله من دفن أصحابه دعا بفرسه فركبه، وخرج المسلمون

= ولمّا وقف النبي على حمزة وحُفر له طلعت صفيّة، فقال رسول الله للزبير: يا زبير أغنِ عنّي أمّك. فقال الزبير لأمّه: يا أمّه، إنّ في الناس تكشّفاً (فارجعي) فقالت: ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله، فلمّا رأت رسول الله قالت: يا رسول الله أين ابن أمّي حمزة؟ قال رسول الله: هو في الناس! قالت: لا أرجع حتى أنظر إليه. فجعلا لزبير يوطّدها إلى الأرض حتى دُفن حمزة. ١/ ٢٨٨ و٢٨٩.

وقال: فيقال: قال رسول الله: دعوها (فجاءت) حتى جلست عند (النبي ﷺ على قبر حمزة) فجعلت تبكي ويبكي رسول الله، وتنشِج وينشِج رسول الله، وفاطمة تبكي فيبكي رسول الله، ويقول: لن أصاب بمثل حمزة أبداً!

ثم قال لهما رسول الله: أبشِرا، فقد أتاني جبرائيل فأخبرني أنّ حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله: ١/ ٢٩٠؛ وابن هشام: ٣/ ١٠٢، هذا الحديث الأخير فقط.

(١) في الأصل المطبوع: زينب، وهي أُخت حمنة، وكانت زوج النبيّ ولم تكن زوج مصعب، وأمّا زوج مصعب فهي أختها حمنة، كما في ابن هشام: ٣/ ١٠٤؛ والواقدي: ١/ ٢٩١، وتزوجها بعد مصعب طلحة بن عبيد الله التيمي كما في الواقدي: ١/ ٢٩٢.

حوله، عامَّتهم جرحى، وأكثرهم في بني سَلَمة وبني عبد الأشهل... فلمّا كانوا بأصل الحَرّة (أول الحجارات السود) قال: اصطفّوا فنثني على الله. فاصطفّ الناس... فرفع يديه فدعا:

«اللهمَّ لك الحمد كلّه، اللهم لا قابض لما بسطتَ ولا مانع لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعت، ولا هاديَ لمن أضللت ولا مضلّ لمن هديت، ولا مقرّب لما باعدت ولا مُباعد لما قربّت!...» الخ...

وانصرف رسول الله إلى المدينة، فمرّ بدور بني الأشهل وبني ظفر فسمع بكاء النوائح على قتلاهنّ، فترقرقت عينا رسول الله وبكى ثمّ قال: لكنّ حمزة لا بواكي له اليوم! فلمّا سمعها سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضير قالا: لا تبكينّ امرأة حميمَها حتى تأتي فاطمةَ فتسعدها[1].

عن أم عامر من بني عبد الأشهل قالت: كنّا في نوح على قتلانا إذ قيل لنا: قد أقبل النبيّ، فخرجنا ننظر إليه، فنظرت إليه والدرع عليه فقلت له: كلّ مصيبة بعدك جَلَل!

فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء، فغسل به وجهه. ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضّب الدم يده إلى كتفه، ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطِمُ هاك السيفَ غيرَ ذميمِ ... فلستُ برعديدٍ ولا بمليمِ
لعمري لقد أعذرتُ في نصر أحمدٍ ... وطاعة ربٍّ بالعباد عليمِ
أميطي دماءَ القومِ عنه فإنّه ... سقى آلَ عبد الدار كأسَ حميمِ

---

(١) إعلام الورى: ١/ ١٨٣، وصدر الخبر عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام. وزاد الصدوق في الفقيه: فآلى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميّت ولا يبكوه حتى يبدأوا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه، فهم إلى اليوم على ذلك ١/ ١٨٣، ح ٥٥٣.

فقال رسول الله: خذيه يا فاطمة، فقد أدّى بعلك ما عليه، وقتل الله بسيفه صناديد قريش[١].

فلمّا سمع رسول الله الواعية على حمزة على باب المسجد ـ وهو عند فاطمة ـ قال لهنّ: ارجعن ـ رحمكن الله ـ فقد آسيتنّ بأنفسكنّ[٢].

غزوة حمراء الأسد[٣]:

خرج أبو سفيان (بالمشركين) حتى إذا انتهى إلى الرَّوحاء[٤] فأقام بها وهو يَهُمّ بالرجعة على رسول الله ويقول: قد قتلنا صناديد القوم، فلو رجعنا استأصلناهم[٥].

ونزل جبرائيل على رسول الله فقال له: إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلا من به جراحة[٦]!

فلمّا كان الغد من يوم أُحُد، نادى منادي رسول الله في المسلمين: (أن يخرجوا على علّتهم) فخرجوا على علّتهم وما أصابهم من القرح والجرح. وقدّم عليّاً براية المهاجرين، حتى انتهوا إلى حمراء الأسد[٧].

ونادى منادي رسول الله: ألا لا يخرجنّ أحدٌ إلا من حضر يومنا بالأمس. فانتدبت عصابة منهم مع ما بهم من القُراح والجراح الذي أصابهم يوم أُحد...

---

(١) الإرشاد: ١/ ٩٠؛ وقد مرّ عن الطبْرسي والواقدي: حضور الزهراء إلى أُحُد، فلعلّها رجعت قبل رجوعهم فاستقبلته. وقد روى البيتين الأوّلَيْن عن محمّد بن إسحاق، المعتزلي في شرح النهج: ١٥/ ٣٥، وليس في المطبوع من ابن هشام.

(٢) إعلام الورى ١/ ١٨٣.

(٣) حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال إلى مكّة ـ مجمع البيان: ٢/ ٨٨٦.

(٤) الرّوحاء: كانت لعديّ بن حاتم الطائي وهي على أربعين ميلاً من المدينة إلى مكّة.

(٥) إعلام الورى : ١/ ١٨٤.

(٦) تفسير القمي: ١/ ١٢٤.

(٧) إعلام الورى : ١/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

فخرج في سبعين رجلاً، حتى بلغ حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال[١].

فوافاهم رجلٌ خرج من المدينة، فسألوه الخبر فقال: تركت محمّداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جدّ الطلب[٢].

ونزل جبرائيل على رسول الله فقال: ارجع يا محمّد، فإنّ الله قد أرهب قريشاً ومرّوا لا يلوون على شيء!

قتل سابّ النبيّ (فاسقة بني خُطمة):

ولمّا غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حمراء الأسد وثبت فاسقة مِن بني خُطمة يقال لها العصماء أم المنذر تمشي في مجالس الأوس والخزرج وتقول شعراً تحرّض على النبيّ (صلى الله عليه وآله).

فلمّا رجع رسول الله (من حمراء الأسد) غدا إليها عمير بن عديّ ـ و هو المسلم الوحيد من بني خطمة ـ فقتلها، ثمّ أتى رسول الله فقال له: إنّي قتلت أم المنذر لِما قالته من هجوٍ؟ فضرب رسول الله على كتفه وقال: هذا رجل نصر الله ورسوله بالغيب! أما إنّه لا ينتطح فيها عنزان!

موقف اليهود والمنافقين:

وأظهرت اليهود القول السيّئ فقالوا: ما محمّدٌ إلا طالب مُلك، أُصيب في أصحابه وأُصيب في بدنه! وما أُصيب هكذا نبيّ قطّ!

---

(١) مجمع البيان ٢/٨٨٦.

(٢) تفسير القمي ١/١٢٥.

وجعل المنافقون يقولون لأصحاب رسول الله: لو كان من قُتل منكم عندنا ما ماتوا وما قُتلوا[١] فيخذّلون بذلك عن رسول الله أصحابه ويأمرونهم بالتفرّق عنه.

قال: حتى سمع ذلك عمر بن الخطّاب في أماكن، فمشى إلى رسول الله يستأذنه في قتل مَن سَمع ذلك منه من اليهود والمنافقين!

فقال رسول الله: يا عمر؛ إنّ الله مُظهر دينه ومُعزّ نبيّه، ولليهود ذمّةٌ فلا أقتلهم.

فقال عمر: فهؤلاء المنافقون يا رسولَ الله؟!

فقال رسول الله: أليس يُظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله؟

قال: بلى يا رسول الله ولكنهم إنّما يفعلون ذلك تعوّذاً من السيف، فقد بان لهم أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة.

فقال رسول الله: نُهيت عن قتل من قال: لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله. يا بن الخطّاب إنّ قريشاً لن ينالوا منّا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن[٢].

قصاص الحارث بالمجذّر:

قال ابن هشام: كان المجذّر بن ذياد قتل سويد بن الصامت في بعض

---

(١) وقال الله تعالى: }يا أيّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير{ آل عمران: ١٥٦.

(٢) مغازي الواقدي: ١/ ٣١٧ و٣١٨، وكأنّه بهذا أراد أن يستدرك ما فاته من قوله في عمير بن عديّ وردّ الرسول فيه عليه، فيجبر بهذا كسره بذلك، ولعلّه يدرك كذلك فضل ما وسم به الرسول عمل ابن عدي. بل وفي هذا أيضاً ردّت عليه الآيات إذ قالت: }فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر{، وإذا كان المشيرون والمشاورون هؤلاء فليس لهم العزم بل }فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين{، آل عمران: ١٥٩، وقال الواقدي: أمره أن يشاورهم في الحرب وحده، وكان لا يشاور أحداً إلا في الحرب ـ مغازي الواقدي ١/ ٣٢٤.

الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، فلمّا كان يوم أُحد طلب الحارث بن سويد غِرة المجذّر بن ذياد ليقتله بأبيه فقتله[١].

قال: فبينا رسول الله في نفر من أصحابه إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة، فأمر رسول الله عثمان بن عفّان ـ أو بعض الأنصار ـ فضرب عنقه[٢].

---

(١) ابن هشام ٢/ ٦٧.

(٢) ابن هشام: ٣/ ٩٥. ونقل الواقدي تفصيل قصّة قتل المجذّر بن ذياد لسويد بن الصامت قال: جاء حُضيرُ الكتائب إلى أبي لبابة بن عبد المنذر وخوّات بن جُبير وسُويد بن الصامت فقال لهم: تزوروني فأنحر لكم وأسقيكم وتقيمون أيّاماً. فقالوا: نأتيك يوم كذا وكذا.
فلمّا كان ذلك اليوم جاؤوه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثة أيّام حتى تغيّر اللحم فقالوا: نرجع إلى أهلنا. وكان سويد شيخاً كبيراً وكان حُضير قد سقاهم خمراً فخرج أبو لبابة وخوّات يحملان سويداً من الثَمَل حتى كانوا قريباً من بني غصينة تجاه بني سالم، فجلس سويد يبول وهو سكران، فبصر به انسان من الخزرج، فذهب إلى المجذّر بن ذياد وقال له: هذا سويد ثمل أعزل لا سلاح معه (وكان سويد قد قتل مُعاذَ بن عفراء) فخرج المجذّر مصلتاً سيفه، فلمّا رآه أبو لبابة وخوّات وهما أعزلان لا سلاح معهما فانصرفا سريعين، وثبت سويد لا حَراك به، فوقف عليه المجذّر وقال: قد أمكن الله منك! فقال: ما تريدُ منّي؟ قال: أقتلك، فقتله، فكان قتله هو الذي هيّج وقعة بُعاث.
فلمّا قدم رسول الله المدينة أسلم المجذّر والحارث بن سويد وشهدا بدراً، وجعل الحارث يطلب مجذّراً ليقتله بأبيه فلم يقدر عليه يومئذٍ.
فلمّا كان يوم أُحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه.
ونظر إليه خُبيب بن يساف فجاء إلى النبيّ فأخبره.
ولمّا رجع الرسول من حمراء الأسد أتاه جبرائيل عليه السلام فأخبره: أنّ الحارث بن سويد قتل مجذّراً غيلة وأمره بقتله.
وكان رسول الله يأتي قُباء كلّ سبت واثنين، وركب إليه في اليوم الذي أخبره جبرائيل ـ وكان يوماً حارّاً لا يذهب فيه إلى قُباء ـ فلمّا دخل رسول الله مسجد قُباء صلّى فيه، وسمعت الأنصارُ فجاءت تسلّم عليه، فجلس رسول الله يتحدّث ويتصفّح الناس حتى طلع الحارث بن سويد في مِلحفةٍ مورّسة (أي مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر كان يصبغ به)، فلمّا رآه رسول الله دعا عويم بن ساعدة فقال له: قدّم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد فإنّه قتله يوم أُحد.
فأخذه عويم، فقال الحارث: دعني أُكلّم رسولَ الله. ونهض رسول الله يريد أن يركب ودعا بحماره، فجعل الحارث يقول: قد والله قتلته يا رسول الله، والله ما كان قتلي إيّاه رجوعاً عن=

أحكام الإرث:

روى الواقدي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لمّا قُتل سعد بن الربيع بأُحُد... جاء أخو سعد بن الربيع فأخذ ميراثه، وكان لسعد ابنتان وكانت امرأته حاملاً، وكان المسلمون يتوارثون على ما كان في الجاهليّة ولم تنزل الفرائض.

وكانت امرأة سعد امرأة حازمة، فدعت رسول الله وطبخت لحماً وخبزاً، وكانت بموضع الأسواق.

ثمّ جاءت امرأة سعد فقالت: يا رسول اللّه، إنّ سعد بن الربيع قتل بأُحُد، فجاء أخوه فأخذ ما ترك، وترك ابنتين لا مال لهما، وإنّما ينكح النساء على المال يا رسول اللّه!

فقال رسول اللّه: اللهم أحسن الخلافة على تركته. ثمّ قال: لم ينزل عليّ في ذلك شيء، عودي إليّ إذا رجعت.

فلمّا رجع رسول اللّه إلى بيته جلس على بابه وجلسنا معه، فأخذ رسولَ اللّه بُرحاء الوحي ثمّ سُرّي عنه والعرق يتحدّر عن جبينه مثل الجُمان. فقال: علَيّ بامرأة سعد.

فخرج أبو سعود عقبة بن عمرو حتى جاء بها. فقال لها: أين عمّ ولدك؟ قالت: في منزله يا رسول الله. فبعث رجلاً يعدو إليه فأتى به من بني الحارث بن الخزرج وهو متعب. فقال له رسول الله، ادفع إلى بنات أخيك ثلثي ما ترك

=الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنّه حميّة الشيطان وأمرٌ وُكلت فيه إلى نفسي، وإنّي أتوب إلى الله وإلى رسوله ممّا عملت، وأُخرجُ ديته، وأصوم شهرين متتابعين وأعتق رقبة وأُطعم ستين مسكيناً (ممّا يدلّ على تشريع هذه من قبل) وجعل يمسك بركاب رسول الله، وكان بنو المجذّر حضوراً لا يقولون شيئاً ولا يقول لهم رسول الله شيئاً، حتى إذا استوعب الحارث كلامه فقال لعُويم: قدّمه يا عُويم فاضرب عنقه. وركب رسول الله.
وقدّمهُ عُويم على باب المسجد فضرب عنقه ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥، وهو أوّل قصاص بين المسلمين قُصّ خبره في السيرة.

أخوك، وادفع إلى زوجة أخيك الثمن، وشأنك وسائر ما بيدك. فكبّرت امرأة سعد تكبيرة سمعها أهل المسجد(١).

في «تفسير القمي» عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصبيّ الصغير ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً، وكانوا لا يعطون الميراث إلا لمن يقاتل، وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً! فلمّا أنزل الله المواريث وجدوا من ذلك وجْداً شديداً، فقالوا: انطلقوا إلى رسول الله فنذكّره ذلك لعلّه يدعه أو يغيره!

فأتوه فقالوا: يا رسول الله، للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها ويُعطى الصبيّ الصغير الميراث وليس أحد منهما يركب الفرس ولا يحوز الغنيمة ولا يقاتل العدو؟!

فقال رسول الله: بذلك أُمرت(٢).

هل جُرح عليّ عليه السلام؟!

أصاب عليّاً عليه السلام يوم أُحُد ستون جراحة، فأمر النبيّ أم سليم وأُم عطية أن تداوياه، فقالتا: إنّا لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان آخر وقد خفنا عليه. فدخل عليه رسول الله والمسلمون يعودونه وهو قُرحة واحدة، فجعل يمسحه بيده ويقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر! وكان الجرح الذي يمسحه رسول الله بيده يلتئم، فقال عليّ عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفرّ ولم أُوَلّ الدبر. فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهما: قوله ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ من الرزق في الدنيا، و﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٣).

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣١.
(٢) تفسير القمي: ١/ ١٥٤؛ وروى السيوطي قريباً منه في الدر المنثور: ٢/ ١٢٣.
(٣) مجمع البيان: ٢/ ٨٥٢؛ ونقله في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١١٩ و١٢٠.

خبر قريش في مكّة:

ولمّا انكشف المشركون بأُحُد وانهزموا كان أول من قدم بخبرهم عبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة، فكره أن يقدم مكة فقدم الطائف فأخبرهم: إنّ أصحاب محمد قد ظفِروا وانهزمنا وأنا أول من قدم عليكم.

ثمّ لما تراجع المشركون بعد فنالوا ما نالوا كان أول من أخبر قريشاً بقتل أصحاب محمد وظفر قريش: وحشي. سار على راحلته أربعة أيام فانتهى إلى الثنية التي تطلع على الحَجون فنادى بأعلى صوته مراراً: يا معشر قريش! حتى ثاب إليه الناس وهم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون فلمّا رضي منهم قال: أبشروا، قد قتلنا أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها في زحف قط، وجرحنا محمداً فأثبتناه بالجراح، وقتلت رأس الكتيبة حمزة!

فتفرّق الناس عنه في كل وجه بالشماتة وإظهار السرور بقتل أصحاب محمد.

وقال: ولما قدم أبو سفيان على قريش بمكة لم يصل إلى بيته حتى أتى هبل فقال له:

قد أنعمتَ ونصرت وشفيت نفسي من محمد وأصحابه؛ وحلق رأسه (شكراً)(١).



(١) مغازي الواقدي: ١/ ٢٩٩.

الفصل الرابع

أهم حوادث السنة الرابعة للهجرة

غزوة الرجيع:

قدم عليه رهط من عضل والديش[1] فقالوا: ابعث معنا نفراً من قومك يعلّمونا القرآن ويفقّهوننا في الدين.

فبعث رسول الله: خالد بن بُكير، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعبد الله بن طارق، وجعل أمير القوم مَرثد بن أبي مَرثد الغنوي حليف حمزة (عمّه).

فخرجوا مع القوم إلى بطن الرجيع، وهو ماء لهُذيل[2].

فهجم عليهم حيّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان فأصابوهم جميعاً.

وفاة زينب بنت خزيمة:

في شهر ذي القعدة توفّيت زينب بنت خزيمة أم المساكين أم المؤمنين التي كانت زوجة عبيدة بن الحارث بن المطّلب الشهيد ببدر، والتي تزوّجها في شهر

---

(١) عضل والديش ابنا هون بن خزيمة، كما في القاموس.
(٢) إعلام الورى: ١/ ١٨٥

رمضان من السنة الثالثة[١] وفي «مروج الذهب» وكان وفاتها بعد شهرين[٢] أي في شهر ذي القعدة.

سريّة أبي سلمة إلى بني أسد في قَطَن:

شهد أبو سلمة أُحُداً فجُرح جُرحاً على عضده، فرجع إلى منزله، فجاءه الخبر أنّ رسول الله سار إلى حمراء الأسد فركب وسار مع النبيّ إلى حمراء الأسد، فلمّا رجع رسول الله إلى المدينة انصرف ورجع من العَصبة بالعقيق إلى منزله.

وقدم الوليد بن زهير الطائي إلى المدينة ونزل على صهره طُليب بن عمير من أصحاب رسول الله فأخبره أنّه قد ترك سلمة وطليحة ابني خويلد قد سارا بدعوتهما في قومهما إلى حرب رسول الله يقولون:

نسير إلى محمّد في عقر داره فنصيب من أطرافه وسرحهم يرعى في جوانب المدينة، ونخرج على متون الخيل، فإن أصبنا نهباً لم نُدرَك، وإن لاقينا جمعهم كنّا قد أخذنا للحرب عُدّتها، معنا خيل ولا خيل لهم، والقوم منكوبون قد أوقعت بهم قريش حديثاً..

فخرج طليب بن عمير بالوليد بن زهير الطائي إلى النبيّ فأخبره ما أخبر الرجل.

وكان هلال المحرّم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة[٣]، فدعا رسول الله أبا سلمة وقال له: أُخرج في هذه السريّة (خمسون ومئة) فقد استعملتك عليها حتى تَرِدَ أرض بني أسد، فأغِر عليهم قبل أن تلاقي عليك جموعهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً. وعقد له لواءً.

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢١٠.
(٢) مروج الذهب: ٢/ ٢٨٨؛ ونقل تأريخ وفاتها في جمادى الأُولى من السنة الرابعة المجلسي في بحار الأنوار: ٢٠/ ١٨٥؛ عن المنتقى للكازروني: ١٢٨ بلا مصدر.
(٣) وإنّما جاز القتال دفاعاً ووقايةً لا ابتداءً.

فخرج به الوليد بن زهير الطائي دليلاً معهم، ونكب بهم عن سنن الطريق، حتى انتهوا في أربعة ليالٍ إلى قَطَن من مياه بني أسد، فوجدوا سرحاً معه مماليك رِعاء للسرح، فأخذوا ثلاثة منهم وأفلت سائرهم، وضمّوا السرح إليهم، وذهب المفلتون منهم إلى جمعهم فأخبروهم الخبر وحَذّروهم من جمع أبي سلمة(١).

فأحاط بهم أبو سلمة في عَماية الصبح، فوعظ القوم وأمرهم بتقوى الله ورغّبهم في الجهاد وحضّهم عليه، وأوعز إليهم في الإمعان في الطلب، وألّف بين كلّ رجلين منهم. وانتبه القوم قبل الحملة عليهم فتهيّأوا وأخذوا السلاح وصفّوا للقتال.

وحمل عليهم أبو سلمة فانكشف المشركون وتبعهم المسلمون فتفرّقوا في كلّ وجه، وأمسك أبو سلمة عن الطلب وانصرف راجعاً إلى محلّه، وأخذوا ما خفّ لهم من متاع القوم، ولم يكن في المحلّة ذريّة(٢).

وفرّق أصحابه ثلاث فرق: فرقة أقامت معه وفرقتان أغارتا على ناحيتين في طلب النعم والشياة على أن لا يُمعنوا في الطلب ولا يبيتوا إلا عنده، فرجعوا سالمين قد أصابوا إبلاً وشياتاً ولم يلقوا أحداً.

وانحدر بذلك كلّه أبو سلمة راجعاً إلى المدينة ومعهم الطائي.

مقتل أصحاب الرجيع:

اجتمع رهط من قريش لقتله فيهم أبو سفيان، وأخرجوا زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، بعث به صفوان مع مولاه نسطاس إلى التنعيم (أوّل الحلّ) فلمّا قُدّم ليُقتل قال له أبو سفيان: أُنشدك الله يا زيد، أتحبّ أنّ محمّداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنّك في أهلك؟ قال: والله ما أُحبّ أنّ محمّداً الآن في

---

(١) مغازي الواقدي: ١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

(٢) مغازي الواقدي: ١/ ٣٤٥.

مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنّي جالس في أهلي! ثمّ قدّمه نِسطاس فقتله رحمه الله.

ثمّ خرجوا بخُبيب وجاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه، فقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني أركع ركعتين. قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين فأتمّهما وأحسنهما ثمّ أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنّوا أنّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. فكان أوّل من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. ثمّ أوثقوه ليرفعوه على خشبته فقال:

اللّهمَّ قد بُلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا، ثمّ قال: اللّهمَّ أحصهم عدداً واقتلهم بَدداً ولا تغادر منهم أحداً!

وكان المشركون يزعمون أنّ الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه! وكان أبو سفيان حاضراً ومعه معاوية فألقى معاوية على الأرض خوفاً من إصابة دعوة خُبيب[١].

سريّة الجُهني إلى اللحياني:

إن بني لحيان من هذيل كانوا قد نزلوا في عُرنة (بقرب عرفة من مكة) وما حولها. وبلغ رسول الله أنَّ قائدهم سفيان بن خالد قد جمع الجموع له وقد ضوى إليه بشر كثير من أفناء الناس.

أن رسول الله دعا عبد الله بن أنيس الجهني (في أوائل المحرّم للسنة الرابعة للهجرة)[٢] وأخبره الخبر وأمره أن ينبعث إليه وحده ليقتله. قال ابن أُنيس: وكنتُ لا أهاب الرجال. وخرجت أمشي حتى خرجت على عُرنة فجعلت أخبر من لقيت أني أريد سفيان بن خالد لأكون معه، حتى إذا كنت ببطن عرنة وقد دخل وقت العصر فلقيته يمشي وهو يتوكأ على عصا ووراءه الأحابيش ومن استجلب وضوى

---

(١) ابن هشام: ٣/ ١٨١ و١٨٢.

(٢) المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢١٢. ومغازي الواقدي.

إليه، فلما رأيته هبته على النعت الذي نعته لي رسول الله، فقلت في نفسي: صدق الله ورسوله، فصليت العصر إيماءً برأسي وأنا أمشي.

فلما دنوت منه قال: مَن الرجل؟ فقلت: من خُزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك. قال: أجل إني لفي الجمع له. فمشيت معه وأنا أقول: عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدَث، فارق الآباء وسفّه الأحلام! فقال: لم يلق محمد أحداً يُشبهني! وأنشدته شعراً وحدّثته فاستحلى حديثي وانتهى إلى خبائه[١] وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه، فقال لجاريته: أحلُبي. فحلبت ثم ناولتني فمصصت ثم دفعته إليه، فعبّ منه ثم قال: اجلس، فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا، وهدأ هو فقتلته وأخذت رأسه وأقبلت حافياً وأقبلت أتوارى النهار وأسير الليل حتى قدمت المدينة في يوم السبت لسبع بقين من المحرم[٢] فوجدت رسول الله في المسجد، فلمّا رآني قال: أفلح الوجه! قلت: أفلح وجهك يا رسول الله! ثم وضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري. فدفع إلي عصا وقال: تخصّر بهذه في الجنة فإنّ المتخصّرين في الجنة قليل. ولذلك أوصى أهله أن يدرجوها في كفنه[٣].

غزوة بئر معونة:

قدم على رسول الله بالمدينة أبو بَراء عامر بن مالك مُلاعب الأسنّة، فعرض عليه الإسلام فأسلم[٤] وقال: يا محمّد! إن بعثت رجالاً إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك!

---

(١) وفي ابن إسحاق: ٤/ ٢٦٨: حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ثم خرجت وتركت نساءه منكبّات عليه. وهذا النص أبعد عن التصنّع.

(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٢ ـ ٥٣٣؛ وانظر سيرة ابن هشام: ٤٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٦٧.

(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٣٣. والتخصّر أن يتكئ الشخص بخاصرته على العصا.

(٤) فلم يُسلم ولم يبعد، إعلام الورى: ١/ ١٨٦؛ ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ١٩٣؛ والواقدي: ١/ ٣٤٦. وهو الثبت وإلا فكيف يقول: يا محمّد؟!

فقال الرسول: أخشى عليهم أهل نجد[1]! فقال أبو بَراء: أنا لهم جار!

فبعث رسول الله المنذر بن عمرو في بضعة وعشرين رجلاً ـ وقيل: في أربعين، وقيل: في سبعين رجلاً ـ من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصمّة، وحرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة[2] ومعهم كتاب رسول الله.

فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم. فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل، فلمّا أتاه لم ينظر (عامر) في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله وهو يقول: الله أكبر! فزتُ[3] وربِّ الكعبة!

ثمّ دعا (عامر) بني عامر إلى قتالهم، فقالوا: لا نخفر أبا بَراء! فاستصرخ قبائل من بني سليم: عُصَيّة ورِعْلاً وذَكوان فأجابوه وأحاطوا بالقوم في رحالهم. فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم وقاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم[4] وإنّما كانوا قد خلّفوا في سرحهم عمرو بن أُميّة الضَمْري ورجلاً آخر من الأنصار (المنذر بن محمّد)[5] فلم يُنبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا، والله إنّ لهذا الطير لشأناً! فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم! فقال الأنصاري (المنذر بن محمّد) لعمرو الضمري: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر، فقال الأنصاري (المنذر بن محمّد): لكني لم أكن أرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو (الساعدي أميرهم، وحمل) فقاتل القوم حتى قُتل.

---

(١) وإنّما يتوجّه هذا الكلام بعد خيانة رجال عضل والقارة والديش ولحيان من هذيل، لا قبل ذلك.

(٢) وقال الواقدي: هؤلاء هم القرّاء الذين بعثهم إلى بئر المعونة.

(٣) روى ابن إسحاق عن جبّار بن سلمى العامري قال: طعنت يومئذٍ رجلاً منهم بالرمح بين كتفيه فخرج سنان الرمح من صدره فسمعته يقول: فزت والله! فسألت عن قوله فقالوا: للشهادة ـ ٣/ ١٩٦. ورواه الواقدي: ١/ ٣٤٩.

(٤) وقال ابن إسحاق: إلا كعب بن زيد من بني النجّار فإنّهم تركوه وبه رمقٌ فرفع من بين القتلى فعاش ورجع إلى المدينة ثمّ قُتل يوم الخندق ٣/ ١٩٤.

(٥) ابن هشام: ٣/ ١٩٥.

ورجع عمرو الضمري[1] إلى المدينة فأخبر رسول الله. فقال: هذا عمل أبي بَراء، قد كنت لهذا كارهاً.

غزوة بني النضير:

كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير، وكان بينهم وبين رسول الله عهد فنقضوا عهدهم.

---

(١) وروى ابن إسحاق قال: وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيراً، فلمّا أخبرهم أنّه من مضر جزّ ناصيته عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمه ـ ٣/ ١٩٥، ونقله عنه الطبرسي في مجمع البيان: ٢/ ٨٨٢، وعنه في بحار الأنوار ١٤٨/٢٠.
وروى الواقدي قال: كان في سرحهم: عمرو بن أميّة الضمري والحارث بن الصمّة... فقاتلهم الحارث حتّى قتل منهم اثنين ثمّ أخذوه أسيراً ومعه عمرو الضمري. وقالوا للحارث: ما تحبّ أن نصنع بك؟ قال: أُحب أن أرى مصرع حرام بن ملحان (رسولهم) والمنذر بن عمرو الساعدي (أميرهم) ثمّ ترسلوني فأقاتلكم، فأروه مصرعهما ثمّ أرسلوه، فقاتلهم فقتل منهم اثنين آخرين ثمّ قُتل. وقال عامر بن الطفيل لعمرو الضمري (لما عرفه أنّه من مضر): كانت على أُمّي نَسمَة، فأنت حرّ عنها، ثمّ جزّ ناصيته فأطلقه! ـ ١/ ٣٤٨.
وروى ابن إسحاق قال: فخرج عمرو بن أُمية حتّى كان بالقرقرة من أوّل القناة (وادٍ يأتي من الطائف ويصبّ في الأرحضيّة، وقرقرة الكدر بناحية المعدن بينه وبين المدينة ثمانية بُرد = ٨٠ كيلومتراً ـ معجم البلدان) فأقبل رجلان من بني عامر ونزلا معه في ظلّ هو فيه، فسألهما: ممّن أنتما؟ قالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ثأراً لأصحابه. فلمّا قدم على رسول الله وأخبره الخبر قال رسول الله: لقد قتلت قتيلين، لأديّنهما ـ لأنّهما كانا في جوار رسول الله ـ ثمّ قال النبيّ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً ٣/ ١٩٥ ـ وقال الواقدي: فقال النبيّ: بئس ما صنعت قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار، لأدينّهما ١/ ٣٥٢ فقال عمرو: كنت أراهما على شركهما، وكان قومهما قد نالوا منّا ما نالوا من الغدر بنا. وكان قد جاء بِسَلَبهما، فأمر رسول الله بعزل سلبهما حتى يبعث به مع ديّتهما ـ ١/ ٣٦٤.
وقال: ودعا رسول الله على قتلتهم في صلاة الصبح من تلك الليلة التي جاءه فيها الخبر، رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده ثمّ قال: اللّهم اشد وطأتك على مُضر، اللّهم عليك بني لحيان وزِعبٍ ورِعْل وذكوان وعُصية، فإنّهم عصوا الله ورسوله، اللّهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة... اللّهم انج المستضعفين من المؤمنين: غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله. ثمّ سجد. قال ذلك خمس عشرة يوماً وقيل: أربعين يوماً ـ ١/ ٣٤٩ و٣٥٠. وهذا الدعاء أيضاً يشير بل صريح في سبق قصّة بني لحيان وعضل والقارة في بطن الرجيع.

وكان السبب في نقض بني النضير عهدهم: أنّه أتاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستسلفهم ـ يعني يستقرض منهم ـ دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة[١] وقصد كعب بن الأشرف.

فلمّا دخل على كعب (ومعه جمع من أصحابه) قال له: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً. وقام كأنّه يصنع لهم الطعام، وحدّث نفسه أن يقتل رسول الله ثمّ يتبعه أصحابه.

فنزل جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك، فرجع رسول الله إلى المدينة[٢].

قال القمي: فقال رسول الله لمحمّد بن مَسلمة الأنصاري: إذهب إلى بني النضير فأخبرهم: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد أخبرني بما هممتم به من الغدر! فإمّا أن تخرجوا من بلدنا! وإمّا أن تأذنوا بحرب![٣] ثمّ بعثه إليهم[٤].

فقالوا: نخرج من بلادك.

فبعث إليهم عبدُ الله بن أُبيّ: أن لا تخرجوا، وأقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب، فإنّي أنصركم أنا وقومي وحلفائي، فإن خرجتم خرجت معكم، وإن قاتلتم قاتلت معكم!

فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّأوا للقتال وبعثوا إلى رسول الله: إنّا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع!

فقام رسول الله وكبّر، وكبّر أصحابه، وقال لأمير المؤمنين: تقدّم إلى بني النضير.

فأخذ أمير المؤمنين الراية وتقدّم، وجاء رسول الله وأحاط بحصنهم وأمر

---

(١) هو عمرو بن أمية الضَمْري الذي قتل رجلين عامريّين مسلمين أو هما في جوار رسول الله.
(٢) تفسير القمي: ٢/٣٥٨ و٣٥٩.
(٣) تفسير القمي: ٢/٣٥٩.
(٤) إعلام الورى: ١/١٨٨.

بقطع نخلهم، فجزعوا من ذلك وقالوا: يا محمّد أيأمرك الله بالفساد؟ إن كان هذا لك فخذه وإن كان لنا فلا تقطعه[١].

قال القمي: وبعد ذلك قالوا: يا محمّد نخرج من بلادك وأعطنا مالنا.

فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل. فلم يقبلوا ذلك.

فبقوا أيّاماً ثمّ قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل.

فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحدٌ منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه!

فخرجوا على ذلك، خرج قوم منهم إلى فدك ووادي القرى، وخرج قوم منهم إلى الشام[٢].

قال المفيد في «الإرشاد» واصطفى رسول الله أموال بني النضير، وكانت أوّل صافية[٣].

نزول سورة الحشر فيهم

وأنزل الله فيهم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٣٥٩.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٥٩ (مرجّحاً).

(٣) الإرشاد: ١/ ٩٣؛ ومناقب آل أبي طالب: ١/ ١٩٧.

فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

أبي بصير: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال للأنصار: إن شئتم دفعت إليكم فيء المهاجرين منها [وأخرجتهم عنكم] وإن شئتم قسمتها بينكم وبينهم، وتركتهم معكم؟

فقالوا: قد شئنا أن تقسمها [كلّها] فيهم.

فقسمها رسول الله بين المهاجرين ولم يعطِ الأنصار، إلا رجلين منهم ذكرا حاجة: أبو دجانة، وسهل بن حنيف[2].

وفي «الإرشاد»: فقسمها بين المهاجرين الأوّلين، وأمر علياً عليه السلام فحاز ما لرسول الله منها فجعله صدقة، وكانت بيده مدّة حياته، ثمّ بيد أمير المؤمنين بعده[3].

ومن حوادث ما بعد بني النضير: أنّ عامر بن الطُفيل العامري تآمر مع صاحبه أربد بن قيس ـ أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ـ على النبيّ (صلى الله عليه وآله)، قال له: إذا قدمنا على الرجل[4] فإنّي شاغل عنك وجهه فإذا فعلتُه فاعْلُه بالسيف!

فلمّا قدِما عليه قال عامر: يا محمد خالِني (أي تفرّد لي خالياً).

قال (صلى الله عليه وآله): لا، حتّى تؤمن بالله وحده. فلمّا أبى عليه رسول الله قال عامر: والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمراً ورجالاً! ثمّ ولّى، فقال رسول الله: اللهمّ اكفني

---

(١) الحشر: ١ ـ ٦، وهي السورة ١٠١ في النزول، أي الخامسة عشرة في النزول بالمدينة، أي منتصف العدد النازل بالمدينة تقريباً، ممّا يتناسب زمنياً مع نهاية حرب بني النضير في حدود الخامسة من الهجرة تقريباً.
(٢) تفسير القميّ: ٢/ ٣٦٠.
(٣) الإرشاد: ١/ ٩٣.
(٤) ابن إسحاق في السيرة: ٤/ ٢١٣.

عامر بن الطفيل. ولمّا خرجا قال عامر لأربد: أين ما كنت أمرتك به؟ قال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلتَ بيني وبين الرجل، أفأضربك بالسيف؟!

فلمّا كانا في الطريق أصابه الله بغدّة طاعون في عنقه فقتلته، ثمّ أصاب صاحبه أربد بصاعقة فقتلته(١).

ومن قصص الغنائم:

نقل العلاّمة الحلّي عن السُدّي قال: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنى النضير فغنم أموالهم، قال عثمان بن عفان لعلي عليه السلام: ائت رسول الله فاسأله أرض كذا، فإن أعطاكها فأنا شريكك فيها. وأنا آتيه فأسأله ذلك، فإن أعطانيها فأنت شريكي فيها.

فسأله عثمان قبل علي عليه السلام فأعطاه إياها، وأبى أن يُشرك علياً معه، فدعاه إلى حكم النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأبى ذلك أيضاً، فقيل له: لم لا تنطلق معه إلى النبيّ؟ قال: هو ابن عمه فأخاف أن يقضي له. فنزلت الآيات من سورة النور: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢) فلمّا علم النبيّ بذلك حكم بالحق لعليّ عليه السلام(٣).

---

(١) إعلام الورى: ١/٢٥٠ و٢٥١ ونقل كون ذلك بعد غزوة بني النضير من كتاب أبان الأحمر البجلي الكوفي، وهذا أقرب من أن يكون ذلك في عام الوفود سنة تسع أو عشر، كما قيل.

(٢) النور: ٤٦ ـ ٥٢، والسورة هي ١٠٣ في النزول أي السابعة عشرة في النزول بالمدينة.

(٣) كشف الحق: ٢٤٧. وروى الآلوسي في روح المعاني عن الضحاك: أنّ النزاع كان بين علي عليه السلام والمغيرة بن وائل.

غزوة ذات الرقاع:

ثمّ كانت غزوة ذات الرقاع[١] بعد غزوة بني النضير بشهرين. لقي بها جمعاً من غطفان، ولم يكن بينهما حرب، ولكن خاف الناس فصلّى بهم رسول الله صلاة الخوف، ثمّ انصرف بالناس[٢].

التشديد في تحريم الخمر:

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأوّل... نزل تحريم الخمر[٣].

وذكر القمي في تفسير قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ . . .﴾[٤] قال: ذلك أنّ رجلاً من الصحابة شرب قبل أن يحرم الخمر، فجعل يقول الشعر ويبكي على قتلى المشركين من أهل بدر، فسمع رسول الله، فقال: اللّهم أمسك عَلى لسانه. فأمسك على لسانه فلم يتكلّم حتى ذهب عنه السكر، فأنزل الله تحريمها بعد ذلك.

فلمّا نزل تحريمها خرج رسول الله فقعد في المسجد ثمّ دعا بآنيتهم التي كانوا ينبذون فيها (فضيخ البُسر والتمر) فأكفأ عليها، ثمّ قال: هذه كلّها خمر، وقد حرّمها الله. فكان أكثر شيء أُكفىء من ذلك يومئذٍ من الأشربة: الفضيخ، ولا أعلم أُكفىء يومئذٍ من خمر العنب شيء إلا إناء واحد كان فيه زبيبٌ وتمر جميعاً، وأمّا عصير العنب فلم يكن يومئذٍ بالمدينة منه شيء... وسُمّي المسجد الذي قعد

---

(١) قيل: إنّما سمّيت ذات الرقاع لأنّه جبل فيه بُقع حمر وسود وبيضاء. إعلام الورى: ١/ ١٨٩؛ والواقدي: ١/ ٣٩٥.

(٢) إعلام الورى: ١/ ١٨٩، وهي عبارة ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢١٤.

(٣) ابن هشام: ٣/ ٢٠٠؛ وبه قال المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢١٣؛ ثمّ المقريزي في إمتاع الأسماع: ١٩٣؛ ثمّ الكازروني عنه في المنتقى: ١٢٦؛ ثمّ عنه في بحار الأنوار: ٢/ ١٨٣؛ ونقله الشوكاني في تفسيره: ٢/ ٧١، عن جابر قال: حُرّمت الخمر بعد أُحُد.

(٤) المائدة: ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢.

فيه رسول الله يوم أُكفِئت المشربة: مسجد الفضيخ من يومئذٍ لأنّه كان أكثر شيء أُكفىء من الأشربة.

قال: فلمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما قال الناس من المهاجرين والأنصار: يا رسول الله، قُتل أصحابُنا وهم يشربون الخمر، وقد سمّاه الله رجساً وجعله من عمل الشيطان، وقد قلت ما قلت، أفيضرّ أصحابنا ذلك شيئاً بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا إِذَا مَا ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١]. فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر، والجناح على من شربها بعد التحريم[٢].

غزوة بني لحيان:

وقبل قصّة بطن الرجيع كانت قصّة بئر معونة بدعوة أبي بَراء الخُزاعي العامري وخيانة بني لحيان من هُذيل وبيعهم خبيب بن عدي وزيد الدثنة إلى أهل مكّة وقتلهم هناك.

وكذلك قال ابن الأثير في «الكامل في التأريخ» إلا أنّه قال: في السنة السادسة، خرج رسول الله إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع، خُبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب من القوم غِرّةً، وأسرع السير حتى نزل غرّان منازل بني لحيان بين أمجّ وعَسْفان، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال.

فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مئتي راكب حتى نزل عسفان تخويفاً لأهل مكّة، وأرسل فارسين من الصحابة حتّى بلغا كِراع الغُميم، ثمّ عاد[٣].

---

(١) المائدة: ٩٣.

(٢) تفسير القمي: ١/ ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٣) الكامل في التأريخ: ١/ ١٢٨؛ وعنه في بحار الأنوار: ٢٠/ ١٧٩. وهنا قال الطبرسي: وهي=

وفاة عبد الله بن عثمان:

ومن الحوادث في هذا الشهر جمادى الأُولى من السنة الرابعة، أن توفّي فيه عبد الله بن عثمان من رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفاة فاطمة بنت أسد:

ومن الحوادث فيه: أن توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مَناف، أم علي عليه السلام.

قال اليعقوبي: وكانت مسلمة فاضلة، ويُروى أنّها لمّا توفّيت قال رسول الله: اليوم ماتت أُمّي! وكفّنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع في لِحدها!

فقيل له: يا رسول الله، لقد اشتدّ جزعك على فاطمة!

قال: إنّها كانت أمي، إن كانت لتُجيع صبيانها وتُشبعني، وتُشعّثهم وتَدهُنُني، وكانت أُمّي[١].

ويُعلم من تأريخ وفاتها أنّها توفّيت بعد ميلاد الحسن عليه السلام، ومع ذلك نفتقد ذكرها في زفاف الزهراء وميلاد الحسن عليه السلام، ونجد بدلاً منها اسم أسماء بنت عميس مصحفاً عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاريّة الخطيبة (خطيبة النساء).

=الغزوة التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان حين أتاه الخبر من السماء بما همّ به المشركون. وكذلك ذكر ابن شهرآشوب في المناقب. ولكنهما كرّرا ذكر ذلك في الغزوة التالية: ذات الرقاع، وكذلك قال الطبْرسي في تفسيره مجمع البيان: ٣/١٥٧ تفسيراً للآية ١٠٢ من سورة النساء: }وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة{ بينما نقل عن الكلبي قصّة موعد بدر الصفراء في تفسير الآية ٨٤ من السورة: }فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلا نفسك وحرّض المؤمنين على القتال{ والأصل أن نأخذ بترتيب الآيات إذ لا دليل على خلافه.

(١) تأريخ اليعقوبي: ٢/١٤.

وفاة أبي سلمة:

ومن الحوادث في شهر جمادى الثانية وفاة أبي سلمة (عبدالله) بن عبد الأسد المخزومي[١].

ميلاد الحسين عليه السلام:

ومن الحوادث في أوائل شهر شعبان المعظّم من السنة الرابعة ميلاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

وقال المجلسي في «جلاء العيون» المشهور بين علماء الشيعة: أنّه ولد لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة[٢].

تسمية الحسين عليه السلام:

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: حدّثتني أسماء (بنت عميس)[٣] قالت: لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسن وولدته... وكان بعد حول ولدت الحسين وجاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أسماء هلُمّي ابني.

فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذّن في أُذنه اليُمنى وأقام في اليُسرى ووضعه في حجره فبكى!

فقلت: بأبي أنت وآمي ممّ بكاؤك؟ قال: على ابني هذا.

قلت: إنّه وُلد الساعة يا رسول الله!

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠/ ١٨٥؛ عن المنتقى للكازروني: ١٢٨.

(٢) جلاء العيون: ٢/ ٢ و٣ للسيد شبّر تعريباً للمرحوم المجلسي.

(٣) يتكرّر فيه الإشكال بعدم حضور أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطيّار بالمدينة قبل فتح خيبر، ويجاب بما مرّ في زفاف الزهراء عليها السلام بأنّها أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاريّة القابلة والخطّابة، وإنّما الخلط من الرواة.

فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي! ثمّ قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنّها قريبة عهد بولادته.

ثمّ قال لعليّ: أيّ شيء سمّيت ابني هذا؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله[١].

فقال النبيّ: ولا أسبق باسمه ربّي ـ عزّ وجلّ ـ.

ثمّ هبط جبرائيل فقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك: عليّ منك كهارون من موسى، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون. قال النبيّ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شُبير. قال النبيّ: لساني عربيّ. قال جبرائيل: سمّه الحسين.

فلمّا كان يوم سابعه عقّ عنه النبيّ بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثمّ حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً (فضّة) وطلى رأسه بالخَلوق. وقال: يا أسماء، الدم فعل الجاهليّة[٢].

زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بأُم سلمة:

عن عمر بن أبي سلمة قال: انتقض جرح أبي (أبي سلمة) فمات منه لثلاث مضين[٣] من جُمادى الآخرة... واعتدّت أُمّي حتى خلت أربعة أشهر وعشراً[٤].

فلمّا انقضت عدّتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت، ثمّ أرسل إليها عمر يخطبها فأبت[٥].

---

(١) وروى الخبر الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٢٥ بسنده عنه، وفيه هنا زيادة: «قد كنت أحبّ أن أُسمّيه حرباً» وليس في ما أخرجه الطوسي، فمن المستبعد جداً أن يحبّ علي التسمية بحرب!

(٢) أمالي الطوسي: ٣٦٧، ح٧٨١.

(٣) مرّ أنّ النصّ: «بقين» ولكن لا تتمّ العدّة أربعة أشهر وعشراً لليالٍ بقين من شوّال كما يأتي إلا إذا احتملنا استبدال «بقين» من: مضين، فالصحيح: مضين، محرّفة أو مصحّفة إلى: «بقين».

(٤) مغازي الواقدي: ١/ ٣٤٣ و٣٤٤.

(٥) طبقات ابن سعد: ٨/ ٦٢؛ ونقله في بحار الأنوار: ٢٠/ ١٨٥ عن المنتقى.

وخطبها رسول الله فقالت له: يا رسول الله: إنّي امرأة فيّ غيرة شديدة وأخاف أن ترى منّي شيئاً يعذّبني الله عليه، وقد كبر سني وتخطّيت الشباب، ومع ذلك فإنّي امرأةٌ ذات عيال وأحتاج لأن أعمل في قُوتهم.

فقال لها: أمّا ما ذكرت من الغيرة، فسيذهبها الله عنك. وأمّا السنّ فقد أصابني ما أصابك، وأمّا ما ذكرت من العيال، فعيالك عيالي. فرضيت[١].

هي هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي، فهي ابنة عمّ أبي جهل... وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد وأُمّه برّة بنت عبد المطّلب، فهو ابن عمّة رسول الله، وكان لأُمّ سلمة منه زينب وعمر[٢].

رجم زانيين يهوديّين:

في شهر شوّال، رُجم يهودي ويهوديّة كانا قد زنيا[٣].

ونزل عليه جبرائيل بهذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم

---

(١) البداية والنهاية: ٤/ ٩١.

(٢) وكان عمر مع علي عليه السلام يوم الجمل، وولاّه البحرين، وله عقب بالمدينة. ومن مواليها خيرة أم الحسن البصري، وشيبة بن مصباح إمام أهل المدينة في القراءة ـ إعلام الورى: ١/ ٢٧٧.

(٣) التنبيه والإشراف: ٢١٣.

بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[١]. إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] وقوله: ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[٣].

وروى الطبري مختصر خبر الرجم عن عكرمة (عن ابن عباس): أن اليهود سألوا رسول الله عن حكم الرجم، فسأل عن أعلمهم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالله هل يجدون حكم الرجم في كتابهم؟ فقال: إنّه لمّا كثر فينا جلدنا مئة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: (صراط مستقيم).

حدّ السرقة:

وقبل هذه الآيات في السورة آيات حدّ السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

وقد روى السيوطي في «الدر المنثور» عن عبد الله بن عمر: أنّ امرأة سرقت على عهد رسول الله، فقطع يدها اليمنى، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ قال: نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أُمّك، وأنزل الله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥].

وسرق ابن أُبيرق:

وقبل هذه الآيات وقبل ما نزل من سورة النساء في غزوة بدر الأخيرة، آيات

(١) المائدة: ٤١ و٤٢.
(٢) المائدة: ٤٤.
(٣) المائدة: ٥٢، والخبر في تفسير القمي: ١/١٦٨ ـ ١٧٠.
(٤) المائدة: ٣٨.
(٥) المائدة: ٣٩ و٤٠.

تتعلّق بسرقة أُخرى هي سرقة ابن أُبيرق، وقد نقل المجلسي في «بحار الأنوار» عن «المنتقى» قال في سياق حوادث السنة الرابعة: وفيها سرق ابن أُبيرق[١].

وقال القمي في تفسيره لقوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[٢]: كان سبب نزولها: أنّ قوماً من الأنصار من بني أُبيرق إخوة ثلاثة كانوا منافقين: بشر وبشير ومبشّر، فنقّبوا على عمّ قتادة بن النعمان، وكان قَتادة بدريّاً، فسرقوا منه سيفاً ودرعاً وطعاماً كان قد أعدّه لعياله، فشكا قتادة ذلك إلى رسول الله قال: يا رسول الله، إنّ قوماً نقبوا على عمّي وأخذوا سيفاً ودرعاً وطعاماً كان قد أعدّه لعياله.

بدر الأخيرة:

إن أبا سفيان لمّا أراد الرجوع إلى مكّة يوم أُحد واعد رسول الله موسم بدر الصفراء[٣] وهو سوق تقوم في ذي القعدة.

فلما بلغ الميعاد قال رسول الله للناس: اخرجوا إلى الميعاد. فتثاقلوا وكرهوا ذلك أو بعضهم كراهة شديدة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[٤] فحرّض النبيّ المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا، حتّى خرج رسول الله في سبعين راكباً، وأتى موسم بدر، فكفاهم الله بأس العدو، ولم يوافهم أبو سفيان، ولم يكن قتال يومئذٍ، وانصرف رسول الله بمن معه سالمين[٥].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠/ ١٨٤؛ عن المنتقى: ١٢٨ ـ ١٢٦ وقال المجلسي: سيأتي شرح القصّة في باب أحوال أصحابه. ولم أجده فيه.

(٢) النساء: ١٠٥.

(٣) في النصّ: الصغرى، والصحيح ما أثبتناه عن الواقدي كما يأتي، فهو اسم الموضع، والصغرى إنّما هو وصف للغزوة بعد وقوعها لا قبله، بالقياس إلى بدر الكبرى.

(٤) النساء: ٨٤.

(٥) مجمع البيان: ٣/ ١٢٨.

وقال الواقدي: كان بدر الصفراء مجمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثماني ليالٍ خلون منه، فإذا مضت ثماني ليالٍ منه تفرّق الناس إلى بلادهم.

الفصل الخامس

أهمّ حوادث السنة الخامسة للهجرة

غزوة الخندق[1]:

لمّا أجلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بني قَينُقاع وبني النضير عن المدينة صاروا إلى خيبر، وكان رئيس بني النضير حُييّ بن أخطب، فخرج إلى قريش بمكّة وقال لهم:

«إنّ محمّداً قد وتركم، ووترنا وأجلانا من ديارنا وأموالنا من المدينة، وأجلى بني عمّنا بني قَينُقاع. وقد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل، وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، فأنا أمشي إليهم فأحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد، فيكونون معنا عليهم... وسيروا أنتم في الأرض فاجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم... فتأتونه من فوق، وهم من أسفل» إذ كان موضع بني قريظة بئر المطّلب على ميلين من المدينة[2].

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم: عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مُرة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع. واجتمعت قريش معهم[3].

---

(١) الخندق: معرّب كلمة: كَنده ـ بالفارسيّة ـ أي الحفرة، وذلك أنّ سلمان الفارسي (المحمّدي) هو الذي أشار به على النبيّ (صلى الله عليه وآله) كما سيأتي. وتسمّى غزوة الأحزاب أيضاً، لقوله ـ سبحانه ـ: }ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب{ أي: أحزاب الكفّار، كما سيأتي أيضاً.

(٢) تفسير القمي: ٣/ ١٧٦.

(٣) الإرشاد: ١/ ٩٥؛ وإعلام الورى: ١/ ١٩٠؛ وهي عبارة ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢٦٦.

وبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاستشار أصحابه، وكانوا سبعمائة رجل.

فقال سلمان الفارسي[١]: يا رسول الله، إنّ القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجادلة).

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): فما نصنع؟

قال سلمان: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه. فإنّا كنّا ـ معاشر العجم في بلاد فارس ـ إذا دهَمنا دهم من عدوّنا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرائيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أشار سلمان بصواب[٢].

وبدأ رسول الله فأخذ مِعولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتّى عرق رسول الله وعيي، فلمّا نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب[٣].

وكان سلمان الفارسيّ قويّاً عارفاً بحفر الخندق. وروى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جعلوا لسلمان خمسة أذرع طولاً وعرضاً، فما مرّ حين حتى فرغ منه وحده وهو يقول: اللهمّ لا عيش إلا عيش الآخرة. فتنافس الناس فيه فقال المهاجرون: سلمان منّا! وقالت الأنصار: هو منّا ونحن أحقّ به! فبلغ رسولَ الله قولهم فقال: «سلمان رجل منّا أهل البيت»[٤] ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتّى أصابه بعينه قيس بن أبي صعصعة فسقط إلى الأرض! فبلغ ذلك

---

(١) اختصر الخبر الطبرسي في مجمع البيان: ٨/ ٥٣٣، وقال: كان الخندق أوّل مشهد شهده سلمان مع النبيّ وهو حرّ.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٧٧.
(٣) تفسير القمي: ٢/ ١٧٧.
(٤) ورواه الطبرسي في مجمع البيان: ٨/ ٥٣٣، عن الحافظ البيهقي في دلائل النبوّة. وابن هشام في السيرة: ٣/ ٢٣٥.

رسول الله فقال: مروه فليتوضّأ ـ أو ليغتسل ـ ويُكفأ الإناء خلفه. ففعل فكأنّما حُلّ من عِقال[١].

ولمّا كان في اليوم الثاني بكّروا إلى الحفر وقعد رسول الله في «مسجد الفتح»[٢].

عن الصادق عليه السلام قال: إنّهم مرّوا بكُدية[٣] فتناول رسول الله المِعول من يد سلمان(رضي الله عنه) فضرب بها ضربة، فانفلقت ثلاث فِلق، فقال رسول الله: لقد فُتحت عليّ في ضربتي هذه كنوز كِسرى وقيصر!

فقال أحدهما لصاحبه: يَعِدنا بكنوز كِسرى وقيصر، وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلّى![٤]

وقال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلقٍ على قفاه ورداؤه تحت رأسه وقد شدّ على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله، إنّه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لمّا رأيت الحجر على بطن رسول الله علمت أنّه مُقوي (أي جائع) فقلت: يا رسول الله، هل لك في الغذاء؟ قال: ما عندك يا جابر؟ قلت عَناق[٥] وصاع[٦] من شعير. فقال: تقدّم وأصلح ما عندك.

قال: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي، فلمّا فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله فقلت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله قد فرغنا، فاحضر مع من أحببت.

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/٤٤٦ و٤٤٧.
(٢) أي في مكانه الذي بُني بعد ذلك مسجداً وسمّي بمسجد الفتح، لحصول الفتح بدعاء الرسول فيه.
(٣) الكدية: الصخرة الصلبة التي لا تعمل فيها المَعاول شيئاً ـ مجمع البحرين: ١/ ٣٥٦.
(٤) روضة الكافي: ١٨٢، ح ٢٦٤.
(٥) أنثى ولد المعز قبل الحول.
(٦) يساوي: ١٣,٥٨٩ كيلوغرام.

فقام إلى شفير الخندق ثمّ قال:

معاشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابراً.

ثمّ لم يمرّ بأحدٍ من المهاجرين والأنصار إلا قال: أجيبوا جابراً، وكان في الخندق سبعمائة رجل، فخرجوا كلّهم!

فتقدّمت وقلت لأهلي: والله لقد أتاك محمّد رسول الله بما لا قِبَل لكِ به!

فقالت: أعلمْته أنت بما عندنا؟ قلت: نعم. قالت: فهو أعلم بما أتى به.

قال جابر: فدخل رسول الله فنظر في القدر ثمّ قال: اغرفي وأبقي. ثمّ نظر في التنّور فقال: أخرجي وأبقي. ثمّ دعا بصحفة فثرد فيها وغرف ثمّ قال: يا جابر أدخل عليّ عشرة. فأدخلت عشرة فأكلوا حتّى نهِلوا وما يُرى في القصعة إلا آثار أصابعهم! ثمّ قال: يا جابر، عليّ بالذراع فأتيته بالذراع فأكلوه. ثمّ قال: أدخل عليّ عشرة، فدخلوا فأكلوا حتّى نهلوا وما يُرى في القصعة إلا آثار أصابعهم. ثمّ قال: عليّ بالذراع فأكلوا وخرجوا. ثمّ قال: أدخل عليّ عشرة. فأدخلتهم فأكلوا حتّى نهلوا ولم يُر في القصعة إلا آثار أصابعهم. ثمّ قال: يا جابر عليّ بالذراع فأتيته وقلت: يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟ قال: ذراعان. فقلت: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد أتيتك بثلاثة! فقال: أما لو سكتّ يا جابر لأكل الناس كلّهم من الذراع!

قال جابر: فأقبلت أدخل عشرة عشرة فيأكلون حتّى أكلوا كلّهم وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أيّاماً[١].

وفرغ رسول الله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام، وقدمت قريش

---

(١) تفسير القمي: ٢/١٧٨ و١٧٩؛ واختصره الطبرسي في إعلام الورى: ١/ ٨٠ وأشار إليه في ١٩١؛ وفي مجمع البيان: ٨/ ٥٣٥، عن البخاري: ٥/ ٩٠؛ ونقله المازندراني عن البخاري أيضاً في مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٠٣؛ ورواه ابن إسحاق في السيرة: ٣/٢٢٩؛ ومغازي الواقدي: ٢/ ٤٥٢.

وكنانة وسُليم وهلال فنزلوا الزغابة... ووادي العقيق[١] وفي عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف[٢].

وخرج رسول الله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرُفعوا في الحصون[٣].

نقض بني قريظة:

كان بنو قريظة في حصنهم قد تمسّكوا بعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهم، فلمّا أقبلت قريش ونزلت العقيق جاء حُييّ بن أخطب في جوف الليل إلى حصنهم ودقّ باب الحصن، فلمّا سمع كعب بن أسد قرع الباب قال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه وجاء الآن يشأمنا ويُهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمّد، وقد وفى لنا محمّد وأحسن جوارنا.

وكان الزَّبير بن باطا شيخاً مجرّباً كبيراً قد ذهب بصره فقال: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بأنه يبعث نبيّاً في آخر الزمان، يكون مخرجه بمكّة ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة، يركب الحمار العاري ويلبس الشملة، ويجتزىء بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتّال، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقاه يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر. فإن كان هذا هو فلا يهولنّه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوته هذه الجبال الرواسي لغلبها!

فقال حُييّ: ليس هذا ذلك، ذلك النبيّ من بني إسرائيل وهذا من العرب من

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٧٩؛ وكذلك في الواقدي: ٢/ ٤٤٤.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٧٦ و١٧٧.

(٣) مجمع البيان: ٨/ ٥٣٥، والعبارة في ابن هشام: ٣/ ٢٣١. وقد روى الكليني في فروع الكافي عن شهر بن حوشب أنّه روى للحجّاج عن الصادق عليه السلام أنّه قال: شهد رسول الله الخندق في تسعمائة: ١/ ٣٤٠.

ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً! لأنّ الله قد فضّلهم على الناس جميعاً وجعل فيهم النبوّة والملك، وقد عهد إلينا موسى: أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وليس مع محمّد آية، وإنّما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك.

فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حتّى أجابوه: فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمّد، فأخرجوه، فأخذه حُييّ بن أخطب ومزّقه وقال: لقد وقع الأمر، فتجهّزوا وتهيّأوا للقتال.

ورجع حييّ بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففرحت قريش بذلك[١].

وبلغ رسولَ الله، ذلك فغمّه غمّاً شديداً وفزع أصحابه، فقال رسول الله لسعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضير[٢] ـ وكانا من الأوس وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس ـ: إئتيا بني قريظة فانظروا ما صنعوا؟ فإن كانوا نقضوا العهد فلا تُعلما أحداً بذلك إذا رجعتما إليّ، وقولا: عضَل والقارّة.

وذلك أنّه كانت عضلُ والقارة قبيلتين من العرب دخلتا في الإسلام ثمّ غدرتا، فكان إذا غدر أحد ضُرب بهما المثل فقيل: عضل والقارّة.

فجاء سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى باب الحصن، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله (صلى الله عليه وآله)!

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٧٩ ـ ١٧٩ ـ ١٨١؛ ومجمع البيان: ٨/ ٥٣٥ و٥٣٦؛ وهي فيه عبارة ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢٣١ و٢٣٢؛ والواقدي عن ابن كعب القرظي أكثر تفصيلاً: ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧.

(٢) ذكرهما الواقدي: ٢/ ٤٥٨، وزاد سعد بن عُبادة، ثمّ روى رواية أُخرى فيها إضافة: خوّات بن جبير وعبد الله بن رواحة ثمّ قال: والأوّل أثبت عندنا. والثانية هي رواية ابن إسحاق في السيرة: ٢/ ٢٣٢.

قال له سعد: إنّما أنت ثعلب في جُحرا لتولينّ قريش، وليحاصرنّك رسول الله وليُنزلنّك على الصَغَر والقَماع، وليضربَنَّ عنقك!

ثمّ رجعا إلى رسول الله فقالا: عضَل والقارّة.

فقال رسول الله: لعناء![1].

أو قال: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين.

تبيّن النفاق:

وعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف، وأتاهم العدوّ من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ، وظهر النفاق من بعض المنافقين:

حتى قال مُعتّب بن قُشير من بني عمرو بن عوف: كان محمّد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[2].

وحتى قال أوس بن قَيظيّ من بني حارثة: يا رسول الله، إنّ بيوتنا عورة للعدو فإنّها خارجة عن المدينة، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا[3].

فكانوا كما قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ إلى آخر الآيات[4].

توهين للمشركين واختبار للمسلمين:

ولمّا صار المسلمون إلى حيث وصفهم الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه بقوله: ﴿إِذْ

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٨١؛ وقريب منه في ابن هشام: ٣/ ٢٣٢؛ والواقدي: ٢/٤٥٨ أكثر تفصيلاً.

(٢) ومع ذلك قال ابن هشام: قال بعض أهل العلم: لم يكن معتّب من المنافقين! واحتجّ بأنّه كان من أهل بدر! ورواه الواقدي عن ابن كعب القرظي: ٢/٤٥٩ و٤٦٠.

(٣) ابن هشام: ٣/ ٢٣٣؛ والواقدي: ٢/ ٤٦٣ أكثر تفصيلاً.

(٤) الأحزاب: ١٠ ـ ٢٥.

جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] ولما رآه النبيّ من جزع المسلمين وفساد المنافقين وما تخوّفه من أن يكون المكروه.

في «الإرشاد»: بعث إلى عُيينة بن حصن، والحارث بن عوف المُرّي، وهما قائدا غطَفان، يدعوهم إلى صلحه والكفّ عنه والرجوع بقومهما عن حربه، على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة.

واستشار سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة في ما بعث به إلى عيينة والحارث.

فقالا: يا رسول الله: إن كان هذا الأمر لا بدّ لنا من العمل به لأنّ الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك، فافعل ما بدا لك، وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي.

فقال ـ عليه وآله السلام ـ: لم يأتني وحي، ولكنيّ رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وجاؤوكم من كلّ جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما.

فقال سعد بن مُعاذ: قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعرف الله ولا نعبده، ونحن لا نطعمهم من ثمرنا إلا قِرًى أو بيعاً، والآن حين أكرَمنا الله بالإسلام وهدانا به وأعزّنا بك، نعطيهم أموالنا؟! ما بنا إلى هذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم!

فقال رسول الله: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإنّ الله تعالى لن يخذل نبيّه ولن يسلمه حتّى ينجّز له ما وعده.

---

(١) الأحزاب: ١٠ ـ ١٢.

ثمّ قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجّعهم ويعدهم النصر من الله تعالى[١].

مبارزة عمرو لعليّ عليه السلام:

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيّبون القدوم عليه ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم وخيلهم ورجلهم، ويدعون المسلمين: ألا هلمّ للقتال والمبارزة.

والمسلمون قد عسكروا في الخندق وأمرهم رسول الله فأظهروا العُدّة ولبسوا السلاح ووقفوا في مواقفهم ولزموا مواضعهم، فلا يجيبون أحداً من المشركين ولا يردّون عليهم شيئاً.

وأقاموا على ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورميٌ بالحجارة من وراء الخندق[٢] فلمّا طال ذلك بهم ونفدت أزوادهم اجتمعوا وندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فانتدب لذلك منهم (رجال أبطال) وكان أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد وَدّ[٣] يعرف له ذلك جميعهم، وكان قد شهد بدراً مع المشركين وأثخن جراحة ونجا بنفسه فيمن نجا، ولم يشهد أُحداً، فأراد أن يبين بنفسه وأنّه من أبطال قريش، فتعلّم بعلامة ليُشهر نفسه.

---

(١) الإرشاد: ١/ ٩٥ ـ ٩٦، وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢٣٤، عن الزهري، من دون جواب رسول الله الأخير. وفي المغازي للواقدي: ٢/ ٤٧٧ عن الزهري عن سعيدبن المسيّب بتفصيل أكثر، وفي أوّله: حُصر رسول الله وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلُص إلى كلّ امرىء منهم الكرْب... فبينا هم على ذلك الحال إذ أرسل رسول الله إلى عُيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف...

(٢) وفي إعلام الورى: ١/ ١٩٢: وأقبلت الأحزاب إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فهال المسلمون أمرهم، فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى. وكذلك في مجمع البيان: ٨/ ٥٣٦ عن أصحاب السير.

(٣) وَدّ: اسم صنم بني عامر عشيرة عمرو، وجاء اسمه في سورة نوح: }وقالوا: لا تذرُنّ آلهتكم، ولا تذرنّ ودّاً ولا سُواعاً{... نوح: ٢٣.

وجاء القوم إلى الخندق فمشوا حوله حتى أتوا إلى موضع ضيّق منه فأقحموا خيلهم فيه فدخلوا، ووقف الجميع من وراء الخندق ينتظرون ما يكون منهم، وثبت الناس في معسكرهم حسبما أمرهم الرسول به، ولما تداخلهم من الخوف وما عاينوه من الجموع[١].

وذكر الكراجكي: أنّ النبيّ قال ثلاث مرّات: أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنّة؟! وفي كلّ مرّة يقوم عليّ عليه السلام والقوم ناكسو رؤوسهم. فاستدناه وعمّمه بيده، فلمّا برز قال: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه.

وروى بسنده عن الباقر عليه السلام: أنّ النبيّ قال يومئذٍ: اللّهم إنّك أخذت مني عُبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحُد. وهذا أخي عليّ بن أبي طالب ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٢].

وقال القاضي النعمان: لمّا نظر رسول الله إلى أنّ عمرو بن عبد وَدّ وأصحابه قد اقتحموا الخندق على المسلمين، وأنّ خيلهم جالت بهم في السبخة بين الخندق وسَلْع[٣] وأنّهم قربوا من مناخ رسول الله، وتخوّف أن يمدّهم سائر

---

(١) شرح الأخبار: ١/ ٢٩٢ و٢٩٣؛ وقريب منه في مجمع البيان: ٨/ ٥٣٧، عن أصحاب السير؛ وانفرد اليعقوبي: ١/ ٥١: أنّ البراز كان في اليوم الخامس.

(٢) ورواه المعتزلي مرفوعاً قال: إنّ رسول الله قال ذلك اليوم حين برز عليّ عليه السلام: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه!

وما زال رافعاً يديه مُقمحاً رأسه نحو السماء داعياً ربّه قائلاً: اللّهم إنّك أخذت منّي عُبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحُد، فاحفظ عليّ اليوم عليّاً }ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين{ شرح النهج: ١٩/ ٦١؛ والآية من سورة الأنبياء: ٨٩.

ونقل الحديث السيد ابن طاوس في الطرائف عن الأوائل للعسكري، كما فى بحار الأنوار: ١/ ٣٩.

أمّا حديثه المسند المستفيض عنه فيه: ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، فالظاهر أنّه كان بعد يوم الخندق يذكر يوم الخندق.

(٣) سَلْع: من جبال المدينة، مر التعريف به في أوائل الغزوة.

المشركين فيقتحموا الخندق، دعا علياً عليه السلام وقال له: امضِ بمن خفّ معك من المسلمين فخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، فمن قاتلكم عليها فاقتلوه.

فمضى عليّ عليه السلام في نفرٍ معه يريدون الثغرة... وعطف عليهم عمرو بن عبد وَدّ بمن كان معه حتى قربوا منهم.

فنادى عليّ عليه السلام عمرو بن عبد وَدّ فأجابه، فقال له عليّ عليه السلام: إنّه قد بلغني أنّك كنت عاهدت الله أن لا يدعوك أحدٌ إلى إحدى خلّتين إلا أجبت إلى إحداهما[1].

وفي «الإرشاد»: فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له عمرو: ارجع، يا بن الأخ فما أُحب أن أقتلك، فقال له أمير المؤمنين: قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خصلتين إلا اخترتها منه؟ قال: أجل فما ذاك؟ قال:

إنّي أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام.

فقال عمرو: لا حاجة لي إلى ذلك.

قال عليّ عليه السلام: فإنّي أدعوك إلى النزال.

فقال عمرو: ارجع، فقد كان بيني وبين أبيك خلّة، وما أُحب أن أقتلك!

فقال عليّ عليه السلام: لكنّني والله أُحب أن أقتلك ما دمت أبيّاً للحقّ!

فحمي عمرو عند ذلك وقال: أتقتلني؟! ونزل عن فرسه فعقره وضرب وجهه حتى نفر... وأقبل على عليّ عليه السلام مصلتاً سيفه[2].

قال القاضي النعمان: فتجاولا ساعة... ثمّ اختلفا بضربتين: فضرب عمرو

---

(١) شرح الأخبار: ١/ ٢٩٤؛ وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢٣٥ و٢٣٦.
(٢) الإرشاد: ١/ ٩٧ ـ ٩٩، وهي ألفاظ ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢٣٦.

عليّاً على أم رأسه ـ وعليه البيضة ـ فقدّها وأثّر السيف في هامته. وضربه عليّ عليه السلام فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشفت إلا وهم يرون عليّاً عليه السلام يمسح سيفه على ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً.

ثمّ حمل هو وأصحابه على أصحاب عمرو فولّوا بين أيديهم هاربين من الثغرة التي اقتحموها، وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه وهو منهزم في الخندق، وانكشف المشركون عن الخندق، وكبّر المسلمون وفرحوا وزال عنهم أكثر الخوف الذي كان بهم[1].

رجز عليّ عليه السلام:

انصرف عليّ عليه السلام إلى رسول الله وهو يقول:

نَصَرَ الحجارةَ من سفاهة رأيِهِ ... ونصرتُ ربّ محمّدٍ بصوابِ
فصدَدْتُ حين تركته متجدّلاً ... كالجذع بين دكادكٍ وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنّني ... كنت المصرَّعَ بزّني أثوابي[2]
لا تحسَبُنَّ اللّهَ خاذلَ دينِه ... ونبيِّه، يا معشرَ الأحزابِ[3]

وروى عن الكلبي أبياتاً أُخرى عن عليّ عليه السلام قال:

أعليّ تقتحم الفوارسُ هكذا ... عنّي وعنها خبروا أصحابي
اليوم تمنعني الفرارَ حفيظتي ... ومصَمّمٌ في الرأس ليس بنابي
أرديت عمْراً إذ طغى بمهنّدٍ ... صافي الحديد مجرّبٍ قضّابِ
فصددْتُ حين تركتهُ متجدّلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي

ثمّ روى عن الحسن البصري قال: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ودّ

(١) شرح الأخبار: ١/٢٩٦.
(٢) بزّ: من أسماء الأصوات، اسم لصوت تمزّق الثياب، أي قطّعها ونزعها عنّي.
(٣) شرح الأخبار: ١/٢٩٦؛ والإرشاد: ١/٩٩؛ وابن إسحاق في السيرة؛ وشكّك في صحّتها ابن هشام: ٣/٢٣٦.

اجتزّ رأسه وحمله فألقاه بين يَدَي النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليّ عليه السلام[١].

تواعد قريش وغطَفان لليوم الثاني:

وهرب عِكرمة وهُبيرة فلحقا بأبي سفيان... فلمّا رجعوا إلى أبي سفيان قال: هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء، ارجعوا. فرجعت قريش إلى العقيق (معسكرها) ورجعت غطفان إلى (معسكرها) وتواعدوا يغدون جميعاً (إلى الخندق) ولا يتخلّف منهم أحد.

فباتت قريش يعبّئون أصحابهم، وباتت غطَفان يعبّئون أصحابهم.

ووافوا رسولَ الله بالخندق قبل طلوع الشمس!

وعبّأ رسول الله أصحابه وحضّهم على القتال ووعدهم النصر إن صبروا.

والمشركون قد جعلوا المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم، أخذوا بكلّ وجه من الخندق.

ولمّا صار رسول الله إلى موضع قبّته أمر بلالاً فأذّن وأقام صلاة الظهر، فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها، ثمّ أقام صلاة العصر فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها، ثمّ أقام المغرب فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها، ثمّ أقام العشاء فصلّاها كأحسن ما كان يصلّيها في وقتها[٢].

وأرسلت بنو مخزوم إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) بدية رجل يشترون بها جثّة نوفل بن عبد الله المخزومي (الذي وقع في الخندق فقُتل بالحجارة).

فقال رسول الله: إنّما هي جيفة حمار! وكره ثمنَه[٣].

---

(١) ورواه الطبرسي في مجمع البيان: ٨/ ٥٣٩.
(٢) وفي اليعقوبي: ١/ ٥٠: كان ذلك في اليوم الثالث.
(٣) الواقدي: ٢/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤؛ وفي مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٩٨: فبعث المشركون بعشرة آلاف إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) يشترون جيفة عمرو، فقال النبيّ: هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى.

إصابة سعد بن مُعاذ:

وكان من أثر الرمي بينهم أن رمى ابنُ العَرِقة سعدَ بن مُعاذ بسهم فأصاب العرق الأكحل الغليظ من يده وقال حين رماه: خذها وأنا ابن العَرِقة. فأجابه ابن مُعاذ: عرّق الله وجهك في النار!

وحملوه إلى رسول الله فبات عنده على الأرض(١).

أخبار نُعيم بن مسعود في تحريش قريش على اليهود:

فلمّا كان في جوف الليل جاء نُعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ـ وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام ـ فقال له:

يا رسول الله، قد آمنت بالله وصدّقتك، وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك وأنصرك بنفسي، فعلت، وإن أمرت أن أُخذّل بين اليهود وبين قريش فعلت، حتى لا يخرجوا من حصنهم؟

قال (صلى الله عليه وآله): خذّل بين اليهود وقريش فإنّه أوقع عندي.

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أُريد؟ قال: قل ما بدا لك.

فجاء إلى أبي سفيان فقال له:

تعرف مودّتي لكم ونُصحي، ومحبّتي أن ينصركم الله على عدوّكم، وقد بلغني أنّ محمّداً قد وافق اليهود أن يدخلوا عسكرهم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يردّ عليهم جناحهم الذي قطعه لبني النضير وقينقاع. فلا أرى أن تدَعوهم أن يدخلوا في عسكركم حتّى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكّة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم!.

فقال أبو سفيان: وفّقك الله وأحسن جزاك، مثلك أهدى النصائح.

---

(١) تفسير القمي: ٢/١٨٨؛ وإعلام الورى: ١/١٩٣؛ وفي السيرة: ٣/٢٣٨.

ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نُعيم، ولا أحد من اليهود.

ثمّ جاء من فوره إلى [كعب في] بني قريظة فقال له:

يا كعب، تعلم مودّتي لكم، وقد بلغني أنّ أبا سفيان قال: يخرُج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمّد، فإن ظفروا كان الذكر لنا دونهم، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب! فلا أرى لكم أن تَدَعوهم أن يدخلوا عسكركم حتّى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم، إنّهم إن يظفروا بمحمّد لم يبرحوا حتّى يردوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمّد وبينكم، لأنّه إن ولّت قريش ولم يظفروا بمحمّد غزاكم محمّد فيقتلكم!

فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة، لا نخرج من حصننا حتّى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا[1].

فأرسل أبو سفيان وعيينة إليهم عِكرمة بن أبي جهل في نفرٍ من قريش وغطفان يستخبرونهم ذلك ويدعونهم إلى القتال معهم ويقولون: إنّا لسنا بدار مُقام، وقد هلك الخفُّ والحافر ونفد الزاد، وأبى محمّد وأصحابه إلا لزوماً لخندقهم، وأنتم أعلم بعورة الموضع، فاخرجوا إلينا بجماعتكم لنناجز محمداً وأصحابه ونقتحم عليهم الخندق بجماعتنا.

فلمّا جاء القوم بني قريظة بذلك، قالوا: قد كنّا مع محمّد على حلف، ولم نكن نرى منه إلا خيراً، ونقضنا ما كان بيننا وبينه، ونحن نخشى ونخاف إن ضرستكم الحرب أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به، فلسنا بالذي نقاتل معكم حتّى تعطونا رهائن من وجوه رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتّى نناجز محمّداً.

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٨١ و١٨٢. هذا هو الموجود في تفسير القمي من خبر نُعيم بن مسعود الأشجعي، وقد نصّ على إسلامه قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام، ثمّ ظاهره عرضه أمره على النبيّ بعد نقض بني قريظة من دون فصل طويل، ويبدو أنّ نقضهم كان في أوائل قدوم قريش، ولذلك ذكره القمي قبل مقتل عمرو بن عبد ودّ.

فلمّا انصرف بذلك القوم إلى أبي سفيان وعُيينة علما أن الأمر ما قاله نُعيم ابن مسعود، وأبوا أن يدفعوا إليهم أحداً.

وقالت بنو قريظة: هذا مصداق قول نُعيم بن مسعود، ولزموا معاقلهم، واستوحش بعض القوم من بعض وتنافرت قلوبهم، ولم يجد الأحزاب إلا الرحيل إلى بلادهم[١].

وهزم الأحزاب وحده:

عن الصادق عليه السلام قال:

في ليلة ظلماء قُرّة[٢] قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) على التلّ الذي عليه «مسجد الفتح» في غزوة الأحزاب فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنّة؟ فلم يقم أحد، ثمّ أعادها فلم يقم أحد.

قال الصادق عليه السلام: وما أراد القوم؟ أرادوا أفضل من الجنّة؟! ثمّ قال:

ثمّ قال رسول الله: من هذا؟ فقال: حذيفة. فقال له: أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلّم؟! أقُبرت؟! فقام حذيفة وهو يقول: القُرّ والضّر ـ جعلني الله فداك ـ منعني أن أُجيبك! فقال رسول الله: انطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم... يا حذيفة، ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني.

فلمّا ذهب قال رسول الله: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله حتّى تردّه.

ولمّا توجّه حذيفة قام رسول الله (فصلّى ثمّ[٣]) نادى: يا صريخ المكروبين،

---

(١) شرح الأخبار: ١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩؛ وروى خبره ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ وعنه الطبرسي في مجمع البيان: ٨/ ٥٣٩ و٥٤٠؛ وروى الواقدي خبره بسنده عنه: ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨٤؛ ثمّ أخباراً أخرى أربعة: ٢٨٤ ـ ٢٨٧، ثمّ قال: والأثبت قول نُعيم الأوّل.

(٢) قُرّة: باردة ـ الصحاح.

(٣) كما في رواية الطبرسي في إعلام الورى: ١/ ١٩٣ عن الأحمر البجلي الكوفي أيضاً.

ويا مجيب المضطرّين، اكشف همّي وغمّي وكربي، فقد ترى حالي وحال أصحابي[١].

فنزل عليه جبرائيل عليه‌السلام فقال: يا رسول الله، إنّ الله ـ عزّ ذكره ـ قد سمع مقالتك ودعاءك، وقد أجابك وكفاك هول عدوّك!

فجثا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ثمّ قال:

شكراً شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي. ثمّ قال رسول الله:

قد بعث الله ـ عزّ وجلّ ـ عليهم ريحاً من سماء الدنيا فيها حصى، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل[٢].

قال حذيفة: وأقبل جند الله الأوّل: ريح فيها حصى، فما تركت لهم ناراً إلا أذرّتها[٣] ولا خباءً إلا طرحته، ولا رمحاً إلا ألقته، حتّى جعلوا يتترّسون من الحصى، وجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة.

ثمّ قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنّكم ـ والله ـ ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكُراع[٤] والخفّ[٥] وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنّي مرتحل. ثمّ قام إلى جمله... وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله وهو قائم يصلّي في كساء لبعض نسائه،

---

(١) ورواه في فروع الكافي: ٣١٨/١؛ وكامل الزيارات: ٢٤؛ والقمي في التفسير: ١٨٦/٢؛ والتهذيب: ٦/٢ و٦٠.

(٢) الجندل: الحجارة أكبر من الحصى.

(٣) أي: فرّقتها.

(٤) الكُراع: الخيل.

(٥) الخف: الإبل.

فلمّا رآني (وهو يصلّي) أدخلني إلى رجليه وطرح عليّ طرف الكساء، ثمّ ركع وسجد. فلمّا سلّم أخبرته الخبر[١].

ثمّ روى عن أبي وَجْزة قال: لمّا ملّت قريش المُقام... كتب أبو سفيان كتاباً إلى رسول الله فيه: باسمك اللّهم، فإنّي أحلف باللات والعزّى، لقد سِرت إليك في جمعنا وإنّا نريد أن لا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضائق وخنادق! فليت شعري من علّمك هذا؟! فإن نرجع عنكم فلكم منّا يوم كيوم أُحُد تُبقر فيه النساء!

وبعث بالكتاب مع أبي أُسامة الجُشمي.

فلمّا بلغه الكتاب دعا رسول الله أُبيّ بن كعب فدخل معه قُبّته فقرأ عليه كتاب أبي سفيان.

وكتب إليه رسول الله:

من محمّد رسول الله، إلى أبي سفيان بن حرب. أمّا بعد، فقديماً غرّك بالله الغَرور. أمّا ما ذكرت أنّك سرت إلينا في جمعكم، وأ نّك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمرٌ يحول الله بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزّى. وأمّا قولك: من علّمك الذي صنعنا من الخندق؟ فإنّ الله ـ تعالى ـ ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك[٢]، وليأتينّ عليك يوم تدافعني فيه بالراح، وليأتينَّ عليك يوم أكسر فيه اللات والعزّى وإساف ونائلة وهُبل، حتّى أُذكّرك ذلك[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٢) لا ينافي هذا أن يكون المعنى أنّ الله ألهم سلمان وألهم نبيّه العمل بمشورة سلمان.

(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٤٨٨ ـ ٤٩٣. وفي شرح المواهب: كان دخول الرسول إلى المدينة في منصرفه من الخندق يوم الأربعاء لسبع بقينَ من ذي القعدة. بينما مرّ عن الواقدي عن جابر: أنّ دعاء الرسول استُجيب عصر الأربعاء، فيكون منصرفه صباح الخميس.

غزوة بني قُريظة(١):

وأصبح رسول الله بالمسلمين حتى دخل المدينة، فضربت فاطمة ابنتُه غسولاً، فهي تغسل رأسه(٢)، إذ أتاه جبرائيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء(٣) عليه قطيفة من استبرق معلّق عليها الدرّ والياقوت، وعليه الغبار.

فقام رسول الله فمسح الغبار من وجهه.

فقال له جبرائيل: رحمك ربّك، وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء، ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء. انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فوالله لأدقنّهم دقّ البيضة على الصخرة!(٤).

وحيث كان بنو قريظة مع الأحزاب خارج حصونهم...

قال المفيد في «الإرشاد»: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنفذ أمير المؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج وقال له: انظر هل نزل بنو قريظة في حصونهم؟

فلمّا شارف سورهم سمع منهم الهجر (فعلم رجوعهم إلى حصونهم).

فرجع إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأخبره، فقال: دعهم فإنّ الله سيمكّن منهم، إنّ الذي أمكنك من عمرو بن عبد وَدّ لا يخذلك. فقف حتى يجتمع الناس إليك، وأبشر بنصرٍ من عند الله، فإنّ الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيرة شهر.

قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إليّ، فسِرت...

---

(١) قال اليعقوبي ٥٢ : ١ : وهم فِخذ من جِذام، ونزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه، وقيل بل هو نسبة إلى جدّهم قريظة. ولعلّ الجبل منسوب إليه.

(٢) وفي مناقب آل أبي طالب ١٩٩ : ١ عن الزهري عن عروة. وفي الواقدي ٤٩٧ : ٢ : ودخل بيت عائشة!..

(٣) الإعتجار بالعمامة: شدّها بلا إسدال شيء منها تحت الحنك.

(٤) إعلام الورى: ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

فقال لي النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين توجّهت إلى بني قريظة: سِر على بركة الله تعالى، فإنّ الله قد وعدكم أرضهم وديارهم!

فسِرت متيقّناً بنصر الله ـ عزّ وجلّ ـ، حتى ركزت الراية في أصل الحصن[١].

ناداه جبرائيل: إنّ الله يأمرك أن لا تصلّي العصر إلا ببني قريظة...

فخرج رسول الله (من داره) فاستقبله حارثة بن النعمان.. فقال له: ادعُ لي عليّاً. فجاء عليّ (عليه السلام)، فقال له: نادِ في الناس: لا يصلّينّ أحد العصر إلا في بني قريظة! فنادى أمير المؤمنين، فخرج الناس فبادروا إلى بني قريظة. وخرج رسول الله وعلي بن ابي طالب بين يديه معه الراية العظمى[٢].

محاصرة بني قريظة:

عن عليّ (عليه السلام) قال:

وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عليّ، فلمّا رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو! وقال آخر: أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل عليّ عمراً
صاد عليّ صقراً
قصم عليّ ظهراً
أبرم عليّ أمراً
هتك عليّ ستراً

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك... وسرت متيقّناً بنصر الله ـ عزّ وجلّ ـ حتى ركزت الراية في أصل الحصن. فاستقبلوني في صياصيهم (حصونهم) يسبّون رسول الله (صلى الله عليه وآله).

---

(١) الإرشاد: ١/١/١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) تفسير القمي: ٢/١٨٩.

عن الصادق عليه السلام قال:

لمّا أقبل رسول الله والمسلمون حوله تلقّاه أمير المؤمنين وقال له:

لا تأتهم ـ يا رسول الله ـ جعلني الله فداك، فإنّ الله سيجزيهم (وصْفَهم).

فعرف رسول الله أ نّهم قد شتموه فقال: أما إنّهم لو رأوني ما قالوا شيئاً ممّا سمعت! وأقبل، ثمّ قال: يا إخوة القردة! إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يا عُباد الطاغوت، اخسأوا، أخسأكم الله!

وقال الواقدي: لبس رسول الله الدرع والبَيضة والمِغفر وأخذ قناة بيده وتقلّد تُرساً وركب فرسه، وتلبّس أصحابه السلاح وركبوا الخيل وحفّوا به وهم ستة وثلاثون فارساً[(١)] والخيل والرجّالة حوله[(٢)] حتّى انتهى إلى بني قريظة فنزل على بئر لهم أسفل حرّتهم[(٣)].

ثمّ قدّم الرماة من أصحابه[(٤)] وأمرهم برميهم بالنبال.

ثمّ كانت الغداة، فقدّم رسول الله الرماة، وعبّأ أصحابه فأحاطوا بحصونهم من كلّ ناحية، وجعل الرماة يرامونهم بالنبل والحجارة، يعقب بعضهم بعضاً.

وقال ابن مَسلَمة: وما رجعنا إلى معسكرنا حتّى أمسكوا عن قتالنا وقالوا: نكلّمك.

فانزلوا نبّاش بن قيس، فكلّم رسول الله فقال:

يا محمّد، ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير: لك الأموال والحلْقة[(٥)] وتحقِن دماءَنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل؟

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٤٩٧.
(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٤٩٨.
(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٤٩٩.
(٤) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٠٠.
(٥) الحلْقة: السلاح.

فأبى رسول الله؛

فقالوا: فتحقن دماءنا وتُسِلمْ لنا النساءَ والذريّة، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل؟

فقال رسول الله: لا، إلا أن تنزلوا على حكمي.

فرجع نبّاش إلى أصحابه بمقالة رسول الله[1].

شورى بني قريظة:

حاصرهم رسول الله خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب... فلمّا أيقنوا أنّ رسول الله غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد:

يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم.

قالوا: ما هنّ؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدّقه، فوالله لقد تبيّن لكم أ نّه نبيّ مرسل، وأ نّه الذي تجدونه في كتابكم ؛ فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم.

فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره!

قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فهلمّوا فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثمّ نخرج إلى محمّد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا، حتّى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمّنا، وإن نظهر لنجدنّ النساء والأبناء!

فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير في العيش بعدهم!

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٠٠ و٥٠١.

قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإنّ الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا فلعلّنا نصيب منهم غِرّة!

فقالوا: نُفسد سَبْتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟!

فقال لهم: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً![1].

مشورة أبي لبابة وخيانته:

إنّ رسول الله لمّا أبى إلا أن ينزلوا على حكمه... قالوا: أرسل إلينا أبا لبابة. وكان ماله وعياله وولده عندهم فكان مناصحاً لهم[2].

فقال رسول الله: يا أبا لبابة، ائت حلفاءك ومواليك. فأتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابة، ما ترى؟ ننزل على حكم محمّد؟ فقال: انزلوا واعلموا أنّ حكمه فيكم الذبح ـ بالإشارة إلى حلقه ـ ! ثمّ ندم على ذلك فقال: خُنت الله ورسوله! ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله، ومرّ إلى المسجد وشدّ في عنقه حبلاً ثمّ شدّه إلى الإسطوانة التي تسمّى «اسطوانة التوبة» وقال: لا أحلّه حتّى أموت أو يتوب الله عليّ!

فبلغ ذلك رسول الله فقال: أما لو أتانا لاستغفرنا الله له، فأمّا إذا قصد إلى ربّه فالله أولى به[3].

---

(١) مجمع البيان: ٨/ ٥٥٢؛ ونقله ابن إسحاق بلفظه بلا إسناد: ٣/ ٢٤٦؛ ونقله الواقدي عن محمّد بن مَسلَمة أكثر تفصيلاً: ٢/ ٥٠١ و٥٠٢.

(٢) مجمع البيان: ٤/ ٨٢٣.

(٣) تفسير القمي: ١/ ٣٠٣؛ وروى الواقدي في المغازي: ٢/ ٥٠٦، بسنده عن السائب بن أبي لبابة عن أبيه قال: لمّا أرسل بنو قريظة إلى رسول الله يسألونه أن يُرسلني إليهم، دعاني رسول الله فقال: إذهب إلى حلفائك، فإنّهم أرسلوا إليك من بين الأوس.
قال: فدخلت عليهم فأسرعوا إليّ وقالوا:
يا أبا لبابة، نحن مواليك دون الناس كلّهم. =

نزولهم على الحكم:

وبقوا أيّاماً، حتّى جزعوا جزعاً شديداً وبكت النساء والصبيان... فلمّا اشتدّ عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأمر بالرجال فكتّفوا وكانوا سبعمائة، وأمر بالنساء فعُزلن[١].

وقام الأوس إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله حلفاؤنا وموالينا من دون الناس، نصرونا على الخزرج في المواطن كلّها، وقد وهبت لعبد الله بن أُبيّ سبعمائة دارع وثلاثمائة حاسر في صحيفة واحدة، ولسنا نحن بأقلّ من عبد الله بن أُبيّ!

فلمّا أكثروا على رسول الله قال لهم: أما ترضون أن يكون الحُكم فيهم إلى رجلٍ منكم؟!

= وقام كعب بن أسد فقال: أبا بشير، قد علمت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحدائق وبُعاث وكلّ حرب كنتم فيها، وقد اشتدّ علينا الحصار وهلكنا، ومحمّد يأبى أن يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه، ولو زال عنّا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نكثر عليه جمعاً أبداً... ثمّ قال كعب: فما ترى؟ فإنّا قد اخترناك على غيرك؟ إنّ محمّداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه، أفننزل؟

قال أبو لبابة: فقلت نعم فانزلوا. وأومأت إلى حلقي أ نّه الذبح.

ثمّ نزلت والناس ينتظرون رجوعي إليهم... وندمت واسترجعت وبكيت وأخذت من وراء الحصن طريقاً آخر حتّى جئت إلى المسجد فارتبطت إلى الإسطوانة المخلّقة (المخلّقة: المطلاة بالخَلوق: نوع من العِطر العربيّ قديماً).

وبلغ رسول الله ذهابي وما صنعت فقال: دعوه حتّى يحدث الله فيه ما يشاء، لو كان جاءني استغفرت له، فأمّا إذ لم يأتني وذهب فدعوه! (مغازي الواقدي: ٢/ ٥٠٦ و٥٠٧).

(١) وقال الواقدي: أمر رسول الله بأسرهم وجعل على كتافهم محمد بن مَسْلَمة، فكتّفوا رباطاً ونحّوا ناحية. وأخرجوا النساء والذريّة من الحصون فكانوا ناحية. واستعمل رسول الله عليهم عبد الله بن سلام. وأمر رسول الله بجمع أمتعتهم وما وُجد في حصونهم من الحلْقة (السلاح) والأثاث والثياب.

فروى أنّهم وجدوا فيها ألفَي رمح، وألفاً وخمسمائة سيف، وألفاً وخمسمائة تُرس وجَحَفةٍ (من جلود) وثلاثمائة درع. وأخرجوا أثاثاً كثيراً وآنية كثيرة، وجِراراً من خمر وسَكر، فأراقوها ولم يخمّسوها (وخمّسوا ما عداها) وجمالاً وماشية ـ مغازي الواقدي: ٢/ ٥٠٩ و٥١٠.

فقالوا: بلى، فمن هو؟ قال: سعد بن مُعاذ. قالوا: قد رضينا بحكمه.

فأتوا به في محفّة، واجتمعت الأوس حوله يقولون له:

يا أبا عمرو، اتقّ الله وأحسن في حلفائك ومواليك، فقد نصرونا ببعاث والحدائق والمواطن كلّها.

فحكم فيهم سعد: بقتل الرجال، وسبي الذراري والنساء، وقسمة الأموال.

فقال النبيّ له: يا سعد، لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

وأمر النبيّ بإنزال الرجال وكانوا تسعمائة رجل، فجيء بهم إلى المدينة... وحبسوا في دور بني النجّار[1].

وخرج رسول الله إلى موضع السوق ـ اليوم ـ فخندق فيه خنادق. وأمر بهم أن يخرجوا. وتقدّم إلى أمير المؤمنين أن يضرب أعناقهم في الخنادق[2].

مقتل كعب بن أسد:

فأخرج كعب بن أسد مجموعة يداه إلى عنقه، وكان جميلاً وسيماً، فلمّا نظر إليه رسول الله قال له:

يا كعب، أما نفعتك وصيّة ابن خراش الحَبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام فقال:

«تركت الخمر والخمور، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبيّ يُبعث، مُخرَجهُ بمكّة ومهاجرته في هذه البحيرة، يجتزىء بالكُسيرات والتميرات، ويركب الحمار

---

(١) وقال الواقدي: فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أُسامة بن زيد، والنساء والذريّة إلى دار ابنه الحارث، وأمر بأحمال التمر فنُثرت عليهم. وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحُمل إلى دار بنت الحارث، وتركوا الإبل والغنم هناك ترعى في الشجر.
ثمّ غدا رسول الله إلى السوق فأمر أن تُحفر فيه خدود ما بين أحجار الزيتِ إلى موضع دار أبي جهم العدوي.

(٢) الإرشاد: ١/ ١١١، وعددهم هنا تسعمائة، وسيأتي أنهم كانوا سبعمائة.

العاري[1] في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر»!

فقال كعب: قد كان ذلك يا محمّدا ولولا أنّ اليهود يعيّرونني أنّي جزعت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك، ولكنّي على دين اليهود، عليه أحيا وعليه أموت!

فقال رسول الله: قدّموه فاضربوا عنقه. فضربت عنقه[2].

واستمرّ قتلهم في الصباح وقرب المساء من ثلاثة أيّام[3]، ولم يقتلهم في حرّ الظهر، وكان يقول: أحسنوا إلى أُساراهم أطعموهم الطيّب واسقوهم العذب[4].

شفاعتان مقبولتان:

كانت أم المنذر سلمى بنت قيس من بني النجّار من خالات رسول الله، قد بايعته بيعة النساء وصلّت معه القبلتين، وكان لها معرفة ببعض بني قريظة، فلاذ بها منهم غلام قد بلغ يُدعى رفاعة بن سموأل. فقالت لرسول الله:

يا نبيّ الله، بأبي أنت وأُمّي، هب لي رفاعة فإنّه قد زعم أنّه سيصلّي ويأكل لحم الجمل... فوهبه لها. فبقي حيّاً من بينهم[5].

---

(١) نُذكّر بما سبق عن القمي: أنّ النبيّ دنا من حصن بني قُريظة على حمار.

(٢) وفي مغازي الواقدي: ٢/ ٥١٦ مختصراً.

(٣) بينما روى الواقدي عن عائشة قالت: قُتل بنو قريظة يومهم حتّى الليل على شعل السعف!
وروى عن ابن كعب القُرظي قال: قُتلوا إلى أن غاب الشفق، ثمّ ردّ عليهم التراب في الخندق.
وكان من شكّ فيه منهم أن يكون بلغ نظر إلى مؤتزره، فإن كان أنبت قتل وإن كان لم يُنبت طُرح في السبي وروى مثله الطوسي في الأمالي: ٣٩٠ ح٨٥٧.
فروى عن ابن حزم أنّهم كانوا ستمئة، وعن ابن المنكدر أنّهم كانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة، وعن ابن عبّاس أنّهم كانوا سبعمائة وخمسين.
فلمّا أصبحن نساء بني قريظة وعلمن بقتل رجالهن صِحن وشققن الجيوب ونشرن الشعور وضربن الخدود على رجالهنّ ـ المغازي: ٢/ ٥١٧ و٥١٨.

(٤) تفسير القمي: ٢/ ١٩٢؛ وفي مغازي الواقدي: ٢/ ٥١٤. قال (صلى الله عليه وآله): لا تجمعوا عليهم حرّ الشمس وحرّ السلاح، أحسنوا إسارهم وقيّلوهم واسقوهم حتى يبردوا فتقتلوا من بقي.

(٥) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٥٥؛ وفي مغازي الواقدي: ٢/ ٥١٤ و٥١٥.

وكان بنو قريظة حلفاء الأوس على الخزرج، فنصروهم عليهم يوم بُعاث، فظفر منهم الزَّبير بن باطا بثابت بن قيس بن شماس من الخزرج أسيراً، فروى ابن إسحاق عن الزهري عن بعض وُلد الزَّبير: أ نّه جزّ ناصية ثابت وخلّى سبيله منّاً عليه.

وكان الزَّبير يوم بني قريظة شيخاً كبيراً أسيراً فأراد ثابت أن يردّ عليه منّته عليه في الجاهليّة، فأتى النبّي فقال:

يا رسول الله، إنّه قد كانت للزبير عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه.

فقال رسول الله: هو لك.

ونقل الواقدي الخبر ولكنّه قال: قال الزَّبير: يا ثابت قدّمني فاقتلني. فقال ثابت: ما كنت لأقتلك. فقال الزَّبير: ما كنت أُبالي من قتلني! ولكن يا ثابت، انظر إلى امرأتي وولدي فإنّهم جزعوا من الموت فاطلب إلى صاحبك أن يطلقهم ويردّ إليهم أموالهم.

فأدناه ثابت إلى الزُّبير بن العوّام فقدّمه فضرب عنقه.

ثمّ طلب ثابت من رسول الله في أهل الزَّبير وولده وماله.

فترك رسول الله أهله من السبا، وردّ على ولده الأموال من النخل والإبل والرثة، إلا الحلَقة (السلاح)، فكانت مع آل ثابت بن قيس بن شماس[1].

تقسيم الغنائم وبيعها:

ثمّ قسّم رسول الله نساءهم وأبناءهم وأموالهم على المسلمين، وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً[2].

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٢٠.
(٢) مجمع البيان: ٨/ ٥٥٣. ونحوه في السيرة.

وزاد ابن إسحاق: ثمّ إنّ رسول الله أخرج الخمس من أموال بني قريظة وقسّم ما سواه على المسلمين، فكان للفارس ثلاثة أسهم: سهمان للفرس وسهم للفارس، وسهم للراجل[١].

وروى: أنّه (صلى الله عليه وآله) قال يومئذٍ: لا يفرّق بين الأُم وولدها حتّى يبلغوا.

فقيل: يا رسول الله، وما بلوغهم؟

قال: تحيض الجارية، ويحتلم الغلام.

فكانت الأُم تباع مع ولدها الصغار، ويُفرّق بين الأم والبنت إذا بلغت، وكذا بين الأُختين إذا بلغتا... فإذا كان الولد صغيراً لا أم له لم يُبع إلا من المسلمين.

ما نزل فيها من القرآن:

مرّ في حرب الأحزاب ذكر آيات الأحزاب من الآية ٩ إلى ٢٥ من سورة الأحزاب، وقال القمي فيها: نزلت في قصّة الأحزاب من قريش والعرب الذين تحزّبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢] وفي الآيتين ٢٦ و ٢٧ قال:

ونزل في بني قريظة: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[٣].

وهذا يقتضي نزول السورة بعد بني قريظة في السنة الخامسة.

شهادة سعد بن مُعاذ:

فلمّا انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن مُعاذ، فردّه رسول الله إلى الخيمة التي ضُربت عليه في المسجد.

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٥٥ و٢٥٦.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٧٦.
(٣) تفسير القمي: ٢/ ١٨٩ و١٩٢.

وروى عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبرائيل إلى رسول الله فقال له: مَن هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء وتحرّك له العرش؟! فخرج رسول الله فإذا سعد بن مُعاذ قد قُبض[1].

---

(١) مجمع البيان: ٨/ ٥٥٣. وقال الواقدي: ودخل عليه رسول الله يعوده في نفرٍ من أصحابه، فجلس رسول الله عند رأسه وجعل رأسه في حجره ثمّ قال:
اللّهمّ إنّ سعداً قد جاهد في سبيلك وصدّق رسولك وقضى الذي عليه، فاقبض روحه بخير ما تقبض فيه أرواح الخلق.
ففتح سعد عينيه فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنّك قد بلّغت رسالته.
فوضع رسول الله رأسه من حجره وقام ورجع إلى منزله، فمكث ساعة من نهار أو أكثر من ساعة فمات.
ونزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله فقال له: يا محمّد، من هذا الرجل الصالح الذي مات فيكم؟ فُتحت له أبواب السماء، واهتزّ له عرش الرحمن.
فقال رسول الله لجبرائيل: عهدي بسعد بن مُعاذ وهو يموت.
ثمّ خرج فزعاً إلى خيمة كُعيبة يجرّ ثوبه مُسرعاً، فوجد سعداً قد مات (وفي السيرة: ٣/ ٢٦٢).
ثمّ أمر رسول الله أن يُغَسّل، فغسّله ابن أخيه الحارث بن أوس بن مُعاذ، وابن عمّه أُسيد بن حضير، وكان سلمة بن سلامة يصبّ الماء، ورسول الله حاضر، فغُسّل بالماء الأُولى، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور، ثمّ كُفّن في ثلاثة أثوابٍ صُحاريّة (من صحار في عمان) وأُدرج فيها إدراجاً. وأُتي بسرير كان عند آل سَبْط يُحمل عليه الموتى فوُضع على السرير، ورأوا رسول الله يحمله بين عمودي سريره حين رُفع من داره إلى أن أُخرج... وخرج الناس معه.
فلمّا برز إلى البقيع قال: خذوا في جهاز صاحبكم.
فروى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنت أنا ممّن حفر له قبره عند دار عقيل ـ اليوم ـ وكان يفوح علينا المسك كلّما حفرنا قبره من تراب حتّى انتهينا إلى اللّحد... وطلع علينا رسول الله وقد فرغنا من حفرته ووضعنا اللَّبِنَ والماء عند القبر... فوضعه رسول الله عند قبره ثمّ صلّى عليه والناس قد ملأوا البقيع.
فروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: نزل في قبره أربعة نفر: ابن أخيه الحارث بن أوس بن مُعاذ، وابن عمّه أُسيد بن حضير، وأبو نائلة، وسلمة بن سلامة. ورسول الله واقف على قدميه على قبره. فلمّا وُضع في لحده تغيّر وجه رسول الله وسبّح ثلاثاً، فسبّح المسلمون ثلاثاً حتّى ارتجّ البقيع، ثمّ كبّر رسول الله ثلاثاً، فكبّر أصحابه ثلاثاً حتّى ارتجّ البقيع بتكبيره.
فسئل رسول الله عن ذلك: يا رسول الله رأينا لوجهك تغيّراً وسبّحت ثلاثاً؟!
قال: تضايق على صاحبكم قبره، وضُمَّ ضمّةً لو نجا منها أحد لنجا منها سعد، ثمّ فرّج الله عنه!
(رواه ابن إسحاق في السيرة: ٢٦٣).
وروى عن المِسور بن رِفاعة قال: جاءت أم سعد تنظر إليه في اللّحد، فردّها الناس، فقال=

عن الصادق عليه السلام قال:

أُتي رسول الله فقيل له: سعد بن مُعاذ قد مات. فقام رسول الله وقام أصحابه معه فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب.

فلمّا حُنّط وكُفّن وحُمل على سريره تبعه رسول الله بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّة ويسرة السرير مرّة حتّى انتُهي به إلى القبر، فنزل رسول الله حتّى لحّده وسوّى عليه اللَّبِن وجعل يقول: ناولوني حجراً ناولوني تراباً فيسدّ به ما بين اللَّبِن. فلمّا أن فرغ وحثا عليه التراب وسوّى قبره قال رسول الله: إنّي لأعلم أنّه سيُبلى ويصل البِلى إليه ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أحكمه!

فلمّا أن سوّى التربة عليه قالت أم سعد ـ من جانب ـ: يا سعد هنيئاً لك الجنّة!

فقال رسول الله: يا أم سعد لا تجزمي على ربّك، فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة!

فلمّا رجع رسول الله ورجع الناس قالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنّك تبعت جنازته بلا حذاء ولا رداء؟!

فقال: إنّ الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسّيت بها!

قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير ويسَرته؟!

فقال: كانت يدي بيد جبرائيل عليه السلام آخذ حيث يأخذ!

فقالوا: أمرتَ بغسله وصلّيتَ على جنازته ولحّدته في قبره ثمّ قلت: إنّ سعداً قد أصابته ضمّة!

=رسول الله: دعوها. فأقبلت حتّى نظرت إليه وهو في اللحد قبل أن يُبنى عليه اللَّبِن والتراب فقالت: احتسبك عند الله!

وعزّاها رسول الله على قبره، وجعل المسلمون يردّون تراب قبره ويسوّونه. وتنحّى رسول الله فجلس حتّى سُوّي على قبره ورُشّ على قبره الماء. ثمّ أقبل فوقف عليه فدعا له وانصرف. (مغازي الواقدي: ٢/ ٥٢٥ ـ ٥٣١).

فقال: نعم، إنّه كان في خُلقه سوءٌ مع أهله(١).

توبة أبي لبابة:

قال القمي في تفسيره: كان أبو لبابة بن عبد المنذر يصوم النهار، وإنّما يأكل بالليل ما يمسك به رمقه ممّا كانت تأتيه به ابنته، وتحلّه عند قضاء الحاجة.

وذات ليلة كان رسول الله في بيت أم سلمة إذ نزلت توبته، فقال رسول الله لأُم سلمة: يا أم سلمة، قد تاب الله على أبي لبابة.

فقالت أم سلمة: أفأؤذنه بذلك؟ فأذن لها، فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت:

يا أبا لبابة، أبشر! لقد تاب الله عليك. فقال: الحمد للّه. ووثبوا ليحلّوه فقال:

لا والله، حتّى يحلّني رسول الله! فجاءه رسول الله فقال:

يا أبا لبابة، قد تاب الله عليك توبة لو وُلدتَ من أُمّك يومك هذا لكفاك!

فقال: يا رسول الله، أفأتصدّق بمالي كلّه؟ قال: لا، قال: فبثلثيه؟ قال: لا. قال: فبثلثه؟ قال: نعم. فأنزل الله تعالى:

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٢).

---

(١) أمالي الصدوق وأمالي الطوسي: ٤٢٧، ح٩٥٥؛ وعنهما في بحار الأنوار: ٢٢/ ١٠٧ و١٠٨.

(٢) التوبة: ١٠٢ ـ ١٠٤؛ والخبر في تفسير القمي: ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤. وفي الآية ٢٧ من سورة الأنفال قال: نزلت هذه الآية مع الآية في سورة التوبة التي نزلت في أبي لبابة في غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة وقد كتبت في هذه السورة مع أخبار بدر على رأس ستّة عشر شهراً من الهجرة ١/ ٢٧١؛ وقال الطوسي في التبيان: ٥/ ٢٩٠؛ وهو المرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام ونقله كذلك في مجمع البيان: ٥/ ١٠١. =

سريّة أبي عتيك إلى خيبر:

وبعث رسول الله عبد الله بن عتيك إلى خيبر ليغتال أبا رافع (سلام) بن أبي الحُقيق[1].

وقال ابن إسحاق: لمّا انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، كان سلّام بن أبي الحقيق ممّن حزّب الأحزاب على رسول الله.

وروى الواقدي بسنده عن عطية بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه، قال: وقد كانت أم عبد الله بن عتيك بالرضاعة يهوديّة في خيبر[2]. فكان عبد الله يرطُن باليهوديّة، فقدّمناه لذلك[3] وخرجنا من المدينة (في السحر ليلة الإثنين لأربع خلون من ذي الحجّة) حتّى انتهينا إلى خيبر، فبعث عبد الله إلى أمه اليهوديّة بخيبر

= وروى ابن إسحاق في السيرة: ٣/٢٤٨ بسنده عن أم سلمة قالت: فسمعت رسول الله في السحر وهو يضحك! فقلت: ممّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنّك. قال: تيب على أبي لُبابة! قلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت ـ وكان ذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب ـ فقمت على باب حجرتي فقلت:

يا أبا لُبابة، أبشر، فقد تاب الله عليك!

فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا ـ والله ـ حتّى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده. فلمّا خرج رسول الله لصلاة الصبح أطلقه.

وبالإسناد تامّاً رواه الواقدي في مغازي الواقدي: ٢/٥٠٨.

وروى عن أم سلمة أيضاً قالت: رأيت رسول الله يحلّ عنه رباطه، وإنّ رسول الله ليرفع صوته ويكلّمه ويخبره بتوبته فما يدري كثيراً ممّا يقول، من الجَهد والضعف.

ثمّ قال: ويقال... كان الرباط من شَعر ولقد مكث خمس عشرة ليلة مربوطاً، فكان الرباط قد حزّ في ذراعيه، فكان يداويهما دهراً بعد ذلك، وبعد ما برئ كان ذلك بيّناً في ذراعيه.

وروى عن الزهري قال: إنّما ارتبط سبعاً بين يوم وليلة، عند الإسطوانة التي عند باب أم سلمة، وكان ذلك في حرّ شديد، وهو لا يأكل فيهن ولا يشرب، حتّى إنّه ما كان يسمع الصوت من الجَهد. هذا، ومحاصرة بنى قريظة كانت بعد الخندق، وهي كانت فى بردٍ شديد، كما مرّ الخبر عنه في الصفحة: ٥٢٦ فما بعدها.

(١) إعلام الورى: ١/١٩٦.

(٢) مغازي الواقدي: ١/٣٩١.

(٣) مغازي الواقدي: ١/٣٩٢.

فأعلمها بمكانه خارج خيبر. فخرجت إلينا بجرابٍ مملوءٍ خبزاً وتمراً كبيساً، فأكلنا منه.

ثمّ قال لها عبدالله: يا أُمّاه، إنّا قد أمسينا[١] فأدخلينا خيبر وبيّتينا عندك!

فقالت له: ومَن تريد فيها؟ قال: أبا رافع. قالت: فادخلوا في غمار الناس فادخلوا عليّ ليلاً، فإذا هدأت الرِجْل فاكمنوا له. ففعلوا ودخلوا عليها ليلاً، فلمّا هدأت الرجل قالت لهم: انطلقوا[٢].

فدخلنا عليه، فما عرفناه إلا ببياضه كأنّه قُبطيّة[٣] مُلقاة، فعلوناه بأسيافنا، فصاحت امرأته، فهمّ بعضنا أن يخرج إليها ثمّ ذكرنا أنّ رسول الله نهانا عن قتل النساء. وكان سقف البيت منخفضاً فكانت سيوفنا ترتدّ إلينا، فاتّكأت بسيفي على بطنه حتّى سمعت صوت نفوذه في الفراش، فعرفت أنّه قتل، وأصابه من معي أيضاً.

فقدمنا على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو على المنبر، فلمّا رآنا قال: أفلحت الوجوه!

فقلنا: أفلح وجهك يا رسول الله! قال: أقتلتموه؟ قلنا: نعم، وكلّنا يدّعي قتله!

فقال: عليّ بأسيافكم، فأتيناه بأسيافنا، فقال ـ مشيراً إلى سيف بن أنيس ـ: هذا قتله، هذا أثر الطعام في السيف[٤].

---

(١) من هنا يُعلم أنّ المسير من المدينة إلى خيبر استغرق بياض النهار.

(٢) مغازي الواقدي: ١/ ٣٩١ و٣٩٢.

(٣) القُبطية ـ بالكسر والضمّ ـ: ثياب بيضاء مصريّة منسوبة إلى أقباطها.

(٤) مغازي الواقدي: ١/ ٣٩١ ـ ٣٩٤. وفيه بسنده عن ابن عباس أنه لمّا قُتل أبو رافع أمّرت اليهود أُسير بن رزام وكان رجلاً شجاعاً فأرسل إليه رسول الله سرية أخرى فقتلوه في شوّال سنة ست، كما سيأتي فأمّروا بعده كنانة بن أبي الحقيق أخا سلام المقتول هذا، فكانت معه غزوة خيبر.(٢/ ٥٦٦).

سريّة أبي عبيدة:

ثمّ كانت سريّة أبي عبيدة بن الجرّاح الفهري القرشي، إلى سيف البحر، في ذي الحجّة[١] للسنة الخامسة.

زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بزينب بنت جحش:

وفي هذه السنة (الخامسة للهجرة) تزوّج رسول الله بزينب بنت جحش ابنة عمّته أُميمة بنت عبد المطّلب[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

إنّ رسول الله خطب ابنة عمّته زينب بنت جحش لزيد بن حارثة[٣] (الكلبي)[٤] فزوّجها إيّاه. فمكثت عند زيد ما شاء الله.

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢١٧.

(٢) مروج الذهب: ٢/٢٨٩؛ والتنبيه والإشراف: ٢١٧، وقال الكازروني في المنتقى: تزوّجها رسول الله لهلال ذي القعدة سنة خمس، وهي يومئذٍ بنت خمس وثلاثين سنة ـ بحار الأنوار: ٢٠/٢٩٧.

(٣) فقالت: يا رسول الله حتّى أؤامر نفسي فانظُر! فأنزل الله: }وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم{ [الأحزاب: ٣٦] فقالت: يا رسول الله، أمري بيدك... تفسير القمي: ٢/ ١٩٤؛ ونقل الطوسي في التبيان: ٨/ ٣٤٣ مثله عن قتادة ومجاهد عن ابن عبّاس؛ وعنه الطبرسي في مجمع البيان: ٨/ ٥٦٣.
هذا وقد ذكر في التبيان: ٨/ ٣٣٤؛ وعنه في مجمع البيان: ٨/ ٥٥٤ و٥٥٥ في تفسير الآية ٢٨ من سورة الأحزاب: }يا أيّها النبيّ قُل لأزواجك{...: أنّهنّ كنّ يومئذٍ تسعاً. وعدّا منهنّ زينب بنت جحش. ومقتضى هذا أن تكون هذه الآية متأخّرة عن الآية ٣٦ ولا أقلّ من عام.
والآية التالية لها: ٣٧ في طلاق زيد لزينب وزواج الرسول بها، ولا بدّ من فصل معتدّ به بين خطبتها لزيد وطلاقها وزواج الرسول بها، فكيف اقترنت الآيتان؟!
وقد قال القمي في تفسيره: ٢/١٩٢: إنّ نزول الآية ٢٨ كان بعد رجوع النبيّ من غزاة خيبر. وتستمرّ الآيات في سياقٍ واحد فتحتوي في الآية ٣٣ على قوله سبحانه: }إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً{ في عليّ والزهراء والحسنين عليهم السلام، ويظهر من أخبار نزول الآية ما يؤيّد نزولها بعد خيبر، ولذلك فنحن نؤجّل ذكر ذلك إلى حوادث ما بعد خيبر.

(٤) روى القمي في تفسيره أيضاً: ٢/ ١٧٢ عن الصادق عليه السلام قال: =

ثمّ إنّهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله... فقال زيد:

يا رسول الله، تأذن لي في طلاقها، فإنّ فيها كِبْراً وإنّها لتؤذيني بلسانها!

فقال رسول الله: إتّق الله وأمسك عليك زوجك، وأحسِن إليها.

ثمّ إنّ زيداً طلّقها، وانقضت عدّتها... فأنزل الله نكاحها على رسول الله قال:

﴿... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى...﴾ إلى آخرها[1].

وروى الطبرسي عن أنس بن مالك قال: إنّ رسول الله ذبح شاة، وأعدّ تمراً وسويقاً، وبعثت أمي أم سليم إليه بإناء من حجارة فيه حيس (وهو تمر يُخرج نواه ويُعجن في أُقط وسمن) وأمرني رسول الله أن أدعو أصحابه إلى الطعام. فدعوتهم، فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون حتى ما وجدت أحداً ادعوه فقلت ذلك لرسول الله فقال: ارفعوا طعامكم، فرفعوه وخرج القوم، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا

= إنّ رسول الله لمّا تزوّج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عُكاظ في تجارة لها، ورأى زيداً يُباع، ورآه غلاماً كيّساً حصيفاً (عاقلاً حكيماً) فاشتراه (لها).

فلمّا نُبّئ رسول الله دعاه إلى الإسلام، فأسلم.

وكان أبوه حارثة بن شراحيل الكلبي رجلاً جليلاً، فلمّا بلغه خبر ولده قدم مكّة فأتى أبا طالب فقال:

يا أبا طالب، إنّ ابني وقع عليه السبي، وبلغني أنّه صار إلى ابن أخيك، فسَلْه إمّا أن يبيعه وإمّا أن يفاديه، وإمّا أن يُعتقه.

فكلّم أبو طالب رسول الله، فقال رسول الله: هو حرّ فليذهب كيف يشاء!

فقام حارثة فأخذ بيد زيد وقال له: يا بُنيّ، إلحق بشرفك وحسبك!

فقال زيد: لست أُفارق رسول الله أبداً!

فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش؟!

فقال زيد: لست أُفارق رسول الله ما دمت حيّاً!

فغضب أبوه فقال: يا معشر قريش، اشهدوا أنّي قد برئت منه وليس هو ابني!

فقال رسول الله: اشهدوا أنّ زيداً ابني أرثه ويرثني! فكان يدعى: زيد بن محمّد.

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٩٤؛ والآية من سورة الأحزاب: ٤٠ ـ ٣٧.

المكث، فقام (صلى الله عليه وآله) فمشى حتى بلغ حجرة عائشة، وظنّ أنهم قد خرجوا فرجع فإذا هم جلوس مكانهم! وكان رسول الله يريد أن يخلو له المنزل. فنزلت الآية[١] مما يقتضي نزولها في زواج النبي بزينب بعد الأحزاب في الخامسة.

وجوب الحجاب:

وفي الآية: ﴿. . .وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ. . .﴾ وفي الآية ٥٥: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ وقبلها في الآية ٣٢: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وبعدها في الآية ٥٩: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وفي الآية الأخيرة في تفسير القمي قال: كان سبب نزولها أنّ النساء كنّ يخرجن إلى المسجد يصلين خلف رسول الله، فاذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة قعد الشبان لهنّ في طريقهنّ فيؤذونهنّ ويتعرضون لهنّ فأنزل الله الآية[٢].

أُمّهات المؤمنين:

وفي الآية السادسة: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ وجاء في ذيل الآية ٥٣: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾.

---

(١) مجمع البيان: ٩/ ٥٧٤.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٩٦؛ ونحوه في مجمع البيان: ٩/ ٥٨٠.

وفي تفسير القمي: كان سبب نزولها: أنه لما أنزل الله﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ ... قال طلحة [بن عبيد الله التيمي ابن عم عائشة]: تزوّج محمد نساءنا ويحرّم علينا نساءه؟! لئن أمات الله محمداً لنفعلنّ كذا وكذا... فأنزل الله الآية[1].

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٩٥.



الباب الثالث

العهد المدني

- ٢ -

دور الفتح والانتشار



الفصل الأول

أهمّ حوادث السنة السادسة للهجرة

غزوة القُرْطاء:

قال المسعودي في حوادث السنة السادسة من الهجرة: في المحرّم كانت سريّة محمّد بن مَسلمة الأنصاري إلى قبيلة القُرْطاء من بني بكر بن كلاب، بموضع يقال له: البُكرات بناحية ضريّة[1].

قال محمّد بن مَسلمة: فخرجت بأصحابي في عشر ليالٍ خلون من المحرّم على رأس خمسة وخمسين شهراً من الهجرة. وانطلق حتّى إذا كان بموضع يُطلعه على بني بكر فبعث عبّاد بن بشر إليهم فأومئ عليهم، فلمّا روّحوا ماشيتهم وحلبوها وروّوا إبلهم وردّوها إلى مَباركها جاء إلى محمّد بن مَسلمة فأخبره، فخرج محمّد بن مَسلمة فشنّ عليهم الغارة فقتل منهم عشرة، واستاقوا النَّعَم والشياة وانحدروا إلى المدينة.

غزوة بني لحيان:

روى الواقدي: أنّ رسول الله كان قد وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه (الذين قتلوا يوم الرجيع في أوّل السنة الرابعة) فخرج في مائتي رجل فيهم عشرون

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢١٨.

فارساً[١] لهلال ربيع الأوّل سنة ستّ[٢]، فنزل بناحية الجرف، فعسكر فيه أوّل النهار وهو يظهر أنّه يريد الشام[٣] ليصيبهم على غفلة. فسلك على جبل غراب بطريق الشام ثمّ على محيص ثمّ على البتراء ثمّ خرج على بِين ثمّ على صخيرات اليمام، ثمّ استقام على المحجّة من طريق مكّة فأسرع السير حتّى نزل منازل بني لحيان في غران وادٍ بين أمج وعُسفان إلى بلدٍ يقال له ساية، فوجدهم قد نذروا به فحذروا وتمنّعوا منه برؤوس الجبال[٤]. فأقام يوماً أو يومين وبعث السرايا في كلّ ناحية فلم يقدروا على أحد منهم[٥] فقال (صلى الله عليه وآله): لو أنّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكّة أنّا قد جئنا مكّة. فخرج في أصحابه حتّى نزل عُسفان[٦]. ثمّ بعث فارسين من أصحابه حتّى بلغا كُراع الغَميم[٧] ثمّ كرّا، ورجع رسول الله إلى المدينة وهو يقول: آيبون تائبون، لربّنا حامدون. أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد[٨].

وغاب رسول الله عن المدينة أربع عشرة ليلة[٩].

سريّة الغَمْر[١٠]:

روى الواقدي بسنده قال: بعث رسول الله عُكاشَة بن محصن الأسدي في

---

(١) المغازي: ٢/ ٥٣٦؛ وروى العدد كذلك ابن إسحاق: ٢/ ٢٩٢.
(٢) المغازي: ٢/ ٥٣٥.
(٣) المغازي: ٢/ ٥٣٦.
(٤) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٩٢.
(٥) وفي المنتقى: في مرجعه من بني لِحيان جاز على قبر أمه فزاره ـ البحار: ٢٠/ ٢٩٨ في قرية الأبواء.
(٦) وادٍ بعد عُسفان إلى مكّة بثمانية أميال.
(٧) ابن هشام: ٢/ ٢٩٣.
(٨) المغازي: ٢/ ٥٣٧.
(٩) ماء لبني أسد على ليلتين من فيد. في طريق العراق ـ التنبيه والإشراف: ٢١٩. وأشار الحلبي إلى السريّة باسم الغمرة. المناقب: ١/ ٢٠١.
(١٠) حسب نسخة بحار الأنوار: ٢٠/ ٣٠٥؛ وفي طبعة النجف: الحديبية، تحريفاً.

أربعين رجلاً (إلى بني أسد في الغَمْر) وأُخبروا به فهربوا من مائهم، فانتهى إليهم فلم يجدهم، فبعث الطلائع يطلبون خبراً أو أثراً، فرجع أحدهم يقول: إنّه رأى لهم أثراً، وكان القوم قد تركوا لهم ربيئة كان قد سهر ليلته يتسمّع الصوت فلمّا أصبح أخذه النوم، فأصابه المسلمون فأخذوه وسألوه عن خبر الناس... وضربه أحدهم بسوط، فقال: تؤمّنني على دمي وأُطلعك على نَعَمٍ لبني عمّ لهم لم يعلموا بمسيركم؟ قالوا: نعم، فانطلقوا معه فخرج حتّى أمعن... ثمّ قال: تطلعون عليهم من هذا الدرب، فأشرفوا فإذا بنعمهم ترتع، فأغاروا عليهم فهربوا في كلّ وجه فأصابوا منهم مِئتي بعير فاستاقوها إلى المدينة. وكان ذلك في شهر ربيع الأوّل سنة ست.

موادعة بني أشجع:

روى القمي في تفسيره خبرهم فقال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد هادن بني ضمرة ووادعهم قبل غزاة بدر الموعد[1] وكان على مقربة منهم بنو الأشجع بطن من كنانة في البيضاء والجبل والمستباح، وكان بينهم وبين بني ضمرة حلف في المراعاة والأمان، فأجدبت بلاد أشجع وأخصبت بلاد بني ضمرة فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فقربوا من رسول الله، فهابوا لقربهم من رسول الله أن يبعث إليهم من يغزوهم.

فلمّا بلغ رسول الله مسيرهم إلى بني ضمرة وكان رسول الله قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً، همّ بالمسير إليهم، وتهيّأ للمصير إليهم ليعقروهم، للموادعة التي كانت بينهم وبين بني ضمرة.

فبينما هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رخيلة، وهم سبعمئة، فنزلوا شِعب سَلْع ـ وذلك في شهر ربيع الأوّل سنة ست ـ فدعا

(١) تفسير القمي: ١/١٤٦ ـ ١٤٧.

رسول الله أُسيد بن حضير فقال له: اذهب في نفرٍ من أصحابك حتّى تنظر ما أقدم أشجع؟

فخرج أُسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه حتّى وقف عليهم فقال لهم: ما أقدمكم؟

فقام إليه مسعود بن رخيلة فسلّم على أُسيد وقال: جئنا لنوادع محمّداً.

فرجع أُسيد إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله: خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم. ثمّ قال: نعم الشيء الهدية قبل الحاجة، ثمّ قدّم أمامه بعشرة أحمال من التمر. ثمّ أتاهم فقال لهم: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟

قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقلّ عدداً منّا فضقنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقنا بحرب قومنا لقلّتنا فيهم، فجئنا لنوادعك.

فقبل النبيّ ذلك منهم ووادعهم، فأقاموا يومهم، ثمّ رجعوا إلى بلادهم[١].

غارة الفزاري وردّها[٢]:

اجتمع للنبيّ (صلى الله عليه وآله) من خمس الجمال الغنائم أو صفاياها عشرون ناقة لُقحت فكانت حوامل ذوات ألبان يقال لها: اللقاح، كانت ترعى في الغابة قرب المدينة على طريق الشام[٣]، وكان الراعي يرجع بلبنها أصيل كلّ يوم عند المغرب.

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام: أنّ أبا ذر الغفاري استأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرعى لقاحه، وسمّى الموضع: مزينة قال: أفتأذن لي أن أخرج أنا وابن أخي إلى مزينة فنكون بها؟

(١) أشار إليها الحلبي في المناقب: ٢٠١/١ باسم ذي قَرَد.
(٢) على بريد من المدينة ـ التنبيه والإشراف: ٢١٨.
(٣) روضة الكافي: ١١٠، ح ٩٦.

فقال (صلى الله عليه وآله): إنّي أخشى أن يغير عليك خيل من العرب فيُقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً فتقوم بين يدي متكئاً على عصاك فتقول: قتل ابن أخي وأُخذ السرح.

فقال أبو ذر: يا رسول الله بل لا يكون إلا خيراً إن شاء الله.

فأذن له رسول الله. فخرج هو وابن أخيه وامرأته.

فلم يلبث هناك إلا يسيراً حتى غارت خيل بني فزارة فيها عُيينة بن حصن، فأخذت السرح، وقتل ابن أخيه، وأُخذت امرأته من بني غفار... وطعنوه طعنة جائفة.

وأقبل أبو ذر يشتدّ حتى وقف بين يدي رسول الله فاعتمد على عصاه وقال: صدق الله ورسوله: أُخذ السرح وقتل ابن أخي وقمت بين يديك على عصاي: فصاح رسول الله في المسلمين فخرجوا في الطلب فقتلوا نفراً من المشركين وردّوا السرح[١].

حرب بني محارب:

روى الواقدي: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار ومحارب فصاروا إلى تَغْلمين من أراضي المَراض، ثمّ أجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة ببطن هَيْقا، وبلغ ذلك رسول الله فبعث أبا عبيدة بن الجرّاح في أربعين رجلاً من المسلمين بعد صلاة المغرب في ربيع الآخر سنة ستّ، فباتوا يمشون ليلتهم حتّى وافوا ذا القَصّة[٢] مع الصبح فأغاروا عليهم فأخذوا رجلاً منهم وهرب الباقون في الجبال، فاستاقوا النعم وغنموا المتاع فقدموا به المدينة، وأسلم الرجل فتركه رسول الله، وخمّس رسول الله الغنيمة وقسّمها عليهم[٣].

ثمّ بعث عليهم محمّد بن مَسْلَمة في عشرة، فورد ذا القصّة ليلاً، فكمن القوم

---

(١) نحو عشرين ميلاً من المدينة على طريق الربذة إلى العراق ـ التنبيه والإشراف: ٢١٩.

(٢) المغازي: ٢/ ٥٥٢؛ وأشار إليها في إعلام الورى: ١/ ١٩٠؛ والحلبي في المناقب: ١/ ٢٠١.

(٣) وأشار إليها الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠١ و٢٠٢.

حتّى نام المسلمون فأحدق بهم مئة رجل من بني ثعلبة وعُوال، فتراموا بالنبال ساعة من الليل، ثمّ حمل الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم، ووقع محمّد بن مسَلمة جريحاً لا يتحرّك، فجرّدوهم ثيابهم وانطلقوا[1].

فمرّ رجل على القتلى فاسترجع وسمعه محمّد فتحرّك له فعرض عليه الماء والطعام ثمّ حمله إلى المدينة. فبعث النبيّ إلى ذلك الموضع (من ذي القَصّة) أبا عبيدة بن الجرّاح مع الأربعين رجلاً فلم يجدهم ووجد لهم نعماً فاستاقها راجعاً إلى المدينة[2].

صلاة الاستسقاء:

مرّ في خبر تفسير القمي عن بني ضمرة وأشجع: أنّ بلادهم كانت قد أجدبت في هذه السنة السادسة شهر ربيع الأوّل. ومرّ آنفاً في خبر الواقدي: أنّه قد أجدب بلاد بني أنمار وثعلبة ومحارب في شهر ربيع الآخر سنة ست.

وقد روى الكازروني في «المنتقى» في حوادث هذه السنة السادسة، عن الزُهري عن أنس بن مالك قال: أتى المسلمون رسول الله فقالوا:

يا رسول الله قحط المطر، ويبس الشجر، وهلكت المواشي وأسنّت الناس، فاستسقِ لنا ربّك.

فقال: إذا كان يوم ـ كذا وكذا ـ فاخرجوا، وأخرجوا معكم صدقات.

فلمّا كان ذلك اليوم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ والناس معه ـ يمشي وعليه السكينة والوقار، حتّى أتوا المصلّى، فتقدّم النبيّ فصلّى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة، في الأُولى بفاتحة الكتاب والأعلى، وفي الثانية بفاتحة الكتاب والغاشية.

---

(١) المغازي: ٢/ ٥٥١؛ وأشار إليها الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠١.
(٢) عنه في بحار الأنوار: ٢٠/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

فلمّا قضى صلاته استقبل القوم بوجهه وقَلَبَ رداءه ـ تفاؤلاً لانقلاب القحط إلى الخِصب ـ ثمّ جثا على ركبتيه ورفع يديه ثمّ قال: «الله أكبر، اللّهم اسقنا وأغثنا غيثاً مُغيثاً، وحَياً ربيعاً، وجدًى طبقاً غدقاً مغدقاً عاماً، هنيئاً مريئاً مريعاً، وابلاً شاملاً، مُسبلاً مجَلجِلاً، دائماً دَرِراً، نافعاً غير ضارّ، عاجلاً غير رائث، غيثاً اللّهم تحيي به البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر منّا والباد، اللّهم أنزل في أرضنا زينتها، وأنزل علينا سكينتها. اللّهم أنزل علينا من السماء ماءً طهوراً تحيي به بلدة ميتاً، واسقه ممّا خلقت أنعاماً وأناسيّ كثيراً».

قال أنس: فما برحنا حتّى أقبلت قُزع من السحاب فالتأم بعضها إلى بعض ثمّ مطرت عليهم سبعة أيّام ولياليهن لا تُقلع عن المدينة.

فأتاه المسلمون ـ وهو على المنبر ـ فقالوا: يا رسول الله، قد غرقت الأرض وتهدّمت البيوت، وانقطعت السُبُل، فادعُ الله ـ تعالى ـ أن يصرفها عنّا.

فضحك رسول الله حتّى بدت نواجذه، ثمّ رفع يديه فقال: «اللهمَّ حوالينا ولا علينا، اللّهمَّ على رؤوس الظِراب ومنابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام».

فتصدّعت قطع السحاب عن المدينة حتّى كانت في مثل الفسطاط عليها، تمطر على مراعيها ولا تمطر فيها.

قالوا: فلمّا صارت المدينة في مثل الفسطاط ضحك رسول الله حتّى بدت نواجذه ثمّ قال: لله أبو طالب، لو كان حيّاً قرّت عيناه، مَن الذي يُنشد قوله؟

فقام علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله كأنّك أردتَ قوله:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهُلّاكُ من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتم وبيتِ الله نُبزي محمّداً ... ولمّا نقاتل دونه ونناضل

ونسلمُه حتّى نُصرّع حوله ... ونُذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله: أجل[١].

مصادرة قافلة تجارة قريش:

كان رسول الله يحاول محاصرة قريش اقتصاديّاً قبل أن يحاصرها عسكريّاً، واقتصاصاً من أموالها لما استلبوا وصادروا من أموال المسلمين المهاجرين. فكانت وقعة بدر ردّاً على محاولته ذلك للمرّة الأُولى.

وبعد غزوة الغابة ـ في ما روى الواقدي ـ بلغه أنّ عيراً لقريش أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة ـ أيضاً ـ في مئة وسبعين راكباً، فأخذوها، وفيها يومئذٍ فضّة كثيرة لصفوان بن أُميّة الجمحي وذلك في جمادى الأُولى سنة ست[٢] في العَيص من ناحية ذي المَروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام[٣].

سريّة إلى بني ثعلبة:

روى الواقدي: أنّ رسول الله بعث زيد بن حارثة في جمادى الآخرة سنة ست إلى بني ثعلبة في الطَّرف (٢٤) في خمسة عشر رجلاً، فخاف الأعراب أن يكون رسول الله قد سار إليهم فهربوا، فلم يكن قتال، وأصاب شياهاً ونعماً فانحدر زيد بعشرين بعيراً منها إلى المدينة، فخرجوا في طلبه فأعجزهم حتّى أصبح بالمدينة[٤].

---

(١) الغازي: ٢/ ٥٥٣.
(٢) ابن هشام: ٣/ ٣٣٨، بينها وذي المروة ليلة، وبينها والمدينة أربع ليالٍ ـ الطبقات: ٢/ ٦٣.
(٣) هو ماء على ستّ وثلاثين ميلاً من المدينة دون النخيل قرب المراض ـ الطبقات: ٢/ ٦٣. وأشار ابن إسحاق إلى الغزوة بلا تأريخ فقال: وغزوة زيد بن حارثة الطَرَف من ناحية نخل من طريق العراق ٤/ ٢٦٥. وأشار إليها الحلبي في المناقب: ١/ ٣٠١.
(٤) المغازي: ٢/ ٥٥٥؛ وأشار إليها ابن إسحاق في السيرة: ٤/ ٢٦٥.

غزوة دومة الجندل[١]:

روى الواقدي: أنّ رسول الله دعا عبد الرحمان بن عوف الزُهْري (في شعبان سنة ستّ) فقال له: تجهّز فإنيّ باعثك في سريّة من يومك هذا أو من غد إن شاء الله. ثمّ أمره رسول الله أن يسير من الليل إلى دومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام. ومضى أصحابه في السحر فعسكروا بالجُرف، وهم سبعمائة رجل.

وصلّى رسول الله صلاة الصبح وإذا عبد الرحمان بن عوف في ناس من المهاجرين، وهو متوشّح سيفاً وقد لفّ على رأسه عمامة، فقال له رسول الله: ما خلّفك عن أصحابك؟ فقال: يا رسول الله أحببت أن يكون آخر عهدي بك وعليّ ثياب سفري. فدعاه النبيّ فأقعده بين يديه فنقض عمامته بيده ثمّ عمّمه بعمامة سوداء فأرخى منها ذيلها بين كتفيه وقال: هكذا فاعتم يا بن عوف. ثمّ قال له: اغزُ باسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغلُ ولا تغدر ولا تقتل وليداً. ثمّ التفت إلى الناس فقال:

أيّها الناس، اتّقوا خمساً قبل أن يحلّ بكم:

ما نقُص مكيالُ قوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلّهم يرجعون!

وما نكث قوم عهدهم إلا سلّط الله عليهم عدوّهم!

وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عليهم قطر السماء، ولولا البهائم لم يُسقوا!

وما ظهرت الفاحشة في قومٍ إلا سلّط الله عليهم الطاعون!

---

(١) تابعة لمدينة دمشق الشام بينهما خمس عشرة ليلة، كما في معجم البلدان، وكان أهلها نصارى من كلب.

وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا ألبسهم الله شِيَعاً وأذاق الله بعضهم بأس بعض!

ثمّ خرج عبد الرحمان حتّى لحق بأصحابه فسار بهم حتّى قدم دُومة الجنْدل، وهم نصارى من كلب ورئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي، فدعاه وقومه للإسلام، فأبوا أن يُعطوه إلا السيف، فمكث بها ثلاثة أيّام يدعوهم إلى الإسلام، فلمّا كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي وأقام على إعطاء الجزية عن قومه[١]. فكتب عبد الرحمان إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) يخبره بذلك، وبعث بذلك رجلاً من جُهينة يقال له: رافع بن مكيث، وكتب معه يخبر النبيّ أنّه قد أراد أن يتزوّج مِنهم. فكتب إليه النبيّ أن يتزوّج تُماضِر بنت الأصبغ، فتزوّجها عبد الرحمان، ثمّ رجع بها إلى المدينة[٢].

سريّة عليّ عليه السلام إلى فدك:

روى الواقدي: أنّ بني سعد كانوا بفدك (وهي قرية بينها وبين المدينة ستّ ليالٍ قريبة من خيبر) وقد بلغ رسول الله أنّ لهم جمعاً لإمداد يهود خيبر[٣] فبعث إليهم عليّاً عليه السلام في مئة رجل في شعبان سنة ستّ، فسار الليل وكمن النهار حتّى انتهى إلى الهمج (ماء قرب فدك بينها وبين خيبر) فأصابوا رجلاً منهم فأخذوه، فقال له عليّ عليه السلام: هل لك علمٌ بما وراءك من جمع بني سعد؟ قال: لا علم لي به، فشدّوا عليه، فأقرّ أنّه عينٌ لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم. فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمّع منهم مئتا رجل ورأسهم وَبَر بن عُليم. قالوا: فَسِرْ بنا حتّى

(١) أصلها باليونانية: زيت، بمعنى الضريبة عن الرؤوس. وهذا أول مرّة تذكر في التاريخ الإسلامي، ولم ترد في القرآن الكريم إلا في سورة التوبة: ٢٩ وهي حسب المعروف آخر سورة نزلت، وعليه فتشريعها بالسنّة.

(٢) المغازي: ٢/ ٥٦١؛ وأشار إليها الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠٢.

(٣) ولعلّهم كانوا قد أعدّوا له بعد بني قريظة.

تدلّنا. قال: على أن تؤمّنوني! قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سَرْحهم آمنّاك وإلا فلا أمان لك!

فخرج بهم وأوفى بهم على فدافد وآكام حتّى ساء ظنّهم به، ثمّ أفضى بهم إلى سهول فإذا شياة كثيرة ونعَم فقال: هذه شياههم ونعَمهم، فأرسلوني. قالوا: لا حتّى نأمن الطلب، ثمّ أغاروا فغنموا النعم والشياة وهرب راعيها فأنذر أهله وحذّرهم فتفرّقوا وهربوا، وانتهى المسلمون إلى محلّهم فلم يروا أحداً، فأرسلوا الرجل. فمكث علي عليه‌السلام ثلاثاً، ثمّ عزل خمس الغنائم، وصفى للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله لقوحاً، وقسّم سائر الغنائم، وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة[1].

غزوة ذات السلاسل[2]:

روى الشيخ المفيد عن أصحاب السير: أنّه كان النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله جالساً ذات يوم إذ جاءه أعرابي فجثا بين يديه ثمّ قال: إنيّ جئتك لأنصحك! قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب قد عملوا على أن يبيّتوك بالمدينة[3] فقد اجتمع بنو سليم بوادي الرمل عند الحرّة على أن يبيّتوك[4].

فأمر أمير المؤمنين عليه‌السلام أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا عدوّ الله وعدوّكم قد أقبل إليكم يزعم أنّه يبيّتكم في المدينة، فمن للوادي؟ [وادي الرمل].

فقام رجل من المهاجرين (؟) فقال: أنا له يا رسول الله. فناوله اللواء، وضمّ إليه سبعمائة رجل وقال له: امضِ على اسم الله. فمضى. فوافى القوم ضحوة فقالوا له: مَن الرجل؟ قال: أنا رسول لرسول الله، فإمّا أن تقولوا: لا إله إلا الله

---

(١) المغازي: ٢/ ٥٦٢؛ وأشار إليها الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠٢.

(٢) وتسمّى غزوة وادي الرمل، ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد: ١/ ١١٤ ـ ١١٧ بعد بني قريظة وقبل المصطلِق. وأشار إليها الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠٢ في حوادث السنة السادسة.

(٣) الإرشاد: ١/ ١١٤.

(٤) المناقب: ١/ ٢٠٢.

منامه، فقلت له: الله جارك. قال: صدقتِ، الله جاري. لكن هذا جبرائيل عليه السلام يخبرني أنّ علياً قادم. ثمّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام، فقام المسلمون له صفّين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فلمّا بصر بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما، فقال له عليه السلام: اركب فإنّ الله ورسوله عنك راضيان. فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً. وانصرف إلى منزله.

فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟

قالوا: لم نُنكر منه شيئاً إلا أنّه لم يؤمّ بنا في صلاة إلا قرأ بنا فيها بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فقال النبيّ: سأسأله عن ذلك.

فلمّا جاءه قال له: لِمَ لَمْ تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟

فقال: يا رسول الله، أحببتها.

فقال له النبيّ عليه السلام: فإنّ الله قد أحبّك كما أحببتها. ثمّ قال له: يا عليّ لولا أنّني أُشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك![1].

---

(١) الإرشاد: ١/ ١١٦ ـ ١١٧، ثمّ قال: ذكر كثير من أصحاب السيرة: أنّ في هذه الغزاة نزل على النبيّ (صلى الله عليه وآله): }والعاديات ضبحا{ إلى آخرها. كما في تفسير القمي: ٢/ ٤٣٤؛ ومجمع البيان: ٢/ ٨٠٢ و٨٠٣ عن الصادق عليه السلام؛ ورواه الحلبي في المناقب: ٣/ ١٤٠ بإسناد أبي الفتح الحفّار وأبي القاسم الوكيل ـ هذا، وقد اشتهر أنّ سورة العاديات مكية وقد سبق في تفسيرها ما يناسب مكيّتها ـ ونقل عن مقاتل والزجاج ووكيع والثوري والسدّي وأبي صالح عن ابن عبّاس: أنّه (صلى الله عليه وآله) أنفذ أبا بكر في سبعمائة رجل فهزموهم وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، ورجع عمر منهزماً أيضاً، فقال عمرو بن العاص: ابعثني يا رسول الله فبعثه فرجع منهزماً، وفي رواية: أنه أنفذ خالداً فعاد كذلك. وهذا يعني أنّ ذلك لم يكن في سنة ست بل بعد سنة ثمان. هذا، وقد أشار إليه من قبل في حوادث السنة السادسة ١/ ٢٠٢.

غزوة بني المصطلِق[(١)]:

روى الواقدي: أنّ بني المصطلِق من خزاعة كانوا ينزلون بناحية الفُرع، وبدأ الركبان يأتون من ناحيتهم فيخبرون رسول الله أنّ الحارث بن أبي ضرار رأس المصطلق وسيّدهم قد سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله.

فلمّا بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث بُريدة بن الحُصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فاستأذن النبيّ أن يقول ما شاء فأذن له. فخرج حتّى ورد ماءهم فوجد قوماً مغرورين قد جمعوا الجموع. فقالوا له: مَن الرجل؟ قال: رجل منكم، قدِمت لمّا بلغني عن جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني، فتكون يدنا واحدة حتّى نستأصله. فقال له الحارث: فنحن على ذلك فعجّل علينا. فقال بُريدة: اركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ومن أطاعني. فركب...

ورجع إلى رسول الله فأخبره خبر القوم.

فندب رسول الله الناس وأخبرهم خبر عدوّهم، فأسرع الناس للخروج. وفيهم ثلاثون فارساً، عشرة من المهاجرين: رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ عليه السلام والمقداد والزبير وطلحة وأبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمان بن عوف. وعشرون من الأنصار منهم: أُبيّ بن كعب وأُسيد بن حضير والحُباب بن المنذر وسعد بن زيد وسعد بن مُعاذ ومُعاذ بن جبل.

---

(١) من قبائل خزاعة، وكان محلّهم يسمّى المريسيع من ناحية قُدَيد إلى الساحل بينه وبين الفرْع نحو يوم. وناء الوفاء ٢/ ٣٧٣. وقد اختلف الخبر عن تأريخ هذه الغزوة، ففي مغازي الواقدي ١/ ٤٠٤: في سنة خمس خرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان، وقدم المدينة لهلال رمضان. وفي سيرة ابن هشام ٣٢/ ٣٠٢: في شعبان سنة ست. والقمي في تفسيره ٢/ ٣٦٨؛ والحلبي في المناقب ١/ ٢٠١ بنيا على الأوّل؛ وذكرهما الطبرسي في إعلام الورى ١/ ١٩٦ ورجّحنا الأخير لبعض القرائن، منها أنّ عليّاً عليه السلام هنا فارس، فلو كانت في سنة خمس لاقتضى أن يكون عليه السلام فارساً في الخندق أيضاً في شوّال من السنة نفسها بعد شعبان، بينما هو راجل فيها.

وخرج مع رسول الله بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها قطّ، ليس لهم رغبة في الجهاد، ولكن قرب السفر عليهم، وأرادوا أن يصيبوا من عَرَض الدنيا.

وسلك رسول الله على الحلائق[1] فنزل بها. وفيها جاءه رجل من عبد القيس فسلّم على رسول الله، فسأله: أين أهلك؟ قال: بالرَّوحاء. قال: فأين تريد؟ قال: جئت لأُؤمن بك وأشهد أنّ ما جئت به الحقّ وأُقاتل عدوّك. فقال رسول الله: الحمد للّه الذي هداك للإسلام. فلمّا أسلم قال: يا رسول الله أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: الصلاة في أوّل وقتها[2].

وفي بقعاء صادفوا رجلاً من المشركين فسألوه: ما وراءك؟ وأين الناس؟ فقال: لا علم لي بهم. فقال له عمر بن الخطّاب: لتصدُقَنَّ أو لأضربنَّ عنقك! فقال: أنا رجل من بني المصطلِق، تركتُ الحارث بن أبي ضرار قد جمع لكم الجموع وجلب إليه ناساً كثيراً، وبعثني إليكم لآتيَه بخبركم وهل تحرّكتم من المدينة.

فأتى عمر إلى رسول الله فأخبره الخبر فدعا به رسول الله ودعاه إلى الإسلام فقال:

لست بمتّبع دينكم حتّى أنظر ما يصنع قومي، فإن دخلوا في دينكم كنت كأحدهم، وإن ثبتوا على دينهم فأنا رجل منهم!

فقال عمر: يا رسول الله، أضربُ عنقه؟ فأذن له، فضرب عنقه.

فذهب خبره إلى بني المصطلق فساء بذلك زعيمهم الحارث بن أبي ضرار ومن معه وخافوا خوفاً شديداً، وتفرّق عنه من كان قد اجتمع إليه من أفناء العرب حتّى ما بقي منهم أحد سوى بني المصطلق.

---

(١) المغازي: ٢/ ٤٠٥.
(٢) المغازي: ٢/ ٤٠٦.

وفي المُريسيع:

انتهى رسول الله إلى ماء المُريسيع فنزله، وضُربت له قُبّة من أدَم. وقد اجتمع بنو المصطلق على الماء وأعدّوا وتهيّأوا للقتال. فصفّ رسول الله أصحابه، ودفع راية المهاجرين ـ في ما قيل ـ إلى عمّار بن ياسر(رضي الله عنه) وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة(رضي الله عنه).

فروى الواقدي عن ابن عمر: أنّ النبيّ أغار على بني المصطلق وهم غارّون ونَعَمهم تُسقى على الماء.

ولكنّه روى بسنده عن زيد بن طلحة: أنّ رسول الله أمر عمر فنادى فيهم:

قولوا: لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم! فأبوا. ورمى رجلٌ منهم المسلمين فرماهم المسلمون بالنبل ساعة[1].

ثمّ أمر رسول الله أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، قتل منهم عشرة وأسر سائرهم[2] فقتَل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم هما مالك وابنه... وكان هو الذي سبى جويريّة بنت الحارث أمير القوم، فجاء بها إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فاصطفاها النبيّ عليه السلام. وأصاب رسول الله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين.

السبايا والغنائم:

وأمر رسول الله بالأسرى والذرية فكُتّفوا وجُعلوا ناحية، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب. وأمر بما وُجد في رحالهم من المتاع والسلاح فجُمع، وعُمد إلى النَعَم والشياة فسيقت، واستُعمل عليهما (المتاع والنعم) مولاه شُقران. ثمّ أخرج رسول الله الخمس من جميع المغنَم، واستعمل على مقسم الخمس وسهام المسلمين محميّة بن جَزْء الزّبُيدي فكان يليه.

---

(١) الغازي: ٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٧.

(٢) إعلام الورى: ١/١٩٧؛ وهو لفظ الواقدي: ٢/ ٤٠٧.

وفي طريق الرجوع:

قال القمي: لما رجع رسول الله من غزوة المُريسيع وهي غزوة بني المصطلق نزل على بئر، وكان الماء فيها قليلاً، فاجتمعوا على البئر، فتعلق دلو سيّار بن أنس[١] ـ حليف الأنصار ـ بدلو جهجاه بن سعيد الغفاري ـ وكان أجيراً لعمر بن الخطاب ـ فقال سيّار: دلوي، وقال جهجاه: دلوي وضرب بيده على وجه سيّار، فسال منه الدم، فنادى سيّار بالخزرج! ونادى جهجاه بقريش! وثارت الفتنة، وسمع عبد الله بن أُبي (بن سلول الخزرجي) النداء فسأل: ما هذا؟ فأخبروه الخبر.

فغضب غضباً شديداً وقال: إنيّ لأذل العرب! قد كنت كارهاً لهذا المسير ما ظننت أن أبقى إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكن عندي تغيير!

ثم أقبل على أصحابه وقال: هذا عملكم! أنزلتموهم منازلكم، وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بأنفسكم، وأبرزتم نحوركم للقتل، فأُرمل نساؤكم، وأُيتم صبيانكم. ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم. ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ!

وكان ذلك في وقت الهاجرة، وكان رسول الله في ظل شجرة وعنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار. وكان زيد بن أرقم غلاماً قد راهق (وقد سمع كلام ابن أُبيّ) فجاء فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بما قال عبد الله بن أُبيّ.

فركب رسول الله وارتحل، وتسامع الناس بذلك فارتحلوا.

ولحقه سعد بن عُبادة فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام. فقال: ما كنت لترحل في هذا الوقت؟! فقال: أوَلا سمعت

---

(١) يتكرر اسم سيّار في الخبر عدّة مرات، وهنا: أنس بن سيار! بينما سيأتي عن ابن إسحاق أنّ اسمه سنان بن وبر الجهني حليف بني عمرو بن عوف من الخزرج.

قولاً قال صاحبكم؟! قالوا: وأيّ صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال: عبد الله ابن أبيّ زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ!

فقال: يا رسول الله، فأنت وأصحابك الأعزّ وهو وأصحابه الأذلّ! وسار رسول الله ذلك اليوم كلّه، ولم ينزلوا إلا للصلاة، ثم سار ليله.

قال القمي: وأقبلت الخزرج على عبد الله بن أُبي يعذلونه، فحلف عبد الله أنه لم يقل شيئاً من ذلك! فقالوا له: فقم بنا إلى رسول الله حتى نعتذر إليه، فلوى عنقه!

ثم جاء إلى النبي فحلف أنّه ليشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأنّه لم يقل ذلك وأنّ زيداً قد كذب عليه. وقبل منه رسول الله ذلك القول.

فأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يقولون له: كذبت على سيدنا عبدالله؟! ويشتمونه، وزيد يقول: اللهم إنّك لتعلم أنيّ لم أكذب على عبد الله بن أُبيّ.

وارتحل رسول الله... فما سار إلا قليلاً حتى أخذ رسول الله ما كان يأخذه من الشدّة عند نزول الوحي عليه، فثقل حتى كادت ناقته تبرك من ثقل الوحي. ثم سُرّي عن رسول الله وهو يسلت العرق عن جبهته. ثم دنا إلى رحل زيد بن أرقم فأخذ بأذنه وقال: يا غلام صدق قولك، ووعى قلبك، وأنزل الله في ما قلت قرآناً.

فلما نزل جمع أصحابه حوله فقرأ عليهم السورة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ

مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] ففضح الله عبد الله بن أُبيّ.

وقال أبان البجلي: وأتى ولد عبد الله بن أُبيّ إلى رسول الله فقال:

يا رسول الله، إن كنت عزمت على قتله فمُرني أكون أنا الذي أحمل إليك رأسه! فوالله لقد علمت الأوس والخزرج أني أبرّهم ولداً بوالد، فإني أخاف إن تأمر غيري فيقتله فلا تطيب نفسي أن انظر إلى قاتل عبد الله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار!

فقال رسول الله: بل نُحسن صحابته ـ لك ـ ما دام معنا[٢].

سريّة زيد إلى بني بدر:

روى الواقدي بسنده[٣] قال: كان رسول الله قد بعث زيد بن حارثة إلى الشام في تجارة بضائع لأصحاب النبي، ومعه ناس من أصحابه، فلما كان بوادي القرى [بعد خيبر] أغار عليهم ناس من بني بدر من بني فزارة فضربوهم حتى ظنوا أن قد ماتوا، وأخذوا ما معهم.

فرجع زيد وأصحابه إلى المدينة، فبعثه رسول الله في سريّة إليهم في رمضان سنة ست، وقال لهم: سيروا الليل واكمنوا النهار. وعلم بهم بنو بدر فجعلوا لهم ناطوراً على جبل مشرف لهم على وجه الطريق الذي يرون أنهم يأتون منه. فصمد لهم زيد بن حارثة في الليل حتى صبّحهم ثم أوعز إلى أصحابه أن لا يفترقوا، وقال لهم: إذا كبّرت فكبّروا. وأحاطوا بهم فكبّر وكبّروا، وقتلوا منهم عبد الله بن

---

(١) المنافقون: ١ ـ ٨.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٣) قال: عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو الحسن المثنى، وأمه من بني فزارة والخبر عن بني فزارة.

مسعدة، وابن أخيه قيس بن النعمان بن مسعدة، ورجلاً آخر، وقُتلت امرأة منهم يقال لها أم قِرفة قتلها قيس بن المحسِّر، وسبى ابنتها سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله، فوهبها رسول الله لحزَن بن أبي وهب فتزوّجها(١).

سريّة ابن رواحة إلى خيبر:

روى الواقدي بسنده عن ابن عباس قال: لما قُتل أبو رافع (سلام بن أُبيّ الحُقيق، زعيم اليهود في خيبر)(٢) أمّروا عليهم أُسير بن زارم. وكان شجاعاً، فقام فيهم فقال: إنه والله ما سار محمد إلى أحد من اليهود إلا بعث أحداً من أصحابه فأصاب منهم ما أراد، ولكني أصنع ما لا يصنع أصحابي.

قالوا: وما عسيت أن تصنع ما لم يصنع أصحابك؟

قال: أسير في غطفان فأجمعهم، ثم نسير إلى محمد في عقر داره، فإنه لم يُغْزَ أحد في داره إلا أدرك منه عدوّه بعض ما يريد.

قالوا: نعم ما رأيت. فسار في غطفان فجمعهم.

وقدم خارجة بن حُسيل الأشجعي على رسول الله، فاستخبره عمّا وراءه فقال: تركت أُسير بن زارم يسير إليك في كتائب اليهود.

فروى عن عروة بن الزبير: أنّ النبيّ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان إلى خيبر ليخبر عن حال أهلها وما يتكلمون به وما يريدون. فلمّا وصل إلى خيبر فرّق أصحابه الثلاثة في ثلاثة من آطام خيبر: الشق، والكتيبة، والنطاة، فأقاموا فيها ثلاثة أيام حتى وعوا ما سمعوه عن أُسير وغيره، ثم خرجوا

---

(١) المغازي: ٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

(٢) مرّ خبره في حوادث ما بعد الخندق وبني قريظة، كما ذكره ابن إسحاق ٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨ وذكره الواقدي: ١/ ٣٩١ على رأس ستة وأربعين شهراً، وقال: ٣٩٥، ويقال: كانت السرية في شهر رمضان سنة ست.

بعد ثلاثة أيام فرجعوا إلى النبي لليالٍ بقين من شهر رمضان، فأخبروه بما رأوا وسمعوا.

وعن ابن عباس قال: فندب رسول الله الناس فانتدب له ثلاثون رجلاً. فاستعمل عليهم عبد الله بن رواحة.

وقال عبد الله بن أنيس: جئت فوجدت أصحابي يوجهون إلى أُسير بن رِزام، وسمعت النبي يقول: لا أرى أُسير بن رِزام. يعني ان اقتلوه، وكنت فيهم، فخرجنا حتى قدمنا خيبر، فأرسلنا إلى أُسير: إنا آمنون حتى نأتيك فنعرض عليك ما جئنا له؟ قال: نعم، ولي مثل ذلك منكم؟ قلنا: نعم.

فدخلنا عليه فقلنا: إنّ رسول الله بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر، ويُحسن إليك. فشاور اليهود في ذلك فقالوا له: ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني إسرائيل! قال: بلى، وقد ملَلْنا الحرب.

فخرج ومعه ثلاثون رجلاً من اليهود. فسرنا حتى اذا كنّا بقرقرة ثبار[١] فأهوى بيده إلى سيفي! ففطنت له فدفعت بعيري وقلت: أغدراً أي عدو الله؟ ثم دنوت منه مرة أخرى وتناومت لأنظر ما يصنع. فتناول سيفي! فغمزت بعيري ونزلت عنه وسُقت القوم حتى انفرد أُسير فضربته بالسيف فقطعت فخذه وسقط عن بعيره، ثم مِلنا على أصحابه فقتلناهم إلا واحداً منهم أعجزنا هرباً، ورجعنا إلى رسول الله فإذا هو جالس في أصحابه مشرفين على الثنية (ثنية الوداع إلى جهة الشام) فانتهينا إليه وحدثناه الخبر فقال: نجّاكم الله من القوم الظالمين[٢].

---

(١) موضع على ستة أميال من خيبر ـ وفاء الوفاء: ٢/ ٢٧٣. وروى السمهودي الخبر عن موسى بن عقبة، وفاء الوفاء: ٢/ ٣٦١.

(٢) المغازي: ٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٨؛ وذكر ابن إسحاق مختصره في السيرة: ٤/ ٢٦٦؛ والطبرسي في إعلام الورى: ١/ ٢١١ بعد خيبر، بلا تأريخ. ويصلح هذا أن يكون الباعث على حرب خيبر بفاصل أربعة أشهر وعشر تقريباً.

سرية إلى بني ضبّة:

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي... عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوم من بني ضبّة مرضى، فقال لهم رسول الله: أقيموا عندي فإذا برأتم بعثتكم في سرية. فقالوا: أخرجنا من المدينة. فبعث بهم إلى ابل الصدقة يشربون من... ألبانها، فلمّا برأوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كان في الإبل [واستاقوها].

فبلغ الخبر رسول الله فبعث إليهم علياً عليه السلام [مع جمع، وكانوا] في وادٍ قد تحيّروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه... فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله، فنزلت الآيـــة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1] فاختار رسول الله القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[2].

صلح الحديبية:

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في النوم أنه دخل بأصحابه المسجد الحرام مع الداخلين، وطاف مع الطائفين وحلّق مع المحلّقين، وكان ذلك أمراً له بذلك.

فأخبر أصحابه بذلك، وأمرهم بالخروج، فخرجوا[3].

---

(١) المائدة: ٣٣. هذا، والمعروف أنها آخر سورة نزلت من القرآن الكريم.
ولعله لهذا ذهب الضحاك عن ابن عباس إلى أنّ الآية نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي موادعة فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فخيّر الله نبيه في ما ذكر في الآية. كما في التبيان: ٣/ ٥٠٥، وعنه في مجمع البيان: ٣/ ٢٩١. وعليه فلا يُصدَّق ما يُروى أنه (صلى الله عليه وآله) سمل أعينهم ثم نزلت الآية فنهى عن المثلة بعد ذلك بل يصحّ أنّه كان ينهى عن المثلة قبل نزول الآية في أواخر عهده (صلى الله عليه وآله).

(٢) فروع الكافي: ٧/ ٢٤٥، ح١؛ ورواه العياشي في تفسيره: ١/ ٣١٤، ح٩٠.

(٣) قال الواقدي: واغتسل رسول الله في بيته ولبس ثوبين من نسج صُحار (بلدة بسلطنة عُمان اليوم=

فلمّا نزل ذا الحليفة[١]... وكان قد ساق رسول الله ستاً وستين بدنة[٢]، فأحرم بالعمرة وأشعرها[*] عند إحرامه، وأحرم المسلمون ملبّين بالعمرة مُشعرين[٣].

=وقديماً كانت من قرى اليمن ـ النهاية ٢/ ٢٥٣)، وركب راحلته القصواء من عند بابه... وخرج من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة... واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم... وكان قد أمر رسول الله بُسر بن سفيان الكعبي أن يبتاع له بُدناً [ناقات أو بقرات سِمان، تُهدى إلى مكّة، مفردُها بَدْنَة. (المدقّق)]، ويبعث بها إلى ذي الجَدْر، فلمّا حضر خروجه أمر بها فجُلبت إلى المدينة، ثم استعمل عليها ناجية بن جُندب الأسلمي فأمره أن يقدمها إلى ذي الحليفة. وخرج معه المسلمون وساق الهَدْيَ معه منهم أهلِ القوة عليه. وقال سعد بن عُبادة: يا رسول الله، لو حملنا السلاح معنا فإن رأينا من القوم ريباً كُنّا مُعدّين لهم!

فقال رسول الله: لست أحمل السلاح، إنّما خرجت معتمراً. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول أتخشى علينا من أبي سفيان ابن حرب وأصحابه ولم نأخذ للحرب عدّتها؟!

فقال رسول الله: ما أدري؛ ولست أحبّ حمل السلاح معتمراً (المغازي: ٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣)

وروى الكليني في روضة الكافي: ٢٦٦، بسنده عن الصادق عليه السلام: خرج النبي في وقعة الحديبية في ذي القعدة... ومعه خيل الأنصار: الأوس والخزرج وكانوا ألفاً وثمانمائة.

وقال الطبرسي: خرج في الشهر الحرام ذي القعدة في ناس كثير من أصحابه يريد العمرة، وساق معه سبعين بَدْنَة ـ إعلام الورى: ١/ ٢٠٣.

وقال الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠٢، اعتمر في ألف ونيف رجل وسبعين بدنة.

وروى ابن إسحاق بسنده: ٣/ ٣٢٢، عن المولد بن مخرمة قال: كان الناس معه سبعمائة رجل، والهدي سبعين بدنة، وكل بدنة عن عشرة. وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا ألفاً وأربعمائة رجل.

(١) في معاني الأخبار: ١٠٨، بسنده عن الصادق عليه السلام: كان بينهما (المدينة وذي الحليفة) ستة أميال. وهو كذلك في معجم البلدان: ٥/ ١٥٥.

(٢) في إعلام الورى: ١/ ٢٠٣. سبعين بُدنة وكذلك في قصص الأنبياء: ٣٤٦؛ ومناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٠٢.

(*) جَعَلَ البُدْنَ شعيرةً تُهدَى. وقد كانت العرب تضرب أصل سنامها بسكّين، فيُعرَف أنها بُدَن هَدْي.

(٣) قال ابن إسحاق: وإنما ساق معه الهَدْيَ وأحرم بالعمرة ليعلم الناس أنه إنّما خرج زائراً للبيت ومعظّماً له، فيأمن الناس من حربه، ٣/ ٣٢٢.

وروى الواقدي: ٢/ ٥٧٣، أنّ رسول الله صلّى الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بالبُدن فجُلّلت (جعل عليها الجُلّ) ثم أشعر عدداً منها بنفسه في شقها الأيمن وهنّ موجّهات إلى القبلة... ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقي، وقلّدها نعلاً. فأشعر المسلمون بُدنَهم وقلدوهنّ النعال في رقابهن. ثم دخل رسول الله المسجد (؟) فصلّى ركعتين، ثم خرج ودعا براحلته فركبها من باب المسجد، فلما انبعثت به مستقبلة القبلة أحرم وهو يقول: =

وكان رسول الله في طريقه يستنفر بالأعراب ليكونوا معه، فلم يتّبعه أحد منهم وكانوا يقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عُقر دارهم فقتلوهم؟! إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً![1].

= «لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك» وأحرم عامة المسلمين بإحرامه. ومعه أم سلمة.

ودعا رسول الله بُسر بن سفيان الكعبي فقال له: إنّ قريشاً قد بلغها أني أريد العمرة فخبّر لي خبرهم ثم القني بما يكون منهم. فتقدم بُسر أمامه.

ودعا رسول الله عبّاد بن بِشر فقدّمه طليعة في عشرين فارساً من خيل المسلمين من الأنصار ومنهم محمد بن مسلمة، ومن المهاجرين ومنهم المقداد بن عمرو. وقيل: بل كان أميرهم سعد بن زيد الأشهلي.

وروى الحميري في قرب الإسناد: ٥٩، بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله لما انتهى إلى البيداء حيث الميل قرّبت له ناقة فركبها، فلما انبعثت به لبّى بالأربع.

وروى الكليني في فروع الكافي: ٤/ ٣٣٤، بسنده عنه عليه السلام ـ أيضاً ـ قال: إنّما لبّى النبي في البيداء لأنّ الناس لم يعرفوا التلبية فأحب أن يعلّمهم كيف التلبية.

وروى الطوسي في الاستبصار والتهذيب بسنده عنه عليه السلام قال: إنّ رسول الله لم يكن يلبّي حتى يأتي البيداء ـ ٢/ ١٧ و٥/ ٨٤. والبيداء هي الصحراء أمام الحجاج بعد ذي الحليفة إلى جهة المغرب ـ وفاء الوفاء ٢/ ٢٦٧.

(١) تفسير القمي: ٢/ ٣١، وقال ابن إسحاق: ٣/ ٣٢٢، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي ومن الأعراب ليخرجوا معه، فأبطأ عليه كثير منهم، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت.

وروى الواقدي ٥٧٤: ٢، أنّ رسول الله جعل يمر بالأعراب في ما بين المدينة إلى مكة: بني بكر، وجُهينة، ومُزينة، فيستنفرهم معه فيتشاغلون له بأموالهم وأبنائهم وذراريهم ويقولون: أيريد محمد أن يغزو بنا إلى قوم معدين مؤيدين في الكراع والسلاح وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور! لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً! قوم لا سلاح معهم ولا عدد، وإنما يقدم على قوم عهدهم حديث بمن أصيب منهم يوم بدر! وخرج معه من أسلم سبعون أو مئة رجل. وخرج معه من المسلمين ألف وست مئة أو ألف وخمسمائة أو ألف وأربعمائة وكان معه أربع نسوة: أمّ سلمة زوجه، وأمّ عامر الأشهلية، وأمّ عُمارة، وأمّ منيع.

وكان رسول الله يقدّم الخيل، ثم هدْيه ومعه هدي المسلمين مع ناجية بن جُندب ومعه فتيان من أسلم، ثمّ...

راح رسول الله عصر يوم الاثنين من ذي الحُليفة فأصبح يوم الثلاثاء بملل، وراح من ملل فتعشّى بالسيّالة ثم أصبح بالروحاء.

وكان فيهم من لم يحرم، فاشترى قوم منهم في الروحاء صيداً أو عرضوه على المحرمين فأبوا=

وروى المفيد في «الإرشاد»: نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منزل الجحفة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن مالك (أبي وقاص الزُهري) بالروايا(*)، حتى إذا كان غير بعيد رجع وقال: يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي لقد وقفت قدماي رعباً من القوم! فبعث رسول الله رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان

=حتى سألوا رسول الله فقال: كُلوا، فكل صيد ليس لكم حلالاً من الإحرام، تأكلونه، إلا ما صِدتم أو صيد لكم: ٢/ ٥٧٥، فروى بسنده عن ابن عباس: أن الصعب بن جثامة أهدى لرسول الله في الأبواء حماراً وحشياً (قد صاده) فردّه وقال: إنا لم نرده إلا أنا حرم. ولكنه روى عن أبي قتادة: أنه صاد في الأبواء حماراً وحشياً لنفسه وأصحابه المحلين وطبخوه وعرضوه على المحرمين فشكّوا في أكله فسُئل النبي عن ذلك فقال: أمعكم منه شيء؟ فأعطاه الذراع فأكله وهو محرم، لأنه لم يصده مُحرم أو لمحرم، بل مُحِلّ لِمُحِلّ ـ ٢/٥٧٦.

وحين اقتربوا من الأبواء عطب بعير من الهدي فأخبر بذلك ناجية بن جندب رسول الله فقال له: انحرها واصبغ قلائدها في دمها، وخلّ بين الناس وبينها ولا تأكل أنت ولا أحد من أهل رُفقتك منها شيئاً.

وفي الأبواء ـ أيضاً ـ رأى رسول الله كعب بن عُجرة على طبخ والقمل في رأسه يؤذيه فقال له: هل تؤذيك هوامك يا كعب؟ قال: نعم يا رسول الله، فقال: فاحلق رأسك.

وروى الواقدي بسنده عن مجاهد: أن في كعب بن عُجرة هذا نزلت الآيات من سورة البقرة: }وأتمّوا الحجّ والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محلّه فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتّقوا الله واعلموا أنّ الله شديد العقاب{ فروى مجاهد عن كعب بن عُجرة قال: فأمرني رسول الله أن أذبح شاة «أو نسك» أو أصوم ثلاثة أيام، أو أُطعم ستة مساكين مدّين، وقال: أيّ ذلك فعلت أجزأك ـ ٢/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨.

والآيات في سورة البقرة من ١٩٦ ـ ٢٠٣. وعليه فهذه الآيات مما نزلت في السنة السادسة وأُلحقت بسورة البقرة النازلة في السنة الأولى من الهجرة.

وفي منزل الجحفة روى الواقدي أن النبي خطب الناس فقال: أيها الناس إني لكم فرط، وقد تركتُ فيكم كتاب الله وسنّة نبيّه ٢/٥٧٩.

وهذا ما رواه مسلم في صحيحه أيضاً، وقد روى جمع كثير أنه قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. فراجع مصادر حديث الثقلين في المراجعات: سبيل النجاة: ١٢ ـ ٢٢، تحقيق حسين الراضي.

(*) مفردُها راوية، وهي الدابة التي يُستَقَى عليها. والراوية وعاء أكبر من المَزَادة، إذ المزادة ثلاثة جُلود يُضَمُّ بعضها إلى بعض ويُوضع فيها الماء. (المدقّق).

الذي انتهى إليه الأول (سعد) فرجع وقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت أن أمضي رُعباً!

فدعا رسول الله علي بن أبي طالب فأرسله بالروايا وخرج معه السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه كما رجع من قبله. فخرج علي عليه السلام بالروايا حتى ورد الخرار فاستقى ثم أقبل بها إلى النبي (صلى الله عليه وآله)... فكبّر النبي ودعا له بخير[1].

قال القمي: فلما بلغ قريشاً ذلك بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس ليستقبل رسول الله. فكان يكمن له في الجبال[2].

---

(١) الإرشاد: ١/ ١٢١ ـ ١٢٢؛ واختصره الحلبي في سطرين في المناقب ٢/ ٩٠؛ ونقله عن المفيد ابن حجر في الإصابة ٣/ ١٩٩؛ والغريب أن الواقدي ٢/ ٥٧٨، نقل الخبر بألفاظه إلا أنه لم يسمِّ أحداً لا سعداً ولا علياً عليه السلام! ستراً للمثالب والمناقب، أليس الإنصاف كذلك؟!

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣١٠؛ وفي روضة الكافي: أرسل إليه المشركون أبان بن سعيد (بن العاص الأموي) في الخيل فكان بإزائه. وفي إعلام الورى: ٩٨، بعثوا مكرز بن حفص وخالد بن الوليد، وكذلك في المناقب: ٢/ ٢٠٢.

وروى الواقدي: ٢/ ٥٧٩، لما بلغ المشركين خروج رسول الله إلى مكة راعهم ذلك واجتمعوا له... فأجمعوا أمرهم وجعلوه إلى: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل. فقال صفوان: نرى أن نقدّم مئتي فارس إلى كراع الغميم (على مرحلتين من مكة)، ونستعمل عليها رجلاً جَلداً (قوياً). فقالوا: نِعم ما رأيت. فقدّموا على خيلهم ـ يقال ـ خالد ابن الوليد (أو) عكرمة بن أبي جهل. واستنفرت قريش من أطاعها من الأحابيش ومعهم ثقيف، ووضعوا العيون على الجبال إلى جبل يقال له: وَزَر وَزَع، فكان العيون يوحي بعضهم إلى بعض حتى ينتهي ذلك إلى قريش.

وخرجت قريش إلى بَلْدَح فضربوا بها القباب والأبنية، وخرجوا بالنساء والصبيان فعسكروا هناك.

وروى ابن إسحاق بسنده عن المسور بن مخرمة قال: وخرج رسول الله حتى كان بعُسفان (على مرحلتين من مكة ـ معجم البلدان) فلقيه بشر بن سفيان الكعبي (الذي كان قد بعثه النبي إلى مكة عيناً له) فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المَطافيل [العائذات ومعهن أطفالهن] قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى [قرب مكة] يعاهدون الله: لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كراع الغميم [وادٍ بعد عُسفان بثمانية أميال].

فقال رسول الله: يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، =

فلما قرب في الطريق إلى مكة وحضرت صلاة الظهر أذّن بلال، وصلّى رسول الله الظهر بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم. ثم قال: ولكن تجيء لهم بعد الآن صلاة أخرى أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم!

فنزل جبرائيل على رسول الله بقوله ـ سبحانه ـ: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفة أخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إنّ الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً * فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)[1].

ففرّق رسول الله أصحابه فرقتين، فوقف بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلوا مع رسول الله قياماً، ومرّوا فوقفوا مواقف أصحابهم، وجاء أولئك الذين لم يصلوا فصلى بهم رسول الله الركعة الثانية، وقعد رسول الله يتشهد، وقام أصحابه فصلوا الركعة الثانية[2] فرادى.

=وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة! فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة [أي صفحة العنق، كناية عن الموت].

ثم أمر رسول الله الناس أن يسلكوا ذات اليمين طريقاً تخرجهم على ثنيّة المرار مهبط الحُديبية في أسفل مكة.

فلما رأت خيل قريش من قتار جيش المسلمين أنهم خالفوا طريقهم، إلى مكة ـ سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤. وهذه هي رواية ابن إسحاق عن ابن شهاب، وعليها فقد كان كل ذلك على بعد فيما بين المسلمين والمشركين، ولم يكن بينهم قبل الحديبية من القرب ما يوجب صلاة الخوف كما يظهر من الخبر الثاني عن تفسير القمي ومغازي الواقدي.

(١) النساء: ١٠٢ ـ ١٠٣؛ والخبر في تفسير القمي: ٢/ ٣١٠.

(٢) تفسير القمي: ١/ ١٥٠؛ وقال الطوسي في التبيان: ٣/ ٣١١: كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعُسفان،=

الماء في الحديبية:

فروى بسنده عن ناجية بن الأعجم الأسلمي قال: كان المشركون قد سبقوا إلى بَلْدَح فغلبوا على مياهه، والناس في حرّ شديد، والبئر واحدة، وقد شكا الناس إلى النبي قلّة مائها، فدعا بدلو من ماء البئر فجئته به فمضمض فاه ثم مجّه فيه، وأخرج سهماً من كنانته ودفعه إليَّ وقال: انزل بالماء فصبّه في البئر، وأثِر ماءها بالسهم. ففعلت، فوالذي بعثه بالحق لقد فارت كما تفور القدر وكاد الماء يغمرني وأنا أخرج حتى طمّت البئر واستوت بشفيرها، فكان المسلمون يغترفون الماء منها حتى نهلوا عن آخرهم.

=والمشركون بضجنان، فتواقفوا، فصلى النبي بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود، فهمّ بهم المشركون أن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه. يعنون العصر. فأنزل الله عليه الآية فصلّى بهم العصر صلاة الخوف، ونقله عنه الطبرسي في مجمع البيان ٣/ ١٥٧، ثم ذكر خبر أبي حمزة الثمالي في تفسيره أنّ ذلك كان في حرب محارب وأنمار.
وروى الواقدي بسنده عن ابن عياش الزرقي (الأنصاري) تفصيل ذلك قال: حانت صلاة الظهر فأذّن بلال وأقام، فاستقبل رسول الله القبلة وصفّ الناس خلفه فصلى بهم الظهر وسلم، فقاموا إلى ما كانوا عليه من التعبية، فقال خالد بن الوليد: قد كانوا على غرّة، لو كنّا حملنا عليهم لأصبنا منهم. ثم قال: ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحبّ إليهم من أنفسهم وأبنائهم!
فنزل جبرائيل عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية: }وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم{... الآية. فحانت العصر فأذّن بلال وأقام، فقام رسول الله مواجهاً القبلة، والعدو أمامه، (والمسلمون خلفه صفّين) وكبّر رسول الله فكبّر الصفان وركعوا معاً، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه ووقف الصف الآخر يحرسونهم، فلما قضى رسول الله السجود بالصف الأول وقام وقاموا معه سجد الصف المؤخر السجدتين وقاموا، فتأخر الصف الأول وتقدّم الصف المؤخر، فركع رسول الله وركعوا معاً، ثم سجد رسول الله فسجد الصف الذي يليه ووقف الصف المؤخر يحرسونهم، فلما سجد رسول الله السجدتين ومن معه ورفعوا رؤوسهم واستووا جالسين سجد الصف المؤخر السجدتين، فتشهد رسول الله وسلّم عليهم: ٢/ ٥٨٣.
ورواها كذلك ـ أيضاً ـ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس ٢/ ٥٨٢.
ولكنه روى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنّ هذه الصلاة كانت في عُسفان وأنها كانت صلاة الخوف الثانية بعد صلاته الأولى في غزوة ذات الرقاع، بينهما أربع سنين. ثم قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا ٢/ ٥٨٣. ويؤيد ذلك أنّ الآية من سورة النساء.

النفاق في الحديبية:

وكان يومئذٍ نفر من المنافقين جلوس ينظرون إلى الماء وقد جاشت البئر وهم على شفيرها، فقال أوس بن خولي لعبد الله بن أُبي بن سلول: ويحك يا أبا الحباب: أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه؟ أبعد هذا شيء[١]؟! وردنا بئراً يتبّرض ماؤها[٢] فتوضأ رسول الله في الدلو ومضمض فاه فيه، ثم أفرغ الدلو فيها ونزل بالسهم فحثحثها فجاشت بالرواء.

هدايا المشركين:

قال الواقدي: وقالوا: لما نزل رسول الله الحديبية... أهدى عمرو بن سالم الخزاعي من ضجنان لسعد بن عبادة الخزرجي، وكان صديقاً له، غنماً وجزراً على يد غلام منهم، فجاء سعد بالغنم والغلام إلى رسول الله فأخبره: أنّ عمراً أهداها له، فقال رسول الله: فبارك الله في عمرو!

رسل المشركين:

روى ابن إسحاق بسنده عن المسور بن مخرمة قال: لما اطمأنّ رسول الله أتاه بُديل بن وَرْقاء الخُزاعي في رجال من خُزاعة ـ وكانوا ناصحين لرسول الله لا يخفون عنه شيئاً ـ فسألوه: ما الذي جاء به؟

فقال لهم مثل ما قال لبشر بن سفيان وأنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحُرمته.

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩. وقد روى الكليني خبر البئر عن الصادق عليه السلام في روضة الكافي: ٢٦٦، وأشار إليه الطوسي في التبيان ٩/ ٣١٣، والطبرسي في مجمع البيان ٩/ ١٦٧ عن ابن إسحاق في السيرة ٣/ ٣٢٢، والراوندي في الخرائج والجرائح ١/ ٥٨ و١٢٣ وخبر آخر مثله في الطريق ١/ ١٠٩.

(٢) يتبّرض: يخرج في القعب جرعة ماء.

فرجع بديل الخزاعي ورجاله إلى قريش فقالوا لهم: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إنّ محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت.

فقالوا: وإن كان لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوةً، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب[١].

وفي خبر «روضة الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: ثم أرسلوا الحُليس [سيد الأحابيش][٢] فرأى البدن (وقد تآكل أوبارها).

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٢٥. أما الواقدي فقد روى الخبر في ٢/ ٥٩٣ والظاهر أنه بسند ابن إسحاق أيضاً ٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧ ولكنه قال: قال بديل: جئناك من عند قومك: كعْب بن لؤي وعامر بن لؤي، وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم معهم العوذ المطافيل (العائذات معها أطفالها) يُسمون بالله: لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم (سوادهم = جماعتهم).
فقال رسول الله: إنا لم نأت لقتال أحد، إنّما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدّنا قاتلناه! وقريش قوم قد أضرّت بهم الحرب ونهكتهم، فإن شاؤوا مادَدْتُهم مدة يأمنون فيها ويخلون في ما بيننا وبين الناس، والناس أكثر منهم، فإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا في ما دخل فيه الناس، أو يقاتلوا وقد جمعوا والله لأجهدن على أمري حتى تنفرد سالفتي (صفحة العنق، كناية عن الموت) أو ينْفِذ الله أمره!
فقام بديل وركب، وركب من معه إلى قريش حتى هبطوا عليهم فقال ناس منهم: هذا بديل وأصحابه إنما جاءوا يريدون أن يستخبروكم! فلا تسألوهم عن حرف واحد (وكأنهم لم يرسلوا من قبل قريش).
فقال بديل: إنّا جئنا من عند محمد، أتحبون أن نخبركم؟!
فقال عكرمة بن أبي جهل والحكم بن العاص: لا والله ما لنا حاجة بأن تخبرنا عنه! ولكن أخبروه عنا: أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً حتى لا يبقى منّا رجل!
فقال عروة بن مسعود: والله ما رأيت كاليوم رأياً أعجب! وما تكرهون أن تسمعوا من بديل وأصحابه، فإن أعجبكم أمر قبلتموه وإن كرهتم شيئاً تركتموه.
فقال صفوان بن أمية والحارث بن هشام: أخبرونا بالذي رأيتم والذي سمعتم. فأخبروهم بمقالة النبي التي قال وما عرض على قريش من المدة.
فقال عروة: يا معشر قريش... إنّ بديلاً قد جاءكم بخطة رشد لا يردّها أحد أبداً إلا أخذ شراً منها، فاقبلوها منه، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده، وأنظر إلى من معه وأكون لكم عيناً آتيكم بخبره... فاني لكم ناصح شفيق عليكم لا ادّخر عليكم نُصحاً. فبعثوه ٢/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤؛ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩/ ١٧٨ باختصار و بالسّند نفسه. وأشار إليه الحلبي في المناقب ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) قال ابن الأثير: الأحابيش: كانوا أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم لقريش...=

فرجع... وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان، أما والله ما على هذا حالفناكم على أن تردّوا الهدي عن محلّه.

فقال له أبو سفيان: اسكت فإنّما أنت أعرابي!

فقال الحُليس: أما والله لتخلّينّ عن محمد وما أراد، أو لأنفردنّ بالأحابيش!

فقال أبو سفيان: اسكت حتى نأخذ من محمد وَلْثاً(*)(١).

فأرسلوا إليه عروة بن مسعود [الثقفي](٢) وقد كان جاء إلى قريش في القوم الذين أصابهم المغيرة بن شعبة [الثقفي] كان قد خرج معهم من الطائف تجاراً فقتلهم وجاء بأموالهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأبى رسول الله أن يقبلها وقال: هذا غَدْر، ولا حاجة لنا فيه.

فأرسل [مقدَّم المسلمين] إلى رسول الله: يا رسول الله، هذا عروة بن مسعود قد أتاكم، وهو يعظّم البُدُن.

فقال رسول الله: فأقيموها [له] فأقاموها.

فقال: يا محمد، مجيء من جئت؟

قال: جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر هذه الإبل وأخلّي [بينكم] وبين لحماتها(٣).

=ثم حالفوا قريشاً عند جبل يُسمى حُبشي، فسمّوا بذلك. وزاد الفيروزآبادي في القاموس المحيط: حُبشي بالضمّ: جبل بأسفل مكة، ومنه أحابيش قريش، لأنهم تحالفوا فيه بالله أنهم يد على غيرهم ما سجى ليل، ووضح نهار وما رسى حُبشي. وعنه في مجمع البحرين، مادة: حبش.

(*) الوَلْثُ: عَقْدُ العهد بين القوم. (المدقّق).

(١) روضة الكافي: ٢٦٧؛ وفي مجمع البحرين: الولث: العهد من غير قصد أو غير مؤكد. مادّة: ولث. روى خبر الحُليس ابن إسحاق في السيرة ٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦؛ والواقدي في المغازي: ٢/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠؛ وكلاهما عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة. وابن إسحاق روى الكلام بينه وبين قريش ـ بلا اسم ـ عن عبد الله بن أبي بكر، وكان بمكة مشركاً.

(٢) وهو صهر أبي سفيان على ابنته ميمونة فهو عديل رسول الله صلى الله عليه وآله لزواجه بأمّ حبيبة بنت أبي سفيان.

(٣) روضة الكافي: ٢٦٧.

رُسل رسول الله:

روى ابن إسحاق: أنّ رسول الله دعا خراش بن أُمية الخزاعي فبعثه إلى قريش مكة، وحمله على بعير له، ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له.

فعقروا به جمل رسول الله وأرادوا قتله فمنعت عنه الأحباش وخلّوا سبيله[1].

ذكر الطبرسي في «إعلام الورى»: أنَّ رسول الله بعث عثمان بن عفّان إلى أهل مكة يستأذنهم أن يدخل مكة معتمراً.

فأبوا أن يتركوه واحتبس، فظنَّ رسول الله أنهم قتلوه![2].

الحراسة والغارة:

قال الواقدي: وكان رسول الله يأمر أصحابه بالحديبية يتحارسون الليل، فكان ثلاثة منهم يتناوبون الحراسة: أوس بن خَوْليّ، وعبّاد بن بشر، ومحمد بن مَسلمة، فكان الرجل منهم يبيت على الحرس يُطيف بالعسكر حتى يصبح.

وكان عثمان قد أقام بمكة ثلاثاً يدعو قريشاً. وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله إلى أهليهم[3] وهم عشرة من المهاجرين: حاطب بن أبي بلتعة، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو الروم بن عمير، وعمير بن وهب الجُمحي، وعبد الله بن أبي أُمية بن وهب، وعبد الله بن حذافة،

(١) ابن إسحاق في السيرة ٣/ ٣٢٨؛ وقال الواقدي في المغازي: ٢/ ٦٠٠، كان أول من بعث رسول الله إلى قريش خِراش بن أُمية الكعبي... ليبلّغ أشرافهم عن رسول الله ويقول لهم: إنما جئنا معتمرين معنا الهدي معكوفاً، فنطوف بالبيت ونُحِلّ وننصرف. فولي عِكرمة بن أبي جهل عَقر جمل النبيّ وأراد قتل (الرجل) فمنع عنه من كان هناك من قومه، وخلّوا سبيله، فرجع إلى النبي ولم يكد يرجع، فأخبر النبي بما لقي وقال: يا رسول الله ابعث رجلاً أمنع مني ـ ٢/ ٦٠٠.

(٢) إعلام الورى: ١/ ٢٠٤. وقال ابن إسحاق: فاحتبسته قريش عندها وبلغ رسول الله أنه قد قتل ٣/ ٣٢٩.

(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٠٢.

وعبد الله بن سهيل بن عمرو العامري: سفير الصلح، وعياش بن أبي ربيعة، وكرز بن جابر الفهري، وهشام بن العاص بن وائل(١).

وليلة من تلك الليالي وعثمان بعدُ بمكة، ومحمد بن مَسلمة (على الحراسة) وقد كانت قريش بعثت خمسين رجلاً ليلاً(٢) عليهم مكرز بن حفص، أمروهم أن يطيفوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) رجاء أن يصيبوا منهم أحداً، أو يصيبوا منهم غرة، فأخذهم محمد بن مَسلمة وأصحابه وجاؤوا بهم إلى رسول الله.

وبلغ قريشاً أنّ أصحابهم حُبسوا، فجاء جمع منهم إلى المسلمين وتراموا بالنبل والحجارة، وأسر المسلمون منهم أسرى آخرين أيضاً(٣).

بيعة الرضوان:

وقد بلغ رسول الله أنّ عثمان وأصحابه [المهاجرين العشرة] قد قتلوا... فأقبل رسول الله يؤم منزل غَزية بن عمرو المازني من بني النجّار ومعه زوجته أم عمارة، فجلس في رحالهم ثم قال: إن الله أمرني بالبيعة. فتداكّ الناس يبايعونه، بايعهم على أن لا يفرّوا(٤).

وقال الطبرسي في «إعلام الورى»: فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفرّوا عنه أبداً(٥).

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٠٣.

(٢) وروى الطبرسي في مجمع البيان: ٩/ ١٨٩: عن أنس بن مالك: أنهم كانوا ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم المسلمون.
وروى قبله عن ابن عباس: أنهم كانوا أربعين رجلاً بعثهم المشركون ليصيبوا المسلمين فأُسروا، وأُتي بهم إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فخلّى سبيلهم.

(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٠٢.

(٤) مغازي الواقدي: ٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣.

(٥) إعلام الورى: ١/ ٢٠٤؛ ومثله في المناقب: ١/ ٢٠٢؛ هذا، وقد روى ابن إسحاق في السيرة: ٣/ ٣٣٠: عن عبد الله بن أبي بكر: أنّ الناس كانوا يقولون: بايعهم رسول الله على الموت، وكان جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: إنّ رسول الله لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا=

إنّ علياً عليه السلام طرح ثوباً بينه (صلى الله عليه وآله) وبين النساء فبايعنه بمسح الثوب، ورسول الله يمسح الثوب مما يليه[١].

وروى الكليني: أنّ رسول الله ضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان[٢].

وأنبأ النبي عن الوصيّ:

وروى في «الإرشاد» بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: انقطع شسع نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدفعها إلى علي عليه السلام يصلحها، ثم مشى في نعل واحدة غلْوةً (رمية سهم) أو نحوها، وأقبل على أصحابه فقال: إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل.

فقال أبو بكر: أنا ذاك يا رسول الله؟ قال: لا.

فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟ قال: لا.

فأمسك القوم ونظر بعضهم إلى بعض، فقال رسول الله: لكنّه خاصف النعل ـ

=على أن لا نفرّ، فبايعه الناس ولم يتخلف عنه أحد حضرها من المسلمين، إلا الجد بن قيس من بني سلمة، والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله أنّ الذي ذُكر من أمر عثمان باطل وروى الواقدي في المغازي ٢/ ٥٩١: عن أبي قتادة الأنصاري قال: لما دعا رسول الله إلى البيعة فرّ الجد بن قيس فدخل تحت بطن البعير، وقلت له: ويحك ما أدخلك هاهنا؟ أفِراراً مما نزل به روح القدس؟! قال: لا، ولكنّي سمعت البيعة فرُعبت! ومات الجدّ بن قيس في خلافة عثمان في ماله بالواديين.

وروى الطبري في تأريخه ٢/ ٦٣٢: بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قافلون من الحديبية إذ نادى منادي النبيّ: أيها الناس، البيعة البيعة، نزل روح القدس. فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه.

ويبدو منه أن البيعة كانت بعد الصلح والرجوع! وهو أمر غريب منفرد، ويبدو لي التصحيف في لفظ (قافلون من) عن (قائلون في) أي كنّا في نومة القيلولة قبل الزوال في الحديبية، لا قافلين منها. ومعه ينسجم قوله: فسرنا إلى رسول الله تحت الشجرة، وأيضاً نداء المنادي، ولو كانوا قافلين لاقتضى الأمر غير ذلك.

(١) الإرشاد: ١/ ١١٩.

(٢) روضة الكافي: ٢٦٨.

وأومأ إلى علي عليه‌السلام وقال ـ إنّه المقاتل على التأويل إذا تُركت سنّتي ونُبذت، وحُرّق كتاب الله، وتكلّم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم عليّ على إحياء دين الله عزّ وجل[١].

وفي «روضة الكافي» بسنده عن الصادق عليه‌السلام قال: فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزّى... فأمر رسول الله فأثيرت البُدُن في وجوههم، فقالا: مجيء مَن جئت؟

قال: جئت لأطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر البُدن وأخلّي بينكم وبين لحماتها.

فقالا: إنّ قومك يناشدونك الله والرحمة أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم وتقطّع أرحامهم وتجرّئ عليهم عدوّهم. فأبى رسول الله إلا أن يدخلها[٢].

وفي خبر القمي في تفسيره بسنده عنه عليه‌السلام أيضاً قال: فبعثوا] مكرز بن [حفص بن الأخيف وسهيل بن عمرو... فوافوا رسول الله فقالوا:

يا محمد، ألا ترجع عنا عامك هذا، إلى أن ننظر إلى ماذا يصير أمرك وأمر العرب (؟) فإنّ العرب قد تسامعت بمسيرك، فإن دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا. ونخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشهر [ذي القعدة] ثلاثة أيام حتى تقضي نسكك وتنصرف عنا؟

فأجابهم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى ذلك، وقالوا له:

وتردّ إلينا كل مَن جاءك من رجالنا، ونردّ إليك كل من جاءنا من رجالك؟ فقال رسول الله: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه، ولكن:

---

(١) الإرشاد: ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣. رواه المعتزلي بسندين عن أبي سعيد الخدري ٣/ ٢٠٦؛ وقبله الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٢؛ وقبله أبو يعلى الموصلي في مسنده ٢/ ٣٤١؛ وقبله أحمد في مسنده ٣/ ٨٢.

(٢) روضة الكافي: ٢٦٨.

على أنّ المسلمين بمكة لا يؤذَوْن في إظهارهم الإسلام، ولا يُكرَهون، ولا يُنكَر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام؟

فقبلوا ذلك. ورجع سهيل بن عمرو و[مكرز بن] حفص بن الأخيف إلى قريش فأخبراهم بالصلح.

اعتراض بعض الصحابة:

قال القمي: فلما أجابهم رسول الله إلى الصلح أنكر ذلك عامة الصحابة، وأشد ما كان إنكاراً [عمر بن الخطاب] فقال:

يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على باطل؟

فقال: نعم.

قال: فنعطي الدنية في ديننا؟

فقال: إنّ الله وعدني، ولن يخلفني...

فقال عمر: يا رسول الله ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام ونحلّق مع المحلّقين؟!

فقال: أَمِنْ عامنا هذا وعدتك وقلت لك: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد وعدني أن أفتح مكة وأطوف وأسعى مع المحلّقين؟[١].

---

(١) وفي التبيان: ٩/ ٣٣٥: روى: أنّ رسول الله حيث قاضى أهل مكة يوم الحديبية وهمّ بالرجوع إلى المدينة قال له عمر: يا رسول الله، أليس وعدتنا أن ندخل المسجد الحرام محلّقين ومقصّرين؟! فقال له رسول الله: قلت لكم: إنّا ندخلها العام؟ فقال: لا. فقال صلى الله عليه وآله: فإنّكم تدخلونها إن شاء الله.
ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩/ ١٨٠، عن الزهري عن المسور بن مخرمة عن عمر قال: والله ما شككت مذ أسلمت إلا يومئذٍ فأتيت النبي فقلت: ألست نبي الله؟! فقال: بلى! قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟! قال: بلى! قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً؟! قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو لست كنت تحدثنا: أنا سنأتي البيت ونطوف حقاً؟! قال: بلى، أفأخبرتك أن نأتيه العام؟! قلت: لا، قال: فإنّك تأتيه وتطوف به.
وانظر سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٣١؛ ومغازي الواقدي: ٢/ ٦٠٦ و٦٠٩.

ولما أكثروا عليه قال لهم رسول الله:

ألستم أصحابي يوم بدر أنزل الله فيكم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(١).

ألستم أصحابي يوم أُحد: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٢).

ألستم أصحابي يوم كذا؟ ألستم أصحابي يوم كذا؟

فاعتذروا إلى رسول الله وندموا على ما كان منهم، وقالوا: الله أعلم ورسوله، فاصنع ما بدا لك(٣).

قبول قريش بالصلح:

قال: ورجع [مكرز بن] حفص بن الأخيف وسهيل بن عمرو إلى رسول الله وقالا:

يا محمد، قد أجابت قريش إلى ما اشترطت عليهم من إظهار الإسلام وأن لا يُكرَه أحد على دينه(٤).

ثم قال: يا أبا القاسم، إنّ مكة حرمنا وعزّنا، وقد تسامعت العرب بك أنّك قد غزوتنا، ومتى ما تدخل علينا مكة عنوة تطمع فينا فنُتخطّف، وإنّا نذكّرك الرحم، فإن مكة بغيتك التي تفلّقت عن رأسك.

فقال له رسول الله: فما تريد؟

قال: أُريد أن أكتب بيني وبينك هُدنة ؛ على أن أُخلّيها لك في قابل

---

(١) الأنفال: ٩.
(٢) آل عمران: ١٥٣.
(٣) وروى مثله الواقدي في المغازي: ٢/ ٦٠٩.
(٤) تفسير القمي: ٢/ ٣١١ ـ ٣١٢.

فتدخلها، ولا تدخلها بخوف ولا فزع ولا سلاح، إلا بسلاح الراكب: القسّي، والسيوف في القراب[١].

قال المفيد في «الإرشاد» لما ضرع سهيل بن عمرو إلى النبيّ عليه السلام في الصلح نزل الوحي عليه بالإجابة إلى ذلك، وأن يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذٍ والمتولي لعقد الصلح بخطّه[٢].

نصّ معاهدة الصلح:

قال الطبرسي في «إعلام الورى»: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ أديماً أحمر فوضعه على فخذه[٣].

فقال (صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل: ما أدري ما الرحمن... إلا أني أظنه هذا الذي باليمامة، ولكن أكتب كما نكتب: باسمك اللهم [فكتب باسمك اللهمَّ].

فقال: واكتب: هذا ما قاضى عليه رسولُ الله سهيل بن عمرو.

فقال سُهيل: فعلامَ نقاتلك يا محمد؟!

فقال (صلى الله عليه وآله): أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله[٤].

فقال له سهيل: لا أُجيبك إلى كتاب تُسمَّى فيه رسول الله، ولو أعلم أنك رسول الله لم أُقاتلك، إنّي إذاً ظلمتك إذ منعتك أن تطوف ببيت الله وأنت رسول الله، ولكن أكتب: «محمد بن عبدالله» أُجِبْكَ.

قال علي عليه السلام: فغضبت فقلت: بلى والله إنّه لرسول الله وإن رُغم أنفك!

---

(١) إعلام الورى: ١/ ٢٠٤.
(٢) الإرشاد: ١/ ١١٩؛ وأشار إليه الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠٣.
(٣) إعلام الورى: ١/ ٢٠٤.
(٤) روضة الكافي: ٢٦٨ ـ ٢٦٩ بإسناده عن الصادق عليه السلام.

فقال رسول الله: يا علي، إنّي لرسول الله، وإنّي لمحمد بن عبد الله، ولن يمحو عنيّ الرسالة كتابي إليهم: من محمّد بن عبد الله، فاكتب: محمد بن عبد الله. أكتب ما يأمرك، إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهداً[1]

فمحا رسول الله اسمه بيده، وأمرني فكتبت: «محمد بن عبدالله[2] والملأ من قريش وسُهيل بن عمرو، اصطلحوا على:

وضع الحرب بينهم عشر سنين[3] على أن يكفّ بعض عن بعض، وعلى أنه لا إسلال ولا إغلال[4] وأنّ بيننا وبينهم غيبة مكفوفة.

وأنه من أحبّ أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنّ من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل.

وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليّه يردوه إليه. وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه إليه.

وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه ولا يؤذَى ولا يُعيَّر.

وأنّ محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثم يدخل في العام القابل مكة

---

(١) وقعة صفين: ٥٠٨ و٥٠٩ بسنده عن علي عليه السلام قالها يوم صفّين. ورواه الطوسي في أماليه: ١٨٧، ح٣١٥ عن أبي مخنف عنه عليه السلام قال: فامتنعت من محوه (لقول سُهيل) فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): امحه يا عليّ، وستُدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض. وفي تفسير القمي: ٢/٣١٣: لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد. ومثله في الإرشاد: ١/١٢١؛ وإعلام الورى: ١/٢٠٤ و٣٧٢؛ والخرائج والجرائح ١/١١٦، ح١٩٢؛ ومناقب آل أبي طالب: ٣/١٨٤.

(٢) اليعقوبي: ٢/١٨٩ في صفين و١٩٢ في النهروان؛ وتفسير القمي: ٢/٣١٣؛ والإرشاد: ١/١٢١؛ وإعلام الورى: ١/٢٠٤ و٣٧٢؛ ومجمع البيان: ٩/١٧٩؛ عن الزُهري ومناقب الحلبي: ٣/١٨٤. وفي أخبار الكافي وأمالي الطوسي وصفين للمنقري واليعقوبي: أنّه عليه السلام أبى أن يمحو وصف الرسالة على سُهيل بن عمرو وليس على النبيّ (صلى الله عليه وآله).

(٣) تفسير القمي ٢/٣١٤؛ وكذلك في خبر الطبرسي في مجمع البيان ٩/١٧٩ عن الزهري؛ وذكر الحلبي في المناقب ١/٢٠٣: سبع سنين؛ واليعقوبي ٢/٥٤: ثلاث سنين.

(٤) الإسلال: سل السيوف، والإغلال من الغُل أي الأسر، أو الغِلّ أي الغشّ.

فيقيم فيها ثلاثة أيام[1]، ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح المسافر: السيوف في القراب. وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار. وكتب علي بن أبي طالب».

ثم قال رسول الله لعلي عليه السلام: يا علي، إنّك إن أبيت أن تمحو اسمي من النبوة فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبنَّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد[2].

فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده.

وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها.

وكتبوا نسختين، نسخة عند رسول الله، ونسخة عند سُهيل بن عمرو[3].

---

(١) وأن تُرفع الأصنام (أي: في هذه الأيام الثلاثة) عن الصادق عليه السلام كما في تفسير العياشي ١/ ٧٠.

(٢) قال القمي: فلما كان يوم صفين ورضوا بالحكمين، كتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله (صلى الله عليه وآله): أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك. ثم كتب الكتاب ٢/ ٣١٤. وروى المفيد في الإرشاد ١/ ١٢١: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال لعلي عليه السلام: ستُدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض. ونقلها الطبرسي في إعلام الورى ١/ ٢٠٤ و٣٧٢؛ وفي مجمع البيان ٩/ ١٨٠ عن محمد بن إسحاق عن بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب. ولا يوجد الخبر في السيرة، فلعله مما هذّبه ابن هشام. ورواه الراوندي عن علي عليه السلام في الخرائج والجرائح ١/ ١١٦.

(٣) تفسير القمي ٢/ ٣١٤؛ وروى الطبرسي في مجمع البيان ٩/ ١٧٩، عن الزهري عن المسور ابن مخرمة: قال اكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهنّ الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.
وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجّاً أو معتمراً، أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله. ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله.
وأنّ بيننا عيبة مكفوفة. وأنه لا إسلال ولا إغلال.
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.
وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك.
وعلى أنّك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك=

أبو جندل بن سهيل:

في خبر الطبرسي في «مجمع البيان» عن المسور بن مخرمة: بينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. وكان [مسلماً] قد عذّب عذاباً شديداً.

فقال سهيل: هذا ـ يا محمد ـ أول ما أُقاضيك عليه أن ترده.

فقال النبيّ: إنّا لم نقضِ بالكتاب بعد!

قال: والله ـ إذاً ـ لا أصالحك على شيء أبداً.

فقال النبيّ: فأجره لي. فقال: ما أنا بمجيره لك. قال: بلى، فافعل. قال: ما أنا بفاعل!

فقال مكرز بن حفص: بلى قد أجرناه.

فقال أبو جندل بن سهيل: معاشر المسلمين، أأُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ألا ترون ما قد لقيت؟![1].

=فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلاح إلا بالسيوف في القراب وسلاح الراكب. وعلى أن الهدي حيث ما حبسناه محله، لا تقدمه علينا...».

وتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده.

وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

وذُكر الخبر مختصراً في إعلام الورى ١/ ٢٠٤ بدون ذكر المدة.

وذكر مختصر الخبر الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١/ ٢٠٣ إلا أنه ذكر المدة سبع سنين.

وأشار إليه وذكر مادتين منه الكليني في روضة الكافي: ٢٦٨ عن الصادق عليه السلام.

وهل كتب النسختين علي عليه السلام؟ قيل: كتب الثانية محمد بن مسلمة الأنصاري كما في مكاتيب الرسول ١/ ٢٨٨.

وروى الطبرسي في مجمع البيان ٩/ ١٨٦ عن عبد الله بن المغفل: بينما كان رسول الله جالساً في ظلّ شجرة وبين يديه علي عليه السلام يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح فدعا عليهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأخذ الله بأبصارهم، نقمنا فأخذناهم، فخلى سبيلهم.

(١) مجمع البيان: ٩/ ١٨٠.

قال: فقام (صلى الله عليه وآله) وأخذ بيده وقال: اللهم إن كنت تعلم أنّ أبا جندل لصادق فاجعل له من أمره فرجاً ومخرجاً.

ثم أقبل على الناس وقال: إنّه ليس عليه بأس، إنّما يرجع إلى أبيه وأُمه، وإنّي أُريد أن أتمّ لقريش شرطها(١).

قال القمي: ورجع سهيل بن عمرو [بابنه ومعه مكرز بن] حفص بن الأخيف إلى قريش، فأخبراهم(٢) بالأمر.

خروجهم من إحرام العمرة:

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: وقال رسول الله لأصحابه: انحروا بُدنكم، واحلقوا رؤوسكم. فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت، ولم نَسْعَ بين الصفا والمروة؟!

فاغتم رسول الله من ذلك، وشكى ذلك إلى أم سلمة.

فقالت: يا رسول الله، انحر أنت واحلق.

فنحر رسول الله وحلق. فنحر القوم على حيث يقين وشكّ وارتياب!(٣).

---

(١) إعلام الورى: ١/ ٢٠٥؛ وذكر مختصره الحلبي في المناقب: ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣١٤ عن الصادق عليه السلام، وعنه في روضة الكافي: ٢٦٨ بلفظ آخر.

(٣) وقال الواقدي في المغازي ٢/ ٦١٣: لما فرغ رسول الله من الكتاب... قال لأصحابه: قوموا فانحروا واحلقوا! فلم يجبه منهم رجل إلى ذلك! فقالها رسول الله ثلاث مرات، كل ذلك يأمرهم، فلم يفعل واحد منهم ذلك!

فانصرف رسول الله حتى دخل على زوجه أم سلمة مغضباً شديد الغضب، قالت: واضطجع، فقلت له: ما لك يا رسول الله؟ مراراً [وهو] لا يجيبني. ثم قال: عجباً ـ يا أم سلمة ـ إنّي قلت للناس: انحروا واحلقوا وحلّوا مراراً، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي!

فقلت: يا رسول الله، انطلق إلى هديك فانحره فإنهم سيقتدون بك.

فقام واضطبع بثوبه [الإحرام، جعل طرفه تحت إبطه الأيمن والآخر على كتفه الأيسر] وأخذ الحربة وخرج يزجر هَديه، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعاً صوته: بسم الله والله أكبر. فما أن رأوه نحر حتى تواثبوا إلى هدْيهم فازدحموا عليه. =

فقال رسول الله ـ تعظيماً للبُدن ـ: رحم الله المحلّقين؛ لأنّ من لم يسُقْ هدياً لم يجب عليه الحلق.

فقال قوم لم يسوقوا البُدن: يا رسول الله، والمقصّرين؟

فقال رسول الله ثانياً: رحم الله المحلّقين الذين لم يسوقوا الهدي.

فقالوا: يا رسول الله والمقصّرين؟

فقال: رحم الله المقصّرين[١].

في طريق العودة:

قالوا: أقام رسول الله بالحُديبية بضعة عشر يوماً[٢] ثم انصرف راجعاً نحو المدينة، فعاد إلى التنعيم[٣] فجاء أصحابه الذين أنكروا عليه الصلح واعتذروا إليه

= وأكل المسلمون من هديهم الذي نحروا، وأطعموا المساكين والمعترّ (المتعرض للسؤال) ومن يسأل ممن حضر غير كثير.
وحين فرغ النبي من نحر البدن دخل قبة له من أدَم حمراء فحلق الحلّاق رأسه، فخرج من قبّته وهو يقول رحم الله المحلّقين ـ ثلاثاً ـ فقيل يا رسول الله، والمقصّرين؟ فقال: والمقصّرين. وقد حلق ناس، وقصّر آخرون. وقصّر النساء. والذي حلق النبيّ (صلى الله عليه وآله) خراش بن أمية.
وقد أقام بالحديبية بضعة عشر يوماً أو عشرين ٢/ ٦١٦.

(١) تفسير القمي ٢/ ٣١٤؛ وفي الاستبصار ٢/ ٤٢؛ والتهذيب ٥/ ٤٣٨؛ وعن الصادق عليه السلام في الفقيه ٢/ ١٣٩؛ والتهذيب ٥/ ٢٤٣ و٤٣٨ و٥١٦ والذي تولّى ذلك خراش بن أمية الخزاعي؛ في فروع الكافي ١/ ٢٣٥؛ والفقيه ٢/ ١٥٥؛ والتهذيب ٥/ ٤٥٨ و٥٧٨؛ وفي السيرة ٣/ ٣٣٣، وروى خبر المحلّقين والمقصّرين عن ابن عباس، وأنّه كان في هديه جمل أبي جهل ليغيظ المشركين.

(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٦١٦؛ والخرائج والجرائح: ١/ ١٢٣ ـ ١٢٤ برقم ٢٠٤.

(٣) كان أول منزل للخارج من مكة وهو اليوم مدخل مكة من جهة المدينة وجدّة. وتفسير القمي هنا: ونزل تحت الشجرة. وكأنه يشير إلى أنّ بيعة الرضوان كانت بعد عقد الصلح! وهو غريب، ولذلك أهملناه.

وأظهروا الندامة على ما كان منهم، وسألوا رسول الله أن يستغفر لهم... فنزل «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً»[١].

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مجمّع بن جارية[٢] الأنصاري ـ وكان من القرّاء ـ قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهذون الأباعر[٣] فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أُوحي إلى رسول الله. فخرجنا إليه فوجدناه على راحلته واقفاً عند كُراع الغميم[٤] فلما اجتمع إليه الناس قرأ:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

فقال عمر: أَفَتْحٌ هو يا رسول الله؟!

قال: نعم، والذي نفسي بيده، إنّه لفتح[٥].

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٣١٤؛ ونزول السورة في التبيان ٩/ ٣١٣؛ ومجمع البيان ٩/ ١٦٦؛ وإعلام الورى ١/ ٢٠٥؛ وقصص الأنبياء: ٣٧٤؛ والمناقب١/ ٢٠٤.

(٢) في المجمع: حارثة، عن الواقدي وفي المغازي ٢/ ١١٧: جارية، ورجحناه ضبطاً.

(٣) الهذي: سوق الإبل سريعاً.

(٤) على مرحلتين من مكة.

(٥) مجمع البيان ٩/ ١٦٧ ولم يذكر المصدر، وقد روى الواقدي في المغازي ٢/ ٦١٧: عن مجمّع ابن يعقوب عن أبيه عن مجمع بن جارية قال: لما كنا بضجنان [بعد عُسفان] راجعين من الحُديبية رأيت الناس يركضون، فإذا هم يقولون: أُنزل على رسول الله... فركضت مع الناس حتى توافينا عند رسول الله فإذا هو يقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

وقد روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» بإسناده إلى ابن الجهم: أن المأمون قال للإمام الرضا عليه السلام أخبرني عن قول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾. فقال الرضا عليه السلام: إنّ مشركي مكة كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم رسول الله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبُر ذلك عليهم وعظُم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾. فلما فتح الله على نبيّه مكة (كذا) قال: يا محمد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ...﴾. عند مشركي مكة بدعائك إلى التوحيد فيما تقدم. «... وما تأخر...» لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم=

وفي معنى الفتح:

نقل الطوسي في «التبيان» عن البلخي عن الشعبي في معنى الفتح في الحديبية: أنّ البئر فيها غارت فمجّ النبي (صلى الله عليه وآله) فيها فظهر ماؤها حتى امتلأت به، ثم بويع بيعة الرضوان، ثم بلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس[1].

ونقله عنه الطبرسي في «مجمع البيان» وزاد: ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب وهم الروم على المجوس، إذ فيه مصداق قول الله تعالى: ﴿... وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ...﴾[2].

وكرامة في عسفان:

وقال الواقدي في «المغازي» ثم نزل بمرّ الظهران، ثم نزل عُسفان وقد نفد زادهم[3] فشكوا إليه ذلك فأمر أن يبسطوا الأنطاع[*]، وأن يأتوا ببقية أزوادهم فيطرحوها فيها.

ففعلوا. فقام ودعا بالبركة فيها، ثم أمرهم أن يأتوه بأوعيتهم، فملؤوها حتى لم يجدوا له محملاً[4].

وكانوا صائفين لا يجدون ماءً، وأذّن رسول الله بالرحيل، فمطروا، فنزل رسول الله ونزلوا معه، فشربوا ما شاؤوا[5].

=يقدر على إنكار التوحيد إذ دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون: للّه درّك يا أبا الحسن [عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٠٢].

(١) التبيان: ٩/ ٣١٣.

(٢) مجمع البيان: ٩/ ١٦٧؛ والآيات من سورة الروم: ٣ ـ ٥.

(٣) المغازي: ٢/ ٦١٦.

(*) مفردها: نَطْع ونَطَع ونِطَع، وهي الأصحّ، ومعناها: البساط من الأدَم (الجِلد). (المدقِّق).

(٤) الخرائج والجرائح: ١/ ١٢٣ ـ ١٢٤ برقم ٢٠٤.

(٥) مغازي الواقدي ٢/ ٦١٦. وبعد هذا روى الواقدي بسنده عن مجمّع بن جارية الخبر السابق عن=

استعراض سورة الفتح:

قال القمي[١] والطبرسي[٢] والراوندي[٣] والحلبي[٤] بنزول سورة الفتح بعد انتهاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) من صلح الحديبية بدايات رجوعه إلى المدينة. ونقل الطوسي عن قتادة[٥] والطبرسي عنه وعن جماعة من المفسرين[٦] وعن مجمّع بن جارية الأنصاري مرسلاً[٧] ونقله الواقدي مسنداً[٨].

وقد مرّ الخبر عن القمي قال: كان رسول الله يستنفر بالأعراب في طريقه معه، فلم يتّبعه منهم أحد، وكانوا يقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم؟! إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً[٩] فلما قصد المسلمون قريشاً في عقر دارهم وسلموا منهم وانصرفوا عنهم بصلح وأمان فكأنّ ذلك كان (فتحاً مبيناً) بالنسبة إلى ما كان يظنّ بهم المشركون والمنافقون ونجد في الآيات الأوائل من السورة إشارة إلى ذلك إذ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ . . .﴾ ... إلخ[١٠].

=مجمع البيان، وفيه إنّ الآيات: }إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً{ نزلت في كراع الغميم (على مرحلتين من مكة) وفي ما رواه الواقدي: لما كنا بضجنان (٢/٦١٨)... وهو بعد كُراع الغميم وبعد مر الظهران وعُسفان. ورأينا أن الأول أولى وأوفق وأضبط وأكمل ذيلاً وأتمّ.

(١) تفسير القمي: ٢/ ٣١٤.
(٢) إعلام الورى: ١/ ٢٠٥.
(٣) قصص الأنبياء: ٣٧٤.
(٤) المناقب: ١/ ٢٠٤.
(٥) التبيان: ٩/ ٣١٢ ـ ٣١٣.
(٦) مجمع البيان: ٩/ ١٦٦.
(٧) مجمع البيان: ٩/ ١٦٧.
(٨) مغازي الواقدي: ٢/ ٦١٧.
(٩) تفسير القمي: ٢/ ٣١٠.
(١٠) الفتح: ٤ ـ ١٢.

وأين أبو سفيان وعمرو بن العاص؟

ولا نجد في أخبار الحديبية أثراً أو ذكراً لعمرو بن العاص السهمي ؛ ذلك لما رواه الواقدي بسنده عنه قال: حضرت بدراً مع المشركين فنجوت، ثمّ حضرت أُحُداً فنجوت، ثمّ حضرت الخندق (فنجوت)[1]. فلحقت بمالي بالرهط فلم أحضر الحديبية[2].

وأمّا عن أبي سفيان فقد مرّ الخبر عن «روضة الكافي» عن الصادق عليه السلام: أنّ قريشاً لما أرسلوا الرسل إلى رسول الله يستفسرونه عن قصده، وفيهم الحُليس سيد الأحابيش، ورجع الحُليس يقول لأبي سفيان: أما والله لَتخلينّ عن محمد وما أراد، أو لأنفردنّ بالأحابيش! فقال أبو سفيان: اسكت حتى نأخذ من محمد ولثاً[3].

وعليه فإنّ أبا سفيان كان يريد أن يعاهد محمداً (صلى الله عليه وآله) لمصلحته في «رحلة الشتاء والصيف» فلم يكن يريد النفير، لرعاية العير، وقد وصل بعهد الصلح إلى ما كان يؤمّل، وكأنه من أبي سفيان خطوة نحو الائتلاف فماذا عن ردّ النبيّ على ذلك؟

كأنّ الرد كان بزواجه (صلى الله عليه وآله) بابنته رملة الشهيرة بأُم حبيبة، التي كانت قد أسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي القرشي حليف بني أُمية، وأُمّه أُميمة بنت عبد المطلب، فهو من أقرباء النبيّ، أسلم وأسلمت معه زوجه بنت أبي سفيان، وهاجر وهاجرت معه إلى الحبشة النصرانية فتأثر بها وتنصّر حتى مات عليها[4]، وبقيت زوجه رملة أرملة مسلمة، فأرسل الرسول عمرو بن أُمية الضمري

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٧٤١.
(٢) المصدر: ٢/ ٧٤٢.
(٣) روضة الكافي: ٢٦٧؛ والوَلْث: العهد من غير قصد أو غير مؤكد ـ مجمع البحرين.
(٤) ابن إسحاق في السيرة ١/ ١٣٧ ـ ١٣٨ و٤/ ٦.

القرشي لخطبتها، وتقدم الرسول بذلك إلى النجاشي أصحمة. والظاهر أن ذلك كان مع كتابه (صلى الله عليه وآله) إليه بدعوته إيّاه إلى الإسلام، بعد الحديبية.

قصّة أبي بصير الثقفي:

كان من المسلمين المستضعفين المحبوسين في مكة رجل من ثقيف يُدعى أبا بصير بن أُسيد.

قال الطبرسي: لما رجع رسول الله إلى المدينة (وقبل غزوة خيبر) انفلت أبو بصير بن أُسيد الثقفي، من يد المشركين، ومعه خمسة آخرون مسلمين مهاجرين إلى المدينة.

وبعث الأخنس بن شُريق الثقفي في أثره رجلين يردّانه، فقتل أحدهما وانفلت الآخر. وأقدم على رسول الله وحكى له قصّته، فقال فيه رسول الله: مُسعر حربٍ لو كان معه أحد؛ ثمّ قال له: شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت!

فخرج أبو بصير ومعه أصحابه الخمسة إلى طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر في أرض جُهينة بين العيص وذي المروة.

وانفلت بعده أبو جندل بن سهيل بن عمرو ومعه سبعون رجلاً من مكة قد أسلموا، فلحقوا بأبي بصير.

واجتمع إليهم ناس من جُهينة وغفار وأسلم حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون (؟) لا تمر عير لقريش إلا قاتلوا أصحابها وأخذوها!

ومنها العير التي كان فيها أبو العاص بن الربيع صهر رسول الله زوج زينب ابنة النبيّ، وكان حينما خرج من مكة إلى الشام قد أذن لها أن تهاجر إلى أبيها في المدينة. فلمّا رجع مع أصحابه من قريش من الشام، أسروهم وأخذوا أموالهم ولم يقتلوا منهم أحداً وخلّوا سبيل أبي العاص، فقدم المدينة على زينب.

وأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله يتضرّعون إليه أن يبعث إلى

أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فيقدموا عليه في المدينة، وكل من يخرج من مكة إليه فلا حرج عليه أن يمسكه ولا يردّه إليهم حسب الصلح[(١)].

وعلم الصحابة أنّ طاعة رسول الله كانت خيراً لهم في ما كرهوا من قرار الصلح.

نزول آيتين من الممتحنة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[(٢)].

---

(١) إعلام الورى ١/ ٢٠٦. وحكى القصة ابن إسحاق في السيرة واسمه عنده عتبة (وفي الاستيعاب عبيد) وقال: إنّ الرجلين بعثهما الأخنس بن شريق وأزهر بن عبد عوف الزُهري بكتاب إلى رسول الله، وإنّ أبا بصير كان قد قدم المدينة فقال له رسول الله: يا أبا بصير، إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك! فقال: يا رسول الله، أتردّني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ قال: يا أبا بصير انطلق فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. فانطلق معهما. وفي ذي الحليفة (الميقات) قتل العامري أحدهما وفرّ الآخر ورجع هو إلى النبيّ فقال: يا رسول الله، وفَتْ ذمتك وأدّى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وامتنعتُ أن أُفتن في ديني أو يُعبث بي! فلم يقبله النبي وقال كلمته، فخرج أبو بصير بأصحابه فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فكتبت قريش إلى رسول الله يسألونه أن يؤويهم، فقدموا عليه المدينة فآواهم ـ السيرة ٣/ ٣٣٨ ـ ٣٣٧ وهذا أقرب أنهم بلغوا سبعين رجلاً وليس ثلاثمائة. وكذلك في مغازي الواقدي ٢/ ٦٢٦ ـ ٦٢٩. وقال: كتب إليه النبيّ أن يقدم المدينة فجاءه الكتاب وهو يموت، فقرأه ومات فدفن هناك، وبنوا على قبره مسجداً!

(٢) الممتحنة: ١٠ و١١، وقبلها آيات بشأن حاطب بن أبي بلتعة وكتابه إلى أهل مكة يخبرهم بإرادة النبيّ لغزو مكة، قبل فتح مكة. وبعدهما آية بشأن بيعة النساء بعد فتح مكة، وفي آخر السورة آية تعود على ما قبلهما في ابن أبي بلتعة. وانظر التمهيد ١/ ٢١٤.

واختصر خبرهما الشيخ الطوسي فذكر عن عروة بن الزبير في سبب نزول الآية: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليّه، فلما هاجرت إليه كلثم بنت أبي مُعيط (كذا و الصحيح: بنت عقبة بن...) جاء أخواها فسألا رسول الله أن يردها عليهم، فنزلت الآية فنهى الله أن تردّ إلى المشركين[١].

وروى عن ابن عباس: أنّ سبيعة بنت الحرث الأسلمية كانت مسلمة وزوجها مسافر من بني مخزوم كافر، فلحقت بالمسلمين وهم في الحديبية بعد الفراغ من الصلح، فأقبل زوجها يقول: يا محمد، أردد عليّ امرأتي، فإنّك قد شرطت لنا أن ترد علينا منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت الآية.

فأحضرها رسول الله فحلّفها بالله الذي لا إله إلا هو أنّها خرجت لا من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، إلا حباً للّه ولرسوله وإلا رغبة في الإسلام. فحلفت. فلم يردّها على زوجها وأعطاه مهرها وما أنفق عليها.

وأُميمة بنت بشر كانت مسلمة وزوجها ثابت بن الدحداحة كافراً، ففّرت منه إلى رسول الله، فزوّجها رسول الله سهل بن حنيف[٢].

وقال القمي في الآية الثانية (١١ ـ الممتحنة): كان سبب نزول ذلك: أنّ عمر بن الخطاب كانت عنده فاطمة[٣] بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي (أخت أم سلمة) وكانت كافرة فكرهت الهجرة معه وأقامت بمكة (حتى نزلت هذه الآية) فنكحها معاوية بن أبي سفيان، فأمر الله رسوله أن يعطي عمر مثل صداقها[٤] من غنائم الحرب. وتزوج عمر بن الخطاب سُبيعة الأسلمية.

---

(١) البيان ٩/ ٥٨٤؛ وانظر خبر عروة في سيرة ابن هشام ٣/ ٣٤٠؛ وخبر الزهري عنه في المغازي ٢/ ٦٣١ ـ ٦٣٣.

(٢) مجمع البيان: ٩/ ٤١٠ ـ ٤١١.

(٣) وفي مجمع البيان ٩/ ٤١٠: قريبة... وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية فتزوجها أبو جهم العدوي. وهي أم عبيد الله بن عمر.

(٤) تفسير القمي: ٢/ ٣٦٣.

ثم نقل الطبرسي عن الزهري قال: كان جميع من رجع من نساء المؤمنين المهاجرين، كافرات إلى المشركين (بحكم الآية) ست نسوة: فاطمة بنت أبي أمية المخزومي أُخت أم سلمة، كانت لعمر بن الخطاب فأبت أن تهاجر معه. وكلثوم بنت جرول الخزاعية كانت لعمر أيضاً. وهند بنت أبي جهل بن هشام المخزومي كانت لهشام بن العاص بن وائل السهمي أخي عمرو بن العاص. وأُم الحكم بنت أبي سفيان كانت لعياض بن شداد الفهري. وعبدة بنت عبد العزى وزوجها عمرو بن عبدود (كذا) وبرذع بنت عُقبة كانت لشماس بن عثمان[١].

رُسل الرسول إلى الملوك:

نقل ابن إسحاق عن كتاب وجده يزيد بن أبي حبيب المصري فيه: أنّ رسول الله [بعد الحديبية] خرج على أصحابه [يوماً] فقال لهم:

إنّ الله بعثني رحمة، وكافّة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريّون على عيسى بن مريم.

قالوا: يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم؟

قال: دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأمّا من قرّب به فأحبّ وسلّم، وأمّا من بعّد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم[٢].

---

(١) مجمع البيان ٣/ ٤١٣؛ وانظر خبر الزهري في سيرة ابن هشام ٣/ ٣٤١؛ ومغازي الواقدي ٢/ ٦٣١ ـ ٦٣٣.

(٢) ثم قال ابن إسحاق عن رسل عيسى عليه السلام من الحواريين وغيرهم:
يعقوبُس إلى أورشالم وهي إيليا قرية ببيت المقدس.
ويوحَنَّسْ إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف [في الأردن].
وابن ثلما [أوثلمالي] إلى الأرض الأعرابية وهي الحجاز.
وتوماس إلى أرض بابل من المشرق.
وفيليبس إلى قرطاجنّة وهي افريقية.
وسيمون إلى ارض البربر.
وبُطرس ـ ومعه بولس ـ إلى رومية. ٣/ ٢٥٥.

قالوا: ولما أراد أن يكتب الكتب إلى الملوك قيل له: يا رسول الله، إنّهم لا يقرؤون كتاباً غير مختوم بخاتم.

فيومئذٍ اتخذ رسول الله خاتماً؛ روى الكليني في كتاب الزيّ والتجمّل من «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام: أن خاتم رسول الله كان من فضة ونقشه محمد رسول الله. في سطرين من أسفل إلى أعلى[1].

تأريخ الكتب:

أقدم ما بأيدينا ممّن عيّن تأريخ الكتب ما نقله الطبري عن الواقدي ـ عن غير مغازيه ـ أن رسول الله بعث في ذي الحجة سنة ست ثلاثة رسل مرة واحدة مصطحبين في خروجهم:

شجاع بن وهب الأسدي القرشي ممن شهد بدراً إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني من غساسنة الشام عمّالاً للروم.

ودحية بن خليفة الكلبي الأنصاري إلى قيصر الروم (وكان في الشام).

وحاطب بن أبي بلتعة القرشي ـ أيضاً ـ إلى المقوقس في الاسكندرية عاملاً للروم.

وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي في اليمامة.

وعمرو بن أُميّة الضمري إلى النجاشي في الحبشة عاملاً للروم.

وعبد الله بن حُذافة السهمي إلى كِسرى.

ثم نقل عن ابن إسحاق ـ وليس في السيرة ـ أنّ رسول الله قد فرّق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاةً إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ في ما بين الحديبية ووفاته[2].

---

(١) فروع الكافي ٦/ ٤٧٤، الحديث ٧.

(٢) الطبري ٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥؛ وعنه الكازروني في المنتقى، وعنه المجلسي في بحار الأنوار=

إلى النجاشي في الحبشة:

روى الطبري بسنده عن ابن إسحاق ـ وليس في السيرة ـ قال: بعث رسول الله عمرو بن أُمية الضُمري إلى النجاشي وكتب معه كتاباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت، فانّي أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيّبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفْخه، كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتّبعني و(توقن) بالذي جاءني، فإنّي رسول الله، وإنّي ادعوك وجنودك إلى الله، فقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا (نصيحتي) والسلام على من اتّبع الهدى»[1].

فلما وصل الكتاب إليه أخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض إجلالاً وإعظاماً، ودعا بحقٍّ من عاج[2] وجعل الكتاب فيه[3].

فقال النجاشي: أشهد بالله أنّه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأنّ بشارة

=٢٠/ ٣٨٢. وربطها السيوطي برواية عن أنس بنزول آية: }قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ{... بينما الآية هي ١٩ من سورة الأنعام وهي ٥٥ في النزول بمكة.

(١) الطبري ٢/٦٥٢؛ والحلبي في سيرته ٣/ ٢٧٩؛ والمواهب اللدنيّة بشرح الزرقاني ٣/ ٣٩٣؛ وصبح الأعشى ٦/ ٣٧٩؛ لم يذكروا في الكتاب: «وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التحيّر» ولا توجد في نسخة الكتاب المكتشف كما في مجموعة الوثائق السياسية: ٤٣. والفقرة لا تناسب أول الهجرة إلى الحبشة ولا بعد الحديبية، ولذا رجحنا ما خلا منها، ونقل الكتاب مع الفقرة البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق وعنه الطبرسي في إعلام الورى ١/١١٨ ولعل عنه الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٢٤ وعنهما المجلسي في بحار الأنوار ١٨/٤١٨ ـ ٤١٩.

(٢) العاج: أنياب الفيل.

(٣) وهذا ما يؤيد إمكانية بقاء الكتاب المكتشف أخيراً حيث احتُفظ به.

موسى براكب الحمار[١] كبشارة عيسى براكب الجمل[٢] وأنه ليس الخبر كالعيان. ولكن أعواني من الحبشة قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب. وفي رواية: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته.

ثم أحضر النجاشي جعفراً وأصحابه وأسلم على يدي جعفر لله ربّ العالمين.

ابن العاص عند النجاشي:

روى ابن إسحاق بسنده عن عمرو بن العاص قال: لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق[٣] قلت في نفسي: والله ليظهرنّ محمد على قريش! فخلّفت مالي بالرهط وأفلت، أو قال: فلحقت بمالي بالرهط وأقْللت من الناس، فلم أحضر الحديبية وصلحها، وانصرف رسول الله بالصلح ورجعت قريش إلى مكة.

فقدمت مكة، فجمعت رجالاً من قومي يقدّمونني في ما نابهم ويسمعون منّي ويرون رأيي... فقلت لهم: والله إنّي لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً! وإني قد رأيت رأياً. فقالوا: وما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن كان يظهر محمد كنا عند النجاشي فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد! وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا. فقالوا هذا الرأي. فقلت لهم: فاجمعوا ما تهدونه له.

وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَم (الجلود).

فجمعنا أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي (الحبشة).

وكان رسول الله قد بعث عمرو بن أُمية الضَّمري بكتاب إلى النجاشي كتب فيه إليه أن يزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان[٤]. فوالله إنّا لعند النجاشي إذ جاء عمرو الضَّمري فدخل على النجاشي ثم خرج من عنده.

---

(١) وهذا مما يؤيد أنّ الكتاب كان بعد حرب بني النضير حيث ركب النبي إليهم الحمار.
(٢) كناية عن عربيته، إذ اشتهر العرب بركوب الجمال.
(٣) ابن إسحاق في السيرة ٣/ ٢٨٩.
(٤) وفي رواية ابن إسحاق: قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ـ ٣/ ٢٨٩.

فدخلت على النجاشي، فسجدت له، كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي! أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قلت: نعم أيها الملك، أهديت لك أدماً كثيراً. ثم قربته إليه فأعجبه، وفرّق منه أشياء بين بطارقته، ثم أمر بسائره فادخل في موضع ليحتفظ به وأمر أن يكتب.

فلمّا رأيت طيب نفسه قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا! فأعطنيه فاقتله!

فرفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، وابتدر منخري بالدم، فجعلت أتلقى الدم بثيابي. فقلت له: أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما فعلت ما سألتك. فقال: يا عمرو، تسألني أن أعطيك رسولَ رسول الله الذي يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، والذي كان يأتي عيسى بن مريم، لتقتله؟!

فقلت له: أيها الملك أتشهد بهذا؟ قال: نعم، أشهد به عند الله، فأطعني واتّبِعْه، والله إنّه لعلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده!

فقلت له: أفتبايعني على الإسلام؟ قال: نعم. وبسط يده فبايعته على الإسلام وكانت ثيابي قد امتلأت من الدم فدعا لي بطست، فألقيت ثيابي وغسلت عن نفسي الدم وكساني ثياباً، فخرجت بها إلى أصحابي[1].

---

(١) ثم فارقتهم فعمِدت إلى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت وتُدفع، فركبت معهم، ودفعوها، حتى انتهوا إلى الشعيبة، وكانت معي نفقة فابتعت بها بعيراً، وخرجت أريد المدينة. قال راوي الخبر يزيد بن أبي حبيب: إنّ عمراً لم يوقّت متى قدم المدينة إلا أنه كان قبيل فتح مكة. وقال جعفر: قدم المدينة لهلال صفر سنة ثمان ـ مغازي الواقدي ٢/ ٧٤٢ ـ ٧٤٥، وروى بسنده عن خالد بن الوليد قال: كان قدومهم إلى المدينة في صفر سنة ثمان ٢/ ٧٤٩.
وسبق ابن إسحاق الواقدي في رواية الخبر عن يزيد بن أبي حبيب، ولكنه ضمن حوادث السنة الخامسة بعد حرب الأحزاب، وذلك لقوله في أول الخبر: لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق وفي أواخر الخبر: وذلك قبيل الفتح. يعني فتح مكة، ولكن ابن إسحاق قال بعيد الخبر: وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة. يعني سنة الخندق. فكأنّ ابن إسحاق حمل الفتح على فتح بني قريظة دون فتح مكة. =

ونقل ـ أيضاً ـ أنّ النبي كان قد كتب إلى النجاشي أن يجهز إليه المسلمين إلى المدينة، فكتب النجاشي إليه جواباً:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد (صلى الله عليه وآله) من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته. لا إله إلا الذي هداني للإسلام.

أما بعد: فقد أرسلت إليك ـ يا رسول الله ـ من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة إلى بلادي، وها أنا أرسلت إليك ابني أريحا (كذا) في ستين رجلاً من أهل الحبشة، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أنّ ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته[1].

وإلى المقوقِس[2] في الاسكندرية:

وقد مرّ عن الواقدي خبر وفد ثقيف معهم المغيرة بن شعبة على المقوقس في الإسكندرية، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فلما انصرفوا وكانوا في تبيان بين خيبر والمدينة سكروا، فغدر بهم المغيرة وقتلهم ونهب أموالهم ولحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) وأسلم فكان معه في الحديبية[3].

جعل الرسول المقوقس ممن دعاه من الملوك يومئذٍ.

= وحيث إنّه لا خلاف في تأريخ رجوع جعفر الطيار من الحبشة في فتح خيبر في شهر صفر من السنة السابعة، ويستبعد جداً أن تكون أم حبيبة قد تخلّفت عنه عند النجاشي، لهذا يظهر أن سفر عمرو الضمري إلى النجاشي كان بُعيد الحديبية وكذلك سفر عمرو بن العاص، وأنه استبطأ في القدوم إلى المدينة إلى ما بعد عام تقريباً، وليس بداراً.

(١) عن الطراز المنقوش، الباب الأول، وسواطع الأنوار: ٨١ في مجموعة الوثائق السياسية: ٨ وعنه في مكاتيب الرسول ١/ ١٢٩.

(٢) وإنما ألحقناه بالنجاشي لذكر مارية القبطية في هداياه، وهي من هدايا المقوقس. وقال زيني دحلان: المقوقِس ـ بكسر الرابع ـ أي البناء العالي ـ سيرة زيني دحلان بهامش الحلبية ٣/ ٧٠. وجاء اسمه في التنبيه والإشراف: ٢٢٧: المقرقب النوني، والنون قبيلة من القبط، و قال في مروج الذهب ١/ ٤٠٥: كان يختلف في فصول السنة في الإسكندرية و قصر الشمع في الفسطاط و بلدة منف. وكان حتى فتحت مصر سنة ٢٢هـ.

(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٦.

أرسل الكتاب إليه مع حاطب بن أبي بلتعة القرشي، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.

أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم [و] يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّما عليك إثم القبط... ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1].

فجاء به حاطب حتى دخل الإسكندرية فلم يجده وأُخبر أنه في مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه. فلما رآه المقوقس أمر بإحضاره بين يديه. فلما جيء به نظر إلى الكتاب وفضه وقرأه، ثم قال لحاطب: إن كان نبياً فما منعه أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يُسلّط عليهم؟

فقال حاطب: ألست تشهد أنّ عيسى بن مريم رسول الله؟ فماله حيث أخذه قومه فأرادوا آن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟

فقال المقوقس: أحسنت، أنت حكيم من عند حكيم[2].

ثم قال له حاطب: إنّه كان قبلك من يزعم أنه الربّ الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأُولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك. إنّ

---

(١) الإصابة: ٣ في ترجمة حاطب، وانظر سائر المصادر في مكاتيب الرسول ١/ ٩٧؛ والآية: ٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) الاستيعاب في ترجمة حاطب، وسائر المصادر في مكاتيب الرسول ١/ ٩٨ ـ ٩٩.

هذا النبيّ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إيّاك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. وكل نبيّ أدرك قوماً فهم أُمّته فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبيّ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به[١].

فقال المقوقس:

إنّي نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود عنه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضالّ ولا الكاهن الكذّاب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبأ (= المستور) والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

ثم أخذ الكتاب وجعله في حُق وختم عليه ودفعه إلى جاريته[٢].

جواب المقوقس وهداياه:

ثم دعا كاتبه بالعربية فكتب إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله):

«بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط. سلام عليك. أمّا بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أنّ نبيّاً قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك»[٣].

---

(١) سيرة زيني دحلان ٣/ ٧٠؛ والحلبية ٣/ ٢٨١؛ وفي مكاتيب الرسول ١/ ٩٩.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٦٠؛ وسائر المصادر في مكاتيب الرسول ١/ ٩٩؛ وهذا الأمر من المقوقس في الكتاب يدعم إمكانية بقاء الكتاب وفقاً للمصادر حتى اكتشف قبل قرن تقريباً في كنيسة قرب أخميم في صعيد مصر، ونشرت صورته مجلة الهلال العدد ٢١٩٠٤، كما في مكاتيب الرسول ١/ ٩٥.

(٣) سيرة زيني دحلان ٣/ ٧١؛ والحلبية ٣/ ٢٨١؛ ونقل نبذاً منه في الطبقات ١/ ٢٦٠.

إحدى الجاريتين هي مارية القبطية أم إبراهيم[١] وكان لها أُخت معها يقال لها: سيرين[٢].

وإلى الحارث الغسّاني في الشام:

نقلنا عن الواقدي: أنّ رسول الله بعث في ذي الحجة سنة ست، ثلاثة رسل منهم: شجاع بن وهب الأسدي القرشي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني من غساسنة الشام عاملاً للروم أيضاً[٣].

فروى الطبري عن الواقدي قال: كان قد كتب إليه: «سلام على من اتبع الهدى وآمن به، إنّي أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك»[٤].

قال: فدفعت إليه كتاب رسول الله فقرأه ثم رمى به وقال: من ينتزع ملكي؟! ها أنا سائر إليه ولو كان باليمن.

ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى من الجيوش والخيول، وأنّي سائر إليه.

---

(١) كما في قرب الإسناد: ٧ بسنده عن الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام قال: أهداها إليه صاحب الإسكندرية، مع البغلة الشهباء وأشياء معها. وعليه فلا يصح ما في تفسير القمي: ١٧٩ عن النجاشي: بعث إلى النبيّ بمارية القبطية أم إبراهيم. والظاهر عنه في إعلام الورى ١/ ١١٩ مع أنه ذكر في مولياته صلى الله عليه وآله: أن المقوقس صاحب الإسكندرية أهدى إليه جاريتين: إحداهما مارية القبطية: ١٤٧ وفي تفسيره ٤٧١ ـ ٤٧٢: ١٠ روى ذلك عن الشعبي ومسروق عن قتادة، والظاهر أنه عن ابن عباس. ومثلهما (القمي والطبرسي) الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٢٤.

(٢) مناقب الحلبي ١/ ١٦١ نقلاً عن مبسوط الشيخ الطوسي وفي مختصر الدول: ٩٦ : شيرين وهي كلمة فارسية بمعنى الحلو.

(٣) قال في مروج الذهب ٢/ ٨٤ كان ملكه حين بُعث النبي صلى الله عليه وآله. وقلنا انه ملك بالتأريخ الميلادي ما بين ٥٢٨ ـ ٥٦٩ أنعم عليه الإمبراطور يُوسطينيانوس بالإكليل ومنحه لقب البطريرك والفلارك، أي: شيخ القبائل. وهو العاشر من ملوك الغساسنة كما في مروج الذهب ٢/ ٨٦ وترجمة يوسطينيانوس انظر مختصر الدول: ٨٨ وبعده طيباريوس ثم موريقا ثم فوقا ثم هرقل معاصر الإسلام.

(٤) الطبري: ٢/ ٦٥٢.

وكتب إلى قيصر يخبره الخبر.. فلما رأى قيصر كتاب الحارث إليه كتب إليه: أن لا تسر إليه والْهُ عنه، ووافني بإيلياء لتهيئة قصر لنزول الملك (كذا).

قال: فلما جاءه كتاب قيصر دعاني وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غداً. فأمر لي بمئة مثقال ذهب (كذا) ووصلني حاجبه بكِسوة ونفقة وقال: أقرئ رسول الله مني السلام، وأعلمه أني متبع دينه(١).

وإلى قبائل غطفان:

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله في هُدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجُذامي الضبيبي، وأسلم، وأهدى لرسول الله غلامه [مِدعم](٢) وكتب رسول الله كتاباً معه إلى قومه، فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد. اني بعثته إلى قومه عامة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين.

وقدم رفاعة إلى قومه فأجابوا وأسلموا(٣) ثم ساروا إلى حرّة الرّجلاء.

وقال: وكانت غطفان من جُذام ووائل ومن كان معهم من سلامان وسعد بن هُذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله، قد توجّهوا إلى حرّة الرجلاء فنزلوها، وكان رفاعة بن زيد في ناس من قومه بني الضّبيب في كراع ريّة(٤).

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٢٦١ وثالث المبعوثين الخارجين مصطحبين في ذي الحجة سنة ست، على خبر الطبري عن الواقدي (٢/ ٦٤٤) هو دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري إلى قيصر بالشام أيضاً. ولكن دحية ذكر في من حضر خيبر في سيرة ابن هشام ٣/ ٣٤٥؛ ومغازي الواقدي ٢/ ٦٧٤ وعليه فلا يصح خبر سفره في ذي الحجة، بل بعد خيبر فلعله في ربيع الأول سنة سبع، فنؤخر ذكره.

(٢) ذكره الواقدي باسم مِدعم، غلاماً أسود ٢/ ٧٠٩.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٢٣٤ و٢٦٠؛ وانظر كتاب مكاتيب الرسول ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٤/ ٢٦١ وحرّتهم كانت على أربع ليال من المدينة إلى الشام.

ولم يعيّن الشهران للأمان، ولعلّهما شهرا محرّم وصفر من أول السنة السابعة ولعلّ توقيته هذا كان لحين انتهائه من خيبر ليحسبوا حسابهم ليومئذٍ.

وسيأتي في أخبار خيبر: أنّ اليهود حاولوا أن يكتسبوا نصرة غطفان إليهم، فلعلّ هذه الدعوة من الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت مبادرة منه إليهم قبل اليهود.

الفصل الثاني

أهم حوادث السنة السابعة

أمر خيبر[1]:

مرّ في أخبار أواخر شهر رمضان سنة ست أنه (صلى الله عليه وآله) بلغه أنّ أمير خيبر الجديد أُسير بن رِزام يجمع الجموع من غطفان لحربه، فأرسل إليه سريّة في شوال فقتلوه وأصحابه خارج خيبر. وعلّقتُ عليه أنه يصلح أن يكون الباعث لحرب خيبر، بالإضافة إلى مشاركتهم من قبل في حرب الأحزاب.

كتبه إلى يهود خيبر:

فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدّق لما جاء به. إلا إنّ الله قال لكم ـ يا معشر أهل التوراة ـ وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

---

(١) خيبر: نحو الشام على بُعد مئة وعشرين كيلو متراً، كما في (العرب في القرن العشرين: ٢٤).

(٢) الفتح: ٢٩.

وإني أنشدكم بالله وبما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المنّ والسلوى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتموني: هل تجدون في ما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟!

فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كُره عليكم ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ فأدعوكم إلى الله ونبيّه»[١] بلا جواب!

ورواية أخرى رواها البيهقي عن ابن عباس، ولعلها رسالة دعوة ثانية بعد الأولى:

ولذلك وللمرة الثالثة إتماماً للحجة أنذرهم فأعذر بأنّه بحول الله وقوته سيورثه الله أرضهم لتكون لمن يشاء من عباده: «من محمد بن عبد الله، الأمي، رسول الله. إلى يهود خيبر:

أمّا بعد، فإنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

التهيُّؤ للغزو:

وكأنه (صلى الله عليه وآله) بعد هذه الدعوات المكرّرة ثلاثاً إتماماً للحجة وإعذاراً وإنذاراً، وبعد أن أقام ـ كما قال الواقدي ـ لذلك بقية ذي الحجة والمحرم من سنة سبع، أمر أصحابه بالتهيؤ للغزو، فهم مجدّون لذلك[٢].

وقد كان جماعة منهم تخلّفوا عنه في الحديبية وأرجفوا به وبالمسلمين... وجاؤوا اليوم يريدون أن يخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقالوا له: أنّ خيبر ريف الحجاز طعاماً ولحماً وأموالاً، فنخرج معك إليها؟

---

(١) مكاتيب الرسول ١٧٤: ١ عن كنز العمال ٣٨٥: ٥.
(٢) مغازي الواقدي ٦٣٤: ٢.

فقال (صلى الله عليه وآله): لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، وأمّا الغنيمة فلا.

ثم بعث منادياً ينادي: لا يخرجنّ معنا إلا راغب في الجهاد، وأمّا الغنيمة فلا.

موقف يهود المدينة:

قال: وحين تجهّز النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى خيبر أصبح يهود المدينة يقولون للمسلمين: ما أمنع والله خيبر منكم! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجتم قبل أن تصلوا إليهم، هم في حصون شامخات في ذرى الجبال، والماء فيها واتن (لا ينقطع) وأنّ فيها لألف دارع، وما كانت أسد وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم، أفأنتم تطيقون خيبر؟!

فيقول لهم الأصحاب: إن الله قد وعد نبيّه أن يغنّمه إيّاها[١].

خروج النسوة إلى خيبر:

روى الواقدي بسنده عن أُميّة بنت قيس الغفارية قالت: جئت رسول الله في نسوة من بني غفار فقلنا: يا رسول الله، إنا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا؟

فقال رسول الله: على بركة الله... وأردفني رسول الله على حقيبة رحله[٢].

وخرج مع رسول الله من المدينة عشرون امرأة: مولاته أم أيمن، ومولاته الأخرى سلمى امرأة مولاه أبي رافع القُبطي، وزوجته أم سلمة، وعمته صفية بنت عبد المطلب (مع ابنها الزبير بن العوّام) وامرأة عاصم بن عدي مع زوجها عاصم وكانت حاملاً مقرباً، وأُم عمارة نُسيبة بنت كعب الخزرجية، وأُم عامر الأشهلية،

---

(١) مغازي الواقدي ٦٣٧: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٦٨٥: ٢ ورواه ابن إسحاق في السيرة ٣٥٧: ٣ بالسند نفسه قال: عن امرأة من بني غفار قد سمّاها لي قالت...

وأُم عطية الأنصارية، وأُم العلاء الأنصارية، وأُم الضحاك بنت مسعود الحارثية، وأُم سُليم بنت مِلحان[١]، وأُم سليط، وأُم شباث وهي أُم منيع، وهند بنت عمرو بن حزام[٢] وامرأة عبد الله بن انس وهي حبلى مُقرِب مع زوجها[٣]، وأُم مطاع الأسلمية، وكُعيبة بنت سعد الأسلمية[٤].

قال: فكوني مع أُم سلمة زوجتي. فكنت معها[٥].

المسير نحو خيبر:

قال: واستخلف رسول الله على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفاري[٦] وخرج إلى خيبر في صفر سنة سبع، ويقال: لهلال ربيع الأول[٧].

وكان قد خرج معهم دليلان من أشجع[٨]: حسيل بن خارجة وعبد الله بن نُعيم، فدعا النبيّ بهما فقال لحُسيل: امضِ أمامنا حتى تأخذنا في صدور الأودية حتى نأتي خيبر من بينها وبين الشام فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان.

---

(١) وهي أم أنس بن مالك ـ ابن هشام ٣٥٤: ٣.
(٢) مغازي الواقدي ٦٨٥: ٢.
(٣) مغازي الواقدي ٦٨٦: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٦٨٥: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ٦٨٧ ٦٨٦: ٢.
(٦) مغازي الواقدي ٦٣٦: ٢ و ٦٣٧ و ٦٨٤ وفي سيرة ابن هشام ٣٤٢: ٣: نُميلة بن عبد الله الليثي.
(٧) مغازي الواقدي ٦٣٤: ٢ بينما قال ابن إسحاق: خرج في بقية المحرم ٣٤٢: ٣. وقال الطبرسي في مجمع البيان ١٨١: ٩: لما قدم النبي المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة. وفي إعلام الورى ٢٠٧: ١: في ذي الحجة سنة ست. وكذلك في قصص الأنبياء: ٣٤٧ ويقول ابن إسحاق: وكان فتح خيبر في صفر، ويستشهد لذلك بقول ابن لُقيم العبسي في شعره في خيبر:
ولقد علمت ليغلبنّ محمد ... وليثوينّ بها إلى أصفار
وأصفار جمع صفر يريد بها شهر صفر ٣٥٦ ٣٥٥: ٣.
(٨) وفيهم يهود وكان منهم نعيم بن مسعود الأشجعي.

موقف يهود خيبر:

قال: وحيث أحسّ يهود خيبر بمسير رسول الله، قال لهم اليهودي أبو زينب الحارث: ابرزوا له وعسكروا خارج حصونكم، فإني قد رأيت من سار إليه من أهل الحصون لم يكن لهم بقاء بعد أن حاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فمنهم من قُتل صبراً ومنهم من سُبي!

فقالوا: إنّ حصوننا هذه منيعة في ذرى الجبال، فهي ليست مثل تلك الحصون. وثبتوا في حصونهم[١].

وقالوا: لما سار كنانة بن أبي الحُقيق في غطفان حلفوا له، وترأّسهم عُيينة بن حصن، وهم أربعة آلاف، ودخلوا مع اليهود في حصون النطاة، وذلك قبل قدوم رسول الله بثلاثة أيام[٢].

وسار الدليل برسول الله فسلك به بين الحياض والسرير (أدنى أودية خيبر) ثم نهض فسلك به بين الشقّ والنطاة حتى أشرف به على خيبر[٣].

ثم سار حتى انتهى إلى المنزلة، فعرّس[٤] بها ساعة من الليل... فلمّا نزل رسول الله بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة... حتى طلعت الشمس...

وأصبح اليهود، ففتحوا حصونهم وخرجوا (لأعمالهم) ومعهم المساحي والمكائل والفؤوس... فلمّا نظروا إلى رسول الله قد نزل بساحتهم ولّوا هاربين

---

(١) مغازي الواقدي ٦٣٧: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٦٥٠: ٢ هذا وقد قال ابن إسحاق: بلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له وخرجوا ليظاهروا اليهود عليه، وساروا مرحلة فسمعوا أو أحسوا شيئاً في أهليهم وأموالهم فخلّوا بين رسول الله وبين خيبر ورجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم. سيرة ابن هشام ٣٤٤: ٣. ومثله في الخرائج والجرائح ١٦٤: ١، الحديث ٢٥٣.

(٣) على ثمانية بُرد من المدينة (= ١٨٠ كم تقريباً) كما في التنبيه والأشراف: ٢٢٢. بينما مرّانه على ١٢٠ كم و هو الصحيح.

(٤) عرّسَ القوم ـ هنا ـ : نزلوا في مكانٍ، خلال السفر، من آخر الليل، ليرتحلوا بعدها. (المحقّق).

راجعين إلى حصونهم، وجعل رسول الله يقول: الله اكبر، خُربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين![١].

بين اليهود وحلفائهم:

ولما قدم رسول الله خيبر أرسل سعد بن عبادة إلى قائد غطفان في حصن ناعم، فلمّا انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إني أريد أن أكلم عيينة بن حصن. فأراد عُيينة أن يدخله الحصن فقال مرحب: لا تدخله فيرى خلل حصننا ويعرف نواحيه التي يؤتى منها، ولكن تخرج إليه. فقال عيينة: لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عدداً كثيراً! فأبى مرحب أن يدخله. فخرج عُيينة إلى باب الحصن.

فقال له سعد: إنّ رسول الله أرسلني إليك يقول: إنّ الله قد وعدني خيبر، فارجعوا وكفّوا؛ فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنة (كما وعدهم اليهود).

فقال عُيينة: إنا والله ما كنا لنسلّم حلفاءنا لشيء، وإنا لنعلم مالك ولمن معك بما هزنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة، ورجال عددهم كثير، وسلاح، إن أقمت هلكت ومن معك، وإن أردت القتال عجّلوا عليك بالرجال والسلاح. ولا والله، ما هؤلاء كقريش، قوم ساروا إليك، إن أصابوا غِرّة منك فذاك الذي أرادوا، وإلا انصرفوا. وهؤلاء يماكرونك الحرب ويطاولونك حتى تملّهم!

فقال سعد بن عبادة: اشهد ليحصرنّك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنّا عرضنا عليك فلا نعطيك إلا السيف، وقد رأيت ـ يا عُيينة ـ من قد حللنا بساحته من يهود يثرب كيف مُزّقوا كل ممزّق!

ثم رجع سعد إلى رسول الله فأخبره بما قال.

ثم أمر رسول الله مناديه أن ينادي أصحابه: أن أصبحوا على راياتكم عند

---

(١) مغازي الواقدي ٦٤٣ ـ ٦٤١: ٢. وابن إسحاق في السيرة ٣٤٤ ٣٤٣: ٣ بسندين عن أنس بن مالك.

حصن ناعم الذي فيه غطفان. فنادى منادي رسول الله بذلك، فرُعبوا من ذلك يومهم وليلتهم.

وكان كنانة بن أبي الحقيق في حصن الكتيبة فلمّا أصبح أُخبر بانصرافهم، فُسقط في يديه وذلّ وأيقن بالهلكة وقال: كنّا من هؤلاء الأعراب في باطل، إنا سرنا فيهم فوعدونا بالنصر وغرّونا، ولعمري لو لا ما وعدونا من نصرهم ما نابذنا محمداً بالحرب[١].

قبوله المشورة في المنزل:

فلمّا أصبح جاءه الحُباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا رسول الله صلى الله عليك، إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان عن أمر أُمرت به فلا نتكلم فيه، وإن كان الرأي تكلمنا؟

فقال رسول الله: بل هو الرأي.

ثم دعا رسول الله محمد بن مَسلمة وقال له: انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئاً من الوباء، نأمن فيه بياتهم.

فطاف محمد حتى انتهى إلى وادي الرجيع (قرب خيبر)[٢].

هداية... وأمانة:

قال: وكان يسار الحبشي عبداً أسودَ لعامر اليهودي في غنم مولاه فلما رأى أهل خيبر يتحصّنون للقتال سألهم من يقاتلون؟ فقالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبيّ، فوقعت هذه الكلمة في نفسه، فأقبل يسوق غنمه إلى معسكر رسول الله حتى وصل إليه فقال: يا محمد ما تقول؟ وإلى ما تدعو؟ قال: أدعو إلى الإسلام، فاشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله. قال: ومالي إذا أسلمت؟ قال: إن ثبتّ

---

(١) مغازي الواقدي ٦٥١: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٦٤٤: ٢.

على ذلك فالجنة. فأسلم الرجل. ثم قال: وما أفعل بهذه الأغنام وهي وديعة عندي؟ فقال له النبيّ: أخرجها من العسكر ثم صح بها وارمها بِحُصيّات، فإنّ الله سيؤدي عنك أمانتك، ففعل العبد ذلك، فخرجت الأغنام إلى صاحبها[١].

قال: وكان رسول الله حين انتهى إلى حصن ناعم في النطاة وصفّ أصحابه نهاهم عن القتال حتى يأذن لهم، ومع ذلك حمل رجل من المسلمين من أشجع على يهودي، فحمل عليه مرحب اليهودي فقتله.

فأمر رسول الله منادياً فنادى في المسلمين: إلا لا تَحِلّ الجنة لعاصٍ.

ثم أذن رسول الله في القتال.

ووعظ رسول الله الناس، وفرّق بينهم الرايات، وكانت ثلاث رايات، ولواءً. فدفع راية إلى سعد بن عُبادة، وراية إلى الحُباب بن المنذر، وراية إلى علي عليه السلام[٢].

وكان اليهود قد خندقوا حول أنفسهم، فكان المسلمون يناوشونهم من جوانبهم.

وذات يوم فتحوا الباب... وخرج مرحب برجّالته يتعرض للحرب[٣].

---

(١) مغازي الواقدي ٦٤٩ : ٢. ورواه ابن إسحاق في السيرة ٣٥٩ ٣٥٨ : ٣.

(٢) مغازي الواقدي ٦٤٩ : ٢ وقال: وكانت راية النبي سوداء ولواءه أبيض. وعليه فالرايات كنّ أربعاً لا ثلاثاً: وإنما ذكر الثلاث دون راية رسول الله، فمع النبي علمان: كبير هو اللواء الأبيض، وصغير هي الراية السوداء من بُردٍ لعائشة، كما في الواقدي. بينما لم يذكر ابن إسحاق إلا راية واحدة بيضاء بيد علي عليه السلام ٣٤٢ : ٣ وفي ٣٤٩ قال: بعث أبا بكر برايته (البيضاء)... ثم بعث عمر... ثم دعا علياً وقال: خذ هذه الراية. وقال الواقدي: وكان قد دفع لواءه إلى رجل من المهاجرين)؟ (فرجع ولم يصنع شيئاً، ثم دفعه إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً... ثم أرسل إلى علي عليه السلام فذهب إليه... فدفع إليه اللواء ٦٥٤ ٦٥٣ : ٢ بينما الحديث عندهما: لأعطينّ الراية غداً رجلاً... فلعله دفع إليه الراية البيضاء أولاً ثم اللواء الأبيض ثانياً.

(٣) ليس بهذا النص في السيرة، وليس فيه تعيين مرحب من أي حصن، وفي مغازي الواقدي: أنه وأخواه الحارث وياسر، وأسير وعامر كانوا جميعاً من حصن ناعم ٦٥٧ : ٢ و٦٥٨ و٦٤٥ و٦٤٩ و٦٥٠ و٧٠٠.

وكان علي«عليه السلام» قد لحقه رمد أعجزه عن الحرب... فدعا رسول الله أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين، فاجتهد، ولم يُغن شيئاً، فعاد يؤنّب القوم الذين اتبعوه، ويؤنّبونه[١].

ودفع رسول الله لواء الأنصار إلى رجل منهم (سعد بن عُبادة).

وسالت كتائب اليهود إمامهم الحارث أبو زينب (أخو مرحب) يقدم اليهود، يهدّ الأرض هدّاً. فأقبل صاحب راية الأنصار (سعد بن عبادة) فلم يزل يسوقهم حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه. ثم خرج أسير اليهودي يقدم أصحابه ومعه جماعة يَعدون بأرجلهم، فكشف أصحاب راية الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله في موقفه، فوجد رسول الله في نفسه حدّة شديدة، وأمسى مهموماً، وقد رجع سعد بن عبادة (وهو صاحب الراية كما مرّ) مجروحاً يستبطئ أصحابه[٢].

وقاتل رسول الله يومه ذلك أهل حصون النطاة (ومنها الناعم) إلى الليل، وأخذت نبالهم تخالط عسكر المسلمين وتجاوزه، فجعل المسلمون يلقطون نبلهم ثم يردّونها عليهم، وكان شعارهم: يا منصور أمِتْ[٣].

اليوم الثاني:

روى المفيد عن ابن هشام وابن إسحاق وغيرهما قالوا: لما كان من الغد تعرّض للراية عمر، فسار بها غير بعيد، ثم رجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه. فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي بن أبي طالب. فقيل

---

(١) الإرشاد ١٢٦ ١٢٥: ١.

(٢) مغازي الواقدي ٦٥٣: ٢ وروى الراوندي عن الامام الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سعداً براية الأنصار إلى خيبر فرجع منهزماً، ثم بعث عمر بن الخطاب براية المهاجرين فأتى بسعد جريحاً وعمر يجبّن أصحابه ويجبنونه ـ بحار الأنوار ١١: ٢١، عن الخرائج والجرائح للراوندي، ولم نجده فيه.

(٣) مغازي الواقدي ٦٤٤: ٢ وابن هشام ٣٤٧: ٣: يا منصور أمت أمت.

له: إنه أرمد، فقال: أرونيه تُروني رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها بحقّها، ليس بفرّار![1].

ورواه ابن إسحاق في السيرة بسنده عن سلمة بن الأكوع قال: بعث من الغد عمر بن الخطاب، فقاتل وجهد ولم يك فتح فرجع. فقال رسول الله: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله... يفتح الله على يديه، ليس بفرّار[2].

وكنّى الواقدي قال: ثم دفعها إلى آخر فرجع ولم يصنع شيئاً... وجعل صاحب راية المهاجرين يستبطئ أصحابه ويقول: أنتم وأنتم![3].

ووجد رسول الله في نفسه حِدّة شديدة... وأمسى مهموماً... وقال: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله... يفتح الله على يديه، ليس بفَرّار. أبشر يا محمد بن مَسلمة، غداً إن شاء الله يُقتل قاتل أخيك، وتُولّي عادية اليهود.

اليوم الثالث:

قال: فلما أصبح أرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أرمد، فقال: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً. ثم ذُهب [به] إليه، فقال له: افتح عينيك. ففتحهما فتفل فيهما (قال علي عليه السلام: فما رمدت حتى الساعة) ثم دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه من أصحابه بالنصر[4].

وروى ابن إسحاق عن سلمة قال: فدعا رسول الله علياً رضوان الله عليه وهو أرمد، فتفل في عينه ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك[5].

---

(١) الإرشاد ١٢٦: ١.
(٢) سيرة ابن هشام ٣٤٩: ٣.
(٣) مغازي الواقدي ٦٥٣: ٢ ومرّ عن الصدوق في الأمالي: ٤١٤ مثله عن عمرو بن العاص قال: إن رسول الله يوم خيبر دفع الراية إلى رجل من أصحابه فرجع منهزماً، فدفعها إلى آخر فرجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه قد ردّ الراية منهزماً، فقال رسول الله...
(٤) مغازي الواقدي ٦٥٤ ٦٥٣: ٢.
(٥) سيرة ابن هشام ٣٤٩: ٣.

وروى عنه المفيد في «الإرشاد» قال: فجاؤوا بعلي عليه السلام يقودونه إليه، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): ما تشتكي يا علي؟ قال: رمد (في عيني) وصُداع برأسي. فقال له: اجلس وضَعْ رأسك على فخذي. ففعل علي عليه السلام ذلك، فدعا له النبيّ وتفل في يده فمسحها على عينيه ورأسه، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصُداع، وقال في دعائه له: اللهم قِهِ الحر والبرد. وأعطاه الراية ـ وكانت راية بيضاء ـ وقال له: خذ الراية وامض بها، فجبرئيل معك، والنصر أمامك[1]، والرعب مبثوث في صدور القوم. واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم: أنّ الذي يُدمّر عليهم اسمه إيليا، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يُخذلون إن شاء الله.

فجاء في الحديث: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال لهم: أنا علي بن أبي طالب، قال حَبْر من أحبار القوم: غُلبتم وما أُنزل على موسى. فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به[2].

قال علي عليه السلام: فمضيت بها حتى أتيت الحصون، فخرج مرحب وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبرُ أني مَرحبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

فقلت:

أنا الذي سمتني أُمي حيدرة ... عَبْلُ الذراعين شديدٌ قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة[3]

فاختلفنا ضربتين فبدرته فضربته فقددْتُ الحجر والمِغْفَر ورأسه، حتى وقع السيف في أضراسه وخرّ صريعاً[4].

---

(١) وفي المناقب وجبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك، وعزرائيل أمامك وإسرافيل وراءك، ونصر الله فوقك ودعائي خلفك ـ مناقب آل أبي طالب ٧٨: ٢.

(٢) الإرشاد ١٢٧ ١٢٦: ١.

(٣) السندرة: كيل ضخم.

(٤) الإرشاد ١٢٧: ١ عن ابن إسحاق وابن هشام، وليس في السيرة إلا رجز مرحب وجواب كعب بن مالك له ومبارزة محمد بن مسلمة وقتله لمرحب!

ويبدو أنّ مبارزة مرحب وقتله وفتح حصن الناعم من حصون النطاة كان آخر الأمر، فهناك أخبار من قبل ذلك.

وروى المفيد عن ابن هشام وابن إسحاق وغيرهما قالوا: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحباً، رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فصار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فعالجه حتى فتحه... فأخذ باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم.

وروى بسنده عنه عليه السلام قال: لما عالجت باب خيبر جعلته مجنّاً لي وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به في خندقهم[1].

وروى الطبرسي عن أبان بن عثمان البجلي الكوفي عن زرارة بن أعين عن الباقر عليه السلام قال: انتهى علي عليه السلام إلى باب الحصن وقد أُغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً (فاقتلعه) وتترّس به، ثم حمله على ظهره واقتحم المسلمون الحصن (من فوق) الباب على ظهره، ثم رمى بالباب رمياً.

وخرج البشير إلى رسول الله: أنّ علياً دخل الحصن. فأقبل رسول الله، فخرج علي عليه السلام يتلقاه فقال له: قد بلغني نبؤك المشكور وصنيعك المذكور، وقد رضي الله عنك ورضيت عنك! فبكى علي عليه السلام، فقال له: ما يبكيك يا علي؟ قال: فرحاً بأنّ الله ورسوله عنّي راضيان[2].

وروى المفيد قال: لما قتل أمير المؤمنين مرحباً وفتح الحصن وأغنم المسلمين أموالهم، استأذن حسّان بن ثابت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقول شعراً فقال له: قل. فقال:

وكان عليٌّ أرمد العين يبتغي دواءً، فلما لم يحسّ مداويا

---

(١) الإرشاد ١٢٧: ١ و ١٢٨.

(٢) إعلام الورى ٢٠٨: ١.

شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيّاً وبورك راقيا

وقال:

سأعطي الراية اليوم صارماً كمياً محباً للرسول مواسيَا
يحبّ إلهي والإله يحبّه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فاصفى بها دون البرية كلّها علياً، وسمّاه الوزير المواخيا[1]

مقامه على حصون النطاة:

قال الواقدي: كان مقامه بالرجيع سبعة أيام، قد قاتل أول يوم من أسفل النطاة ثم عاد فقاتلهم من أعلاها، يقاتلهم كل يوم إلى الليل، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع.

قالوا: وكان رسول الله في مقامه بالرجيع سبعة أيام يناوب بين أصحابه في حراسة الليل.

وندب رسول الله الناس معه فنهضوا... وانتهوا إلى حصن الصعب بن مُعاذ وإنّ عليه لخمسمائة مقاتل ـ وكان حصن اليهود فيه الطعام والودك والماشية والمتاع ـ.

وبرز من الحصن رجلٌ يقال له يوشع، يدعو إلى البراز، فبرز إليه الحُباب بن المنذر فاختلفا ضربات فقتله الحُباب.

وروى عن سلمة بن سنان الأكوع قال: غدا (عمي) عامر بن سنان (الأكوع) فلقى رجلاً من اليهود فبدره اليهودي وضربه، فاتقاه عامر بدرقته فنبا سيف اليهودي عنه، وضرب عامر رجل اليهودي فقطعها ورجع السيف عليه فأصابه ذبابه، فنزف حتى مات. فقال أُسيد بن حُضير: حبط عمله!

---

(١) الإرشاد ١٢٨ : ١.

فبلغ ذلك رسول الله فقال: كذب من قال ذلك! إنّ له لأجرين: إنه جاهد مجاهد، وإنه ليعوم في الجنة عَوْم الدعموص[١].

قال: وكان قد حُمل إلى الرجيع فقبر مع محمود بن مسلمة في غار[٢].

واستمر حصار حصن الصعب بن معاذ ثلاثة أيام، إذ كان حصناً منيعاً.

فبينا هم محاصرون الحصن إذ خرج منه عشرون أو ثلاثون حماراً لم يقدر اليهود على إدخالها، فأخذها المسلمون وهم جياع فذبحوها وأوقدوا النيران وطبخوا لحومها في القدور. ومرّ بهم رسول الله وهم على تلك الحال، فسأل عن ذلك فأُخبر الخبر، فأمر منادياً فنادى فيهم:

إنّ رسول الله ينهاكم عن الحُمر الإنسية... وعن كل ذي ناب ومخلب فكَفوا القدور[٣].

---

(١) مغازي الواقدي ٦٦٢ ٦٦١ : ٢. والدعموص: الدخّال في الأمور، أي انه سيّاح في الجنّة دخّال في منازلها لا يمنع من موضع، راجع النهاية ١٢٠ :٢.

(٢) مغازي الواقدي ٦٥٨ : ٢. وروى مقتله ابن إسحاق في السيرة ٣٤٣: ٣. قال: بلغني أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكلمه كلماً شديداً فمات منه، فشك المسلمون فيه وقالوا: إنما قتله سلاحه. فاخبر ابن أخيه سلمة بن سنان الأكوع رسول الله وسأله عن ذلك فقال رسول الله: إنه لشهيد، وصلى عليه، فصلى عليه المسلمون معه. وروى معناه الطبرسي في مجمع البيان ١٨٢١٨١ : ٩.

(٣) مغازي الواقدي ٦٦١ ٦٦٠ : ٢ وفيه: وعن متعة النساء! هكذا بلا مناسبة. وقد يناسب البحث هنا عن نكاح المتعة تأريخياً، ولكن المسألة أقرب إلى البحث الفقهي منه إلى التأريخ والسيرة، وقد أوسع العلماء الفقهاء المسألة دراسةً وبحثاً فنوكل ذلك إليهم في كتب عديدة منها: أصل الشيعة وأصولها للإمام الشيخ كاشف الغطاء. وأجوبة مسائل موسى جار الله للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين. والمتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي للمحامي الدكتور توفيق الفكيكي. والمتعة للسيد جعفر مرتضى العاملي. ومع الخطيب في خطوطه العريضة للشيخ الصافي. ونكاح المتعة بين السنة والبدعة للسيد مرتضى الأردبيلي.
أما عن الحُمر الأهلية ففي وسائل الشيعة باب فيه عشرة أخبار في كراهتها ١٢٠ ـ ١١٧ : ٢٤. وفي مستدركه باب فيه ثلاثة أحاديث ٧٧٤ : ١٦ منها عن أبي الجارود قال سمعت الباقر عليه السلام يقول: إن المسلمين كانوا جهدوا في خيبر فأسرع المسلمون في دوّابهم (هكذا) فأمر رسول الله بأكفاء القدور ولم يقل أنها حرام، وكان ذلك إبقاءً على الدواب ١١٨ : ٢٤. وعن أبي بصير=

فلما كان اليوم الثالث، بكّر رسول الله عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه دقل (السفينة من الطول) وفي يده حربة وخرج جماعة يعدون معه، فأمطرونا ساعة بالنبل مثل الجراد حتى ظننت أن لا يقلعوا، وترّسنا عن رسول الله. ثم حملوا علينا حملة رجل واحد، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله وهو واقف قد نزل عن فرسه، ومولاه مِدعم (الأسود) ممسك بزمام فرسه.

وثبت الحُباب برايتنا والله ما يزول، يراميهم على فرسه.

وندب رسول الله المسلمين وحضّهم على الجهاد ورغّبهم فيه، وأخبرهم أنّ الله قد وعده خيبر يغنّمه إياها! فأقبل الناس حتى عادوا إلى صاحب رايتهم، فزحف بهم الحُباب، فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً، وترجع اليهود على أدبارها، حتى لحمها الشر فانكشفوا سراعاً، ودخلوا الحصن وغلّقوا عليهم، ووافوا على جَدْره ـ وله جَدْر دون جَدْر ـ فجعلوا يرموننا بالجنادل رمياً كثيراً، حتى نحّونا عن حصنهم بوقع الحجارة حتى رجعنا إلى الموضع الأول.

ثم خرج اليهود مستميتين.. ورجعنا إليهم فاقتتلنا على باب الحصن أشد القتال.. فقتلنا عدداً منهم وكلّما قتلنا رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن.. وقُتِل يومئذٍ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله: أبو صيّاح والحارث بن حاطب وعديّ بن مرة.

ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه، حتى أدخلنا اليهود الحصن وتبعناهم إلى جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن أمسوا لنا كالأغنام فقتلنا من أشرف لنا وأسرنا من شئنا منهم، وهربوا في كل وجه يريدون حصن قلعة الزَّبير، وتركناهم يهربون، وصعد المسلمون على جُدره فكبّروا عليه تكبيراً كثيراً.

ووجدنا فيه من الأطعمة ما لم نظن أنّه هناك من الشعير والتمر والسمن

=قال: سمعت الباقر عليه السلام يقول: إن الناس أكلوا لحوم دوابّهم يوم خيبر، فأمر رسول الله بأكفاء القدور ونهاهم عن ذلك، ولم يحرّمها ١٧٤ : ١٦.

والعسل والزيت والشحوم. ونادى منادي رسول الله: كلوا واعلفوا، ولا تحتملوا. فكان المسلمون يأخذون من ذلك الحصن طول مُقامهم هناك طعامهم وعلف دوابّهم، لا يُمنع أحد أن يأخذ حاجته، من دون أن يخمّس.

وكان رجل من المسلمين يُقال له عبد الله كان لا يصبر عن الشراب وقد ضربه رسول الله مراراً، فعمد يومئذٍ فشرب من خمر اليهود، فرُفع أمره إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فخفقه بنعله، فخفقه من حضره بنعالهم(١).

واستخرجوا ما كان قاله اليهودي من المنجنيق والدبابتين والدروع والسيوف والبَيْض(٢).

حصار حصن الزَّبير:

قال: وزحف رسول الله والمسلمون إلى حصن الزَّبير، فغلّقوه عليه، وهو حصن منيع، وإنما هو في رأس قلعة لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته ومناعته.. فحاصرهم رسول الله.. وأقام على ذلك ثلاثة أيام.

ثم جاء رجل من اليهود يقال له غزّال، فقال: أبا القاسم، تؤمّنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشقّ؟ فأمّنه رسول الله على أهله وماله.

فقال اليهودي: إنّك لو أقمت شهراً ما بالوا، فإنّ لهم جداول تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، وإن قطعت مَشربهم عنهم ضجّوا!

فأرسل رسول الله إلى جداولهم فقطعها، فلما قطع عنهم مشاربهم لم يطيقوا

---

(١) مغازي الواقدي ٦٦٥ ـ ٦٦٢: ٢.
(٢) مغازي الواقدي ٦٤٨: ٢.

المُقام على العطش[١]، فخرجوا فقاتلوا أشدّ القتال.. فأُصيب ذلك اليوم عشرة من اليهود، وقُتِل يومئذٍ نفر من المسلمين، وافتتحه رسول الله، فكان آخر حصون النَّطاة..

وكان أهل النّطاة أحدّ اليهود وأهل نجدتهم.

من الرجيع إلى المنزلة:

وقلعة سُمران من حصن أبي: قال: فلمّا فرغ رسول الله من النّطاة.. أمن من حرب اليهود وبياتهم وما يخاف منهم، فأمر بالمعسكر أن يحوّل من منزله بالرجيع إلى مكانه الأوّل بالمنزلة.. ثم تحوّل إلى أهل الشّق.

وكان بالشّق حصون ذات عدد، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبي، فقام منها على قلعة يُقال لها سُمران.

وقام اليهوديّ يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دجانة قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المِغفر يختال في مشيته، وبدر اليهوديَّ فضربه فقطع رجليه ثم أجهز

---

(١) مغازي الواقدي ٦٦٧ ـ ٦٦٦: ٢ وروى عن أبي شُيَيم المُزني الغطفاني من أصحاب عُيينة بن حصن، بعد أن أسلم قال: لما رجعنا مع عيينة إلى خيبر وجد رسول الله قد فتح خيبر وغنّمه الله ما فيها.. فجعل يتدسّس إلى اليهود يقول لهم: ما رأيت كاليوم أمراً، والله ما كنت أرى أحداً يصيب محمداً غيركم أهل الحصون والعُدة والثروة، أعطيتم بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المنيعة وهذا الطعام الكثير ما يوجد له آكل والماء الدائم (الواتن)؟! فقالوا: قد أردنا الامتناع في قلعة الزبير، ولكنّ الدّبول (الجداول) قد قُطعت عنّا، وكان الحَر، فلم يكن لنا بقاء على العطش ٦٧٦ ٦٧٥: ٢.

في ما روى الراوندي في الخرائج والجرائح قال: وبقيت لهم قلعة فيها أموالهم ومأكولهم، ولم يمكن عليها حرب من أيّ وجه من الوجوه، وحاصرها بمن فيها رسول الله.. فصار إليه يهودي منهم فقال: يا محمد، تؤمّنني على نفسي وأهلي وولدي حتى أدلّك على فتح القلعة؟ قال: أنت آمن، فما دلالتك؟ قال: تأمران أن يحفر هذا الموضع فإنهم يصيرون (كذا، ولعله: فإنه يصير) إلى ماء أهل القلعة فيخرج، ويبقون بغير ماء فيسلّمون إليك القلعة طوعاً. فقال: أو يحدث الله غير هذا. الخرائج والجرائح ١٦٥ ١٦٤: ١ فلم يقطع عنهم مشربهم ولم يعطّشهم. والله العالم.

عليه ثم سلبه درعه وأخذ سيفه وجاء بهما إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فنفّله إياهما.

ثم أحجم اليهود عن البراز، فكبّر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن يقدمهم أبو دجانة حتى دخلوه.. فهرب مَن كان فيه من المقاتلة وتقحّموا الجُدر كأنهم الظِّباء حتى صاروا إلى حصن النِّزار بالشق.

ووجد المسلمون في قلعة سُمران من حصن أُبي أثاثاً وغنماً وطعاماً ومتاعاً..

حصن النِّزار بالشِّق:

قال: هرب مقاتلة اليهود من قلعة سُمران من حصن أُبي حتى صاروا إلى حصن النِّزار بالشّق، وجعل من بقي في قُلَل النّطاة يأتي إلى حصن النِّزار، فامتنعوا فيه أشد الامتناع وغلّقوه على أنفسهم[١].

ونظر رسول الله إلى حصن النِّزار فقال: هذا آخر حصون خيبر فيه قتال[٢].

وصل رسول الله إلى باب القلعة، فأشار بيده إلى حائطها، فانخفض الحائط حتى صار مع الأرض، فقال للناس: ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة[٣].

وقال الواقدي: فأخذ كفّاً من الحَصى فحصب به حصنهم، فرجف بهم، ثم ساخ جدار الحصن في الأرض.. حتى جاء المسلمون فأخذوهم أخذاً وكانت فيه صفية بنت حُييّ بن أخطب وابنة عمّها[٤] ووهب النبيّ لليهوديّ الذي وعده زوجته من حصن النِّزار[٥].

---

(١) مغازي الواقدي ٦٦٨ ـ ٦٦٢: ٢.
(٢) مغازي الواقدي ٦٦٩: ٢.
(٣) الخرائج والجرائح ١٦٥: ١ خ ٢٥٣.
(٤) مغازي الواقدي ٦٦٨: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ٦٤٨: ٢.

صَفيّة بنت حُييّ بن أخطب:

وروى الواقدي بسنده عن ابنة أبي القين المزني عن صفية قالت: لمّا أجلى رسول الله بني النضير خرجنا من المدينة إلى خيبر فأقمنا فيه، فتزوّجني كنانة بن أبي الحُقيق فأعرس بي قبل قدوم رسول الله إلى خيبر بأيام، وذبح جُزراً ودعا باليهود وحولّني إلى حصنه في سُلالِم.

فروى الطبري عن الأحمر البجلي الكوفي عن زرارة عن الباقر عليه السلام في سبي صفية قال: وأخذ علي عليه السلام في مَن أخذ صفية بنت حُيي، فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلا في يدي رسول الله حتى يرى فيها رأيه.

فأخرجها بلال ومرّ بها إلى رسول الله على القتلى، فكادت أن تذهب روحها جزعاً. فقال له رسول الله: أنُزعت منك الرحمة يا بلال؟![1].

وفي خبر الواقدي عن صفية قالت: لما أمسى رسول الله جاء فدعاني، فجئت وأنا مقنّعة حيّية حتى جلست بين يديه. وقبل قدوم رسول الله إلى خيبر كان قد

---

(١) إعلام الورى ٢٠٩: ١ وعنه في قصص الأنبياء للراوندى: ٤٧.

وقال ابن إسحاق: أُتي رسول الله بصفية بنت حُيي بن أخطب، وبأخرى معها، أتاه بهما بلال وقد مرّ بهما على قتلى من اليهود، فالتي كانت مع صفية لما رأت قتلاها صاحت وصكّت وجهها وحثت التراث على رأسها. فلما رآها رسول الله قال: أبعدوا عنّي هذه الشيطانة! أما صفية فأمر بها إلى خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله قد اصطفاها لنفسه ٣٥١ ٣٥٠: ٣.

وقال الواقدي: سباها رسول الله وأرسل بها مع بلال إلى رَحله، فمرّ بها وبابنة عمّها على قتلاهم، فصاحت ابنة عمها صياحاً شديداً. فكره رسول الله ما صنع بلال وقال له: أذهبت منك الرحمة؟! تمر بجارية حديثة السن على القتلى؟! ٦٧٣ : ٢.

وروى الكليني في روضة الكافي عن سليم بن قيس عن سعد بن أبي وقاص الزهري حديثاً يعدّد فيه خصال علي عليه السلام فيقول عن يوم خيبر: فما انثنى حتى فتح خيبراً وأتاه بصفية بنت حُيي بن أخطب، فاعتقها رسول الله وجعل عدّة عتقها صداقها وتزوّجها كما رواه في بحار الأنوار ١٥٦ ١٥٥ : ٤٢.

وروى الأربلي في كشف الغمة عن مسند الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس في حديث قال: فجاء وهو أرمد، فنفث في عينه ثم هزّ الراية ثلاثاً ثم أعطاها إياه، فجاء بصفية بن حُييّ ٨٢ ٨١: ١ وعنه في بحار الأنوار ٢٤١: ٣٨ و٥٠: ٤٠.

تزوّجني وأعرس بي كنانة بن أبي الحُقيَق. ورأيتُ في النوم: كأنّ قمراً أقبل من يثرب يسير حتى وقع في حجري فذكرت ذلك لزوجي كنانة، فلطمني كنانة على عيني فاسودّ أطرافها.

فلما دخلت عليه سألني عنه، فأخبرته الخبر، ثم قال لي: إن أقمتِ على دينك لم أُكرهكِ، وإن اخترت الله ورسوله فهو خير لك.

فقلت: اختار الله ورسوله والإسلام.

فأعتقني: وجعل عتقي مهري وتزوّجني[١].

حصون الوطيح وسُلالِم والكتيبة:

وقال: لما فتح رسول الله حصن النِزار هرب أهله منه إلى أهل الوطيح وسُلالِم والكتيبة.. وبالكتيبة من اليهود ومن نسائهم وذراريّهم أكثر من ألفين.. وجاءهم كل فلٍّ كان قد انهزم من النطاة والشّق، فتحصّنوا معهم في القموص من الكتيبة والوطيح وسُلالِم، حصن بني أبي الحقيق الذي كانوا فيه[٢].

وتحوّل رسول الله إلى الكتيبة والوطيح والسُلالِم..

وتهيّأ أهل القموص وقاموا على باب الحصن بالنبل، ونهض كنانة إلى قوسه، فما قدر أن يوترّها من الرِّعدة (رُعباً ورَهباً) وأومأ إلى أهل الحصون أن لا يرموا.. وانقمعوا في الحصون مغلّقين على أنفسهم لا يطلعون منها، فما رُئي منهم أحد..

وحصرهم رسول الله أربعة عشر يوماً[٣].. ولما رأى رسول الله إغلاقهم

---

(١) مغازي الواقدي ٦٧٥: ٢، وفي ابن هشام ٣٥١: ٣، وروى المجلسي خبر رؤياها القمر عن الكازروني في بحار الأنوار ٣٣: ٢١.

(٢) أو في القموص كما في سيرة ابن هشام ٣٤٤: ٣ و ٣٥٠.

(٣) مغازي الواقدي ٦٧٠: ٢. وفي سيرة ابن هشام ٣٤٧: ٣: فحاصرهم رسول الله عشرة ليلة. وروى الواقدي عن أبي هريرة قال: قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دَوْس، فقالوا: رسول الله في خيبر.. فتحمّلنا إلى خيبر فوجدناه قد فتح النّطاة وهو محاصر أهل الكتيبة، فأقمنا معه حتى فتح الله عليه ٦٣٦: ٢.

حصونهم وأنه لا يبرز منهم بارز همَّ أن ينصب المنجنيق عليهم[١].. وأجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. وأيقنوا بالهلكة، فأرسل كنانة رجلاً من اليهود يقال له: شمّاخ إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم.

فلما نزل شمّاخ أخذه المسلمون فأتي به النبيّ فأخبره عن كنانة أنه يقول: أنزلُ إليك فأكلّمك؟! فأنعم له النبيّ، فرجع شمّاخ بالرسالة.

مصالحة أهل الحصون الثلاثة:

قال: فنزل كنانة في نفر من اليهود فصالح رسول الله على:

١ ـ حقن دماء مَن في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم.

٢ ـ ويخرجون من حصون خيبر وأراضيها.

٣ ـ ويخلّون بين رسول الله وبين ما كان لهم من أرض أو مال من ذهب أو فضة أو سلاح أو ثياب، إلا الثياب التي عليهم.

فصالحه رسول الله على ذلك[٢]، وأرسل إلى الأموال فقبضها الأول فالأول، وبعث إلى المتاع والسلاح فقبضها.

فسأل رسول الله كنانة بن أبي الحُقيق عن كنزهم الذي كانوا يُعرفون به، وحُليّ كانت في جلد جمل كانوا يُعيرونها للأعراس بمكة!

فقال: يا أبا القاسم، لقد كنا نرفعه لمثل هذا اليوم، أمّا اليوم فقد أنفقناه في حربنا فلم تُبق الحرب واستنصار الرجال من ذلك شيئاً. وحلف على ذلك.

فقال رسول الله: برئت منك ذمّة الله وذمّة رسوله إن كان عندكم! قال: نعم!

ثم قال النبيّ: وكل ما أخذت من أموالكم وأصبت من دمائكم فهو حلٌّ لي ولا ذمّة لكم! قال: نعم.

---

(١) الذي وجده مدفوناً في حصون النطاة حسب إخبار اليهودي إياه ٦٤٨: ٢.
(٢) أشار إليه الحلبي مناقب آل أبي طالب ٢٠٤: ١.

فلمّا أُخرج الكنز أمر رسول الله الزُّبير أن يعذِّب كنانة بن أبي الحُقيق حتى يستخرج كل ما عنده!

فعذَّبه الزبير بزند يقدحه في صدره.

ثم أمره رسول الله أن يدفعه إلى محمد بن مَسلمة يقتله بأخيه (محمود) فقتله محمد بن مَسلَمة.

وأمر بابن أبي الحُقيق الآخر [ثعلبة] فضرب عنقه.

واستحلّ رسول الله بذلك أموالهما وسبى ذراريّهما(١).

فروة بن عمرو على الغنائم:

قالوا: واستعمل رسول الله على الغنائم يوم خيبر فروة بن عمرو البياضيّ، وكان قد جمع ما غنم المسلمون في حصون النَّطاة وحصون الشِّق وحصون الكتيبة، لم يترك على أحد من أهل الكتيبة إلا ثوباً على ظهره من الرجال والنساء والصبيان، وجمعوا أثاثاً كثيراً وبَزّاً وقطائف وسلاحاً كثيراً، وغنماً وبقراً وطعاماً وأدْماً كثيراً.

فأمّا الطعام والأُدْم والعلف فلم يخَمَّسْ، بل كان الناس يأخذون منه حاجتهم، ومن احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغنم حتى فتح الله عليهم فردّ ذلك في المغنم.

فلمّا اجتمع ذلك كله أمر به رسول الله فجُزّىء خمسة أجزاء، كتب في سهم

---

(١) مغازي الواقدي ٦٧٣ ـ ٦٧٠: ٢. وروى الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١١٣: ١ في معجزات أقواله: أنّه (صلى الله عليه وآله) قال لكنانة.. والربيع: أين آنيتكما التي كنتما تعيرانهما أهل مكة؟ قالا: أنفقناها. فقال لهما: إنّكما إن كتمتما شيئاً فاطّلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما! قالا: نعم. فدعا رجلاً من الأنصار وقال له: اذهب إلى قَراح (مزرعة) كذا فأت النخيل فانظر نخلة عن يمينك وعن يسارك، وانظر نخلة مرفوعة فإيتني بما فيها. فانطلق وجاء بالآنية والأموال. فضرب عنقهما.

منها «للّه» وسائر السهام أغفال. فكان أوّل ما خرج سهم النبيّ، ولم يُتخيّر في الأخماس[١].

قالوا: وكان الخمس إلى رسول الله من كل مغنم غنمه المسلمون، شهده رسول الله أو غاب عنه[٢] ووجد رجل يومئذٍ في خربة مئتي درهم فجاء بها إلى رسول الله فأخذ منها الخمس ودفعها له[٣].

ثم أمر رسول الله ببيع الأربعة الأخماس لمن يُريد. فجعل فروة يبيعها لمن يُريد.

ولما كان فروة يبيع المتاع يومئذٍ وكان يوماً حاراً فأخذ عصابة عصب بها رأسه ليستظلّ بها من الشمس، ثم رجع وهي عليه فذكر فخرج فطرحها وأخبر بها رسول الله فقال: عصابة مِن نار عصبت بها رأسك؟

وسأل رجل رسول الله يومئذٍ من الفيء شيئاً فقال رسول الله: لا يحلّ لي من الفيء خيط ولا مخيط، لا آخذ ولا أُعطي.

وسُمع رسول الله يومئذٍ يقول: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره (لا ينكح المرأة الحامل من غيره) ولا يبع شيئاً من المغنم حتى يعلم، ولا يركب دابّة من المغنم حتى إذا براها (هَزّلها) ردّها، ولا يلبس ثوباً من المغنم حتى إذا أخلقه ردّه، ولا يأت من السبي حتى تستبرىء وتحيض حيضة، وإن كانت حبلى حتى تضع حملها[٤].

---

(١) مغازي الواقدي ٦٨٠: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٦٨٣: ٢. وفي سيرة ابن هشام ٣٧١: ٣ عن الزهري.

(٣) مغازي الواقدي ٦٨٢: ٢. وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله من المغنم يعطى منه ما أراد من السلاح والكسوة فأعطى منه أهل بيته من الثياب والخِرز والأثاث، وأعطى رجالاً ونساءً من بني عبد المطلب وأعطى السائل واليتيم ٦٨٠: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٦٨٢ ٦٨١: ٢ وروى الأخيرة ابن إسحاق في السيرة ٣٤٦ ٣٤٥: ٣ بسنده عن رُويفع بن ثابت الأنصاري قال: قام فينا رسول الله فقال.. وروى عن مكحول قال: نهاهم النبيّ يومئذٍ عن أربع: عن أكل الحُمر الأهلية، واكل كل ذي ناب من السباع، وعن إتيان الحبالى من=

قالوا: وكان الذي ولي إحصاء المسلمين زيد بن ثابت.. فأحصاهم ألفاً وأربعمئة، والخيل مئتي فرس لها أربعمئة سهم.. فكانت السهام على ثمانية عشر سهماً.. لكل مئة رأس (رئيس) يُعرف يَقسم على أصحابه[١].

وخرج معه من المدينة عشرون امرأة. فلم يُسهم لهنّ إلا أنه أعطاهنّ شيئاً من الفيء[٢] دون السهام، ولعله كان يُعادل نصف سهام الرجال أو نحوه.

وأسهم للقتلى الذين قُتلوا من المسلمين[٣] ستة عشر من الأنصار وأربعة من المهاجرين ثلاثة من حلفاء بني أميّة وحليف لبني أسد من قريش[٤].

أمّا عن بساتين النخيل والمزارع فيها في أراضي خيبر لليهود، فإنهم قالوا لرسول الله: يا محمد، نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها[٥].

=السبايا، وعن بيع المغانم حتى تقسَّم ٣٤٥: ٣.
وسيتكرر الأمر بالاستبراء يوم أوطاس أي يوم حنين ٩١٩: ٣ وجل أخبارنا فيه.

(١) مغازي الواقدي ٦٨٩: ٢ و ٧١٨ وكذلك قال ابن إسحاق: كانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ألفاً وثمانمئة سهم، الرجال ألف وأربعمئة، والخيل مئتا فرس، فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم، ولكل راجل سهم، فكان الجميع ثمانية عشر [ألف] سهم.

(٢) مغازي الواقدي ٦٨٦ ـ ٦٨٤: ٢. والمعنى الأخير في السيرة ٣٥٦: ٣.

(٣) مغازي الواقدي ٦٨٤: ٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٣٥٨ ٣٥٧: ٣. هذا، وقد مرّ عن الواقدي عن أبي هريرة قال: قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دَوْس (عشيرة من أزد اليمن) فقالوا: رسول الله في خيبر.. فتحمّلنا إلى خيبر فوجدناه محاصراً أهل الكتيبة، فأقمنا معه حتى فتح الله عليه ٦٣٦: ٢ وقال كاتبه ابن سعد في الطبقات ٧٨: ١: وقدم الدَّوسيّون وفيهم أبو هريرة، وقدم الأشعريون (وهم منهم) فلحقوه بخيبر، فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا. وفي فتح الباري للعسقلاني ١٨٢: ٦ و ٣٩١: ٧ عن أبي موسى الأشعري أنه بلغهم ظهور النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهجرة المسلمين إلى الحبشة، فركبوا إليهم وهم نحو خمسين رجلاً فأقاموا مع جعفر بن أبي طالب حتى قدموا معه خيبر، فأسهم لهم أيضاً.

(٥) مغازي الواقدي ٦٩٠: ٢ وفي ابن هشام ٣٥٢: ٣: قالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، وسألوا رسول الله أن يعاملهم على النصف. فصالحهم رسول الله على النصف على أنّه إذا شاء أن يخرجهم منها أخرجهم. وفي ٣٧١: ٣ عن الزهري: أنّ النبيّ دعا اليهود بعد الفتح فقال: إن شئت دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأُقرّكم ما أقرّكم=

فروى الكليني في «الكافي» بسنده عن الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله أعطاهم أرض خيبر ونخلها بالنصف[١] وأضاف عن الرضا عليه السلام قال: قبّل رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيبر وعليهم في حصصهم العُشر ونصف العُشر[٢].

ونهى عن الربا المعاملي:

قالوا: كان فَضالة بن عُبيد يقول: أصبت يوم خيبر قِلادة وكان في القِلادة ذهب وغيره، فبعتها بثمانية دنانير، وذكرتُ ذلك لرسول الله فقال: بع الذهب وزناً بوزن. وأشتُري يوم خيبر تبر بذهب جُزافاً فنهى عنه رسول الله[٣].

واشترى السَّعدان تبراً (غير مصوغ) بذهب (مصوغ) أحدهما أكثر وزناً. فقال رسول الله: أربيتما فرُدّا[٤].

وروى ابن إسحاق بسنده عن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله: ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين، وتبر الفضة بالذهب العين. ونهانا عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين[٥].

=الله؟ فقبلوا، فكانوا يعملون على ذلك.. حتى توفي رسول الله فأقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة حتى توفي وأقرّها عمراً أولاً ثم أجلاهم وقسّم أراضيها على ثمانية عشر سهماً على رؤوس السهام التي عيّنها رسول الله، ابن هشام ٣٧٢: ٣، مغازي الواقدي ٧١٨: ٢. فهو من حوادث عهد عمر.

(١) فروع الكافي ٢٦٦: ٥، الباب ١٢٨، الحديث ١ وأعطاهم بمعنى تركها في أيديهم كما فيه عن الصادق عليه السلام ٢٦٧: ٥، الباب ١٢٨، الحديث ٢ والفقيه ١٥١: ٣، الباب ٧٢، الحديث ١ والاستبصار ١١٠: ٣، الباب ٧٤، الحديث ١ والتهذيب ١٤٨: ٧ الباب ١١، الحديث ٦.

(٢) فروع الكافي ٥١٤: ٣، الباب ٧، الحديث ٢.

(٣) وفي المطبوع: «فلهي عنه» خطأ.

(٤) مغازي الواقدي ٦٨٢: ٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٣٤٦: ٣، وعليه فالنهي عن المفاضلة في المماثل، ولا مانع عن غير المماثل. والنهي في الأسبق عن الجزاف والغرر، ولعله كذلك في القِلادة وفيها ذهب غير معلوم المقدار بالدنانير الذهب، أما لو كان وزن الذهب في القِلادة أقل من الدنانير لمكان الصياغة ولوجود غير الذهب مع الذهب، فلا مانع مع الضميمة إلى الأقل أما لو كان وزناً بوزن أي متساويين في=

وصول جعفر إلى خيبر:

روى الطَبْرسي عن أبان الأحمر البجلي الكوفي عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله قبل أن يسير إلى خيبر أرسل عمرو بن أُميّة الضَمْري إلى النجاشي عظيم الحبشة.. وأمر عمرواً أن يقدم عليه بجعفر وأصحابه. فجهّز النجاشيّ جعفراً وأصحابه بجهاز حسن، وأمر لهم بكسوة، وحملهم في سفينتين.

فلمّا فتح رسول الله خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة.. فقال: ما أدري بأيّهما أُسَرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر!

بل روى الطوسي في «التهذيب» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم افتتح خيبراً أتاه الخبر أنّ جعفراً قد قدم فقال: والله ما أدري بأيهما أنا أشدّ سروراً، أبقدوم جعفر أو بفتح خيبر. فلم يلبث أن جاء جعفر فوثب رسول الله فالتزمه وقبّل ما بين عينيه.

(و) قال له: يا جعفر؛ إلا أُعطيك؟ إلا أمنحك؟ إلا أحبوك [حَبْوة] فتشوّق الناس ورأوا أنه يعطيه ذهباً أو فضة. [وقال جعفر]: بلى يا رسول الله[1] فعلّمه الصلاة المنسوبة إليه: صلاة جعفر الطيّار[2].

وروى الطوسي في أماليه بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة بأرض خيبر إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) أتاه بهداياه من الغالية والقطيفة.

فقال (صلى الله عليه وآله): لأدفعنّ هذه القطيفة إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله. فمدّ أصحاب النبي أعناقهم إليها، وقال النبيّ: أين عليّ؟ فوثب عمّار بن

=الذهب وزناً، فهذا من الربا الحرام في مذهب أهل البيت عليهم السلام إذ أن ذهب القلادة يفضل ذهب الدنانير بالضميمة والصياغة فضلاً عما إذا كان ذهب القلادة أكثر. وعليه فالحديث يصح في بعض صوره ولا يصح على إطلاقه في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

(١) التهذيب ١٨٦: ٣، الباب ٢٠، الحديث ١.

(٢) تجد تفصيل الصلاة عن الباقر عليه السلام في الكافي ٤٦٥: ٣، والفقيه ٣٤٧: ١ طبع النجف الأشرف، والتهذيب ١٨٦: ٣.

ياسر فدعا عليّاً عليه السلام، فلمّا جاء قال له النبيّ: يا عليّ، خذ هذه القطيفة إليك، فأخذها علي[١].

وأمّا أمر فدك[٢]:

فقال الواقدي: قالوا: لمّا دنا رسول الله من خيبر بعث مُحيّصة بن مسعود إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوّفهم أن يحلّ بساحتهم.

وروى الطَّبْرسي في «إعلام الورى» عن أبان عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال:

لمّا فرغ رسول الله من خيبر عقد لواءً يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك، فقال: مَن يقوم فيأخذه بحقه؟ فقام إليه الزبير فقال: أنا. فقال له: أمِط عنه! ثم قام سعد [بن أبي وقاص] فقال له: أمِط عنه! ثم قال: يا علي قم إليه فخذه فأخذه، فبعث به إلى فدك[٣].

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٦ وتمام الخبر: وأمهل حتى قدم المدينة فانطلق إلى البقيع وهو سوق المدينة فأمر صائغاً ففصل القطيفة وفيها أسلاك الذهب فأخرجها سلكاً سلكاً فكان ألف مثقال من الذهب، ففرّقه علي عليه السلام في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رجع إلى منزله ولم يترك من الذهب قليلاً أو كثيراً.
فلقيه النبيّ في غد في نفر من أصحابه فقال: يا علي، إنّك أخذت بالأمس ألف مثقال فاجعل غدائي وأصحابي هؤلاء اليوم عندك. فقال: نعم يا رسول الله ادخل أنت ومَن معك في الرحب والسعة يا نبيّ الله. قال حذيفة: وكنا خمسة نفر: أنا وعمّار وسلمان وأبو ذر والمقداد، فدخل النبيّ ثم قال لنا: ادخلوا، فدخلنا، ودخل علي على فاطمة فوجد عندها في وسط البيت جفنة من ثريد تفور وكأن رائحتها المسك وعليها عراق (لحم) كثير، فحملها علي حتى وضعها بين يدي رسول الله ومَن حضر معه، فأكلنا حتى تملأنا. وقام النبيّ فدخل على فاطمة فقال لها: يا فاطمة أنّى لك هذا الطعام؟ ونحن نسمع قولهما فقالت: «هو من عند الله إنّ الله يرزق مَن يشاء بغير حساب» فخرج النبيّ إلينا مستعبراً وهو يقول: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى رأيت لابنتي ما رأى زكريا لمريم كان إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً كما في بحار الأنوار ٢٠: ٢.

(٢) بينها وبين المدينة يومان، كما في معجم البلدان ٣٤٢: ٦. وتبعد عن المدينة نحو ١٤٠ كم، وانظر مراصد الاطلاع ١٠٢٠: ٣.

(٣) إعلام الورى ٢٠٩: ١. =

الشاة المشويّة:

روى الواقدي عن إبراهيم بن جعفر قال: كان سيد خيبر وأشجعهم أبو الحكم سلام بن مِشكم.

وهو زوج زينب بنت الحارث، الذي قُتِل مبارزةً هو وإخوانه مرحب ويَسار وياسر والزَّبير[1] ولم تُنسَبَ زينب هذه.

فلمّا فتح رسول الله خيبر واطمأنّ، شاورت زينب اليهود في السُّموم، فأجمعوا لها على سمّ قاتل بعينه.. فسألت أي عضو من الشاة أحبّ إلى محمد صلى الله عليه [وآله] فقالوا: الذراع والكتف، فعمدت إلى عَنْز لها فذبحتها ثم عمدت إلى ذلك السمّ القاتل فسمّت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتفين.

فلمّا غابت الشمس صلى رسول الله المغرب وانصرف إلى منزله، فوجد زينب عند رحله فقالت له: يا رسول الله هدية أهديتها لك. فأمر رسول الله أن تُقبض الهدية منها، فقُبضت ووُضعت بين يديه، وجمعٌ من أصحابه حضور فقال لهم: أُدنوا فتعشّوا. ومنهم بِشر بن البَراء بن معرور الأنصاري، وتناول رسول الله الذراع، وتناول بشر بن البَراء عظماً، وأنهش رسول الله من الذراع وانتهش بشر،

= قال: فصالحهم على أن يحقن دماءهم. فكانت حوائط فدك لرسول الله خاصّاً خالصاً.
ثم قال: فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه. فقال: يا جبرئيل ومَن قرابتي وما حقه؟ قال: هي فاطمة، فأعطها ما لله ولرسوله في حوائط فدك.
قال: فدعا رسول الله فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً وإعلام الورى ٢٠٩: ١ وأشار إلى المعنى القمي في تفسيره ١٨ : ٢ وروى العياشي في تفسيره ٢٨٧ : ٢ أربعة أخبار في ذلك ثلاثة منها عن الصادق عليه السلام عن أبان بن تغلب وجميل بن درّاج وعبد الرحمن، والخبر الرابع عن عطية العوفي مرسلاً. وروى الطبْرسي في مجمع البيان ٦٣٤ ٦٣٣ : ٦ خبر عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، عن شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني النيشابوري، وبأسانيد وطرق عديدة ٣٤١ ـ ٣٣٨ : ١ وعن الخدري القاضي المعتزلي في المغنى، وعنه المرتضى في الشافي وعنه المعتزلي في شرح النهج ٢٦٨ : ١٦..

(١) مغازي الواقدي ٦٨٠ ٦٧٩ : ٢.

وازدرد رسول الله وازدرد بشر ثم قال رسول الله: كُفّوا أيديكم، فإنّ هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة!

وكان ثلاثة نفر قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يسيغوا منه شيئاً.

أمّا بشر بن البَراء فيُقال: لم يقم من مكانه حتى مات. وقيل: لم يقم من مكانه حتى صار لونه كالطَّيلسان[١] ولم يمت، ولكنّه لا يتحوّل من مكانه إلا أن يُحوّل[٢].

واحتجم رسول الله من ذلك على كاهله، أو كتفه اليُسرى، بالقَرن والشفرة، حجمه أبو هند. وأمر أصحابه (الثلاثة) فاحتجموا من أكلهم من الشاة أوساط رؤوسهم.

ودعا رسول الله بزينب فقال لها: سَمّمْتِ الذراع؟ ـ فقالت: مَن أخبرك؟ قال: الذراع! ـ قالت: نعم! فقال: وما حمَلكِ على ذلك؟ قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي، ونِلتَ من قومي ما نلتَ، فقلتُ: إن كان نبيّاً فستخبره الشاة ما صنعتُ، وإن كان ملكاً استرحنا منه!

فقيل: عفا عنها رسول الله. وقيل: أمر بها فقُتلتْ ثم صُلبتْ![٣].

---

(١) الطّيلسان فارسيّ معرّب أصله تالشان، وهو من لباس العجم ثوب يحيط بالبدن ينسج للّبس خالٍ عن التفصيل والخياطة، أبيض ـ مجمع البحرين.

(٢) وماطله وجعه سنة ثم مات منه، أي قبل رسول الله بسنتين، في أواخر الثامنة للهجرة.

(٣) مغازي الواقدي ٦٧٨: ٢. وروى الخبر ابن إسحاق في ابن هشام ٣٥٢: ٣ اخصر من هذا، وقال: مات بشر، وتجاوز عنها رسول الله. وعنه الطبرسي في مجمع البيان ١٨٤ ـ ١٨١: ٩ وعنه في البحار ٦٧: ٢١. وروى الصدوق في الخصال ٢٧٩: ١ بسنده عن الإمام الكاظم عن أبيه عن آبائه عليهم السلام في ما أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام حبراً يهودياً من يهود الشام، وقال: انّه أخرجه بتمامه في آخر الجزء الرابع من كتاب النبوة، وأخرجه الطبرسي في الاحتجاج ٣٢٥ ـ ٣١٤: ١: أنّه عليه السلام قال له: لما نزل محمد صلى الله عليه وآله بخيبر سمّته الخيبريّة فصيّر الله السمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله. وروى الكليني في الكافي ٣١٥: ٦ عن الصادق عليه السلام قال: سمّت اليهودية النبيّ صلى الله عليه وآله في ذراع، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يحبّ الذراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال.

زواج النبيّ بصفيّة:

روى الواقدي عن أنس قال: انصرف من خيبر ومعه [أمّه] أم سُليم[١] بنت مِلحان، ورسول الله يُريد وادي القرى[٢].

وقد مرّ في الخبر عن الواقدي أيضاً بسنده عن صفية نفسها: أنّها لمّا سُبيت في النِّزار قبل الكتيبة، أرسلها إلى رَحله، ولما أمسى دعاها وقال لها: إن أقمتِ على دينِك لم أُكرهكِ، وإن اخترتِ الله ورسوله فهو خير لكِ؟ فقالت: أختار الله ورسوله، وأسلمت، فتزوّجها وأعتقها وجعل عتقها مَهرها. وأمر بستر فَسُتِرَتْ به، فعُرف أنه تزوّجها[٣].

قال أنس بن مالك: لمّا بلغ ثِباراً ـ على ستة أميال من خيبر إلى وادي القرى ـ أعلمها أنه يريد أن يُعرّس بها هناك، فأبت عليه، فلم يُكرهها، وتركها.

وسار حتى بلغ الصَّهْباء على اثني عشر ميلاً، فمال إلى دومة هناك. وأراد أن يُعرّس بها هناك، فطاوعَتْه.

قال ابن إسحاق: وبات أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري من بني النجّار، متوشّحاً سيفه يُطيف بالقُبة يحرس رسول الله حتى أصبح، فلما أصبح رسول الله ورأى مكانه قال له: مالك يا أبا أيوب؟ فقال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلْتَ أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بالكفر، فخفتها عليك! فزعموا أنّ رسول الله قال: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني[٤].

---

(١) اثبتنا الصواب، وفي المطبوع خطأً: أم سلمة بنت مِلحان.

(٢) مغازي الواقدي ٧٠٧: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٦٧٥ ٦٧٤: ٢.

(٤) وفي مغازي الواقدي: قالوا: وبات أبو أيوب الأنصاري قريباً من قبّته، آخذاً بقائم السيف حتى أصبح، فلما خرج رسول الله بكرة، كبّر أبو أيوب، فقال رسول الله: ما لكَ يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، دخلت بهذه الجارية وكنت قد قتلتَ أباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامّة عشيرتها، فخفتُ أن تغتالك! فضحك رسول الله وقال له معروفاً ٧٠٨: ٢. هذا، وأضاف الحلبي سعد بن أبي وقاص في حراسته تلك الليلة ١٦٣: ١.

خبر ردّ الشمس لعلي عليه‌السلام:

وفي منصرف النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من فتح خيبر، وفي منزل الصّهباء هذا، روت أسماء بنت عميس: أنّ النبيّ بعد صلاة العصر استلقى ورأسه في حجر علي عليه‌السلام ـ وهو لم يصلِ العصر ـ فاعترت النبيّ حالة الوحي، فلم يوقظه علي عليه‌السلام ولم يضع رأسه من حجره ليصلي العصر حتى غربت الشمس، واستيقظ النبيّ، وكان يعلم أنّ علياً عليه‌السلام لم يكن قد صلّى العصر، فقال له: أصلّيتَ يا علي؟ قال: لا.

فجعل النبيّ يدعو: اللهم إنّه (عليّ) كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس!

قالت أسماء: فرأيتها طلعت بعدما غربت حتى وقعت على الجبل والأرض حتى أدّى عليّ عليه‌السلام صلاته فغربت[١].

يهود وادي القرى وتيماء:

قال الواقدي: ومن منزل الصهباء سلك على برمة[٢] إلى وادي القرى يريد مَن بها من اليهود[٣].

وعبّأ رسول الله أصحابه للقتال وصفّهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عُبادة، وراية إلى الحُباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حُنيف، وراية إلى عبّاد بن بشر.

ثم دعاهم رسول الله إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا حقنوا دماءهم وأحرزوا أموالهم وحسابهم على الله.

فبرز رجل منهم، وبرز إليه الزبير بن العوّام فقتله، وبرز إليه آخر فقتله أيضاً.

---

(١) انظر تسعة من المحدثين الذين أفردوا لهذا الحديث رسائل خاصة، في مقدمة الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني المحقق لكتاب فتح الملك العلي: ١٩ ـ ١٦ الحيدرية النجف الأشرف. إلى ها يُنقل المحصور الأخير في ص ٤٣.

(٢) بِرمة: بين خيبر ووادي القرى قرب بلاكث، من نواحي المدينة به عيون ونخل. كما في وفاء الوفاء ٢٦٠: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٧٠٩: ٢.

ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله، ثم برز إليه آخر فقتله.

ثم برز آخر فبرز له علي عليه السلام فقتله. حتى قُتل منهم أحد عشر رجلاً.

وحضرت الصلاة فصلى رسول الله بأصحابه ثم عاد فدعاهم إلى الله ورسوله، ثم قاتلهم حتى أمسى.

وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، فكان الفتح عَنوة، فغنّمه الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، أقام رسول الله بوادي القرى أربعة أيام، فقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى.

وعامل اليهود على الأرض والنخل بأيديهم[١] كما عامل يهود خيبر[٢].

فلما بلغ ذلك يهود تيماء[٣]، بعثوا فصالحوا رسول الله على الجزية عما في أيديهم من أموالهم[٤].

فوات الصلاة؟!:

وبعد أن فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أمر خيبر ووادي القرى انصرف راجعاً إلى المدينة.. وسرى ليلته حتى إذا كان قُبيل الصبح بقليل نزل[٥].

فروى الشهيد في «الذكرى» في الصحيح عن الباقر عليه السلام: أنّ رسول الله قال: من يكلأُنا[٦]؟ فقال بلال: أنا، فناموا، ونام بلال، حتى طلعت الشمس.

---

(١) مغازي الواقدي ٧١١ ٧١٠: ٢.

(٢) الكامل في التاريخ ١٥٠: ٢.

(٣) تيماء: على ثمان مراحل من المدينة إلى جهة الشام.

(٤) مغازي الواقدي ٧١١: ٢.

(٥) مغازي الواقدي ٧١١: ٢.

(٦) أي يحرسنا؟ وفي أمثل نقل مشابه لهذا عن شرح السنة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله حين قفل من خيبر، أسرى حتى إذا كان من آخر الليل عرس وقال لبلال: أكلأ لنا الصبح.. كما عنه في بحار الأنوار ١٢٠: ١٧ و ٤٢: ٢١ مثله عن الكازروني عن أبي هريرة. ورواه ابن إسحاق في السيرة عن الزهريّ عن ابن المسيّب: من يحفظ لنا الفجر ٣٥٥: ٣ وكأنه نقله بالمعنى. ونقله الواقدي: إلا رجل صالح حافظ لعينه يحفظ لنا صلاة الصبح؟ ٧١١: ٢.

فقال (صلى الله عليه وآله): يا بلالُ، ما أرقدك؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بأنفاسكم!

فقال رسول الله: قوموا فتحوّلوا عن مكانكم الذي أصابتكم فيه الغفلة.

(ثم) قال: يا بلال، أذّن. فأذّن، فصلى رسول الله ركعتي الفجر، وأمر أصحابه فصلّوا ركعتي الفجر. ثم قام فصلى بهم الصبح.

ثم قال: من نسي شيئاً من الصلاة فليصلّها إذا ذكرها؛ فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول: «وأقم الصلاة لذكري»[1].

وروى الطوسي بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله رقد فغلبته عيناه فلم يستيقظ حتى آذاه حرّ الشمس فاستيقظ.. وقال: يا بلال، ما لكَ؟! فقال بلال: أرقدني الذي أرقدك يا رسول الله[2].

وروى الكليني بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال: نام رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن صلاة الصبح، والله ـ عزّ وجلّ ـ أنامه حتى طلعت الشمس عليه[3].

---

(١) سورة طه: ١٤. ثم قال الشهيد رحمه الله: ولم أقف على رادّ لهذا الخبر من حيث توهّم القدح في العصمة. وقد روى العامة عن أبي قتادة وجماعة من الصحابة: أنّ النبيّ أمر بلالا فأذّن فصلى ركعتي الفجر ثم أمره فأقام فصلى صلاة الفجر.
وقال شيخنا البهائي قدس سره بعد نقل هذا الخبر وخبر ابن سنان: وربما يظنّ تطرّق الضعف إليهما لتضمّنهما لما يوهم القدح في العصمة، ونقل قول الشهيد في الذكرى ثم قال: وهو يعطي تجويز الأصحاب صدور ذلك وأمثاله عن المعصوم، وللنظر فيه مجال واسع. بحار الأنوار ١٠٨ ـ ١٠٧ : ١٧ ويبدو أن مقصوده من خبر ابن سنان ما رواه الصفّار في بصائر الدرجات: ١٣٤ بسنده عن محمد بن سنان عن المفضل عن الصادق عليه السلام قال: يا مفضل، إن الله تبارك وتعالى جعل للنبيّ خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد. وروح الشهوة فبه أكل وشرب وآتى النساء من الحلال. وروح الإيمان فبه أمر وعدل. وروح القدس فبه حمل النبوة.. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأرواح الأربعة تنام وتلهو وتغفل وتسهو. كما في بحار الأنوار ١٠٦ : ١٧.

(٢) الاستبصار ٢٨٦ : ١، الباب ١٥٦، الحديث ١ والتهذيب ٢٦٥ : ٢، الباب ١٣، الحديث ٩٥.

(٣) الكافي، الفروع ٢٩٤ : ٣، الباب، ١٢، الحديث ٩ وتمامه: وكان ذلك رحمة من ربك للناس، إلا ترى لو أن رجلاً نام حتى تطلع الشمس لعيّره الناس وقالوا: لا تفزع لصلاتك! فصارت=

وروى الصدوق بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال: أنام الله رسوله (صلى الله عليه وآله) عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثم قام، فبدأ فصلّى الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلى الفجر[١].

وانتهى إلى المدينة:

ولما نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جبل أُحد من بُعد قال: أُحد جبل يحبّنا ونحبّه، اللهم إنّي أحرّم ما بين لابتي المدينة.

وانتهى (بعد صلاة العشاء) إلى الجُرْف قرب المدينة فقال لِمَن معه: لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء.

فروى الواقدي بسنده عن أُم عُمارة: أنّ رجلاً من أهل الحيّ عصى رسول الله وذهب فطرق أهله فوجد ما يكره.. وكان يحبّ زوجته، و له منها أولاد، فضنّ بها أن يفارقها[٢].

ومن أخبار الصُفّة:

لم نعثر على أخبار الصُفّة في المسجد النبويّ الشريف بالمدينة قبل هذا، وهنا

=أسوة وسنة، فإن قال رجل لرجل: نمت عن الصلاة، قال: قد نام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصارت أسوة ورحمة رحم الله بها هذه الأُمّة.

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ٣٥٩ ٣٥٨: ١، الحديث ١٠٣١ وتمامه: وإنّما فعل ذلك به رحمة لهذه الأُمّة لئلا يُعيَّر الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته.. فيُقال: قد أصاب ذلك رسول الله، وللشيخ الصدوق تعليق بتحقيق مُفاد هذا الخبر وتصحيحه، فراجعه.
ونذكّر بأن فوات صلاة العصر من علي عليه السلام لرقدة النبي (صلى الله عليه وآله) في حجره، واستجابة دعاء النبي بردّ الشمس لأداء صلاة علي عليه السلام، كانت في منزل الصهباء قبل هذا، فلعلّ الله أراد بهذا الحادث هنا أن يقول للملأ: إنّ تلك التي حصلت لعلي عليه السلام إنّما هي قضية في واقعة، ويمكن أن تفوت الصلاة بغير معصية من الوصي بل وحتى من النبي، ولا يتوقع أحد ردّ الشمس لأداء صلاته بل يقضيها.

(٢) مغازي الواقدي ١١٣: ٢. ضنّ: شحّ وبخل، وعزّ وثقل عليه ذلك.

أول ما نعثر على ذلك. وهي: موقع مظلّ في مؤخرة المسجد شمالاً، كما محلّها اليوم عند باب جبرئيل.

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنّ جويبر كان رجلاً من أهل اليمامة قصيراً دميماً محتاجاً عارياً من قباح السودان! أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) منتجعاً للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، فكساه رسول الله شِطّتين وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل لحال غربته وعراه، وكان يجري عليه طعاماً صاعاً من تمر.

ثم كثر من دخل في الإسلام من أهل الحاجة من الغرباء بالمدينة حتى ضاق بهم المسجد، فأوحى الله إلى نبيّه: أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل[1] فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يتخذ للمسلمين سقيفة ـ هي الصُفّة ـ فعُملت لهم، فأمر الغرباء والمساكين أن يظلوا فيها ليلهم ونهارهم، فاجتمعوا فيها. وكان رسول الله يتعاهدهم بالبُرّ والشعير والتمر والزبيب إذا كان عنده، ويتعاهدهم المسلمون ويرقّون لهم لرقّة رسول الله لهم ويصرفون صدقاتهم إليهم[2].

ومناسبة ذكرها هنا نزول أبي هريرة وقومه من دَوْس من أزد اليمن وهم ثمانون رجلاً ومعهم الأشعريون الخمسون الذين أسهم لهم النبيّ في غنائم خيبر.

ولا نجد كهذا وصفاً لأصحاب الصُفّة إلا ما عن واثلة بن الأصقع قال: كنتُ من أصحاب الصُفّة وما منّا إنسان يجد ثوباً تامّاً، قد جعل الغبار والعرق في جلودنا طرقاً![3].

---

(١) وهنا في الخبر: ومُر بسدّ الأبواب... بينما في العديد من أخبار سدّ الأبواب حضور العباس واعتراضه، وهو إنما حضر لحرب تبوك في التاسعة لا قبلها، فأجّلناه إلى هناك.

(٢) فروع الكافي ٥: ٣٣٩، الباب ٢١ الحديث ١ وفيه تمام خبر عرس جويبر.

(٣) أنساب الأشراف ١٧٢: ١. وانظر التفاصيل في أبي هريرة شيخ المضيرة لأبي ريّة: ٣٧ فما بعد ط ٣.

في دار النبيّ بعد خيبر:

بعد رجوع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من خيبر، ومعه جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، دخلت أسماء على حفصة بنت عمر بن الخطّاب تزورها، فدخل على حفصة أبوها عمر يزورها، وعندها أسماء، فقال لابنته: مَن هذه؟ قالت: هي أسماء بنت عميس. فقال: هذه الحبشية؟! هذه البحرية؟! ثم قال لها: لقد سبقناكم بالهجرة فنحن أحقّ برسول الله منكم!

فقالت أسماء: كلّا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم! وكنّا في أرض البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وأيم الله لا أطعَم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَه لي لرسول الله وأسأله عنه! وإنّي لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

ثم أتت النبيّ وقالت له: يا رسول الله، إنّ عمر بن الخطّاب قال لي كذا وكذا.

فقال لها: فما قلتِ له: فأخبرتْه بمقالتها. فقال لها: إنّه ليس بأحقّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرة، ولكم أهل السفينة هجرتان[١].

تاريخ خيبر:

قال ابن إسحاق: رجع رسول الله من الحُديبية في ذي الحجة فأقام بالمدينة (بقيّة) ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم[٢] وبه قال الطبري[٣] والمسعودي[٤].

---

(١) فقه السيرة عن البخاري ومسلم.
(٢) سيرة ابن هشام ٣٤٢: ٣.
(٣) الطبري ٦٥٧: ٢ و ٩: ٣ عن ابن إسحاق نفسه.
(٤) التنبيه والإشراف: ٢٢٢.

وكتب إلى كسرى:

وكسرى مُعرّب كلمة «خسرو» بالفارسية بمعنى العظيم.

روى الطبري عن ابن إسحاق ـ وليس في السيرة ـ عن يزيد بن حبيب قال:

بعث رسول الله عبد الله بن حُذافة السهمي إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كِسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. وأدعوك بدعاء الله، فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافّة، لأنذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين! فأسلم تَسلَم، فإن أبيت فإنّ إثم المجوس عليك!

فلمّا قدم عبد الله بن حُذافة بكتاب رسول الله على كسرى، وقرأه، شقّه[1] وقال: يكتب إليّ هذا وهو عبدي!

ثم كتب كسرى إلى باذان ـ على اليمن ـ أن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلْدين فيأتياني به.

فبعث باذان قهرمانه بابويه، وكان حاسباً وكاتباً بكتاب فارس، ورجلاً آخر يدعى خور خسرو، وكتب معهما إلى رسول الله يأمره أن يذهب معهما إلى كسرى.

فخرجا حتى قدما الطائف، فعرف خبرهما رجال من قريش كانوا بالطائف ففرحوا واستبشروا وقال بعضهم لبعض: أبشروا! كُفيتم الرجل؛ فقد نصِب له كِسرى ملك الملوك!

---

(١) وقال اليعقوبي: قيل: لما وصل إليه الكتاب ـ وكان قدرَ ذراع أدَمٍ ـ قدّه شُتوراً، أي طولاً ـ اليعقوبي ٧٧: ٢.

فخرجا حتى قدما المدينة ودخلا على رسول الله، وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فظهر الكُره على رسول الله، وتكلم بابويه فقال: إنّ الشاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك. وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلتَ كتب (باذان) إلى ملك الملوك يكفّه عنك وينفعك! وإن أبيت، فهو مهلكك ومُهلك قومِك ومخرّب بلادك!

وأقبل رسول الله عليهما فقال: ويلكما! من أمركما بهذا؟ (يعني حلق لحاهما).

فقالا: ربّنا ـ يعنيان كسرى[1] ـ أمرنا بهذا.

فقال رسول الله: لكنّ ربّي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي.

ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً.

وأتى رسولَ الله الخبر من السماء: أنّ الله قد سلّط على كِسرى ابنه شيرويه فقتله بعدما مضى كذا من ليلة كذا في شهر كذا.

فدعاهما فأخبرهما. فقالا: إنّا كنا قد نقِمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فهل تدري ما تقول؟! أفنكتب عنك هذا ونخبر به الملك؟!

فقال: نعم، أخبراه بذلك عنّي وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كِسرى، وينتهي إلى منتهى الخُفّ والحافر!

وقولا له: انّك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملّكتك على قومك من الأبناء[2].

---

(١) أو باذان، أو بادان، حسب الأصل الفارسي، أو بادام، كما في المسعودي. وذلك لأنّ كسرى نفسه كان ملتحياً كما في صوره على مسكوكاته النقدية. وانظر المصادر في هامش الصفحة ١٠٠ من العدد ٤ من السنة الأولى لمجلة: وقف ميراث جاويدان بالفارسية.

(٢) الأبناء: أبناء الجيش الساساني المُرسل مع سيف بن ذي يزن لإنقاذ اليمن من الأحباش، المولّدون في اليمن والمستعربون فيه.

ثم أخذ منطقة فيها قِطع من ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك[١] فأعطاها إلى خور خسرو، وخرجا من عنده..

فلما قدما على باذان أخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك، و إ نّي لأرى الرجل نبيّاً كما يقول، فلننتظرنّ ما قال، فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام فإنه لنبيٌّ مرسل، وإن لم يكن، فسنرى فيه رأينا.

وقال بابويه لباذان: وما كلّمت رجلاً قطّ أهيب عندي منه!

فقال له باذان: هل كانت معه شرطة؟ قال: لا.

فلم يقم باذان من مقامه حتى قدم عليه كتاب شيرويه.

أمّا بعد، فإنّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم، وتجميرهم[٢] في ثغورهم.

فإذا جاءك كتأبي هذا فخذ لي الطاعة مِمّن قِبَلك.

وانظر الرجل الذي كان كِسرى كتب فيه إليك، فلا تُهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلمّا قرأ الكتاب قال: إنّ هذا الرجل لرسولٌ! فأسلم.

وأسلم من كان معه باليمن من أبناء فارس.

ولمّا رجع عبد الله بن حُذافة وأخبر رسول الله أنّ كِسرى قد شق الكتاب، قال: مُزّق ملكه!

قال الواقدي: وكان قتلُ شيرويه أباه كسرى لستّ ساعات(؟!) مضين من ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين (أو بقين) من جُمادى الأولى من سنة سبع[٣].

---

(١) لعلّها من هدايا المقوقس المصري أو النجاشي الحبشي.

(٢) التجمير: الحبس في الثغور.

(٣) الطبري ٦٥٧ ـ ٦٥٤ : ٢ وانظر سائر المصادر في كتاب: مكاتيب الرسول ٩٧ ـ ٩٠ : ١. ونقل مختصر الخبر الحلبي في المناقب ٨٠ ٧٩ : ١ عن مجالس المامطيري وأعلام النبوة للماوردي.=

دعاة الإسلام في الشام:

روى الطبري عن الواقدي: أنّ رسول الله بعث الرسل، فبعث: شجاع بن وهب الأسدي القرشي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني[١] وكتب معه إليه: سلام على من اتّبع الهدى وآمن به. إنّي أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك!

فلما قدم شجاع بن وهب وقرأه عليهم قال: من ينزع منّي ملكي![٢].

وكان الفرس قد استلبوا من هِرقل (في ما سبق) صليبه الأعظم (من بيت المقدس) وحين غلب هرقل على من كان بأرضه من فارس انتزع منهم صليبه الأعظم وأخرجهم منها.

وكان منزله في حِمص، فلما بلغه أنّ صليبه قد أُستنقذ له، خرج منها يمشي على قدميه ليصلّي في بيت المقدس متشكراً للّه[٣] ومعه بطارقته وأشراف الروم، تُبسط له البُسط وتُلقي عليها الرياحين! حتى انتهى إلى مدينة إيلياء (القدس) فقضى صلاته فيها.

وكانت الملوك تتهادى في ما بينها الأخبار، فبينما هم كذلك، إذ أتاه رسول

=والمجلسي في بحار الأنوار ٣٩١ ـ ٣٨٩ : ٢٠ عن المنتقى للكازروني عن ابن إسحاق كما في الطبري. وانظر بالفارسية بحثاً ضافياً فيه في مجلة: وقف ميراث جاويدان ١٠١ ـ ٩١ : ٤.
وفي خلال الحرب العالمية الأولى عُرض جلد مدبوغ قديم ٣١ × ٢١ سم وفيه شق بطوله وفيه خمسة عشر سطراً بتوقيع: محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، اشتراه هانري فرعون وزير خارجية لبنان الأسبق بمبلغ ١٥٠ ليرة ذهبية (عثمانية) وهو لا زال في خزانته النفيسة في بيروت.
وقد أرّخوا لقتل رويز بالميلادي ٦٢٨ وهو يوافق أواخر السنة السادسة وأوائل السابعة للهجرة.

(١) الطبري ٦٤٤ : ٢ ونقل عن ابن إسحاق: أنّه بعثه إلى المنذر بن الحارث صاحب دمشق ٦٥٢ : ٢.

(٢) الطبري ٦٥٢ : ٢ فروى عن النبيّ أنه قال: باد ملكه! وقد ذكرنا خبره قبل حرب خيبر، وإنّما أعدنا مختصر خبره هنا للارتباط.

(٣) ونقله ابن سعد في الطبقات ٢٥٩ : ١ وفي سيرة دَحلان بهامش الحلبية ٦٤ : ٣ والحلبية ٢٧٦ : ٣.

صاحب بُصرى برجل من العرب يقوده، حتى قال لهِرقل: أيها الملك؛ إنّ هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل، يحدّث عن أمرٍ عجب حدث ببلاده، فسلْه عنه.

فقال هِرقل لترجمانه: سله: ما هذا الحدث الذي كان ببلاده؟ فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبيّ، قد صدّقه ووافقه ناس وخالفه ناس، وكانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، وقد تركتهم على ذلك.

ثم قدم عليه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله إليه، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هِرقل عظيم الروم. السلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، أسلم تَسلَم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وإن تتولَّ فإنّ إثم الأكّارين عليك[1].

ثم روى الطبري عن ابن إسحاق عن شيخ كبير من أهل الشام (يبدو أنّه كان نصرانياً وقد أسلم) كان يقول: لما بلغ هِرقل أمر رسول الله، جمع الروم فقال لهم:

يا معشر الروم، إنّي عارض عليكم أُموراً فانظروا فيمَ قد أردتها! قالوا: وما هي؟

قال: تعلمون ـ والله ـ أنّ هذا الرجل (الظاهر في الحجاز) لَنبيّ مرسل، نعرفه بصفته التي وُصفت لنا في كتابنا، فهلمّ فلنتّبعه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا!

فقالوا: نحن نكون تحت يدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثرهم رجالاً وأفضلهم بلداً؟!

فقال: فأُعطيه الجزية فأستريح من حربه وأكسر شوكته بمال أُعطيه.

---

(١) الطبري ٦٤٩ ـ ٦٤٦: ٢ بتصرف يسير، وفي آخر الخبر: الاكّارين يعني عمّاله، أي من هم محسوبون عليه. وليس الخبر في سيرة ابن هشام. وانظر المصادر في مكاتيب الرسول ١١٢ ـ ١٠٥: ١.

فقالوا: نحن نعطي العرب خرجاً يأخذونه منّا بالذلّ والصّغار؟! ونحن أكثر الناس عدداً وأعظمهم ملكاً وأمنعهم بلداً!

قال الشامي: وكانت الشام عندهم ما وراء الدّرب، وما دون الدرب أيضاً أرض سورية وهي حمص ودمشق والأردن وفلسطين. فقال هِرقل لهم:

فلأصالحه على أن أترك له أرض سورية، ويدعنا وأرض الشام!

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله دحية بن خليفة الكلبيّ إلى صاحب الروم قيصر، ومعه تجارة له.. ولما قدم دحية من عند قيصر ومعه تجارته[١]، حتى إذا كان بوادي شنار أغار عليه الهُنيد الضُليعي الجُذامي من غَطَفان[٢] ومعه ابنه، فأصابا كل شيء كان معه[٣].

فروى الواقدي: أنّه انتهى إلى باب رسول الله قبل أن يدخل بيته، فدقّ الباب، فقال رسول الله: مَن هذا؟ فقال: دحية الكلبي. قال: ادخل. فدخل، فاستخبره رسول الله عما كان من هِرقل، فأخبره حتى أتى على آخر ذلك.

ثم قال: يا رسول الله، أقبلت من عنده حتى كنت في حِسمى فأغار عليّ قوم من جُذام فما تركوا معي شيئاً.. وذكر خبره للنبيّ، ثم طلب إليه قتل الهُنيد وابنه. فأمر النبيّ بالمسير إليهم، فخرج لذلك زيد بن حارثة... في جمادى الآخرة سنة (سبع)[٤]».

بعثه رسول الله مع دحية الكلبي في خمسمئة رجل يسيرون الليل ويكمنون النهار، ومعه دليل من بني عُذرة.. فأقبل به دليله العذري من قبل الأولاج[٥] من ناحية حرَّة الرّجْلاء.

---

(١) وروى الواقدي: أنّ قيصر قد أجاز دحية بكسوة ومال ٥٥٥: ٢.
(٢) نذكّر هنا بخبرهم يوم خيبر أنهم كانوا قد أجابوا دعوة اليهود لنصرتهم على المسلمين.
(٣) سيرة ابن هشام ٢٦٠: ٤.
(٤) مغازي الواقدي ٥٥٦: ٢ و ٥٥٧ و ٥٥٥ وفيه: سنة ست، بينما اعزام دحية إلى قيصر الروم في الشام لم يكن في سنة ست بل سبع.
(٥) مغازي الواقدي ٥٥٧: ٢.

وقد كانت غطَفان من جُذام ووائل ومن كان معهم من سلامان وسعد بن هُذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله، قد توجّهوا إليه حتى نزلوا حَرّة الرّجلاء. وكان رفاعة بن زيد مع ناس من بني الضُبيب في كُراع رَبّة[١] فأغار الدليل بزيد وجيشه على هؤلاء بالماقص من قِبل الحرَّة[٢] مع الصباح، على ماشيتهم ونَعَمهم، وقتلوا الهُنيد وابنه، وأكثروا فيهم القتل، وفرّ الرجال، فسبوا من النساء والصبيان مئة، وأخذوا من النَعَم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة[٣] فصار لكل رجل سبعة أبعرة وسبعون شاة، ووطأوا النساء بعد الاستبراء[٤].

قال ابن إسحاق: وكان بنو الضُّبيب بوادي مَدان من ناحية الحَرّة ممّا يسيل مشرّقاً.. وصل الجيش إلى فيفاء مَدانٍ، وسمع بذلك بنو الضّبيب، فركب نفر منهم.. وانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش وكان منهم حسّان بن مَلّة الضُّبيبي قد صحب دحية بن خليفة الكلبي قبل ذلك فعلّمه أم الكتاب.. فلما برزوا على الجيش أقبلوا يبتدرون إليهم، فقال لهم حسّان: إنا قوم مسلمون، فساقهم رجل إلى زيد بن حارثة، فقال له حسان: إنّا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقرؤوا أم الكتاب، فقرأها حسان. فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش: أنّ الله قد حرّم علينا ثُغرة القوم التي جاؤوا منها إلا من خرًّ (أي غدر) فنهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاؤوا منه. فرجعوا إلى أهلهم مساءً.

وفي عَتَمة الليل شربوا من ألبان إبلهم ثم ركبوا إلى رفاعة بن زيد على بئر بكُراع رَبّة في ظهر حَرّة ليلى، فوصلوا إليه صباحاً، فقال له حسّان بن مَلّة: إنّك

---

(١) أو رُؤيّة كما في الواقدي. والكُراع هو الجانب المستطيل من الحرَّة، كما في النهاية ١٥: ٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٦١: ٤.

(٣) مغازي الواقدي ٥٥٨: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٥٦٠: ٢ هذا، وقد مرّ أن عددهم خمسمئة رجل، فالقياس أن لا يصل لكل رجل إلا بعيرين وخمسة شياه لا أكثر، والأغرب أن في الخبر: ويصير له من السبي المرأة والمرأتان!! وقد ذكر أن مجموع النساء والصبيان مئة! فكيف التوفيق؟!

لجالس تحلُب المِعزى وقد غُررت جُذام بكتابك الذي جئتهم به، وها هي نساء جُذام أُسارى! وأخبروه خبرهم.

فقام رفاعة بن زيد إلى جمله يشد عليه رحله، ثم ساروا إلى المدينة في ثلاث ليال، وانتهوا إلى المسجد، فلما دخلوا على رسول الله ورآهم أشار إليهم أن يأتوه من وراء الناس، فلما وصلوا إليه دفع رفاعة بن زيد إلى رسول الله كتاباً، فدفعه النبيّ إلى شاب لديه وقال له: إقرأه يا غلام وأعلِن. فلما قرأ الكتاب استخبره، فأخبروه الخبر.

فقال رسول الله: كيف أصنع بالقتلى؟ فسكتوا، فكرّرها.

فقال أبو زيد بن عمرو: يا رسول الله أطلق لنا من حيا، ومن قتل فهو تحت قَدَمي هذه.

فقال رسول الله: صدق أبو زيد. ثم التفت إلى علي وقال له: اركب معهم يا علي؟

فقال له علي: إنّ زيداً لن يطيعني يا رسول الله!

فقال: فخذ سيفي هذا، وأعطاه سيفه.

فقال علي: ليس لي ـ يا رسول الله ـ راحلة أركبها[1].

فقال بعض القوم: هذا بعير. فركبوا وخرجوا.

وكان زيد بن حارثة قد بعث رافع بن مكيث بشيراً بين يديه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، على ناقة من الغنيمة، فأمره علي (عليه السلام) بالنزول عنها وردّها عليهم، فقال: يا علي ما شأني؟ فقال (عليه السلام): مالُهم عرفوه فأخذوه. وأردفه علي (عليه السلام) خلفه، ثم ساروا حتى التقوا بالجيش في فيفاء الفحلتين.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٦٤ ـ ١٦١: ٤.

فلقي علي عليه‌السلام زيد بن حارثة فقال له: إنّ رسول الله يأمرك أن تردّ على هؤلاء القوم ما كان بيدك من أسير أو سبي أو مال.

فقال زيد: علامة من رسول الله! فقال علي: هذا سيفه! فعرف زيد السيف، فنزل وصاح بالناس أن يجتمعوا، فاجتمعوا، فقال لهم: مَن كان بيده شيء من سبي أو مال فليردّه، فهذا رسولُ رسولِ الله[1].

فجعل بنو الضُّبيب يأخذون ما في أيدي أصحاب زيد بن حارثة، حتى أنّهم كانوا ينزعون لُبيد بعض النساء من تحت بعض رحال الجيش[2].

وعليه، فخبر كتابه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) مع دحية الكلبي إلى قيصر الروم بالشام تضمّن خبر كتابه الآخر مع رفاعة بن زيد الضُّبيبي الجُذامي من غطفان إلى قومه بني الضبيب وجُذام ووائل وسعد بن هُذيم من غطفان، وأثر هذا الكتاب في إسلامهم ثمّ في إطلاق سراحهم وأموالهم.

والخبر وإن لم ينته بالنصّ على إسلام هذه القبائل من غطفان ما عدا بني الضّبيب منهم، إلا أنّ ظاهر الحال يشير إلى ذلك. وهناك قبائل أُخرى من غطفان أسلمت في ما بعد.

كتابه إلى أكثم بن صيفي التميمي:

أكثم بن صيفي التميمي من حكماء العرب المعروفين. وقد روى خبره الصدوق في «إكمال الدين» في الباب السابع والخمسين في المعمّرين:

وإنّ امرءاً قد عاش تسعين حِجّةً إلى مئةٍ لم يسأم العيش، جاهلُ
خلَتْ مئتان غير ستّ وأربعٍ وذلك من عدّ الليالي قلائلُ

(١) مغازي الواقدي ٥٦٠ ٥٥٩: ٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٦٤: ٤ ومن طريف التحريف أو التصحيف أن العبارة في السيرة: ينزعون لُبيد المرأة من تحت الرحل. تصحّفت في مغازي الواقدي إلى: ليأخذون المرأة من تحت فخذ الرجل!

قال: ولم تكن العرب تقدم عليه أحداً في الحكمة. ولمّا سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) طلب ابنه حليساً أن يبعثه ليعرف خبره وكتب معه إليه:

«باسمك اللّهم، من العبد إلى العبد، أمّا بعد، فأَبلِغْنا ما بلغك، فقد أتانا عنك خبر ما ندري ما أصله، فإن كنتَ رأيت فأَرِنا، وإن كنتَ عُلّمت فعلّمنا، وأشركنا في كنزك، والسلام»[١].

وذكر ابن حجر[٢] وابن الأثير[٣] وابن عبد البر[٤] أنّه انتدب عنه رجلين فلما وصلا إلى رسول الله قالا له: نحن رسولا أكثم بن صيفي وهو يسألك: من أنت؟ وما أنت؟ وبمَ جئت؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٥].

وذكروا: أنّ رسول الله كتب إليه:

«من محمد رسول الله إلى أكثم بن صيفي، أحمد الله إليك. إنّ الله تعالى أمرني أن أقول: لا إله إلا الله، وأمر الناس بقولها، والخلق خلق الله، والأمر كله للّه، خلقهم وأماتهم، وهو ينشرهم وإليه المصير. أدّبتكم بآداب المرسَلين، ولَتُسألُنّ عن النبأ العظيم، ولَتَعلُمنّ نبأه بعد حين».

فلمّا رجعوا إليه بالكتاب قال لابنه: يا بني ماذا رأيتَ؟

قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن مَلائمها.

ثم نادى في قومه من يرحل معه، فتبعه منهم مئة رجل.. فساروا حتى كانوا

---

(١) إكمال الدين: ٥٣١ ٥٣٠ وكنز الفوائد ١٢٣ : ٢.
(٢) في الإصابة ١١٠ : ١.
(٣) في أُسد الغابة ١١٢ : ١.
(٤) في الاستيعاب: ١٢٨ في ترجمة الأحنف بن قيس التميمي.
(٥) النحل: ٩٠.

دون المدينة بأربع ليال.. وجهدهم العطش، وأيقن أكثم بالموت فقال لأصحابه: أقدموا على هذا الرجل وأعلموه بأنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّه رسول الله. وانظروا إن كان معه كتاب بإيضاح ما يقول فآمنوا به واتبعوه وآزروه. فقدموا المدينة وأسلموا[١].

سريّة ابن سعد إلى فدك:

وأرى أنّه (صلى الله عليه وآله) بلغه أنّ بعض الأعراب من بني مرّة، ولعلهم ممن حضر حرب الأحزاب، يرعون بوادي فدك ولا يراعون له أمراً..

قال الواقدي: فبعث ثلاثين رجلاً مع بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك[٢] فخرج إليهم، فلقي أنعامهم معها رُعاتها، فساقها منحدراً إلى المدينة.

وخرج صريخهم فأخبرهم، فأدركوهم ليلاً، فباتوا يرامونهم حتى الصباح، ثم حمل عليهم المرّيون فقاتل بشير بن سعد حتى جُرح وسقط وظنوا أنه قتل، وقُتل من قُتل وولّى من ولّى، ورجع المرّيون بأنعامهم. ورجع بشير، وقبله من أصحابه عُلبة بن زيد الحارثي وأخبر النبيّ.

وقدم غالب بن عبد الله من سرية، فعقد النبي له اللواء وهيّأ معه مئتي رجل وقال له: سِر حتى تنتهي إلى حيث أُصيب أصحاب بشير، فإن ظفّرك الله بهم فلا تُبق منهم! وخرج غالب بالسرية.

فلما دنا منهم بعث عليهم الطلائع، فأوفى عُلبة بن زيد على جماعة منهم ورجع إلى غالب فأخبره. فأقبل غالب يسير ليلاً حتى إذا كان منهم بمنظر العين، وقد احتلبوا إبلهم وسقوها وأناخوها عند الماء وهدأوا.

---

(١) جمهرة رسائل العرب عن سرح العيون: ١٤ وكذلك قال الكراجكي. وقال الصدوق: لا يشك الأكثر في أنّه لم يسلم. وقال ابن عبد البر: لم يصح إسلامه في حياة رسول الله. وانظر مكاتيب الرسول ١٥٨ ـ ١٥٥: ١.

(٢) وقال المسعودي: سرية بشير في شعبان إلى بني مرة بفدك ـ التنبيه والأشراف: ٢٢٧.

ثم قام غالب في أصحابه فألّف بين كل اثنين منهم وقال لهم: لا يفارق كل رجل زميله، وإياكم أن يرجع إليّ أحدكم فأقول: أين فلان صاحبك؟ فيقول: لا أدري! ثم قال لهم: إذا كبّرت فكبّروا. فكبّر وكبّروا وأخرجوا السيوف وأحاطوا بحاضرتهم، فخرج إليهم الرجال فقاتلوهم ساعة، فقتل منهم من قُتل، واستولوا على النساء والماشية، واقتسموها فكانت سهامهم لكل رجل عشرة أبعرة أو عِدلُها من الغنم، وكان يُحسب الجزور بعشرة من الغنم.

سريّتان إلى هوازن:

روى الواقدي بسنده عن سلَمَة بن إياس قال: أمّر رسول الله علينا أبا بكر وبعثه، فبيّتنا ناساً من هوازن في نجد، وكان شعارنا أَمِتْ أمت، فقتلت بيدي منهم سبعة رجال أهل أبيات. وذلك في شعبان سنة سبع.

سريّة بشير إلى غطَفان:

فدعا رسول الله بشيراً وعقد له لواءً، وبعث معه ثلاثمئة رجل، وأمرهم: أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار ـ وخرج معهم حُسيل بن نُويرة دليلاً ـ فساروا الليل وكمنوا النهار حتى نزلوا منزل سَلاح أسفل خيبر، وخرجوا منه ودنوا من القوم، فقدّموا الدليل طليعة يأتيهم بالخبر، فغاب عنهم ساعة ثم كرّ عليهم فأخبرهم عن سَرْح القوم ونعمهم، فأغاروا عليها فأصابوا نعماً كثيراً، وخرج الرُّعاة فحذّروا جمعهم فلحقوا بعَلياء بلادهم.

وخرج بشير بأصحابه حتى أتى محالّهم فلم يجد بها منهم أحداً، فرجع بالأنعام، حتى بلغوا إلى سَلاح فلقوا جمع عُيينة بن حصن فناوشوهم فانكشفوا عنهم، وأصاب المسلمون منهم رجلاً أو رجلين أسروهما أسراً وقدموا بها على النبيّ فأسلما، فأرسلهما[١] (صلى الله عليه وآله).

---

(١) مغازي الواقدي ٧٢٨: ٢.

كتابه إلى أمير اليمامة:

إنّه (صلى الله عليه وآله) بعث سَليط بن عمرو العامري إلى ملِكي اليمامة[١]: ثُمامة بن أثال، وهَوْذة بن علي الحنفيّين[٢].

إلى هَوْذة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هَوْذة بن علي، سلام على مَن اتّبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحافر، فأسلم تَسلَمْ، واجعلْ لك ما تحت يديك» وكان نصرانياً[٣] وكان سليط بن عمرو يختلف إلى اليمامة فأرسل الكتاب معه إليه يدعوه إلى الإسلام.

فلما قدم عليه أكرمه وأنزله، ودفع إليه الكتاب فقرأه، فلما قرأه قال له سليط:

يا هَوْذة، إنّك سوَّدَتْك أعظُم حائلة وأرواح في النار! وإنّما السيّد من مُتّع بالإيمان ثم زُوّد بالتقوى، وإنّ قوماً سعُدوا برأيك، فلا يشقون به! وإنّي آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شرّ منهيّ عنه! آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان؛ فإنّ في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار؛ فإن قبلتَ نلتَ ما رجوتَ وأمِنتَ مما خفْتَ، وإن أبيتَ فبيننا وبينك كشفُ الغطاء وهولُ المُطّلع!

ثم كتب هوذة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما أحسن ما تدعو إليه وأجملَه، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك»!

ثم أجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجَر، وأرسل وفداً فيهم مُجّاعة بن مَرارة، والرَجّال بن عُنفُوة ومعهم غلام اسمه كَركرة هدية له (صلى الله عليه وآله)[٤].

---

(١) اليمامة من بلاد نجد شرقيّ مكة، وقاعدتها الحُجر، على ست عشرة مرحلة من البصرة ونحوها من الكوفة، وبينها وبين البحرين عشرة أيام، كما في مادة البحرين من معجم البلدان والقاموس.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٢٥٤. وبنو حنيفة من بكر بن وائل من ربيعة بن نِزار.

(٣) معجم البلدان مادة البحرين، والكامل في التاريخ ٢: ٨٢.

(٤) ذكره الطبْرسي في إعلام الورى ١: ٢٨٧.

فلما قدم الرسول عليه (صلى الله عليه وآله) وأخبره بما جرى وقرأ الكتاب على النبيّ، قال:

لا، ولا كرامة لو سألني سيابة من الأرض ما فعلتُ، بادَ وبادَ ما في يديه. ثم قال: اللهم اكفنيه[1].

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن أبان البجلي الكوفي عن الباقر عليه السلام عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه كان يقول بشأن ثمامة بن أثال: اللهم أمكنّي من ثمامة! فأسرته خيل للنبيّ (صلى الله عليه وآله).

فقال له رسول الله: إنّي مخيّرك واحدة من ثلاث: أقتلك! قال: إذاً تقتل عظيماً، أو أُفاديك. قال: إذاً تجدني غالياً. أو أمنّ عليك. قال: إذاً تجدني شاكراً. فقال (صلى الله عليه وآله): فانّي قد مننتُ عليك. فقال: أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّك محمد رسول الله. وقد والله علمتُ أنّك رسول الله حيث رأيتك، و(لكنّي) ما كنتُ لأشهد بها وأنا في الوثاق![2].

---

(١) فلما انصرف من فتح مكة أخبره جبرئيل بموت هوذة، كما في الطبقات الكبرى ٢٦٢ : ١. وراجع مكاتيب الرسول ١٣٩ ـ ١٣٦ : ١ ويلاحظ أنه (صلى الله عليه وآله) لم يحوّله على رضا المسلمين واختيارهم له!

(٢) روضة الكافي: ٢٤٩. ورواه ابن إسحاق عن أبي هريرة قال: خرجت خيل لرسول الله فأخذت رجلاً أتوا به رسولَ الله فقال: هذا ثُمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إساره، وأمر أن تُمرَّ ناقته عليه ليحتلبها غدوة وعشياً، وقال لأهله: ابعثوا إليه ما عندكم من طعام. وكان النبيّ يدعوه إلى الإسلام فلا يُسلم، فمكث مدة ثم أمر النبي بإطلاقه. فلما أطلقوه أتى البقيع فتطهّر ثم أقبل حتى بايع النبيّ على الإسلام. وروى ابن هشام: أنّه حين أسلم قال لرسول الله: لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلي، ولقد أصبح وهو أحبّ الوجوه إلي. ثم خرج معتمراً فلما قدم مكة ـ وكان أول من دخل مكة يلبّي ـ قالوا له: أصَبَوْت يا ثُمام؟! فقال: لا، ولكنّي اتّبعت خير الدين دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً. فكتبوا إلى رسول الله: «انّك تأمر بصلة الرحم وقد قطعت أرحامنا: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع!» فكتب رسول الله إلى ثمامة أن يخلّي بينهم وبين حمل الحبوب إليهم، فحُملت ـ ٢٨٨ ٢٨٧ : ٤.
ورواية أبي هريرة ـ وقد أسلم في السابعة ـ وكونه أول من لبّي بمكة يدلان على أن ذلك بعد خيبر وقبل عمرة القضاء، ولذلك ذكرنا الخبر هنا.

القَسامة، والدية من بيت المال:

فروى الواقدي بسنده عن مُحيِّصة بن مسعود الأنصاري قال: فقلتُ لأصحابي: قد جهِدنا وأصابتنا مجاعة فهل لكم في خيبر؟ وكان رسول الله قد دفع إليهم زرع الأرض والنخل على النصف (فخرجنا نمتار تمراً)[١].

فخرجنا حتى قدمنا خيبر، فكنّا في الشّق يوماً، وفي النَّطاة يوماً، وفي الكتيبة، ورأينا في الكتيبة خيراً فأقمنا بها أياماً، ورجع صاحبي (وابن عمّي عبد الله بن سهل) إلى الشّق فغاب عنّي.

فغدوت في أثره حتى انتهيت إلى الشّق أسأل عنه، فقال لي بعضهم: لما غابت الشمس مرّ من هنا يريد النّطاة. ثم رجعنا إلى المدينة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فلما بركنا بين يديه وجلسنا حوله، تقدم عبد الرحمن بن سهل وقال: يا رسولَ الله، إنّ أخي قد قُتل.. فقال له رسول الله: كبِّر، كبِّر (= قدِّم الأكبر منك للكلام أدباً)!

فتقدّمت وتكلّمت، فقال لي أيضاً: كبّر، كبّر! فسكتّ.

فتكلم أخي حويِّصة ـ وكان أكبرنا ـ فذكر أنّ ظنّتنا أو تهمتنا اليهود. ثم أخبرت الخبر لرسول الله[٢].

فكتب النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ذلك إلى يهود خيبر: إنّه قد وُجِد قتيل بين أبياتكم، فَدُوه. أي أدّوا دِيته. فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً[٣].

فقال رسول الله لحُويّصة ومُحيّصة وعبد الرحمن ومن معهم[٤]: إيتوني بشاهدين من غيركم.

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٣٦٩: ٣ ونمتار: نأخذ الميرة: المؤونة.
(٢) مغازي الواقدي ٧١٤ ٧١٣: ٢.
(٣) ابن إسحاق في السيرة ٣٧٠: ٣ واختصر الواقدي.
(٤) مغازي الواقدي ٧١٤: ٢.

قالوا: يا رسول الله، ما لنا شاهدان من غيرنا.

فقال لهم رسول الله: فَلْيُقسم خمسون رجلاً منكم على رجل ندفعه إليكم.

قالوا: يا رسول الله: وكيف نقسم على ما لم نره؟!

قال: فيقسم اليهود؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف نرضى باليهود وما فيهم من الشرك أعظم؟! فودّاه رسول الله[١] من عنده مئة ناقة: خمساً وعشرين جَذَعة، وخمساً وعشرين حِقّة، وخمساً وعشرين بنت لبون، وخمساً وعشرين بنت مخاض. قال سهل بن أبي حثمة راوي الخبر عن محيّصة: وكنتُ يومئذٍ غلاماً فرأيتها أدخلت عليهم مئة ناقة، وركضتني منها ناقة حمراء[٢] بكرة، وأنا أحوزها[٣].

تقسيم محاصيل خيبر:

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تركها في أيديهم على النصف (زرع أرضها ونخلها) فلما بلغت الثمرة بعث عبد الله بن رواحة إليهم فخرص عليهم.

فجاؤوا إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقالوا: إنّه قد زاد علينا. فأرسل إلى عبد الله فقال له: ما يقول هؤلاء؟

قال: قد خرصت عليهم بشيء، فإن شاؤوا يأخذون بما خرصت، وإن شاؤوا أخذناه. وقال لهم: إمّا أن تأخذوه وتعطوني نصف الثمر، وإمّا أعطيتكم نصف الثمر وآخذه؛

---

(١) فروع الكافي ٣٦١: ٧، الحديث ٥ والتهذيب ١٦٦: ١٠، الحديث ٢. وتمامه: قال الصادق عليه السلام: وإنما جُعلت القَسامة احتياطاً لدماء الناس لكي ما إذا أراد الفاسق أن يقتل رجلاً أو يغتال رجلاً حيث لا يراه أحد خاف أن يقتل فامتنع من القتل.

(٢) مغازي الواقدي ٧١٥: ٢.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٣٧٠: ٣.

فقال رجل من اليهود: بهذا قامت السموات والأرض(١).

والقوائم هذه لدى كل من ابن إسحاق والواقدي ثلاث قوائم:

إحداها هذه الوصايا لهذه الطوائف الثلاث: الدّاريّين والأشعريّين والرّهاويّين. وزاد ابن إسحاق: السبائيّين، لكل طائفة مئة وسق(٢).

وقائمة أخرى صغرى، كأنّ ابن إسحاق استنسخها من كتاب فيه بعد البسملة: ذكر ما أعطى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) نساءه من قمح خيبر: قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقاً (كذا) ثم خرج من النساء إلى فاطمة بنت رسول الله، وأُسامة بن زيد، والمقداد بن الأسود، ثم أم رُميثة بنت عمر بن هاشم بن المطّلب. ثم: شهد عثمان بن عَفّان وعباس، وكتب(٣).

وقائمة أخرى سوى السابقة الصغرى، نقلها الواقدي في المغازي(٤).

عمرة القضاء:

مرّ في بنود صلح الحديبية في ذي الحجة في السنة السادسة: أنّ المشركين قالوا لرسول الله:

«نخلّي لك البيت في العام القابل في هذا الشهر ثلاثة أيام، حتى تقضي نُسكك وتنصرف عنّا» فأجابهم رسول الله إلى ذلك(٥).

وساق رسول الله في هذه العمرة ستين بدنة، بعد أن قلّدها بنفسه بيده. وكان أبو هريرة الدَّوسي، وعبيد بن أبي رُهْم الغفاري، وعليهما ناجية بن جُندب

(١) فروع الكافي ٢٦٦: ٥ و ٢٦٧ و ٢٦٨ وأمالي الصدوق: ٢١٨ وسيرة ابن هشام ٣٦٩: ٣.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٣٦٨ ٣٦٧: ٣ ومغازي الواقدي ٦٩٥ : ٢. والوسق ستون صاعاً، والصاع = ٢ / ٧٥٠ كغم.
(٣) ابن إسحاق في السيرة ٣٦٧: ٣.
(٤) مغازى الواقدى ٦٩٥ ٦٩٤ : ٢.
(٥) تفسير القمي ٣١١: ٢.

الأسلمي ومعه أربعة فتيان من أسلم يسيرون بالهدي أمامه يطلبون الرعي في الشجر.

وقاد رسول الله مئة فرس وجعل على هذه الخيل محمد بن مَسلمة الأنصاري، وحمل معهم البِيض والدروع والرماح والسلاح، واستعمل عليه بشير بن سعد.

فقيل: يا رسول الله! حملت السلاح، وقد شرطوا علينا أن لا ندخل عليهم إلا بسلاح المسافر: السيوف في القُرُب؟!

فقال رسول الله: إنا لا نُدخلها عليهم الحرم، ولكن تكون قريباً منّا، فإن هاجنا هَيْجٌ من القوم كان السلاح قريباً منّا.

وخرج المسلمون ألفين وأحرم النبي من الجحفة[1] وسار رسول الله يلبّي، والمسلمون يلبّون.

وفي مرِّ الظهران التقى نفر من قريش بمحمد بن مَسلمة وبشير بن سعد فرأوا معهما سلاحاً كثيراً، فخرجوا سراعاً فأخبروا قريشاً بالذي رأوا من الخيل والسلاح.

وفي بطن يأجج[2] قرب أنصاب الحرم تلاحق رسول الله في أصحابه والهدْي والسلاح.

---

(١) الكافي ٢٥١: ٤ و٢٥٢، الحديث ١٠ و١٣ والفقيه ٢٧٥: ٢، الحديث ٧. وفي مغازي الواقدي: أحرم من باب المسجد ٧٣٣: ٢ و ٧٣٤.

(٢) قال عاتق بن غيث البلادي في كتابه مختصر معجم معالم مكة التاريخية عن بطن يأجج: انّه يعرف اليوم بإسم ياج تخفيفاً، يمر به طريق مكة للمدينة فيه بساتين ضعيفة وبئر يسمى بئر مقيت وبه يعرفه عامة أهل مكة وهو واد يمر شمال التنعيم حتى يصب في بئر الظهران بين دفء خراعة وبين المقوع بطول ٣٣ كيلومتراً وفي شماله موضع قتل حبيب بن عدي الشهيد في يوم الرجيع، كما عنه في مجلّة ميقات الحج ٢٤١: ٧.

مبعوث قريش:

وبعثت قريش مِكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش فالتقوا بالنبيّ في بطن يأجج، فقالوا:

يا محمدا! والله ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح الحرم على قومك وقد شرطتَ أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر: السيوف في القُرُب؟!

فقال رسول الله: لا ندخلها إلا كذلك.

فرجع مكرز إلى مكة مُسرعاً يقول: إنّ محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذي شرط لكم.

وأمر رسول الله أن يذهبوا بالهَدْي أمامَه فيحبسوه في ذي طُوَى. وخلّف مئتي رجل على السلاح عليهم أوس بن خَوْليّ.

وخرج رسول الله على ناقته القَصواء[1] وأصحابه محدقون به متوشّحين السيوف يلبّون، حتى انتهى إلى ذي طُوَى، ولم يقطع التلبية حتى بلغ عروش مكة[2] ثم دخل من الثنيّة التي تطلع على الحَجون.

وقالت قريش: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه، فخرجوا من مكة إلى رؤوس الجبال[3] وقد رفعوا الأصنام حسب شرط الصلح[4].

فروى الكليني في «الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: طاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ناقته العَضباء، وجعل يستلم الأركان (والحجر) بمِحجنه ويُقبّل المِحجَن[5].

---

(١) سيأتي عن الصادق عليه السلام أن الناقة كانت العَضباء.

(٢) النص: حتى جاء عروش مكة، ذلك أن أكثر بيوت مكة كانت بيوت شَعر قائمة على الأعواد، فسُمّيت عروشاً ـ النهاية ٨١: ٣.

(٣) مغازي الواقدي ٧٣٥ ٧٣٤: ٢.

(٤) انظر شروط الصلح، وتفسير العياشي ٧٠: ١.

(٥) فروع الكافي ٤٢٦: ٤ وعنه في وسائل الشيعة ٤٤١: ١٣. والمِحجَن: العصا المعقوفة الرأس.

وطاف على راحلته حتى ينظر الناس إلى هيئته وشمائله وقال: خذوا عنّي مناسككم. وكان تحته رَحْلٌ رثٌّ، وقطيفة خَلِقَة قيمتها أربعة دراهم[١].

فلما أتم الشوط السابع نزل فصلّى ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام[٢].

ثم ركب راحلته فسعى بين الصفا والمروة على راحلته، فلما أتمّ المشوار السابع عند المروة نحَرَ هَدْيه هناك ـ أو بين المروة والصفا ـ وقال: هذا المَنْحر، وكلُّ فِجاج مكة منحر[٣] ثم حلق رأسه خِراش بن أُمية الخزاعي عند المروة[٤].

ثم أمر رسول الله مئتين من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابه في بطن يأجَج فيقيموا على السلاح، ليأتي الآخرون فيقضوا نُسُكهم، ففعلوا[٥].

أذان بلال:

ثم أرسل رسولُ الله إلى المشركين ليدخل الكعبة، فأبوا وقالوا: لم يكن في شرطك! فدخل في فِناءِ البيت، فلم يزل هناك حتى صار الزوال، فأمر بلالاً أن يصعد الكعبة فيؤذّن، فصعد وأذّن فوق الكعبة..

فحين سمعه سُهيل بن عمرو ومعه رجال، غطّوا وجوههم!

زواج النبيّ بميمونة:

قال ابن هشام: وكانت ميمونة بنت الحارث الهلالية أُخت أُم الفضل زوجة

---

(١) عوالي اللآلي ٣٤: ٤، الحديث ١١٨ وعنه في مستدرك الوسائل ٤٢٠: ٩، الحديث ٤.

(٢) روى الكليني في فروع الكافي٢٢٣: ٤، الحديث ٢ والصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه ١٥٨: ٢، الحديث ١٢ بسندهما عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جوار البيت، فلم يزل هناك، حتى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم (وكذلك كان في عمرة القضاء) فلما فتح النبي (صلى الله عليه وآله) مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام».

(٣) مغازي الواقدي ٧٣٦: ٢ وانظر وسائل الشيعة ٨٨: ١٤ ومستدرك الوسائل ٨٣: ١٠.

(٤) مغازي الواقدي ٧٣٧: ٢.

(٥) مغازي الواقدي ٧٤٠: ٢.

العباس بن عبد المطّلب، جعلت أمرها إلى أُختها أُم الفضل، وجعلت أُم الفضل أمرها إلى العباس. فلمّا حلّ رسول الله من إحرامه[١] خطبها من عمّه العباس، فزوّجها رسول الله وأصدقها عنه أربعمئة درهم[٢].

وأُعيدت الأصنام:

فلمّا كان عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكة وقال لقريش: ارفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتى أسعى. فرفعوها، فسعى رسول الله بين الصفا والمروة وقد رُفعت الأصنام[٣].

وفي «فروع الكافي» و«تفسير العياشي» عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ رسول الله كان (من) شرطه عليهم: أن يرفعوا الأصنام.. فتشاغل رجل من أصحابه حتى أُعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألوه:

إنّ فلاناً لم يطفْ (أي لم يَسْعَ) وقد أعيدت الأصنام؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ قال: أي والأصنام عليها[٤].

عليّ، وابنة عمه حمزة عليهما السلام:

كان حمزة بن عبد المطلب قد ارتضع من ثويبة مولاة أخيه أبي لهب، وارتضع منها رسول الله، فكانا أخوين من الرضاعة.

---

(١) مغازي الواقدي ٧٣٨: ٢ عن عطاء الخراساني ـ وهو عطاء بن أبي رباح مولى ابن عباس ـ عن سعيد بن المسيب. بينما روى ابن إسحاق عن عطاء ومجاهد، والواقدي عن عِكرمة عن ابن عباس: أنّه (صلى الله عليه وآله) خطبها وهو محرم وتزوّجها وهو محرم، وفي ابن هشام: وهو حرام ١٤: ٤. مع أنهم جميعاً ذكروا أنه دخل فطاف وسعى ونحرا

(٢) سيرة ابن هشام ١٤: ٤. وكانت قبله عند أبي سبرة بن أبي رهم العامري إعلام الورى ٢٧٨: ١.

(٣) تفسير القمي ٦٤: ٢.

(٤) تفسير العياشي ٧٠: ١ وفي فروع الكافي ٤٣٥: ٤، الحديث ٨.

فلما اعتمر النبيّ عمرة القضاء وأحلّ من إحرامه وخطب من عمّه ميمونة الهلالية أُخت أُم الفضل، ذكّره علي عليه السلام بابنة عمّه حمزة (عُمارة) فقال: أما علمت أنها ابنة أخي من الرضاعة، هي ابنة أخي من الرضاع[1] فقال عليه السلام: فعلام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهري المشركين؟! فأذن له النبيّ أن يخرجها معه، فأخرجها[2].

الخروج من مكة:

وركب رسول الله، وتتام الناس، ولكنه خلّف أبا رافع ليحمل إليه زوجته ميمونة حين يُمسي، فأقام أبو رافع لذلك[3]. فلمّا خرجوا أخرج عليّ عليه السلام ابنة حمزة.

وأقام أبو رافع القبطي في مكة حتى أمسى فخرج بميمونة ومَن معها، فجعل سفهاء المشركين يؤذونهم والنبيّ بألسنتهم، ولم يبطشوا بهم، وقال لهم أبو رافع: افعلوا ما شئتم، فهذه ـ والله ـ الخيل والسلاح ببطن يأجَج!

وبلغوا بطن يأجَج فإذا بالخيل قد وقفت لهم هنالك، فلمّا وصلوا ساروا معهم إلى سَرِف[4] حيث بات النبيّ والمسلمون، فوصلوا إليها وقد ذهب عامّة الليل.

وهناك بُنيت للنبيّ قبّة فعرّس بالهلالية[5].

---

(١) فروع الكافي ٤٣٧: ٥، الحديث ٤ و ٥ و ٤٤٥، الحديث ١١ والفقيه ٢٦٠: ٣، الحديث ٢١ والتهذيب ٢٩٢: ٧، الحديث ٥ ومغازي الواقدي ٧٣٩: ٢ قال: فقيل للنبيّ. ولم يسم عليّاً عليه السلام.

(٢) مغازي الواقدي ٧٣٨: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٧٤٠: ٢ وسيرة ابن هشام ١٤: ٤.

(٤) على عشرة أميال = ٢٢ كم من مكة ـ إعلام الورى ٢٧٨: ١.

(٥) مغازي الواقدي ٧٤١ ٧٤٠: ٢.

وأُعِدَّ لرسول الله حَيْس[١] غير قليل فأطعمه الناس وليمةً لزواجه بها[٢]. ثم ارتحل فرجع إلى المدينة في ذي الحجة.

روى الواقدي عن المغيرة بن عبد الرحمن (المخزومي) عن خالد بن الوليد قال: وكان أخي الوليد بن الوليد قد أسلم واعتمر مع النبيّ ودخل مكة فطلبني فلم يجدني.. وسأله رسول الله عنّي فقال: أين خالد؟ فقال الوليد: يأتي به الله! ثم كتب إليّ كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد: فإنّي لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلُك عقلُك! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسولُ الله عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به! فقال: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجِدّه مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له، ولقدّمناه على غيره» فاستدرِك ـ يا أخي ـ ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة».

قال خالد: فلما جاءني كتابه سرّني مقالة رسول الله وزادني رغبة في الإسلام فنشِطْتُ للخروج إليه[٣].

ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة.

سرية السُّلمي إلى بني سُليم:

ذكر الواقدي رجلاً من بني سُليم يُدعى ابن أبي العوجاء السُلمي كان قد عرض على النبيّ أن يدعو قومه للإسلام، فلما رجع رسول الله من عمرة القضاء

---

(١) تمر ينزع نواه ويعجن بالسمن والإقط.

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ١٤. فروع الكافي ٥ : ٣٦٨، الحديث ٢ والتهذيب ٧ : ٤٠٩، الحديث ٢. وانظر مختصر خبر العمرة والزواج في إعلام الورى ١ : ٢١١ ـ ٢١٢ ومناقب آل أبي طالب ١ : ٢٠٥.

(٣) مغازي الواقدي ٢ : ٧٤٦ ٧٤٧. وفي: ٧٤٥: إن خالداً وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة قدموا المدينة لهلال صفر سنة ثمان. ولذا فنؤجل خبره لهناك.

في ذي الحجة سنة سبع، بعث ابن أبي العوجاء إلى قومه في خمسين رجلاً. وكان معه رجل من قومه فخرج الرجل إلى قومه فأخبرهم وحذّرهم.

فلما قدم عليهم ابن أبي العوجاء ومعه الخمسون، كانوا قد جمعوا جمعاً كثيراً وقد استعدّوا، فدعاهم ابن أبي العوجاء إلى الإسلام فأبوا وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه، ثم رشقوهم بالنبال وراموهم ساعة، وجاءت الأمداد لبني سليم فأحدقوا بالمسلمين من كل ناحية، وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى قتل كلهم ولم ينجُ منهم سوى ابن أبي العوجاء جريحاً[1].

ما تبقّى من آيات الأحزاب:

والآيات السبع التوالي (٢٨ ـ ٣٤) تخاطب أزواج النبي (صلى الله عليه وآله)، وأوّلها آيتا التخيير: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وقد نقلت خبر القمي بشأن الآيتين في ما بعد خيبر، حسب نصّ القمي.

وحكى الطوسي في «التبيان» عن عِكرمة: أنه كانت له يوم تخييرهن: تسِع نسوة: من قريش: سودة بنت زمعة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة بنت أبي أمية المخزومية، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان الأموية، ومن غير قريش: زينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حُييّ بن أخطب النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية[2].

فهذه الأخبار باشتمالها على ميمونة بنت الحارث الهلالية، التي لم يتزوّجها النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلا في عمرة القضاء في آخر الثامنة للهجرة، تقتضي نزول هذه الآيات بعد ذلك، لا بعد الأحزاب أو بني قريظة أو حتى خيبر قريباً منها، فلعلها أُلحقت بها بعد ذلك.

وقدّم عن «تفسير القمي»: لما أنزل الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ وحرّم

---

(١) مغازي الواقدي ٧٤١: ٢.

(٢) التبيان ٣٣٥: ٨.

نساء النبيّ على المسلمين، غضب طلحة فقال: يتزوّج محمد نساءنا ويحرّم علينا نساءه! لئن أمات الله محمداً لنفعلنّ كذا وكذا، فأنزل الله: ﴿. . . وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ . . .﴾[(١)].

آية التطهير:

روى الحسين بن الحكم الكوفي في «ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام» بسنده عن شهر بن حوشب قال: أتيت أُم سلمة زوج النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأُسلّم عليها، فقلت لها: أما رأيت هذه الآية يا أُم المؤمنين: ﴿. . . إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (وكأنه كان يراها من أهل البيت) قالت: [كنت] أنا ورسول الله على منامة لنا تحتنا كساء خيبري[(٢)] في البيت[(٣)] غداة[(٤)] (أو) كانت ليلة قارّة (باردة)[(٥)] فقالت الخادم[(٦)]: هذا علي وفاطمة معهما الحسن والحسين بالسُدّة[(٧)] فقال لي: قومي تنحّي عن أهل بيتي. فقمت فجلست في ناحية، فأذن لهم فدخلوا، فقبّل فاطمة واعتنقها، وقبّل عليّاً واعتنقه، وضمّ الحسن والحسين صبيّين صغيرين[(٨)] وجاءت فاطمة ببُرمة[(٩)] (قدر) فخار فيه حريرة[(١٠)] (أو) عصيدة، تحمله في طبق، فوضعته بين يديه[(١١)] فقربتها فأكلوا.

(١) تفسير القمي ١٩٥ : ٢.
(٢) ما نزل من القرآن: ٧٢. ومجمع البيان ٥٥٩ : ٨ عن تفسير أبي حمزة الثمالي.
(٣) عنه في تفسير فرات: ٣٣٣.
(٤) تفسير فرات: ٣٣٥.
(٥) تفسير فرات: ٣٣٣.
(٦) الخادم في العربية اعم من الذكر والأنثى، وهنا أنثى.
(٧) تُطلق على الباب وعتبتها والظُلة عليها والساحة أمامها ـ مجمع البحرين.
(٨) ما نزل من القرآن: ٧٤. ومسند أحمد ٢٩٦ : ٦.
(٩) تفسير فرات: ٣٣٥ ومجمع البيان ٥٥٩ : ٨ عن تفسير الثعلبي النيسابوري. وفي مسند أحمد ٢٩٢ : ٦ وأسباب النزول للواحدي: ٢٩٥.
(١٠) ما نزل من القرآن: ٧٢.
(١١) تفسير فرات: ٣٣٥.

ثم أقام فاطمة إلى جنب علي والحسن والحسين إلى جنب فاطمة ـ وكانت ليلة قارّة ـ فأدخل رسول الله رجليه إلى فخذ علي وفاطمة[١] فأخذ الكساء من تحتنا فعطفه[٢] فألبسهم الكساء الفدكي[٣] (وهي) خميصة[٤] له سوداء[٥] فلفّه رسول الله عليهم جميعاً وأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى السماء ثم قال: اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، [ثلاث مرات][٦] كما أذهبت عن إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وطّهرهم من الرجس كما طهّرت آل لوط وآل عمران وآل هارون[٧] اللهمَّ إنّ هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد[٨].

فقلتُ ـ وأنا عند عتبة الباب ـ: يا رسول الله وأنا منهم أو معهم؟[٩] هل أنا من أهل بيتك؟[١٠] ألستُ من أهل البيت؟[١١] ألست من أهلك يا رسول الله؟[١٢] يا رسول الله ألستُ من أهلك[١٣] ورفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال[١٤]: لا[١٥] إنك زوج النبيّ، وأنتِ على خير[١٦] وهؤلاء أهل بيتي[١٧] وما

(١) تفسير فرات: ٣٣٣.
(٢) تفسير فرات: ٣٣٢.
(٣) تفسير فرات: ٣٣٣. وفدك من خيبر فلا منافاة بينهما.
(٤) قيل: لا تكون خميصة إلا إذا كانت سوداء معلمة من صوف أوخز ـ النهاية ٨١: ٢.
(٥) ما نزل من القرآن: ٧٤.
(٦) تفسير فرات: ٣٣٥.
(٧) تفسير فرات: ٣٣٧.
(٨) الدر المنثور ١٩٨: ٥.
(٩) ما نزل من القرآن: ٧٢.
(١٠) التبيان ٣٣٩: ٨.
(١١) تفسير فرات: ٣٣٤.
(١٢) تفسير فرات: ٣٣٣.
(١٣) تفسير فرات: ٣٣٥.
(١٤) الدر المنثور ١٩٨: ٥.
(١٥) التبيان ٣٣٩: ٨.
(١٦) ما نزل من القرآن: ٧٣.
(١٧) مستدرك الحاكم ٤١٦: ٢ صحيحاً على شرط البخاري.

قال إنّك من أهل البيت[١] فلو كان قال نعم كان أحبَّ إليّ ممّا تطلع عليه الشمس[٢] ونزلت هذه الآية: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾ في النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

أمّا عن الآية ٣٦: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾، ففي تفسير القمي عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطب زينب بنت جحش الأسدية وهي بنت عمة النبيّ، لزيد بن حارثة، فقالت: يا رسول الله، حتى أُوامر نفسي فانظُر، فأنزل الله الآية[٤].

وسلِّموا له تسليماً:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٥].

ولا خلاف في أنّ الصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الصلوات كانت واجبة مفروضة قبل نزول هذه الآية، ولم تجب صلاة عليه خاصة بنزول هذه الآية، إذاً فليست الآية من آيات الأحكام التشريعية، وعليه فليس الجديد في الآية تشريع

---

(١) تفسير فرات: ٣٣٤.

(٢) تفسير فرات: ٣٣٧.

(٣) تفسير فرات: ٣٣٢ و ٣٣٥ روى عن عبد الله الجدلي أنّه سأل أم سلمة عن الآية فقالت له: لو سألتَ عائشة لحدّثتك أن هذه الآية نزلت في بيتي. قال الجدلي: فدخلت على عائشة فقلت: أين نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ؟ قالت: نزلت في بيت أم سلمة ـ تفسير فرات: ٣٣٤. وروى الطبرسي عن تفسير الثعلبي بإسناده عن مجمع عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله قد جمع بثوب على علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال.. فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحّي.. مجمع البيان ٥٥٩: ٨ وعنها في مستدرك الحاكم ١٤٧: ٣.

(٤) تفسير القمي ١٩٤: ٢.

(٥) الأحزاب: ٥٧ ٥٦.

الصلاة عليه، وإنّما الجديد تنصيص القرآن على أنّ الصلاة عليه ليست من المؤمنين فقط، بل من الله وملائكته من قبل. هذا في الصلاة عليه.

روى البرقي في «المحاسن» بسنده عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ فقال: الصلاة عليه، والتسليم له في كل شيء جاء به[1].

وروى فرات الكوفي في تفسيره بسنده عن أبي هاشم قال: كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام في المسجد الحرام فصعد الوالي المنبر يخطب يوم الجمعة فقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ فقال جعفر عليه السلام: يا أبا هاشم، لقد قال ما لا يعرف تفسيره، قال ـ تعالى ـ: وسلّموا بالولاية لعلي تسليماً[2].

وإلى فحوى هذين الخبرين أشار القمي في تفسيره قال: أي وسلّموا له (صلى الله عليه وآله) بالولاية، وبما جاء به[3].

والطوسي في «التبيان» فقال: «ثم أمر المؤمنين أن يسلّموا لأمره ولأمرِ رسوله تسليماً في جميع ما يأمرهم به» ثم ذكر المعنى الآخر[4].

وعليه: فالآية لا تدلّ على التسليم بالسلام التحيّة بعد التصلية عليه.



(١) المحاسن للبرقي ٤٢٢: ١.
(٢) تفسير فرات الكوفي: ٣٤٢.
(٣) تفسير القمي ١٩٦: ٢.
(٤) التبيان ٣٦٠: ٨.

الفصل الثالث

أهم حوادث السنة الثامنة للهجرة

اتخاذ المنبر للنبيّ:

أظنّ أنّ ذلك التجليل القرآني الخاص للنبيّ (صلى الله عليه وآله) كان السبب في أن: قال له بعض أهله أو أصحابه: يا رسول الله، إنّ الناس قد كثروا، وإنّهم يحبّون النظر إليك إذا خطبت ـ وكان في خُطبه يستند إلى جذع من أساطين المسجد ـ فلو أذنت أن نعمل لك مِنبراً له مراقٍ ترقاها فيراك الناس إذا خطبت؟ فأذن في ذلك[1]. فَجيء به إلى المسجد يوم الجمعة من أوائل السنة الثامنة، وله ثلاث مراقٍ[2].

إسلام خالد وعمرو بن العاص:

روى الواقدي عن عمرو العاص خبره لمّا كان بالحبشة حتى قال: ركبت معهم حتى انتهوا إلى الشُعَيْبة (على شاطئ البحر) وكانت معي نفقة فابتعت بعيراً وخرجت من الشُعَيْبة أريد المدينة، حتى مررت بمرّ الظَّهران، فمضيت حتى بلغت الهَدَّة، فإذا أنا برجلين قد سبقاني إليها بغير كثير، أحدهما قائم ممسك بالراحلتين والآخر ينصب خيمة فهو داخل فيها، فنظرت وإذا (القائم) خالد بن الوليد، فقلت: أبا سليمان؟ قال: نعم. قلت: أين تريد؟ قال: محمداً، لقد دخل الناس

(١) بحار الأنوار ٣٢٦: ١٧ عن التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار ٤٧: ٢١ عن المنتقى للكازروني.

في الإسلام فلم يبق أحد به طمعٌ (في شيء) والله لو أقمنا (على شركنا) لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبْع في مغارتها!

فقلت: وأنا ـ والله ـ قد أردت محمداً وأردت الإسلام!

ثم نزلنا (ظهر) الحرَّة (ظُهراً) فلبسنا من صالح ثيابنا، ونودي بالحضر فانطلقنا جميعاً[1] قال خالد: فلقيني أخي فقال: أسرع فإنّ رسول الله قد أُخبر بك فسُرَّ بقدومك، وهو ينتظركم. فأسرعت المشي فطلعت عليه، فما زال يتبسّم إليّ حتى وقفت عليه فسّلمت عليه بالنبوة، فردّ عليّ السلام بوجه طِلق، فقلت: إنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله. فقال: الحمد للّه الذي هداك! قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يُسلمك إلا إلى الخير.

فقلت: يا رسول الله، قد رأيتَ ما كنتُ أشهد من تلك المواطن عليك معانداً عن الحق، فادعُ الله أن يغفرها لي.

فقال رسول الله: الإسلام يجبّ ما قبله.

فقلت: يا رسول الله، مع ذلك.. فقال: اللهم اغفر لخالد كلّ ما أوضع فيه من صَدٍّ عن سبيلك[2].

قال عمرو بن العاص: فتقدم خالد بن الوليد فبايع.

ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع.

ثم تقدّمت فلمّا جلست بين يديه ما استطعت أن أرفع طرْفي إليه حياءً منه! فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي. فقال: إنّ الإسلام يجبّ ما قبله، والهجرة تجبّ ما قبلها[3] وكان قدومنا في صفر سنة ثمان[4] لهلال صفر[5].

---

(١) مغازي الواقدي ٧٤٤: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٧٤٩: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٧٤٥: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٧٤٩: ٢.

(٥) مغازي الواقدي ٧٤٥: ٢. وروى ابن إسحاق خبر إسلام خالد وعمرو بسنده عن عمرو=

سريّة إلى أرض بني عامر:

وروى الواقدي قال: بعث رسول الله شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً في شهر ربيع الأول سنة ثمان إلى جمع من هوازن (وكانوا من الأحزاب) وأمره أن يغير عليهم في السّي من ناحية ركبة من أراضي بني عامر.

فأمر أصحابه أن يغيروا عليهم وأن لا يوغلوا في الطلب. فأصابوا نَعماً وشاءً كثيراً فاستاقوا كلّه إلى المدينة.

واقتسموا النسوة، وكانت فيهن جارية وضيئة أخذها شجاع بن وهب بثمن فتزوّجها. ثم قدم وفدهم مسلمين، وكلّموا رسول الله في السبّي، فكلّم النبي في ذلك شجاع بن وهب وأصحابه فردّوهن إلى أصحابهن.. وخيّرها شجاع بن وهب فاختارت المقام عنده(١).

سريّة إلى ذات أطلاح:

وروى الواقدي: أنّ رسول الله بعث كعب بن عُمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً إلى ذات أطلاح من أرض الشام.. وكان كعب يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم. فرآه عين لهم فأخبرهم بقلة أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فجاؤوهم على الخيول.. وكانوا جمعاً كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا، وقاتلوهم أشد قتال حتى قُتلوا، وتحامل جريح منهم في الليل فأفلت حتى أتى المدينة فأخبر رسول الله الخبر، فشقّ ذلك على رسول الله وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان(٢).

=باختصار في السيرة ٢٩١ ـ ٢٨٩ : ٣. ولقوله في أول الخبر: لما انصرفنا عن الخندق، ذكره بعد الخندق، بينما نصّ في آخر الخبر: وذلك قُبيل الفتح! وذكر عن ابن الزّبعري هجواً لخالد وعثمان بن طلحة، ووصفه أنه كان سادن الكعبة وصاحب مفتاحها.

(١) مغازي الواقدي ٧٥٤ ٧٥٣ : ٢ وتمامه: ولم يكن له منها ولد، وقُتل عنها يوم اليمامة في ١١ من الهجرة.

(٢) مغازي الواقدي ٧٥٣: ٢.

غزوة مُؤْتَة[١]:

سبب الحرب:

روى الواقدي قال: بعث رسول الله إلى ملك بُصرى[٢] بكتاب، مع الحارث ابن عمير الأزدي اللِّهبي، فلما وصل في طريقه إلى مؤتة، وكان عليها شُرحَبيل بن عمرو الغَسّاني[٣]، فظنّ بالحارث أنه من رُسل رسول الله فاعترضه وقال له: لعلك من رُسل محمد؟ قال الحارث: نعم، أنا رسولُ رسول الله. فأمر به أن يؤخذ فيُقتل، فأُخذ وَقُتل، ولم يقتل غيره من الرُسل.

وبلغ خبره إلى رسول الله فاشتدّ عليه ذلك.. وندب الناس، فأخبرهم الخبر، وكأنّه طلب إليهم أن يخرجوا إلى مُعسكرهم، فخرجوا وعسكروا بالجُرْف، من دون أن يعيّن أميراً عليهم.

تعيين الأمراء:

فلما صلى الظهر جلس، وجلس أصحابه حوله[٤].

ففي رواية أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام: أنه (صلى الله عليه وآله) استعمل عليهم جعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فزيد بن حارثة الكلبي، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة[٥] فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم.. وعقد لهم رسول الله لواءً أبيض. وهم ثلاثة آلاف.

---

(١) مؤتة: من قرى الشام بالبلقاء دون دمشق.

(٢) بُصرى: هي مركز حوران من أعمال دمشق الشام، وقد وردها النبيّ (صلى الله عليه وآله) مرتين وصالح أهلها المسلمين سنة ثلاث عشرة، فهي أول مدن الشام فُتحت صلحاً. كما سيأتي في ج ٤.

(٣) وغسّان من الأزد أيضاً ٧٦٠: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٧٥٦ ٧٥٥: ٢ ولم يذكر غيره سبباً للحرب، ولم يذكر الرسالة والرسول والغسّاني غيره، وذكروه في الرجال: الاستيعاب بهامش الإصابة ٣٠٥: ١ والإصابة برقم ١٤٥٩ وأسد الغابة ٣٤٢: ١.

(٥) إعلام الورى ٢١٢: ١ ومناقب آل أبي طالب ٢٠٥: ١.

خطاب الرسول فيهم:

فلما أجمعوا المسير.. مشى الناس إليهم يودّعونهم ويدعون لهم.. وخطبهم رسول الله فقال لهم:

«أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً.. اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تغُلّوا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوّك من المشركين (كذا) فادعُهم إلى إحدى ثلاث، فأيّتهنّ ما أجابوك إليها فاقبل منهم، واكفف عنهم:

ادعُهم إلى الدخول في الإسلام، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم؛ ثم ادعُهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم، فأخبرهم أن يكونوا كأعراب المسلمين: يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم في الفيء ولا الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن أبوا فادعُهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم.

فإن أبوا فاستعِن بالله وقاتلهم.

وخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنيّة الوداع[1] فوقف ووقفوا حوله فخطبهم ثانية فقال لهم:

خطبة الوداع:

«أُغزوا بسم الله، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً معتزلين للناس في الصوامع فلا تعرضوا لهم وستجدون آخرين في رؤوسهم للشيطان مفاحص فاقلعوها بالسيوف.. ولا تقتلنّ امرأة ولا صغيراً مُرضعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تغرقُنّ نخلاً، ولا تقطعُنّ شجراً، ولا تهدموا بيتاً».

---

(١) يلاحظ أن ثنية الوداع على جهة الشام لا مكة، كما مرّ سابقاً.

وصايا خاصة وهي عامة:

ولما ودّع رسول الله عبد الله بن رواحة قال له: يا رسول الله مُرني بشيء أحفظه عنك.

فقال له: إنّك قادم غداً بلداً السجود به قليل، فأكثر السجود. وسكت.

فقال عبدالله: زدني يا رسول الله. فقال: اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب. فانطلق ابن رواحة ذاهباً ثم رجع إليه فقال:

يا رسول الله، إنّ الله وَتر يحبّ الوَتر! أي ثَلّثِ الوصايا.

فقال (صلى الله عليه وآله): يا بن رواحة، ما عجزت فلا تعجزَنّ إن أسأت عشراً أن تُحسن واحدة. فقال ابن رواحة: لا أسالك عن شيء بعدها. ومضى ذاهباً.

مسيرهم إلى الشام:

وفصل المسلمون من المدينة ومضوا ذاهبين حتى نزلوا وادي القرى، فسمع العدوّ بمسيرهم، فقام صاحب مؤتة شُرحبيل بن عمرو الغسّاني الأزدي قاتل الحارث بن عمير الأزدي اللِّهبي، قام فيهم بتجميع الجموع وقدم أمامه الطلائع وبعث أخاه سَدوس معهم. فقُتل سدوس. فبعث أخاه الآخر وَبْر بن عمرو، وخاف هو فتحصن وتقدم المسلمون حتى نزلوا مَعان (في الأردن) من أرض الشام[1]. ففي كتاب أبانِ بن عثمان: بلغهم كثرة عدد الكفار من العرب والعجم من لخْم وجُذام وبَليّ وقُضاعة، وقد انحازوا إلى أرض يقال لها المشارف[2] وعليهم رجل من بَليّ يقال له مالك بن زافلة.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا في مَعان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا:

---

(١) مغازي الواقدي ٧٦٠ ـ ٧٥٦: ٢.

(٢) إعلام الورى ٢١٣: ١ ومناقب آل أبي طالب ٢٠٥: ١.

نكتب إلى رسول الله فنخبره بعدد عدوّنا، فإمّا أن يمدّنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

فشجّع الناس عبد الله بن رواحة فقال: والله إنّ التي تكرهون للذي خرجتم تطلبون (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلِقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور، وإما شهادة! فقال الناس: قد والله صدق ابنُ رواحة[١].

فمضى الناس حتى إذا دنوا في أواخر البَلقاء من قرية من قراها يقال لها مشارف، وإذا بجيش هِرقل من الروم والعرب معهم. فانحاز المسلمون إلى قرية أخرى من قرى البلقاء يقال مؤتة. ثم دنا العدو منهم حتى التقوا عندها.

حرب مؤتة:

وتعبّأ المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً يقال له: قُطبة بن قتادة العُذري، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار هو عُباية بن مالك الأنصاري[٢].

فروى الواقدي عن أبي هريرة قال: لمّا رأينا المشركين في مؤتة رأينا ما لا قِبل لنا به من العدد والسلاح والكُرع، والديباج والحرير والذهب، فبرِق بصري. فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، ما لك؟ كأنّك ترى جموعاً كثيرة؟! قلت: نعم. فقال: لو كنت تشهدنا في بدر، إنّا لم نُنصَر بالكثرة![٣].

وعن الصادق عليه‌السلام قال: لمّا التقوا يوم مؤتة كان جعفر بن أبي طالب على فرس، فنزل عن فرسه فَعرْقَبَها[٤] بالسيف، فكان أوّل من عَرْقَب في الإسلام[٥].

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ١٧: ٤.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ١٩: ٤.

(٣) مغازي الواقدي ٧٦١ ٧٦٠: ٢.

(٤) عَرْقَبَها: قطع عُرقوبها، والعُرقوب في رجل الدابة كالركبة في يدها وقيل: هو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٥) المحاسن للبرقي ٤٧٧: ٣ وفروع الكافي ٤٩: ٥، الحديث ٩. والتهذيب ١٧٠: ٦، الحديث ٦. وجواز ذلك في الحرب لكي لا يأخذ الفرس العدو فيفيد منه في حرب الإسلام.

وقال ابن هشام: إنّ جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقطِعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[١].

قال الواقدي: وأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل معه جمع من الناس والمسلمون على صفوفهم، حتى قُتل زيد بن حارثة، وما قُتل إلا طعناً بالرمح[٢].

وروى ابن إسحاق عن من حضر الغزوة قال: وأخذ الراية عبد الله بن رواحة، وكأنه تردّد بعض التردّد ثم قال يستنزل نفسه:

أقسمت يا نفسُ لتنزِلنَّهْ ... لتنزِلنَّ أو لتُكرَهِنَّهْ

إن أجْلبَ الناسُ وشدّوا الرّنهْ ... ما لي أراك تكرهين الجنّهْ

قد طال ما قد كنتِ مطمئنّهْ ... هل أنتِ إلا نطفةٌ في شَنّهْ[٣]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إن لم تُقتَلي تموتي ... هذا حِمام الموتِ قد صَلِيتِ

وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ ... إن تفعلي فعلهما هُديتِ

ثم سمع صُراخ الحرب في ناحية من العسكر، فنزل عن فرسه، ثم تقدم نحوهم، فقاتل حتى قُتل[٤].

فروى الواقدي قال: لمّا قُتل ابن رواحة انهزم المسلمون في كل وجه أسوأ

(١) سيرة ابن هشام ٢٠: ٤. فروى الطبرسي في إعلام الورى عن أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي عن الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أُصيب يومئذٍ جعفر وبه خمسون جراحة، خمس وعشرين منها في وجهه ـ إعلام الورى ٢١٣: ١.
وروى الواقدي: أنّ رجلاً من الروم قطعه نصفين فوُجد في نصفه بضع وثلاثين جراحة. وفي أُخرى: وُجد فيه أكثر من ستين جُرحاً. وفي أُخرى: وجد في ما بين مَنكبيه اثنان وسبعون ضربة بسيف أو طعنة برمح. ومِنها طعنة قد نفذت فيه ـ مغازي الواقدي ٧٦١: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٧٦١: ٢.

(٣) الشَنّة: القِربة القديمة البالية، ويقصد بالنطفة الماء، يشبّه نفسه بماء في قربة بالية يوشك أن تنخرق فيراق ماؤها.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٢١: ٤.

هزيمة؟ وبادر رجل من الأنصار يقال له: ثابت بن أقرم إلى اللواء فأخذه وجعل يصيح بالأنصار: إليّ أيها الناس! فجعل قليل منهم يثوبون إليه ويجتمعون، فنظر ثابت فيهم إلى خالد بن الوليد فناداه: يا أبا سليمان! خذ اللواء. فقال له: أنت رجل قد شهدت بدراً ولك سنّ فلا آخذه وأنت أحق به! فقال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك! فأخذه خالد.

فجعل المشركون يحملون عليه.. وحمل بأصحابه ففضّ جمعاً منهم، ثم دهمه منهم بشر كثير، فانكشفوا راجعين.. فكانت الهزيمة، واتبعهم المشركون. وجعل قُطْبة بن عامر يصيح: يا قوم، يُقتل الرجل مُقبلاً أحسن من أن يُقتل مُدبراً. فما يثوب إليه أحد[1].

النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بالمدينة:

وروى الراوندي في «الخرائج والجرائح» عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

لما كان اليوم الذي وقعت فيه حربهم (مؤتة) صلى النبيّ بنا الغداة ثم صعد المنبر فقال: قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة. ثم أقبل يحدثنا بكرّات بعضهم على بعض إلى أن قال: أخذها (الراية) جعفر بن أبي طالب وتقدم بها للحرب. ثم قال: قد قطعت يده (اليمنى) وقد أخذ الراية بيده الأخرى (اليُسرى) ثم قال: وقطعت يده الأخرى (اليُسرى) وقد احتضن الراية في صدره. ثم قال: قُتل جعفر وسقطت الراية.

ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة.. ثم قال: قُتل عبد الله بن رواحة وأخذ الراية خالد بن الوليد، وانصرف المسلمون.. وقد قتل من المشركين كذا، وقُتل من المسلمين فلان وفلان فذكر جميع من قتل من المسلمين بأسمائهم.

---

(١) مغازي الواقدي ٧٦٣: ٢.

ثم نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر، فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره[١].

تسلية المصابين:

روى البرقي في «المحاسن» بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: لما انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قتل جعفر بن أبي طالب، دخل على أسماء بنت عُميس امرأة جعفر، فقال: أين بَنيّ؟ فدعت بهم، وهم ثلاثة: عبد الله وعون ومحمد، فمسح رسول الله رؤوسهم، فقالت: إنّك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فعجب رسول الله من عقلها فقال: يا أسماء، ألم تعلمي أن جعفراً رضوان الله عليه استشهد؟ فبكت. فقال لها رسول الله: لا تبكي، فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني: أنّ له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر.

فقالت: يا رسول الله، لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا يُنسى فضله. فعجب رسول الله من عقلها[٢].

وروى فيه عن الصادق عليه السلام مثله ثم قال: فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فصعد المنبر وأعلم الناس بذلك ثم نزل[٣].

---

(١) الخرائج والجرائح ١٦٦ : ١ برقم ٣٥٦ وذكر مختصره برقم ١٩٨ وأشار إليه ابن إسحاق في السيرة ٢٢ : ٣ ورواه الواقدي في مغازي الواقدي ٧٦٢ ٧٦١ : ٢.

(٢) المحاسن ١٩٤ : ٢ برقم ١٩٩.

(٣) المحاسن ١٩٣ : ٢ برقم ١٩٨.

وروى الطبْرسي في إعلام الورى عن عبد الله بن جعفر قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقى إلى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يُعرف عليه، فقال:

«إنّ المرء كثير حزنه بأخيه وابن عمه، إلا إنّ جعفراً قد استشهد وجعل له جناحان يطير بهما في الجنة».

ثم نزل ودخل بيته وأدخلني معه، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي، فتغدّينا عنده ـ والله ـ غداءً طيباً مباركاً، وأقمنا ثلاثة أيام في بيته ندور معه كلما صار في بيت إحدى نسائه، ثم رجعنا إلى بيتنا. ورواه الواقدي في مغازي الواقدي ٧٦٧ ٧٦٦ : ٢. =

وروى فيه عنه عليه السلام أيضاً قال: لما قُتل جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة عليها السلام أن تأتي أسماءَ بنت عميس هي ونساؤها، وتقيم عندها ثلاثاً، وتصنع لها طعاماً ثلاثة أيام. فجرت بذلك السنَّة أن يُصنع لأهل المصيبة طعام ثلاثة أيام[1].

ثم جاءت الأخبار بأنهم قد قُتلوا في ذلك اليوم على تلك الهيئة[2].

رجوعهم إلى المدينة:

روى الواقدي بسنده عن أبي سعيد الخُدْري قال: أقبل خالد بن الوليد بالناس منهزماً، فلمّا سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقّوهم إلى الجُرْف (من نواحي المدينة) فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فُرّار! أفررتم في سبيل الله؟![3].

فأمّا من كان كبيراً من أصحاب رسول الله فإنه جلس في بيته استحياءً، حتى جعل النبيّ يُرسل إليهم رجلاً رجلاً، ويقول لهم: انتم الكُرّار في سبيل الله.

= ثم روى الطبْرسي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة، اذهبي فابكي على ابن عمك، فانّك إن لم تدعي بثكل فما قلت فقد صدقت ـ إعلام الورى ٢١٤: ١.

وعليه فلا يصح ما رواه ابن إسحاق في السيرة ٢٣: ٤ والواقدي في المغازي ٧٦٧: ٢ عن عائشة: أنّ النبيّ أمر رجلاً أن يُسكت النساء عن البكاء على جعفر فان أبين أن يحثوا في أفواههنّ التراب! بينما هما رويا بسندهما عن أسماء أنها صرخت حتى اجتمع إليها النساء، ولم يرو أنه منعها أو منعهن! بل رويا أنه خرج إلى فاطمة فأمر أن يصنعوا لهم طعاماً ـ ٢٢: ٤ ومغازي الواقدي ٧٦٦: ٢. وفيه: على مثل جعفر فلتبك الباكية!

(١) المحاسن ١٩٣: ٢ برقم ١٩٧ و ١٩٦ وفي فروع الكافي ٢١٧: ٣، الحديث ١ وكتاب من لا يحضره الفقيه ١٨٣ ١٨٢: ١، الحديث ٥٤٩ والحديث ٥٤٦ وفيه: فقد شُغلوا. والحديث ٥٤٨ وفيه: كان من عمل الجاهلية الأكل عند أهل المصيبة، والسنة: البعث إليهم بالطعام. وأمالي الطوسي: ٦٥٩ برقم ١٣٦٠.

(٢) الخرائج والجرائح ١٢١: ١، الحديث ١٩٨. ولعله كان على لسان عبد الرحمن بن سمرة كما في مقاتل الطالبيين: ٧. أو أبي عامر الأشعري أو يعلى بن أمية كما في شرح المواهب ٢٧٦: ٢ كما مرّ.

(٣) مغازي الواقدي ٧٦٥ ٧٦٤: ٢.

وكان من جيش مؤتة سلمة بن هشام المخزومي ابن أم سلمة زوج النبيّ، فدخل داره ولم يخرج منها، ودخلت امرأته على أم سلمة فقالت لها أم سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام؟ أيشتكي شيئاً؟

فقالت امرأته: لا والله ولكنه لا يستطيع الخروج، فإنه إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: يا فُرّار! أفررتم في سبيل الله؟! فلذلك قعد في البيت.

فذكرت أُم سلمة ذلك لرسول الله، فقال رسول الله: بل هم الكُرّار في سبيل الله، فليخرج! نخرج[1].

شهداء مؤتة:

وقتل بمؤتة ما عدا الثلاثة: جعفر[2] وزيد وعبد الله بن رواحة الخزرجي: من قريش: مسعود بن الأسود العدوي ووَهْب بن سعد بن أبي سرح أخو عبد الله بن سعد بن أبي سرح. ومن بني النجار من الخزرج: سُراقة بن عمرو، وجابر بن عمرو وأخوه أبو كلاب أو كليب، وعمرو بن سعد وأخوه عامر. والحارث بن النعمان بن أساف[3] أو يساف[4].

---

(١) مغازي الواقدي ٧٦٥: ٢ وابن إسحاق في السيرة ٢٥ ٢٤: ٤ بدون الذيل.

(٢) نقل الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ٨ عن علي بن عبد الله بن جعفر: أن جعفر قُتل وهو ابن أربع وثلاثين سنة. ثم قال: وهذا عندي شبيه بالوهم.. وعلى أي الروايات قيس أمره عُلم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين، فإنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله إحدى وعشرون سنة، وهو أسنّ من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين..

(٣) سيرة ابن هشام ٢٥: ٤.

(٤) مغازي الواقدي ٧٦٩: ٢. هذا، وفي إحدى روايتي الكليني في أصول الكافي ٥٤: ٢ عن أبي بصير، وهي التي عن القاسم بن بريد عنه عن الصادق عليه السلام قال: استقبل رسول الله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً! فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك! فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري، وكأني أنظر إلى عرش ربي قد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار! فقال له=

أمّا تاريخ الغزوة: فقد كانت في جمادى الأولى من سنة ثمان[١].

سرّية وادي الرمل اليابس:

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ[٢] أهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، فتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على أن لا يتخلف رجل عن رجل ولا يخذل أحد أحداً ولا يفرّ رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلهم ـ على حلف واحد ـ أو يقتلوا محمداً (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب فنزل

=رسول الله (صلى الله عليه وآله): عبدٌ نوّر الله قلبه! أبصرت فاثبت! فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني الشهادة معك. فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة. فلم يلبث إلا أياماً حتى.. استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر، وكان هو العاشر.

هذا، والمقتول في مؤتة كما مرّ هو حارث بن النعمان بن أساف أو يساف، وليس حارثة بن مالك بن النعمان، ولا يوجد في السيرةوالتاريخ أحد بهذا الاسم، بل: حارث بن مالك أبو واقد الليثي وليس هو به، وحارث بن مالك بن البَرصاء أسلم في السابعة وليس هوبه قطعاً أيضاً.

وقد ورد في آخر الرواية الأخرى للخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، في معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ١٨٧ فقال له: يا رسول الله ما أنا أخوف من شيء على نفسي أخوف مني عليها من بصري! فدعا رسول الله فذهب بصره!

وذكره الطوسي في رجاله فقال فيه: شهد بدراً وأُحداً وما بعدهما من المَشاهد.. وشهد مع أمير المؤمنين القتال، وتوفي (بعده) في زمن معاوية: رجال الطوسي: ١٧ وكذلك ذكره العسقلاني في الإصابة برقمي ١٤٧٨ و ١٥٣٢ وأخرج حديثه هذا عن عدة من جوامعهم الحديثية بألفاظ مختلفة ثم قال: انه حديث معضل لا يعوّل عليه إذ لم يثبت موصولاً. وعليه: فالخبر في أصله عامّي مردود لديهم.

(١) سيرة ابن هشام ١٥ : ٤ وإعلام الورى ٢١٢ : ١ ومناقب آل أبي طالب ٢٠٦ ٢٠٥ : ١.

(٢) هذا ما نراه في تفسير القمي ٤٣٤ : ٢ ويبدو عنه في تفسير فرات الكوفي: ٥٩٩، الحديث ٧٦١ وعنهما في بحار الأنوار ٧٤ ـ ٦٧ : ٢١، وباسم وادي الرمل لدى المفيد في الإرشاد ١١٣ : ١ وقال: ويقال. إنها كانت تسمى بغزوة السلسلة. وفي ١٦٢ بتقديم اسم: غزاة السلسلة.. قوم من العرب بوادي الرمل. وعن القوم وموضعهم قال: بني سُليم، وهم قريب من الحَرّة. وذكر الخبر الراوندي باسم ذات السلاسل، وعن الموضع فيه: ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل ـ الخرائج والجرائح ١٦٧ : ١ و ٢٥٧. وفي ابن هشام ٢٧٢ : ٤ عن ابن إسحاق: ذات السلاسل من أرض بني عُذرة.. إلى جهة الشام.. على ماء بأرض جُذام يقال له السَلْسَل، وبذلك سمّيت الغزوة: ذات السلاسل. وفي الطبقات الكبرى ٩٤ : ٢ : ذات السلاسل: وراء وادي القُرى بينها وبين المدينة عشرة أيام. وليس لوادي الرمل اليابس ذكر في التواريخ والسِيَر.

جبرئيل عليه السلام على محمد (صلى الله عليه وآله) وأخبره بقصتهم وما تعاقدوا عليه وتواثقوا، وأمره أن يبعث أبا بكر[١] إليهم في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار.

فصعد رسول الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، إنّ جبرئيل أخبرني: أنّ أهل وادي اليابس اثنى عشر ألف فارس قد استعدوا وتعاقدوا وتعاهدوا أن لا يغدر رجل بصاحبه ولا يفرّ عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب، وقد أمرني أن أُسيّر إليهم أبا بكر في أربعة آلاف فارس، فخذوا في أمركم، واستعدّوا لعدوّكم، وانهضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الاثنين إن شاء الله تعالى.

فأخذ المسلمون عُدّتهم وتهيّأوا، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر بأمره، وكان في ما أمره به أنه إذا رآهم: أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوه، وإلا واقَعهم فيقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريَّهم، ويستبيح أموالهم، ويخرّب ضياعَهم وديارَهم.

فمضى أبو بكر ومَن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عُدّة وأحسن هيئة، يسير بهم سيراً رفيقاً، حتى انتهوا إلى أهل وادي اليابس.

فلمّا بلغ القوم نزلوا إليهم، ونزل أبو بكر وأصحابه قريباً منهم. وخرج إليهم من أهل وادي اليابس مئتا رجل مدجّجين بالسلاح، فلمّا صادفوهم قالوا لهم: من أنتم! ومن أين أقبلتُم؟ وأين تريدون؟

فخرج إليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين فقال لهم: أنا أبو بكر صاحب رسول الله.

قالوا: ما أقدمك علينا؟

قال: أمرني رسول الله أن أعرض عليكم الإسلام، فإن تدخلوا في ما دخل فيه المسلمون فلكم مالهم وعليكم ما عليهم، وإلا فالحرب بيننا وبينكم.

---

(١) كذا في نسخة بحار الأنوار، وتفسير فرات الكوفي، وفي المطبوع: فلاناً، وكذا في سائر الموارد.

فقالوا له: أما واللات والعزّى، لولا رحم بيننا وقرابة قريبة(؟) لقتلناك وجميع أصحابك قِتلةً تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك واربحوا العافية، فإنّا إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر: يا قوم، إنّ القوم أكثر منكم أضعافاً وأعدُّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلمْ رسولَ الله بحال القوم.

فقالوا له: يا أبا بكر، خالفت قولَ رسول الله وما أمرك به، فاتّق الله وواقِع القوم ولا تخالف رسولَ الله!

فقال: إنّي أعلم ما لا تعلمون، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فانصرف ـ وانصرف الناس أجمعون ـ فأخبر رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) بمقالة القوم وما ردّ عليهم.

فقال رسولُ الله: يا أبا بكر، خالفت أمري، ولم تفعل ما أمرتك، وكنت لي ـ والله ـ عاصياً في ما أمرتك!

ثم قام النبيّ (صلى الله عليه وآله) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين، إنّي أمرت أبا بكر أن يسير إلى أهل وادي اليابس، وأن يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إلى الله، فان أجابوه، وإلا واقَعهم. وإنّه سار إليهم، فخرج إليه مئتا رجل، فلما سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ سَحَره[1] ودخله الرعب منهم، فترك قولي ولم يطع أمري.

وإنّ جبرئيل أمرني عن الله: أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه الأربعة آلاف فارس. فسِر ـ يا عمر ـ على اسم الله، ولا تعمل كما عمل أخوك، فإنه قد عصى الله وعصاني.

---

(١) كذا في تفسير الكوفي، وفي القمي: صدره. والسَحَر: الرئة، أي انتفخت رئته خوفاً. انظر مجمع البحرين.

وأمره بما أمر أبا بكر.

فخرج ومعه المهاجرون والأنصار الذين كانوا مع أبي بكر، يقتصد بهم في سيرهم، حتى شارف القوم وكان قريباً منهم حيث يراهم ويرونه.

فخرج إليهم منهم مئتا رجل، فقالوا لهم مثل مقالتهم لأبي بكر، فانصرف، وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه ممّا رأى من عدة القوم وجمعهم!

وقدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بمثل ما أخبره به صاحبه.

فقال له: يا عمر، عصيت الله في عرشه وعصيتني، وخالفت قولي، وعملت برأيك! ألا قبّح الله رأيك! وإنّ جبرئيل قد أمرني أن أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين، وأخبرني أن الله يفتح عليه وعلى أصحابه.

فدعا عليّاً عليه السلام وأوصاه بما أوصى به أبا بكر وعمر وأصحابهما الأربعة آلاف فارس، وأخبره أنّ الله سيفتح عليه وعلى أصحابه.

فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار وأعنف بهم في السير حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابهم[1] وقال لهم: لا تخافوا، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أمرني بأمر وأخبرني أنّ الله سيفتح عليَّ وعليكم، فأبشروا، فإنكم على خير وإلى خير. فطابت نفوسهم وقلوبهم، وساروا على ذلك السير والتعب. حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم أمر أصحابه أن ينزلوا.

مواجهة الإمام علي القوم:

وسمع أهل وادي اليابس بقدوم علي بن أبي طالب وأصحابه، فخرجوا إليهم فيهم مئتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه.

فقالوا لهم: مَن أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟

---

(١) كان إذا تقشّر حافر الدابّة قيل: حفيت الدّابّة، كأنّها أصبحت حافية من حافرها.

فقال عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإن آمنتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقال له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك وما عرضتَ علينا، فخذ حِذرك واستعِدّ للحرب العَوان[1] واعلم أنّا قاتلوك وقاتلو أصحابك، والموعد بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا في ما بيننا وبينكم!

فقال لهم علي عليه السلام: ويلكم! تهدّدوني بكثرتكم وجمعكم! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالعلي العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي عليه السلام إلى مركزه.

فلمّا جنّه الليل أمر أصحابه أن يُقضموا[2] دوابّهم ويحسنوا إليها ويُسرجوها.

اشتباك الحرب:

فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغَلَس[3] ثم أغار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطِئتهم الخيل، فما أدرك آخِرُ أصحابه حتى قتل مقاتلتهم، وسبا ذراريّهم، واستباح أموالهم، وخرّب ديارهم. وأقبل بالأسارى والأموال معه.. وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس.. وما غنم المسلمون مثلها قط، إلا أن يكون من خيبر، فإنها مثل ذلك.

وأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم سورة ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ يعني بالعاديات الخيل تعدو بالرجال، والضبح صيحتها في أعنّتها ولجُمِها[4].

---

(١) الحرب العَوان: التي فيها جولات وكرّات.
(٢) يُقضموا الدّوابّ أي يجعلوها تقضِم أي تأكل شعيرها.
(٣) الغلَس: الظلام في آخر الليل، والغسق في أوّله.
(٤) كذا في هذا الخبر في تفسير القمي، والكوفي: ٦٠٢، الحديث ٧٦١ والطوسي في الأمالي: ٤٠٧، الحديث ٩١٣ بسنده عنه عليه السلام أيضاً مختصراً قال: وجّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمر ابن=

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما فتح الله لعلي عليه السلام وجماعة المسلمين.

فصعد رسول الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يُصَب منهم إلا رجلان، ونزل.

والمفيد في «الإرشاد» نقل الخبر عن أصحاب السير إلى أن قال: فرُوي عن أم سلمة رحمها الله قالت: كان نبيّ الله عليه السلام قائلاً في بيتي إذ انتبه من منامه

=الخطاب في سرية (ولم يعيّن) فرجع منهزماً يجبّن أصحابَه ويجبّنه أصحابُه، فلما انتهى إلى النبيّ قال لعلي عليه السلام: أنت صاحب القوم، فتهيّأ أنت ومَن تريده من فرسان المهاجرين والأنصار.. وقال له: اكمُن النهار وسِر الليل ولا يُفارقك العين. فسار علي عليه السلام إليهم فلما كان عند الصبح أغار عليهم، فأنزل الله على نبيّه: «والعاديات ضبحاً» إلى آخرها. والخبر من مرويات أبي القاسم بن شبل الوكيل، وإليه أشار الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١٤٠ : ٣ وإلى الحديث الطويل أشار الطبرسي في مجمع البيان ٨٠٣: ١٠ فقال: نزلت السورة لما بَعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) علياً عليه السلام إلى ذات السلاسل فأوقع بهم.. وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل، قال: ولما نزلت السورة خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الناس فصلّى بهم الغداة وقرأ فيها «والعاديات» فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها! فقال رسول الله: نعم! إنّ علياً ظفر بأعداء الله وبشّرني بذلك جبرئيل في هذه الليلة. هذا وقد نقل الطوسي في التبيان ٣٩٥: ١٠ عن الضحاك: أن السورة مدنية، والطبرسي أيضاً نقل ذلك عن ابن عباس وقتادة ـ ٨٠١: ١٠.

وفي آيات إطعام أهل البيت عليهم السلام من سورتهم سورة الإنسان قال: إن بعض أهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن قال: هذه السورة مكية، فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة، واستدل بذلك على أنها مخترعة، جرأة على الله وعداوة لأهل بيت رسوله، فأجبت.. كشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه..

فنقل عن كتاب الإيضاح للأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: سألت النبيّ عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة، على نحو ما نزلت من السماء، فأوّل ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب.. إلى أن قال: وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة.. وبإسناده عن الحسن البصري وعكرمة.. وبإسناده عن عثمان بن عطاء الخراساني عن ابن عباس.. ورواه الطبْرسي أيضاً عن الحاكم الحسكاني النيشابوري ٦١٤ ـ ٦١٢: ١٠ وليس في قوائم هذه الأخبار مدنية العاديات، بل هي فيها مكية. ولذلك فنحن ذكرنا نزولها في عداد المكيات الأوائل، وبناءً على هذه الأخبار عن الصادق عليه السلام بنزولها هنا في المدينة فهي نازلة هنا إما ابتداءً أو ثانية وبمعنى ثان.

فزعاً، فقلت له: الله جارك! قال: صدقتِ، الله جاري، لكن هذا جبرئيل عليه السلام يخبرني: أنّ علياً قادم.

ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليّاً عليه السلام.

وقام له المسلمون صفّين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلمّا بصر بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) ترجّل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبّلهما، فقال له: اركب، فإنّ الله تعالى ورسوله عنك راضيان! فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرَحاً.

فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله): يا عليّ، لو لا أنّني أُشفِق أن تقول فيك طوائف من أُمتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم، لقلت فيك ـ اليوم ـ مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك[1].

وانصرف عليّ عليه السلام إلى منزله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟

قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا أنه لم يؤمّ بنا في صلاة إلا قرأ بنا فيها بقل هو الله أحد. فقال النبيّ لهم: سأسأله عن ذلك.

فلما جاءه قال له: لِمَ لَمْ تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟

فقال عليه السلام: يا رسولَ الله أحببتُها.

فقال له النبيّ عليه السلام: فإنّ الله قد أحبّك كما أحببتها[2].

---

(١) الإرشاد ١١٧ ١١٦: ١ و ١٦٥.

(٢) الإرشاد ١١٧ ١١٦: ١. وروى خبر سورة التوحيد الصدوق في التوحيد: ٩٤ بسنده عن عمران بن الحصين الأنصاري: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعث سرية. ولم يُسمّها. والطبْرسي في إعلام الورى نقل ما ذكره المفيد في الإرشاد أولاً ١١٦ ـ ١١٣: ١. وأرسل النقل الراوندي في الخرائج والجرائح ١٦٨ ١٦٧: ١، الحديث ٢٥٧. مع ذكر دور عمرو بن العاص في الغزوة نحو ما في الإرشاد. وأشار المفيد إلى أصحاب السيرَ ولم يسمّهم، وأشار الحلبي في مناقب آل أبي طالب ١٤١ ١٤٠: ٣ إلى أسمائهم فقال: وكيع والزجاج والثوري والسدّي ومقاتل وأبو صالح عن ابن عباس. مع ذكر دور خالد بن الوليد أو عمرو بن العاص. =

سَريّة أبي قتادة إلى خَضِرة[1]:

روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي حدْرد الأسلمي قال: أقبل رجل من بني جُشم يقال له: رفاعة بن قيس أو قيس بن رُفاعة، بقومه حتى نزل بالغابة يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

فبعثَنا النبيّ إلى غطَفان نحو نجد، وقال لنا: سيروا الليل واكمنوا النهار، وشُنّوا الغارة، ولا تقتلوا النساء والصبيان.

فخرجنا حتى أتينا ناحية غطفان ليلاً، فألّف أبو قَتادة بين كل رجلين منّا، ثم خطبنا.. فأوصانا بتقوى الله: لا يفارق كل رجل زميله حتى يُقتل أو يرجع إليّ فيخبرني خبره، ولا يأتيني رجل فأسأله عن صاحبه فيقول: لا علم لي به! وإذا كبّرتُ فكبّروا، وإذا حملت فاحملوا، ولا تُمعِنوا في الطلب.

ثم جرّد أبو قتادة سيفه وجرّدنا سيوفنا، وكبّر وكبّرنا معه، فشددنا وهجمنا على حاضر منهم عظيم[3].

وروى الواقدي: أنهم غابوا خمس عشرة ليلة (في شعبان سنة ثمان)[4] وجاؤوا بمئتي بعير وألف شاة، مع سبي كثير: أربع نسوة، وأطفال مِن غلمان وجَوارٍ.. وعزلوا الخمس، وكان سهم كل رجل اثني عشر بعيراً، وكان البعير يُعدَل بعشر من الغنم.

= أما ابن إسحاق والواقدي فقد قالا: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) بعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة إلى الشام على ما بأرض جُذام يقال له السَّلْسَل وبذلك سميت الغزوة: ذات السلاسل.

(١) على عشرين ميلاً (ثمانين كم) بناحية نجد عند بستان ابن عامر ـ مغازي الواقدي ٦: ١.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٢٧٨: ٤.

(٣) مغازي الواقدي ٧٧٨: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٧٨٠: ٢.

نزول سورة الطلاق:

نجد في ترتيب النزول المعتمد سورة الطلاق بعد سورة الإنسان[١] وقال الطبْرسي في «مجمع البيان»: وتسمّى سورة النساء القُصرى.

وأيضاً في الترتيب المعتمد بعد سورة الطلاق سورة البيّنة، ثم سورة الحشر. ولم يختلفوا أنَّ شأن نزول سورة الحشر إخراج يهود بني النضير من ديارهم إلى خيبر والأردن والشام، وكان ذلك قبل خيبر بكثير، أي قبل السنة السابعة مما يقتضي نزولها قبل هذا.

وفي الترتيب المعتمد بعد سورة الحشر سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ : فتح مكة.

بدايات روايات فتح مكة

نقض قريش لعَهد الحديبية:

وآخر ما كان بين خُزاعة وبني بكر أن عدت خُزاعة على سلمى وكلثوم وذُؤيب أبناء الأسود الدِّيلي من بني بكر من أشراف كنانة فقتلوهم، في عرفات، قرب علائم حدود الحرم، قُبيل الإسلام بقليل، ثم تَشاغلوا بالإسلام فحجز بينهم[٢] فتجاوزوا وكفّ بعضهم عن بعض من أجل الإسلام، وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم، إلا أنه قد دخل الإسلام عليهم جميعاً فأمسكوا[٣].

وانتصرت خزاعة لرسول الله:

وعلى رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية وقبل شهر شعبان[٤]، قعد

---

(١) التمهيد ١٠٧ : ١.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٣١: ٤.
(٣) مغازي الواقدي ٧٨١: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٧٨٣: ٢.

أنس بن زُنيم الدّيلي يروي هجاء رسول الله. فسمعه غلام من خزاعة فقال له: لا تذكر هذا! قال: وما أنت وذاك؟! فقال: لئن أعدت لأكسرنّ [فاك] فأعادها الدِّيلي، فوقع عليه الخزاعي فشجَّه. فخرج الدّيلي إلى قومه فأراهم شجّته، فثار الشرّ بينهم[1].

وأراد نوفَل بن معاوية الدِّيلي ـ وهو قائد بني الدِّيل من بني بكر من كنانة ـ أراد أن يثأر من خزاعة لمن قتلوه قبيل الإسلام من أبناء الأسود الدِّيلي.

فكلّموا أشراف قريش أن يعينوهم بالسلاح والرجال لقتال عدوّهم من خزاعة، وذكّروهم بالقتلى منهم على يد خُزاعة، وبدخولهم في عقدهم وعهدهم، وأنّ خزاعة انحازت إلى عقد محمد وعهده.

فأمّا أبو سفيان فإمّا لم يشاوروه، أو شاوروه فأبى عليهم، وأمّا سائر القوم فقد أسرعوا لهم.

وأما خُزاعة فإنهم كانوا في دِعة وأمان من عدوّهم لما حجز الإسلام بينهم، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذر وعُدة فتواعدت قريش في ما بينهم سرّاً لئلا تُخبر خزاعة فتحذر، فتواعدوا على ماء لخزاعة يُسمّى الوتير، فوافوا للميعاد، وفيهم رجال من كبار قريش متنقّبين متنكّرين: فبيّتوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم رجلاً يقال له مُنبّه، ثم لم يزالوا يقاتلونهم حتى انتهوا بهم إلى علائم حدود الحرم (من قِبل عرفات).

ندوة قريش للمشورة:

قال الواقدي: ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان فقالا له:

---

(١) إعلام الورى ٢١٥: ١ ومغازي الواقدي ٧٨٢: ٢.

هذا أمر لا بدّ أن يُصلَح، والله لئن لم يُصلح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد في أصحابه!

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد ارتدّ عن الإسلام وتعرّب بعد الهجرة، فكان يومذاك حاضراً هناك فقال:

إنّ عندي رأياً: إنّ محمداً ليس يغزوكم حتى يُعذِر إليكم ويخيّركم في خِصال كلها أهون عليكم من غزوه. قالوا: ما هي؟ قال:

ـ يُرسل: أن أدّوا (سلّموا دية) قتلى خزاعة، وهم ثلاثة وعشرون رجلاً.

ـ أو: تَبرّأوا من حِلف مَن نقض العهد بيننا بني نُفاثة (من بني بكر من كنانة).

ـ أو ننبذ إليكم الحرب.

فما عندكم في هذه الخصال؟

فقال سُهيل بن عمرو: ما خَصلة أيسر علينا من التبرّؤ من حِلف بني نُفاثة.

وقال شيبة: لا، ولكنّا ندي (نؤدّي دية) قتلى خُزاعة فهو أهون علينا.

فقال قُرَطَة بن عبد عمرو: لا والله لا يُودَوْن، ولا نبرأ من حِلف نفاثة، فهم أعمدة لشدّتنا، ولكن ننبذ إليه على سواء!

فقال أبو سفيان: ما هذا بشيء! وما الرأي إلا جحد هذا الأمر أن تكون قريش قد دخلت في نقض عهد وقطع مدّة، فإن قطعه قوم بغير هَوًى منّا ولا مشورة فما علينا؟!

قالوا: هذا الرأي، لا رأي غيره، الجحد لكلّ ما كان من ذلك.

فقال: وإنّي لم أشهده ولم أُوامَر فيه، وأنا في ذلك صادق، لقد كرهت ما صنعتم، وعرفت أن سيكون له يوم مظلم!

فقالوا له: وأنت تخرج بذلك![1].

---

(١) مغازي الواقدي ٧٨٨ ٧٨٧: ٢.

وقال: ما لي بدٌّ أن آتي محمداً قبل أن يبلغه هذا الأمر فأكلّمه ليجدّد العهد ويزيد في الهُدنة.

فقالوا: قد والله أصبت الرأي.

فأسرع الخروج أبو سفيان[١] بعد يومين، أي خمسة أيام بعد مقتل خزاعة[٢] مع مولًى له على راحلتين، وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله[٣] هذا وقد سبقه عمرو بن سالم الخُزاعي الكعبي.

استنصار خزاعة بالرسول:

روى الواقدي عن حِزام الكعبي الخُزاعي عن آبائه قال: كان عمرو بن سالم الكعبي الخزاعي رأسَ خُزاعة، فخرج في أربعين راكباً من خُزاعة[٤] صبح الواقعة[٥] يخبرون رسول الله بالذي أصابهم، وأنّ صفوان بن أُميّة حضر ذلك في رجال من قومه متنكّرين فقاتلوهم بأيديهم، وأعانوهم بالرجال والسلاح والكُراع، فهم يستنصرون رسول الله عليهم.

فقدم على رسول الله المدينة، ودخلوا مسجده وهو جالس بين ظهراني الناس، وقام يستأذن النبيّ يُنشده شعراً، فأذن له.

فلما فرغ، قال الركب لرسول الله: إنّ أنس بن زُنيم الدِّيلي (النُفاثي البكري من كنانة) قد هجاك. فأهدر رسول الله دمَه[٦].

---

(١) مغازي الواقدي ٧٨٥: ٢.
(٢) مغازي الواقدي ٧٩٢: ٢.
(٣) مغازي الواقدي ٧٨٥: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٧٨٩: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ٧٩٢: ٢.
(٦) مغازي الواقدي ٧٨٩: ٢. وابن إسحاق في السيرة ٣٦: ٤ وإعلام الورى ٢١٥: ١.

وقال لعمرو بن سالم: نُصِرتَ يا عمرَو بنَ سالم[١]. ثم قال: لكأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدِّد العهد، وزِد في الهُدنة! وهو راجع بسخطه[٢].

ثم عرضت سحابة في السماء، فنظر إليها رسول الله وتفألَ بها فقال: إن هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب (من خُزاعة)[٣].

ثم قام وهو يجرّ طَرَفَ ردائه ويقول: لا نُصِرتُ إن لم أنصر بني كعب!

ثم قال لعمرو بن سالم وأصحابه: ارجِعوا وتفرّقوا في الأودية[٤] (لئلا يُعلم خبرهم).

ثم دخل دار ميمونة بنت الحارث الهلالية (التي تزوّجها في عمرة القضاء) وقال: اسكبوا لي ماءً. فجعل يغتسل ويقول: لا نُصرتُ إن لم أنصر بني كعب![٥].

لقاء أبي سفيان بالخزاعيّين:

روى الواقدي عن حِزام الكعبي الخزاعي قال: لما بلغ الكعبيون الخزاعيون الأبواء في رجوعهم من المدينة إلى مكة، لزم بُديل بن ورقاء منهم الطريق، وذهبت طائفة منهم (مع عمرو بن سالم) إلى الساحل.

وكان أبو سفيان قد خرج من مكة وهو متخوّف أن يكون عمرو بن سالم

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٣٧: ٤.

(٢) مغازي الواقدي ٧٩١: ٢ وابن إسحاق في السيرة ٣٧: ٤ أنه قالها للناس، وبلفظ: قد جاءكم ليشدّ العقد ويزيد في المدة.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٣٧: ٤. ومجمع البيان ٨٤٥: ١٠.

(٤) مغازي الواقدي ٧٩١: ٢.

(٥) إعلام الورى ٢١٥: ١. ورواها الواقدي عن عائشة في بيتها. قال ابن إسحاق: وخرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله فأخبروه بما أصلب منهم بنو بكر ومظاهرة قريش لهم عليهم، ثم انصرفوا راجعين. فلقوا أبا سفيان بعُسفان ـ ٣٧: ٤. وذكر الواقدي مواجهة بديل لأبي سفيان في رجوعه من المدينة، ولكنه جعله ممن كان مع عمرو بن سالم ـ ٧٩١: ٢. وهذا هو الأقرب من وفدين من خزاعة لذلك.

وأصحابه قد جاؤوا رسول الله، فلما لقي أبو سفيان بُديل الخُزاعي في نفر معه أشفق أن يكون بُديل قد جاء محمداً.

فقال لهم: أخبروني منذ كم عهدكم بيثرب؟

فقالوا: لا علم لنا بها. فعرف أنهم كتموه.

ثم تناوم القيلولة معهم حتى راح ـ بعد العصر ـ بُديل وأصحابه.

فقام أبو سفيان إلى محلّ نزولهم فأخذ من أبعار إبلهم ففتّه فوجد فيها نوى فجعل يقول: أحلف بالله لقد جاء القوم محمداً[1].

أبو سفيان في المدينة:

فأقبل حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال: يا محمد، احقِنْ دمَ قومك، وأجِرْ بين قريش، وزدنا في المدة.

قال (صلى الله عليه وآله): أغدَرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا.

قال: فنحن على ما كنّا عليه. فخرج.

فلقي أبا بكر، فقال له: يا أبا بكر، أجِرْ بين قريش.

قال أبو بكر: ويحك! وأحدٌ يجير على رسول الله؟!

ثم لقي عمر، فقال له مثل ذلك (فأجابه بمثل ذلك أيضاً).

ثم خرج فدخل على أُم حبيبة (ابنته) فذهب ليجلس على الفراش، فأهوت إلى الفراش فطوته!

فقال لها: يا بُنيّة، أرَغبةً بهذا الفراش عنّي؟!

---

(١) مغازي الواقدي ٧٩٢ ٧٩١: ٢. وابن إسحاق في السيرة ٣٧: ٤ مختصراً. ونحوه في مجمع البيان ٨٤٥: ١٠.

قالت: نعم، هذا فراش رسول الله ما كنت لتجلس عليه وأنت رجسٌ مشرك[١].

فعدل إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال له:

يا علي، إنك أمسّ القوم بي رحِماً وأقربهم منّي قرابة! وقد جئتك، فلا أرجعنَّ كما جئت خائباً، اشفع لي إلى محمد في ما قصدته.

فقال عليه السلام: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه! فأقبل عليه و قال له: فانصح لي يا أبا الحسن!

فقال له علي عليه السلام: ما أرى شيئاً يغني عنك، ولكنّك سيّد بني كِنانة[٢] فقم فأجِر بين الناس، ثم الحق بأرضك!

قال: فترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟

قال: لا والله، ولكنّي لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرتُ بين الناس. ثم خرج[٣].

وروى مثله ابن إسحاق[٤] والواقدي وزاد: وكان قد طالت غيبته وأبطأ على قريش، فاتهموه يقولون فيه: إنا نراه قد صبا فسيتبعه ويكتم إسلامه سرّاً!

فشعُر من ذلك بشدة اتّهامه، وأراد أن يبرأ إلى قريش من ذلك، فلما أصبح حمل معه ذبيحةً إلى الصنمين إساف ونائلة، فحلق رأسه عندهما ثم ذبح لهما

---

(١) إعلام الورى ٢١٧: ١ ونحوه في مجمع البيان ٨٤٥: ١٠.
(٢) يخصّه عليه السلام ببني كنانة لعله يعرّض به أن النقض كان منهم.
(٣) الإرشاد ١٣٣ ١٣٢: ١ ومثله في إعلام الورى ٢١٨ ـ ٢١٧: ١ بالرواية عن عيسى بن عبد الله الأشعري القمي عن الصادق عليه السلام. ونحوه في مجمع البيان ٨٤٦: ١٠.
(٤) سيرة ابن هشام ٣٩ ٣٨: ٤.

وأخذ يمسح رأسَيْهما بدم ذبيحته لهما وهو يقول لهما: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي! يريد بذلك أن يبرأ إلى قريش مما اتهموه به[١].

فاجتمع إليه جمع من قريش فقالوا له: ما وراءك؟

قال: جئتُ محمداً فكلّمتهُ، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً!

ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً!

ثم لقيت ابنَ الخَطّاب فوجدته فظّاً لا خير فيه!

ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم لي، وقد أشار عليّ بشيء فصنعتُه، ووالله ما أدري يغني عنّي شيئاً أم لا؟

فقالوا له: بمَ أمرك؟ قال: أمرني أن أُجير بين الناس ففعلت.

فقالوا له: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا.

الاهتمام بفتح مكة بلا إعلام:

ثم أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المسير إلى مكة[٢] وقال لعائشة: جهِّزينا، وأخفي أمرك![٣] وقال: اللهم خذ العُيون من قريش حتى نأتيها في بلدها[٤].

وتجسَّستْ قريش:

روى فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره عن ابن عباس قال: قدمت سارة مولاة (عمرو بن) هاشم إلى المدينة، فأتت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن معه من بني عبد المطلب[٥]. وكانت مغنية نائحة.

---

(١) مغازي الواقدي ٧٩٥: ٢.
(٢) إعلام الورى ٢١٦: ١.
(٣) مغازي الواقدي ٧٩٦: ٢.
(٤) إعلام الورى ٢١٦: ١ وابن إسحاق في السيرة ٣٩: ٤ ومغازي الواقدي ٧٩٦: ٢. هذا، وسيأتي أن المسلمين مع الرسول لم يكونوا يعلمون غايته.
(٥) تفسير فرات الكوفي: ٤٧٩.

وقال القمي في تفسيره: كان لحاطب بن أبي بلتعة عيال بمكة، وخافت قريش أن يغزوهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فصاروا إلى عيال حاطب وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسألوه عن خبر محمد وهل يريد أن يغزو مكة؟

فكتب عيال حاطب إليه يسألونه عن ذلك.

فكتب إليهم حاطب: أنّ رسول الله يريد ذلك[1]، ودفع الكتاب إلى (تلك الامرأة) فوضعته في شعرها ومشت.

فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بذلك[2].

قال المفيد في «الإرشاد»: فاستدعى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له:

إنّ بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله أن يُعمّي أخبارنا عليهم. والكتاب مع امرأة سوداء، وقد أخذَتْ على غير الطريق، فخذ سيفك وألحقها وانتزع الكتاب منها، وخلّها، وصِر به إليّ[3].

ثم استدعى الزبير بن العوّام فقال له:

امض مع عليّ بن أبي طالب في هذا الوجه.

فمضيا، وأخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير فسألها عن الكتاب الذي معها، فأنكرته وحلفت أنه لا شيء معها وبكت. فرجع الزبير إلى علي عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن ما أرى معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله لنخبره ببراءة ساحتها!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يخبرني رسول الله أنّ معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها، وأنت تقول: إنه لا كتاب معها! ثم تقدم إليها واخترط السيف فقال:

---

(١) وسيأتي نص كتابه.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٦١.

(٣) وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن أبي رافع عن علي عليه السلام قال: إنّ رسول الله بعثني والزبير والمقداد وقال انطلقوا إلى روضة خاخ ـ مجمع البيان ٩: ٤٠٥.

أمّا والله لئن لم تُخرجي الكتاب لأكشفنّك ثم لأضربنّ عنقك!

فقالت له: يا بن أبي طالب، إذا كان لا بدّ من ذلك فأعرِض بوجهك عنّي. فأعرض بوجهه عنها فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من شعرها.

فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فأمر أن يُنادى بالصلاة جامعةً. فنودي في الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم. فأخذ رسول الله الكتاب بيده وصعد إلى المنبر فقال: أيها الناس، إني كنت سألت الله عزّ وجلّ أن يُخفي أخبارنا عن قريش، وإنّ رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة[1] يخبرهم بخبرنا! فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي!

فلم يقم أحد. فأعاد رسول الله مقالته ثانية قال: ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي! فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يُرْعَدُ كالسعفة في يوم الريح العاصف فقال: يا رسول الله، أنا صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكّاً بعد يقيني!

فقال له النبيّ: فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟

فقال: يا رسولَ الله، إنّ لي بمكة أهلاً وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفّاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشكّ في الدين.

فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله مُرني بقتله فإنه قد نافق!

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنّه من أهل بدر، ولعلّ الله اطّلع عليهم فغفر لهم.

فصدّقه رسول الله وعذّره. فأنزل الله تعالى على رسوله من (سورة الممتحنَة):

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى

(١) كذا في هذا الخبر، وهو يتضمن نقض الغرض من كتمان الخبر على أهل مكة، فكيف يعلن به؟!

وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(١)(٢)].

قال الطوسي: ومنع رسول الله أن يخرج أحد من المدينة إلى مكة[(٣)] وزاد الطبْرسي: ووضع حرساً على المدينة وعليهم حارثة بن النعمان[(٤)].

المؤمنات المهاجرات:

مرّ في شروط صلح الحديبية: «وأنّه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليّه، يرُدّوه إليه..»[(٥)].

---

(١) الممتحنة: ١ ـ ٩.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٤٨٠ والقمي ٣٦٢: ٢ والتبيان ٥٧٥: ٩ و ٥٧٦ ومجمع البيان ٤٠٤: ٩. والآية الأخيرة هي الثالثة في السورة، والذي نصّ على هذا الموضع في نزول الآيات هو القمي، بينما الآيات متصلة المعاني حتى آخر التاسعة، ونصّ على هذا ابن إسحاق في السيرة ٤١: ٤. وروى الواقدي الخبر فأشرك الزبير في جدّ علي عليه السلام ـ مغازي الواقدي ٧٩٨ ٧٩٧: ٢.

(٣) التبيان ٥٧٥: ٩.

(٤) إعلام الورى ٢١٧: ١ وفي مغازي الواقدي ٧٩٦: ٢ هو عمر بن الخطاب.

(٥) تفسير القمي ٣١٤: ٢.

أمّا ردّ من أتى من أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) من رجال قريش بغير إذن وليّه، فهو داخل في هذا الشرط من شروط صلح الحُديبية، ولم يجر للنساء ذكر صريح في شروط الصلح، فهل يشملهنّ هذا الشرط كذلك أيضاً؟

في سور الذكر الحكيم سورة سُمّيت بالممتحنة، اقتباساً من كلمة في الآية العاشرة من السورة وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وروى الطوسي في «التبيان» عن عروة بن الزبير في سبب نزول الآية قال: هاجرت كلثم بنت أبي مُعيط مسلمة إلى المدينة، فجاء أخواها فسالا رسولَ الله أن يردّها، فنهى الله تعالى أن تُردّ إلى المشركين[1] وحكاه الطبْرسي في «مجمع البيان» عن الجُبّائي قال: إن رسولَ الله قال لهما: إنّ الشرط بيننا في الرجال لا في النساء. وزاد عن الزهري: أُميمة بنت بشر فرّت من زوجها الكافر ثابت بن الدحداحة إلى المدينة وأسلمت، فزوّجها رسول الله سهل بن حُنيف، فهي أم عبد الله بن سهل. وأروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب زوج طلحة بن عبيد الله، كانت كافرة فهاجر عنها طلحة، ثم فرّت إلى رسول الله (ولم يستردّها طلحة) فزوّجها رسول الله خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة[2] وهذه الموارد تنسجم مع نزول الآيات متواليات.

والآية لما حكمت: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ علّلت ذلك بالتالي: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ويتبعه الحكم التالي أيضاً: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أي الكافرات، فالآيات متواليات في النزول والحوادث، غاية الأمر أنّ هذا يقتضي

(١) التبيان ٥٨٤: ٩.

(٢) مجمع البيان ٤١١: ٩.

هجرة هؤلاء النسوة في فترة متلاحقة بعد محاولة حاطب بن أبي بلتعة وقبل الفتح، ومع هذا فلا غرابة في الأمر.

نزول سورة النصر:

روى الطوسي في «التبيان» عن الحسن ومجاهد: أنّ سورة النصر وعد من الله لنبيّه (صلى الله عليه وآله) بفتح مكة ونصرته على كفّار قريش قبل وقوع الأمر.

وفي الخبر المعتمد في ترتيب نزول السور ترتيبها الثانية بعد المئة بعد الحشر وقبل النور، وبعد الممتَحنة بعشر سور[١].

نفيرٌ عامّ بلا إعلام:

وعزم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المسير إلى مكة، فأرسل إلى من حَوله من المسلمين في البادية يقول لهم: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضُر رمضانَ بالمدينة[٢] ودعا رئيس كل قوم فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم[٣].

خروج الرسول إلى مكة:

قال الطبْرسي: واستخلف على المدينة أبا لبابة بن المنذر وخرج يوم الجمعة بعد العصر لليلتين من شهر رمضان.

وخرج رسول الله والمسلمون عشرة آلاف ممتطين الإبل يقودون الخيل، فما حلّ النبيّ عقدة حتى انتهى إلى الصُلصُل[٤].

---

(١) التمهيد ١٠٧: ١ و ١٠٦.

(٢) مغازي الواقدي ٧٩٩: ٢.

(٣) إعلام الورى ٢١٩ ـ ٢١٨: ١.

(٤) مغازي الواقدي ٨٠١ ٨٠٠: ٢ والصُلصُل على سبعة أميال = ١٤ كم ـ وفاء الوفاء ٣٣٦: ٢، ولم يُذكر هنا ما رواه في خروج الرسول إلى بدر في شهر رمضان وإفطاره في بيوت السقيا قرب المدينة، وإنما يروي الإفطار هنا قبل مكة بمرحلتين، كما يأتي.

روى الواقدي قال: كان قد بلغ الخبر إلى عُيينة بن الحصن بنَجْد: أنّ العرب قد تجمّعت إلى رسول الله يريدون وجهاً. فخرج عُيينة في نفر من قومه حتى قدم المدينة بعد خروج رسول الله بيومين، فسلك رَكوبةَ فسبقه إلى العَرْج.

فلما نزل رسول الله العَرْج جاءه عُيينةَ فقال له: يا رسول الله بلغني أن الناس يجتمعون إليك وأنك تريد الخروج، ولم أشعر فأجمع قومي فتكون لنا جلبَة كثيرة، وأقبلت سريعاً. ولست أرى هيئة حرب: لا ألوية ولا رايات! فالعمرة تريد؟ فلا أرى هيئة إحرام، فأين وجهك يا رسولَ الله؟ قال: حيث يشاء الله.

وسار رسول الله حتى بلغ السُقيا فوجد فيها أنّ الأقرع بن حابس التميمي قد وافاها في عشرة نفر من قومه، فساروا معه.

وتجسَّست هوازن أيضاً:

روى الواقدي: أنّ من العرْج تقدمت طليعة من الخيل أمام المسلمين، فلما كانوا بين العرْج إلى الطّلوب جاؤوا برجل إلى رسول الله وقالوا:

كان هذا على راحلته فلما طلعنا عليه تغيّب عنّا في وَهْدة (منخفض من الأرض) ثم طلع على مرتفع من الأرض، فركضنا نحوه فأراد أن يهرب منّا. فلما رأينا ما خلط قلنا: لتصدُقَنّا أو لنضربَنَّ عنقك! قال: فإن صدقتكم ينفعني ذلك عندكم؟ قلنا: نعم.

فقال: أنا رجل من بني نضْر من هوازن، بعثوني وقالوا: إئت المدينة لتستخبر لنا ما يُريد محمد في أمر حُلفائه (خُزاعة) أيبعث إلى قريش بعثاً أو يغزوهم بنفسه.. فإن خرج سائراً أو بعث بعثاً فسِر معه حتى تنتهي إلى بطن سَيرف، فإن كان يريدنا أوّلاً فيسلك في بطن سَرِف حتى يخرج إلينا، وإن كان يريد قريشاً فسيلزم الطريق.

فقال رسول الله: وأين هوازن؟

قال: تركتُهم ببقعاءَ وقد جمعوا الجُموع وأجلبوا في العَرب، وبعثوا إلى ثقيف فأجابتهم، فتركت ثقيفاً على ساق قد جمّعوا الجموع، وبعثوا إلى الجُرَش(١) ليصنعوا لهم منجنيقاً ودبّابات، ثم هم سائرون إلى جمع هوازن فيكونون جمعاً.

فقال رسول الله: حسبي الله ونعم الوكيل. ما أراه إلا صدقني الرجل.

فقال الرجل: فلينفعني ذلك.

فخافوا أن يتقدّم الرجل فيحذّر الناس، فأمر رسول الله خالد بن الوليد أن يوثقه فيحبسه عنده حتى يدخل مكة، فأخذه خالد(٢).

عمل النبي بالرفق بالحيوان

ومن رأفته (صلى الله عليه وآله) بالحيوان روى الواقدي عن ابن حزم قال: بين العَرْج والطَّلوب نظر رسول الله إلى كلبة حولها أولادها يرضعونها، فأمر رجلاً من أصحابه يدعى جُعال بن سُراقة الحارثي أن يقوم قربها لئلّا يعرض لها ولأولادها أحد من الجيش.

مناة صنم خُزاعة وهُذيل:

وذكر الكلبي في كتابه «الأصنام»: أنه (صلى الله عليه وآله) لما خرج من المدينة إلى مكة سنة ثمان عام الفتح وسار أربع أو خمس ليال، بعث علياً عليه السلام ليهدم صنم هُذيل وخزاعة: مَناة، ويغنم مالها، فهدمها وغنم مالها، ومنها سيفان: مِخذم والرَسوب، أهداهما لها الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك غسّان، فوهبهما النبيّ لعلي عليه السلام(٣).

---

(١) الجُرَش من مدن اليمن إلى جهة مكة ـ معجم البلدان ٨٤: ٣.

(٢) مغازي الواقدي ٨٠٦ ـ ٨٠٤: ٢.

(٣) الأصنام للكلبي: ١٥ ١٤.

سابقتان سيئتان وحسنتان:

قال القمي في تفسيره: لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى فتح مكة، استقبله عبد الله بن أبي أُمية فسلّم على رسول الله، فأعرض عنه ولم يجبْه بشيء.

وكانت أم سلمة المخزومية أخته مع رسول الله، فدخل إليها فقال: يا أختي، إنّ رسول الله قد قبِل إسلام الناس كلهم، وردّ عليّ إسلامي وليس يقبلني كما قبل غيري.

فلما دخل رسول الله إلى أُم سلمة قالت له: بأبي أنت وأُمي يا رسولَ الله، سعد بك جميع الناس إلا أخي من بين قريش والعرب رددت إسلامَه وقبلت الناس كلهم؟!

فقال رسول الله: يا أُم سلمة، إنّ أخاكِ كذّبني تكذيباً لم يكذّبني أحدٌ من الناس، هو الذي قال لي: «لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كِسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه».

فقالت أُم سلمة: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، ألم تقل: إنّ الإسلام يجبّ ما قبله؟ قال: نعم، ثم قبل إسلامه[١].

وروى الطَبْرسي في «إعلام الورى» أن العباس بن عبد المطّلب تلقّى رسولَ الله في موضع يُدعى: نيق العُقاب، ورسول الله في قبّته (خيمته) وعلى حرسه يومئذٍ زياد بن أُسيد، ومع العباس ابن أخيه أبو سفيان بن الحارث وابن عمته عبد الله بن أبي أُمية.

(١) تفسير القمي ٢٧ ٢٦: ٢.

فاستقبلهم زياد فقال: أما أنت يا أبا الفضل فامضِ إلى القُبّة، وأمّا أنتما فارجِعا.

فمضى العباس حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسلّم عليه وقال: بأبي أنت وأُمي، هذا ابن عمك قد جاء تائباً، وابن عَمتك.

قال: لا حاجة لي فيهما؛ ابن عمّي انتهك عِرضي، وأمّا ابن عمتي فهو الذي يقول لي بمكة: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾[1]. ولخبرهما صلة بعد الفتح.

وفي قُديد عقد الألوية:

روى الواقدي بسنده عن عبّاس بن مِرداس السُّلمي قال: هبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ثنيّة المشلّل[2] في آلة الحرب، ونحن علينا الحديد.. واصطفَفْنا له[3].

وكان قد أرسل رسول الله إلى بني سُليم: الحجّاج بن عِلاط السُّلّمي وعِرباض بن سارية[4] فنفروا من بلادهم وحشّدوا: تسعمئة أو ألفاً، وهم على الخيول جميعاً، مع كل رجل رمحه وسلاحه، ومعهم الرسولان إليهم، ولواءان وخمس رايات سود مطوية غير معقودة.

وكان رسول الله قد أرسل إلى بني كعب بن عمرو من خزاعة: بُسر بن سفيان وبُديل بن ورقاء، فلقيه بنو كعب أيضاً بقُديد[5] وكانوا خمسمئة، فعقد لهم ثلاثة ألوية.

---

(١) سورة الإسراء: ٩٣.
(٢) ثنيّة مشرفة على قُديد ـ معجم ما استعجم: ٥٦٠.
(٣) مغازي الواقدي ٨١٣: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٧٩٩: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ٨٠٠: ٢ و ٨٠١.

وفي بني مُزينة ثلاثة ألوية:

وفي جُهينة ـ وهم ثمانمئة ـ أربعة ألوية:

وفي بني أسلم ـ وهم أربعمئة ـ لواءان لبريدة بن الخصيب الأسلمى و ناجية بن الأعجم. وللمهاجرين ثلاث رايات: راية مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وراية مع الزبير، وراية مع سعد بن أبي وقّاص(١).

إفطار الصيام، والعُصاة:

روى الطبْرسي في «إعلام الورى» عن الباقر عليه السلام قال: خرج رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة الفتح فصام وصام الناس حتى نزل كراع الغميم(٢) فأفطر وأفطر الناس، وصام قوم فسُمّوا العُصاة، لأنهم صاموا(٣).

وهنا في منزل القُديد نقل المعتزليّ عن كتاب الجمل لأبي مخنف روى بسنده قال: قالت أُم سلمة لعائشة عند خروجها إلى البصرة: أتذكرين يوم أقبل رسول الله ونحن معه حتى إذا هبط من قُديد ذات الشمال، فخلا بعلي يناجيه فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني وهجمت عليهما، فما لبِثتِ أن رجعتِ باكية فقلت لك: ما شأنك؟ فقلتِ: أتيتهما وهما يتناجيان فقلتُ لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني ـ يا بن أبي طالب ـ ويومي؟! فأقبل عليّ رسول الله وهو محمرّ الوجه غضباً فقال لي: ارجعي وراءك! والله لا يبغضه أحد من الناس إلا وهو خارج من الإيمان! فرجعتِ نادمة ساخطة.

فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك(٤).

---

(١) مغازي الواقدي ٨٠٠: ٢ وسيأتي أن لواء الفتح كان مع سعد بن عبادة فنقله (صلى الله عليه وآله) إلى علي عليه السلام.

(٢) كراع الغميم على مرحلتين من مكة من جهة المدينة ـ القاموس المحيط ٧٨: ٣.

(٣) إعلام الورى ٢١٩: ١.

(٤) شرح النهج للمعتزلى ٦:٢١٧ عن الجمل لأبى مخيف.

وهل علمت قريش بالخبر؟:

المنزل التالي مرّ الظَّهران، وسيأتي عن ابن إسحاق: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل مرَّ الظَّهْران وقد عُمّيت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عنه ولا يدرون ما هو فاعل[١].

قال الطَبْرسي: ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرَّ الظَّهران وقد غُمّت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر عنه[٢].

وبلغ رسول الله إلى مَرّ الظَّهْران عشاءً، فأمر أصحابه أن يوقدوا النيران. فأوقدوا عشرة آلاف نارا!

وَأجمعت قريش أن تبعث أبا سفيان بن حرب يتحسّب الأخبار وقالوا له:

إن لقيت محمداً، فإن رأيت في أصحابه رِقّةً فآذِنْه بحرب، وإلا فخُذ لنا منه جِواراً!

فلمّا بلغوا الأراك من مَرّ الظَّهْران رأوا الأبنية (الخيام) والعسكر والنيران، وسمعوا صهيل الخيل ورُغاء الإبل فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً[٣].

فقالا لبُديل: هؤلاء بنو كعب (من خزاعة) حاشتها (جمعتها وساقتها) الحرب!

فقال بُديل: هؤلاء أكثر من بني كعب!

فقال بعضهم: فهل هي هوازن جاءت إلى أرضنا للنُجعة (طلب الماء والكلأ)؟

---

(١) ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٤٢ : ٤.

(٢) مجمع البيان ٨٤٦ : ١٠.

(٣) وعليه فبعث قريش لأبي سفيان لتحسّب الأخبار لم يكن لرؤيتهم النيران ولا لأنه بلغهم ـ كما قال ـ حرف واحد من مسير رسول الله.

وقالوا: والله ما نعرف هذا، إنّ هذا العسكر مثل يوم الحُجّاج[(١)].

أبو سفيان عند النبيّ (صلى الله عليه وآله):

روى الواقدي بسنده عن ابن عباس عن أبيه قال: لمّا نزل رسول الله بمَرّ الظَّهْران قلت (في نفسي): واصباح قريش! والله لئن دخلها رسول الله عَنوةً إنّه لهلاك قريش آخرَ الدهر! فأخذت بغلة رسول الله الشهباء فركبتها ألتمس إنساناً أبعثه إلى قريش فيلقَون رسولَ الله قبل أن يَدخلها عليهم عنوة.

وفي نقل آخر للواقدي: أنّ العباس أقبل على حكيم بن حِزام وبُديل بن ورْقاء فقال:

أسلما، فإنّي جارٌ لكما حتى تنتهوا إلى رسول الله، فإنّي أخشى أن تُقطعوا دونه! فوافقوا، فخرج بهم العباس حتى أتى رسولَ الله فدخل عليه فقال:

يا رسولَ الله، أبو سفيان وحكيم بن حِزام وبُديل بن وَرْقاء قد أجرْتهم، يدخلون عليك؟

قال: أدخِلهم. فدخلوا عليه.. فقال لهم: تشهدون أن لا إله إلا الله وأنّي رسولُ الله؟!

فشهدوا: أن لا إله إلا الله، وشهد بُديل وحكيم بالرسالة، ولم يشهد أبو سفيان!

فقال النبيّ: وأنّي رسول الله!

فقال أبو سفيان: يا محمد! والله إنّ في النفس من هذا لشيئاً يسيراً بعد! فأرجئها!

فقال رسول الله للعباس: قد أجرَناهم، فاذهب بهم إلى منزلك. فذهب بهم.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٨١٤.

وأصبح الصباح:

قال العباس: فلما طلع الفجر أذّن العسكر كلّه! ومن أذانهم فزع أبو سفيان فقال لي: ما هذا؟ فقلت: الصلاة. فقال: كم يصلون في اليوم والليلة؟ قلت: يصلون خمس صلوات. فقال: والله كثير!

ثم خرجا ووقفا حيث يَرَيانِ رسول الله وهو يتوضأ، ورآهم يبتدرون وَضوءَ النبيّ[(١)] وأيدي المسلمين تحت شعره، فليس قطرة تُصيبُ رجلاً منهم إلا مسح بها وجهه![(٢)].

فقال لي: يا أبا الفضل، ما رأيت ملكاً هكذا قط، لا مُلك كِسرى، ولا ملك بني الأصفر[(٣)] فلما صلّى[(٤)] قال: أدخِلني عليه يا أبا الفضل[(٥)].

حِوار أبي سفيان ورسول الإيمان:

قال العباس: فلمّا أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟!

قال: بأبي أنت، ما أحلمَك وأكرمَك! وأعظمَ عفوَك! قد كان يقع في نفسي.

فقال (صلى الله عليه وآله): يا أبا سفيان: ألم يأنِ لك أن تعلَم أني رسولُ الله؟!

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأُمي، ما أحلمَك وأكرمك! وأعظم عفوَك! أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لشيئاً بعدُ!

فقلت له: ويحك، إشهدْ أن لا إله إلا الله واشهدْ أنّ محمداً عبده ورسوله![(٦)].

---

(١) مغازي الواقدي ٨١٦ ٨١٥: ٢ والوَضوء بفتح الواو: ماء الوضوء.
(٢) إعلام الورى ٢٢١: ١.
(٣) مغازي الواقدي ٨١٦: ٢ وبنو الأصفر: الروم.
(٤) إعلام الورى ٢٢١: ١ وفيه أن أبا سفيان أسلم ليلاً وعلّمه العباس الوضوء والصلاة فصلى معهم.
(٥) مغازي الواقدي ٨١٦: ٢.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله[١] ثم قال: يا محمد! جئتَ بأوباش الناس! مَن يُعرف ومن لا يُعرف، إلى أصلك وعشيرتك؟!

فقال رسول الله: أنت أظلم وأفجر! غدرتم بعهد الحُديبية، وظاهرتم على بني كعب (من خزاعة) بالإثم والعُدوان في حَرم الله وأمنه!

فقال أبو سفيان: يا رسولَ الله، وحَيُّكم؟! لو كنت جعلت جِدّتك ومكيدتك بهوازن فهم أبعد رحماً وأشدّ لك عداوة!

فقال رسول الله: إنّي لأرجو من ربّي أن يجمع ذلك لي كله بفتح مكة وإعزاز الإسلام بها، وهزيمة هوازن! وأن يغنّمني الله أموالهم وذراريهم، فإني راغب إلى الله تعالى في ذلك[٢].

ثم قال أبو سفيان: يا رسولَ الله، إني أُحبّ أن تأذن لي إلى قومك فأُنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله! فأذن له رسولُ الله.

فقال أبو سفيان للعباس: كيف أقول لهم؟ بيّن لي من ذلك أمراً يطمئنّون إليه.

فقال له رسول الله: تقول لهم: مَن قال: لا أله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً رسول الله، وكفّ يده، فهو آمن!

ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن!

فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل يحبّ الفخر؛ فلو خصصته بمعروف!

فقال (صلى الله عليه وآله): مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن!

قال أبو سفيان: داري؟! قال: دارك.

ثم قال: ومَن أغلق بابه فهو آمن!

---

(١) في إعلام الورى ٢٢١: ١ يضربُ عنقك أو تشهد. وفي السيرة: قبل أن تُضرب عنقك ٤٦: ٤ ولكن ليس فيه إجارته من قِبل العباس.

(٢) مغازي الواقدي ٨١٨: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٨١٦: ٢.

فقام أبو سفيان ومضى لوجهه.

فقلت للنبيّ: يا رسولَ الله، إنّ أبا سفيان رجل من شأنه الغدر، وقد رأى من المسلمين تفرّقاً.

فقال لي رسول الله: فأدركْه واحبسه في مضيق الوادي حتى تمرّ به جنودُ الله.

فلحقته فناديته: يا أبا حنظلة! فوقف وقال: أغدراً يا بني هاشم؟!

فقلت له: ستعلم أن الغدر ليس من شأننا، ولكن أصبح حتى تنظر إلى جنود الله[١].

وعليه فان العباس استصحب أبا سفيان تلك الليلة معه إلى خيمته.

هذا ما رواه الصدوق وزاد: أن أبا سفيان قال في نفسه: مَن فعلَ مثلَ ما فعلتُ؟! جئتُ فدفعتُ يدي في يده! إلا كنتُ أجمع عليه الجموع من الأحابيش وكِنانة فكنت ألقاه بهم فلعلّي كنت أدفعه!

فناداه النبيّ (صلى الله عليه وآله) من خيمته وقال:

يا أبا سفيان: إذاً كان الله يخزيك[٢].

الكتيبة الخضراء، والراية:

روى الواقدي قال[٣]: لمّا طلعت[٤] كتيبة[٥] رسول الله[٦] الخضراء، طلع سواد وغَبْرة من سنابك الخيل، وجعل الناسُ يمرّون، كل ذلك وأبو سفيان يقول للعباس: ما مَرّ محمد؟! (كذا) فيقول العباس: لا.

---

(١) إعلام الورى ٢٢٢ ٢٢١: ١.
(٢) كمال الدين: ٣٢١.
(٣) مغازي الواقدي ٨٠٠: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٨٢١: ٢ وابن هشام ٤٧: ٤.
(٥) مغازي الواقدي ٨١٩: ٢.
(٦) سيرة ابن هشام ٤٧ ٤٦: ٤.

وكان رسول الله قد أعطى رايته سعدَ بن عُبادة الخزرجي فكان هو أمام الكتيبة، فلمّا مرّ سعدٌ براية النبيّ نادى ونادى معه من كان معه:

يا أبا سفيان: اليوم يوم المَلْحمة! اليومُ تُستحلّ الحرمة! اليوم أذلّ الله قريشاً!

وأقبل رسول الله يسير على ناقته القَصواء[١] معتمّاً بغير ذوابة بنصف برد يماني أحمر[٢] أو أسود[٣] بين الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن[٤] وأُسيد بن حُضير الأنصاري، وأبي بكر. وكان على عمر بن الخطّاب الحديد، وله زَجَل بصوت عال.

فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل، ما رأيت مثل هذه الكتيبة قطّ، ولا خبّرنيه مخبّر، سبحان الله، ما لأحد بهذه طاقة ولا يدان! ثم قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً!

فروى عن العباس قال: قلت له: ويحك يا أبا سفيان، ليس بملك ولكنّها نبوة! فقال أبو سفيان: نعم[٥] إذاً[٦].

وأقبل رسول الله حتى إذا حاذى أبا سفيان، ناداه أبو سفيان:

يا رسولَ الله، أمرت بقتل قومك؟! إن سعداً ـ ومَن معه ـ حين مرّ بنا قال: يا أبا سفيان، اليومَ يومُ الملحمة! اليومَ تُستحلّ الحرمة! اليومَ أذلّ الله قريشاً! وإنّي أُنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس وأرحم الناس وأوصل الناس![٧].

فقال العباس للنبيّ (صلى الله عليه وآله): يا رسولَ الله، إنّي لا آمَنُ أن تكون لسعد صولة

---

(١) مغازي الواقدي ٨٢١: ٢.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤٧: ٤.
(٣) مغازي الواقدي ٨٢٣: ٢ و ٨٢٤.
(٤) مغازي الواقدي ٨٠٤: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ٨٢٢: ٢ وتاريخ اليعقوبي ٥٩: ١.
(٦) ابن إسحاق في السيرة ٤٧: ٤.
(٧) مغازي الواقدي ٨٢١: ٢.

في قريش[١] أو قالها عمر بن الخطاب[٢] أو عثمان بن عَفّان وعبد الرحمن بن عوف[٣] فقال رسول الله لعلي بن أبي طالب: أدركه، فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها[٤] مكة، فأدركه علي عليه السلام فأخذها منه، ولم يمتنع عليه سعد من دفعها إليه[٥].

وجاء حكيم بن حِزام، وبُديل بن وَرْقاء[٦] وجُبير بن مُطْعم العدوي[٧] إلى رسول الله فأسلموا وبايعوه، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأوَّلَيْن بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام (أو التسليم) وكانت دار أبي سفيان في أعلى مكة ودار حكيم بن حِزام في أسفل مكة، فأضاف (صلى الله عليه وآله): من دخل دار حكيم بن حِزام فهو آمن، ومن أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن[٨].

روى الواقدي: أنّ العباس قال لأبي سفيان: فانجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم!

فخرج أبو سفيان فتقدّم الناس كلهم حتى دخل من قِبَل جَبَل كَداء (بأعلى مكة) وقد رفع النداء[٩] صارخاً بأعلى صَوته:

يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم في ما لا قِبَل لكم به! فمَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن![١٠] ومَن أغلق بابه فهو آمن!

---

(١) الإرشاد ١٣٥: ١ وفي ٦٠: بعض القوم.
(٢) سيرة ابن هشام ٤٩: ٤ قال ابن إسحاق: رجل من المهاجرين، فقال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.
(٣) مغازي الواقدي ٨٢١: ٢ و ٨٢٢.
(٤) الإرشاد ٦٠: ١ ومثله في سيرة ابن هشام ٤٧: ٤ وفي مغازي الواقدي ٨٢٢: ٢: يقال: إنّ رسول الله أمر علياً فأخذ اللواء فذهب بها. بعد أن قال: أعطى رايته سعد بن عُبادة. وليس اللواء.
(٥) الإرشاد ١٣٥: ١.
(٦) إعلام الورى ٢٢٣: ١ ومجمع البيان ٨٤٧: ١٠.
(٧) إعلام الورى ٢٢٣: ١.
(٨) تفسير القمي ٣٢١: ٢ ومجمع البيان ٨٤٨: ١٠.
(٩) مغازي الواقدي ٨٢٢: ٢.
(١٠) ابن إسحاق في السيرة ٤٧: ٤.

النبي في ذي طُوى:

فروى ابن إسحاق: أنّ رسول الله انتهى في مسيره إلى ذي طُوى فوقف على راحلته.. وفرّق جيشه:

فجعل الزّبير بن العَوّام على الجناح الأيسر وأمرَه أن يدخل من ثنيّة كُدى (بأسفل مكة) وجعل خالد بن الوليد على الجناح الأيمن ومعه من قبائل العرب: أسلم وسُليم وجُهينة ومُزينة وغِفار، وأمره أن يدخل من اللِّيط أسفل مكة أيضاً[١] وأن يغرز رايته دون البيوت (بيوت الشعر = عروش مكة) وقد أمر الزبير أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحَجون، وقال له: لا تبرح حتى آتيك. وبعث سعد بن عُبادة على كتيبة من الأنصار في مقدَّمته[٢] وأمره أن يدخل من ثنية كَداء بأعلى مكة[٣].

المهدور دماؤهم:

قال ابن إسحاق: وعهد رسول الله إلى أمرائه من المسلمين: أن لا يقتلوا بمكة إلا من يقاتلهم، سوى نفر كانوا يؤذون النبيّ (صلى الله عليه وآله) أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة[٤].

وردت أسماؤهم في خبر رواه الحميري في «قرب الإسناد» عن الباقر عليه السلام:

عبد الله بن سعد بن أبي سرح (المرتدّ، أخو عثمان من الرضاعة).

وعبد الله بن خطل (الأدرمي، لقتله عبده المسلم وارتداده مشركاً إلى مكة).

ومِقْيَس بن صبابة (اللّيثي، لقتله عمداً مسلماً قتل أخاه خطأً وارتد إلى مكة).

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٤٧: ٤ و ٤٩ ومغازي الواقدي ٨٢٥: ٢.
(٢) مجمع البيان ٨٤٨: ١٠.
(٣) مغازي الواقدي ٨٢٥: ٢ وابن إسحاق في السيرة ٤٩: ٤.
(٤) ابن إسحاق في السيرة ٥١: ٤.

وفرتنا وسارة، وكانتا قينتين تزنيان وتغنيان بهجاء النبيّ وتحضّضان يوم أُحد على رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١].

وزاد إبن إسحاق: الحُويرث بن نُقيذ، وكان ممن يؤذيه بمكة[٢].

وعِكرمة بن أبي جهل المخزومي[٣].

وزاد الواقدي: هبّار بن الأسود.

وهند بنت عتبة بن ربيعة المخزومية زوج أبي سفيان[٤].

وزاد الحلبي: صفوان بن أُمية المخزومي[٥].

وتوجّه الزُبير بن العوّام بمن معه حيث وجّهه رسول الله، وتوجّه خالد بن الوليد بمن معه حيث وجّهه رسول الله إلى اللّيط من أسفل مكة.

وتوجّه مولى رسول الله أبو رافع القبطي بأمره ـ كما سبق في عمرة القضاء ـ إلى الحَجون بالأبطح، فضرب له هناك قبةً من أدَم الجلود ـ وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة ـ فقيل لرسول الله: إلا تنزل منزلك من الشِعب؟ (شعب أبي طالب بالأبطح) فقال: وهل ترك لنا عقيلٌ منزلاً؟! فقيل: فانزل في بعض بيوت مكة من غير منازلك! فقال: لا أدخل البيوت[٦].

---

(١) قرب الإسناد: ٦١. وفي الإرشاد ١٣٦ : ١: فقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إحدى القينتين، وأفلتت الأخرى حتى استؤمن لها بعد.

(٢) وفي الإرشاد ١٣٦ : ١: قتله علي عليه السلام، وإعلام الورى ٢٢٤ : ١ ومجمع البيان ٨٤٨: ١٠.

(٣) وكذلك في خبر الطبْرسي في مجمع البيان ٥٠٧ ٥٠٦ : ٨ عن السُدي عن مصعب بن سعد عن أبيه.

(٤) مغازي الواقدي ٨٢٥: ٢ واليعقوبي ٦٠ ٥٩ : ١ والحلبي في المناقب ٢٠٨: ١.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٢٠٨ : ١. وسيأتي تفصيل كل ذلك.

(٦) مغازي الواقدي ٨٢٩: ٢.

فلما أشرف رسول الله على ثنيّة أذاخر[١] نظر إلى بيوت مكة، فحمد الله وأثنى عليه، ونظر إلى قبّته، قال جابر بن عبد الله الأنصاري: وكنتُ ألازمه ونحن بالأبطح تجاه شعب أبي طالب حيث حُصر رسول الله وبنو هاشم ثلاث سنين، فقال لي: يا جابر، هذا منزلنا حيث تقاسمت (أي تحالفت) علينا قريش في كفرها[٢].

قال الواقدي: ثم انهزم القوم أقبح انهزام وتولّوا في كل وجه، واتّبعهم المسلمون، فقُتل بعضهم في سوق الحَزْوَرة (في المَسعى) وصعد جمع منهم إلى رؤوس الجبال.

وانتهى عبد الله بن هِلال بن خطَل الأدرميّ إلى الكعبة، فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت ستار البيت!

وتسابق إليه عمار بن ياسر وسعيد بن حُريث المخزومي، فسبق سعيد عماراً فقتله[٣].

فجعل الناس يطرحون أسلحتهم في الطُرقات ويقتحمون الدور ويغلقونها!

وانهزم حِماس بن قيس بن خالد الدّيلي البكري إلى بيته وقد ذهبت روحه، فدقّه، ففتحت امرأته الباب فدخل.

جِوار أُم هانئ:

وقال المفيد في (الإرشاد): وبلغ علياً عليه السلام: أنّ أُخته أُم هانئ قد آوت أُناساً

---

(١) قال الأزرقي في أخبار مكة ٢٨٩: ٢: من ثنيّة أذاخر دخل النبيّ (صلى الله عليه وآله) مكة يوم فتحها، وهي الثنيّة التي تشرف على حائط خُرمان وعلّق البلادي في معجم معالم مكة قال: وحائط خرمان يعرف اليوم بالخُرمانية بصدر مكة، وقد عُمّر اليوم مقراً لأمانة العاصمة ورحبة تقف فيها سيارات الأجرة.

(٢) مغازي الواقدي ٨٢٧: ٢.

(٣) إعلام الورى ٢٢٤: ١. ومجمع البيان ٨٤٨: ١٠ وقال الواقدي: يقال: قتله عمار بن ياسر ويقال: سعيد بن حريث ويقال: شريك بن عبدة واثبته عندنا أبو برزة الأسلمي ٨٥٩: ٢.

من بني مخزوم منهم: الحارث بن هشام وقيس بن السائب. فقصد نحو دارها مقنَّعاً بالحديد فنادى: أخرجوا من آويتم!

نزول الرسول إلى بيت الله:

قالوا: اغتسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) واطمأنّ في منزله ساعة من النهار، وقد صفّ له الناس، وخيل المسلمين تموج بين الحَجون إلى الخَندمة، ثم دعا براحلتِهِ القَصواء، ولبس مِغفره على رأسه ولبس سلاحه ثم ركب راحلته ومحمد بن مَسلمة آخذ بزمامها.. والمشركون ينظرون إليه من فوق الجبال.

فمرّ رسول الله حتى انتهى إلى الكعبة براحلته، فاستلم الركن بمِحجَنة وكبّر، فكبّر المسلمون وردّدوا التكبير حتى ارتجّت مكة بتكبيرهم حتى جعل رسول الله يشير إليهم أن يسكتوا.

وكان حول الكعبة ثلاثمئة صنم، وستون صنماً مرصَّصة بالرصاص، أعظمها هُبل وُجاه باب الكعبة. وبدأ رسول الله طوافه بالبيت على راحلته وبيده قضيب يشير به إلى كل صنم يمرّ به ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[(١)]، ما يزيد رسول الله على أن يشير بالقضيب إلى الصنم فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع[(٢)].

ورووا عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أُلقيت الأصنام كلها لوجوهها وقد بقي على البيت هُبل الصنم الطويل، فنظر النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى علي عليه السلام وقال له: يا علي تركب علي أو أركب عليك لكألقي هُبل عن ظهر الكعبة؟ فقال علي: بل تركبني، فلما جلس علي وصعد النبيّ على منكبه قال: بل

---

(١) سورة الإسراء: ٨١.

(٢) سعد السعود: ٢٢٠ عن تفسير الكلبي وتمامه: فجعل أهل مكة يتعجّبون ويقولون في ما بينهم: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد!

أركبك يا رسول الله. فنزل وضحك وطأطأ ظهره وقال له: اصعد على منكبي، فصعد على منكبه ثم نهض النبيّ به حتى صعد عليٌّ الكعبةَ وتنحّى رسول الله (صلى الله عليه وآله). وكان صنم قريش الأكبر هبل من نحاس موتّداً بأوتاد إلى سطح الكعبة. فقال النبيّ لعلي: عالجه، فما زال يعالجه ورسول الله يقول له: إيه إيه إيه! ثم قال له: دقَّه، فدقّه حتى كسره، فقال له: اقذف به. فقذفه، فتكسّر كما تنكسر القوارير.

ولما أراد علي أن ينزل ألقى بنفسه من صوب الميزاب تأدّباً وشفقةً على النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فلما استقرّ على الأرض ضحك، فسأله النبيّ عن تبسّمه فقال: لأنّي ألقيت بنفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم؛ فقال له النبيّ: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبرئيل[1].

ثم انصرف إلى بئر زمزم ومعه العباس بن عبد المطّلب، فنزع له العباس أو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب دَلْواً منه، فشرب منه[2].

مفتاح الكعبة:

ودخل رسول الله المسجد الحرام فطاف، ثم انصرف فجلس في ناحية من المسجد والناس حوله، ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة[3].

فروى الواقدي بسنده عن أسامة بن زيد قال: لما دخلنا مع رسول الله الكعبة

---

(١) اخرج خبره أُمة من أئمة التاريخ والحديث، ذكر الأمينيّ له أربعين مصدراً في الغدير ١٣ ـ ١٠: ٧. وفي كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال: هبل رمى به عليّ (عليه السلام) عن ظهر الكعبة لمّا علا ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر به فدفن عند باب بني شيبة، فصار الدخول إلى المسجد من باب بني شيبة سنةً لأجل ذلك ٢٣٨: ٢ ط طهران و ١٥٤ ط النجف.

(٢) مغازي الواقدي ٨٣٢: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٨٣٣ ٨٣٢: ٢.

رأى فيها صوراً، وأمر بتلك الصور كلها فطُمست[(١)] ثم جعل عمودين (من أعمدة البيت) عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة وراءه[(٢)] وجعل الباب خلف ظهره حتى كان بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع[(٣)] وصلى ركعتين. ثم خرج إلى الناس وقد اجتمعوا له.

خطبة الفتح، والعفو العامّ:

فروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ثم أخذ رسول الله بِعضادتي باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ماذا تقولون؟ وماذا تظنّون؟

فقالوا: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت.

فقال (صلى الله عليه وآله): فانّي أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[(٤)] إلا إنّ الله قد حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرامه إلى يوم القيامة: لا يُنفَّر صيدها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُختلى خلاها[(٥)] ولا تحل لُقَطتها إلا لمُنشد.

فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخِر[(٦)] فإنه للقبر وللبيوت.

فقال رسول الله: إلا الإذخِر[(٧)].

أيها الناس، ليبلّغ الشاهدُ الغائب: إنّ الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية والتفاخر بآبائها وعشائرها.

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٥: ٤ ونحوه في فروع الكافي ٢٢٧: ١ عن الصادق عليه السلام، واليعقوبي ٦٠: ١.
(٢) مغازي الواقدي ٨٣٥: ٢. وقريب منه عن الصادق عليه السلام في التهذيب ٢٤٥: ١.
(٣) سيرة ابن هشام ٥٦: ٤.
(٤) يوسف: ٩٢.
(٥) يُعضد: يقطع. الخلا: النبات الرطب. اختلى: اقتطع.
(٦) الإذخر: نبات طيّب الرائحة.
(٧) فروع الكافي ١٢٦: ١.

أيها الناس؛ إنكم من آدم وآدم من طين.

إلا وإنّ خيركم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم وأطوعكم له.

إلا وإنّ العربية ليست بأب والد ولكنّها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه.

إلا وإنّ كل دم أو مظلمة أو إحنةٍ كانت في الجاهلية فهي مُطَلٌّ تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة[1] إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما.

ثم قال: إلا لبئس جيران النبيّ كنتم؛ لقد كذّبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي فقاتلتموني! فاذهبوا فأنتم الطلقاء![2].

فروى الطبْرسي في «إعلام الورى» في خبر أبان عن بشير النبّال عن الصادق عليه السلام قال: ثم دعا الغلام (عثمان بن طلحة وقال له: ابسط رداءك) فبسط رداءه فجعل مفتاح الكعبة فيه وقال: ردّه إلى أمّك[3].

ثم قال رسول الله: كفّوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر. وهي الساعة التي أُحلّت لرسول الله لم تحلّ لأحد قبله[4] فقتلت خزاعة جمعاً من بني بكر قصاصاً قبل صلاة العصر.

ثم أذنّوا لصلاة الظهر:

فروى الطبرسي في «إعلام الورى» في خبر أبان عن بشير النبّال عن

---

(١) بحار الأنوار ١٣٧: ٢١ و ١٣٨ عن روضة الكافي وكتاب المؤمنين للحسين بن سعيد الأهوازي، مخطوط وإعلام الورى ٢٢٥: ١.

(٢) إعلام الورى ٢٢٦: ١ وقصص الأنبياء: ٣٥٠. والمناقب للحلبي ٢٠٩: ١.

(٣) إعلام الورى ٢٢٥: ١.

(٤) مغازي الواقدي ٨٣٩ ٨٣٨: ٢.

الصادق عليه السلام قال: ودخل وقتُ (الظهر)[١] فأمر رسول الله بلالاً فصعد على الكعبة وأذّن.

وممّن أمر بقتله:

وكان ممّن أمر بقتله رسول الله: مِقْيَسُ بن صُبابة الليثي، وكانت أُمه من بني سهم فاختفى فيهم، وتتبّع أخباره نُميلة بن عبد الله الليثي حتى علم بمكانه في بني سهم، فأتاه ودعاه، وكان قد تنادم الخمرة فهو ثمل ومع ذلك خرج إليه، وكأنّ الدار التي آوى إليها كانت بين الجبَلين الصفا والمروة، فخرج وهو يغنّي بشعر، فضربه نُميلة بسيفه، ورآه المسلمون فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه[٢] فهو خامس من قُتل من الرجال والنساء: عبد الله بن هِلال بن خطَل الأدْرَمي، وحُويرث بن نُقيذ، ومِقْيَس بن صُبابة هذا مع إحدى قينتي ابن خَطَل، وسارة مولاة عمرو بن هاشم.

وممّن عفى عنه:

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ممّن أهدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) دمه يوم فتح مكة[٣].

وفوجئ رسول الله بعثمان آخذاً بيد عبد الله بن سعد واقفين بين يديه وعثمان يقول:

يا رسول الله، إنّ أمّه كانت تحملني وتمشّيه، وتُرضعني وتقطعه، وتلطفني وتتركه، فهَبْه لي وكلّما كان يعرض عنه رسول الله كان عثمان يستقبله في وجهه

---

(١) الخرائج والجرائح ٩٨: ١، الحديث ١٥٨ و ١٦٢، الحديث ٢٥٢ وكذلك في مغازي الواقدي ٧٣٧: ٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٣٢٨: ٤ وفي الخبر: العصر.
(٢) مغازي الواقدي ٨٦١ ٨٦٠: ٢ وقد سبقت الإشارة إلى سبب هدر دمه في دخول مكة.
(٣) فروع الكافي ٢٠٠: ٨ وتفسير العياشي ٣٦٩: ١.

فيعيد عليه الكلام ثم أكبّ عثمان على رسول الله يقبّل رأسه ويقول: يا رسول الله فداك أبي وأُمي تبايعه؟!

فقال رسول الله: نعم، ثم بايعه (أي قبل توبته إلى الإسلام).

لم يذكر صفوانَ بن أُمية الجُمحي في مَن أمر رسول الله بقتله سوى الحلبي[(١)] وهو مِن المطعمين لجيش المشركين في مسيرهم إلى بدر.

لمّا رجع خالد بن الوليد من هَدْم العُزّى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة، بعثه رسول الله إلى بني جَذيمة داعياً لهم إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً. فخرج في المسلمين من المهاجرين والأنصار وبني سُليم: ثلاثمئة وخمسين رجلاً.

فلمّا انتهى إليهم بأسفل مكة قيل لبني جَذيمة: هذا خالد بن الوليد ومعه المسلمون.

قالوا: ونحن قوم مسلمون قد صدّقنا بمحمد وبنينا المساجد وأذّنا فيها وصلّينا: (ولكنهم تسلّحوا) فلما انتهى إليهم خالد قال لهم: الإسلام! قالوا: نحن مسلمون!

قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إنّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا أنتم هم، فأخذنا السلاح لندفع عن أنفسنا.. قال: فضَعوا السلاح! فأخذوا يضعون عنهم السلاح.

فقال لهم رجل منهم يقال له: جَحْدم: يا بني جَذيمة؛ إنّ محمداً ما يطلب من أحد أكثر من أن يُقرّ بالإسلام ونحن مقرّون بالإسلام (ولكن) خالد لا يريد بنا ما يُراد بالمسلمين.

فلما وضع القوم السلاح قال لهم خالد: إستأسروا! وأمرهم فأخذ بعضهم يكتف بعضاً، فكلما كتف الرجل والرجلان دفع الواحد أو الاثنين إلى رجل من المسلمين.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢٠٨: ١.

واختلف المسلمون في أسرهم على قولين: فقائل يقول: نبلوهم ونخبرهم وننظر هل يسمعون ويطيعون! وقائل يقول: بل نذهب بهم إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله).

ولما جاء وقت الصلاة كانوا يفكّونهم فيصلون ثم يُربطون! وباتوا هكذا في وثاق!

فلما كان السحر نادى خالد بن الوليد: مَن كان معه أسير فليذافّه! أي يجهز عليه بالسيف! فأمّا بنو سُليم فقتلوا كل من كان في أيديهم (ولكنّ) المهاجرين والأنصار فكّوا أساراهم[1].

علي عليه السلام يرْأب الصّدع:

في تمام خبر ابن إسحاق عن حكيم عن الباقر عليه السلام قال: ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب(رضوان الله عليه) فقال له: يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. (وبعث معه بمال).

فخرج علي عليه السلام ومعه المال الذي بعث به معه رسول الله، فودى لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال، حتى إنه لَيدِي ميلغَة الكلب[2] حتى لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، وبقيت معه من المال بقية، فقال لهم: هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ممّا لا يعلم ولا تعلمون.

ثم رجع إلى رسول الله فأخبره الخبر، فقال له: أصبت وأحسنت.

ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه لَيُرى ما تحت منكبيه يقول ثلاث مرات: اللهم إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٨٧٦ ٨٧٥: ٢ ثم لا يرجع الواقدي إلى ما جاء في رواية ابن إسحاق في السيرة ٧٢ ٧١: ٤ من تبرّى النبيّ من فعل خالد وبعثه علياً عليه السلام بديات القتلى من بني جذيمة إلى أوليائهم الباقين منهم. ولا يوجد الخبر في ما بأيدينا من كتبنا.

(٢) الميلغة: إناء خشبيّ لولوغ الكلاب عند الرُّعاة وأهل البوادي.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٧٣ ٧٢: ٤.

وروى الطوسي في «الأمالي» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال في خبره: ورجع علي عليه السلام إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال له: ما صنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله): أرضيتني رضي الله عنك، يا علي أنت هادي أُمّتي، إلا إنّ السعيد كل السعيد من أحبّك وأخذ بطريقتك، إلا أنّ الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة[١].

خالد عند رجوعه:

ولما قدم خالد بن الوليد إلى مكة، تلقاه عبد الرحمن بن عوف ومعه عثمان بن عفّان وعمر بن الخطّاب، فقال ابن عوف لخالد:

يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية! قتلتهم بعمّك الفاكِه، قاتلك الله!

وقدم خالد على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو عليه عاتب[٢] وغاضب[٣]، فكان يُعرض عنه ولا يُقبل عليه وخالد يتعرض لرسول الله ويحلف له أنه ما قتلهم على تِرةٍ ولا عداوةٍ![٤].

ودخل عمّار بن ياسر حليف بني مخزوم على رسول الله وخالد جالس، فقال له: يا رسول الله، لقد حَمسَ قوماً قد أسلموا وصلّوا، ثم أغلظ على خالد عند النبيّ وهو ساكت لا يتكلم، ثم قام عمار فخرج فوقع فيه خالد عند النبيّ، فالتفت النبيّ إليه وقال له: مَه يا خالد! لا تقع بأبي اليقظان فإنه من يُعادِه يُعادِه الله، ومن يبغضْه يبغضْه الله، ومن يسفِّهْهُ يسفِّهْهُ الله![٥].

وعلى ما مرّ فإنّ خالداً كان قاتلاً لثلاثين رجلاً منهم ليس خطأً بل عمداً، إن

(١) أمالي الطوسي: ٤٩٨.
(٢) مغازي الواقدي ٨٨١ ٨٨٠: ٢.
(٣) مغازي الواقدي ٨٨٠: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٨٨٣: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ٨٨٢ ٨٨١: ٢.

لم يكن مباشراً فيقتصّ منه، فهو آمر به، وحكمه في الإسلام السجن المؤبّد[١] وَلَمْ يُنَفَّذ فيه؟ إمّا لأنه لم يُشرَّع بَعدُ يومئذٍ، أو لأنّ تنفيذه فيه موكول على طلب أولياء الدماء، وقد أدّى (صلى الله عليه وآله) إليهم دية قتلاهم، فرضي البالغون منهم بذلك، وقصُر القاصرون منهم عن طلب تنفيذ الحكم في خالد، فتوقّف أو تجّمد.

وأمّا المباشرون لقتل القتلى بأمر خالد من بَني سُليم، وقد مرّ عن الواقدي: أنّ بني جَذيمة كانوا قد أصابوا بني سُليم في الجاهلية، فكان بنو سُليم موتورين يريدون القَوَد من بني جَذيمة[٢] فقد درأ حدَّ القتل قِصاصاً عنهم ما درأه عن خالد من رضى البالغين من أولياء الدماء بالديات المودّاة إليهم واسترضاء المرتضى عليه السلام منهم، وقصر القاصرين منهم عن طلب القِصاص والقَوَد، بالإضافة إلى شبهة طاعة خالد القائد، هذا وقد تقرّر: أنّ الحدود تُدرأ بالشُبهات[٣][٤].

(١) موارد السجن في الإسلام في النصوص والفتاوى: ٦٤: حبس الآمر بالقتل، للطبسي.

(٢) مغازي الواقدي ٨٧٨: ٢.

(٣) لم يعرض للشبهة وردّها من عرَض الخبر من الشيخ المفيد في الإرشاد، أو الطبْرسي في إعلام الورى، أو المجلسي في بحار الأنوار هنا، ولا في «باب عصمته وتأويل بعض ما يوهم خلاف ذلك» ٩٧ ـ ٣٤: ١٧، ولا السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء، ولا في أماليه: غرر الفوائد ودُرر القلائد، ولا في بحث العصمة من الذخيرة في الكلام، ولا غيره في سائر كتب الكلام والعقائد اللهم إلا ما عثرت عليه ضمن كلام المرحوم المظفّر في دلائل الصدق ٣ القسم الثاني: ٣٥ قال: وإنما لم يقتل النبيّ (صلى الله عليه وآله) خالداً بمَن قتله من المسلمين: لقبول أهلهم الديات. أو: لئلا يقال: انّه يقتل أصحابه، فيحصل في أمره وهن أو لادّعاء خالد الشبهة، لقوله ـ كما ذكره الطبري ـ أن عبد الله بن حذافة أمرني بذلك عن رسول الله. أو: لما ذكره ابن عمر: من أنهم قالوا: صَبأنا.
وإن لم يكن للشبهة حقيقة عندنا: ولذلك برىء النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الله تعالى من فعله، كما أنّ براءته (صلى الله عليه وآله) من صنع خالد دون ابن حذافة دليل على كذب خالد في عذره أو كذب من أرادوا إصلاح حاله. والله العالم. ولا الطبسي في بحث حكم السجن المؤيد للآمر بالقتل في كتابه موارد السجن في الإسلام.

(٤) وهنا من أخباره (صلى الله عليه وآله) في مكة بعد فتحها وقبل أن يخرج منها لحرب حُنين ثم الطائف ثم ينصرف إلى المدينة: أنّه تزوّج مليكة بنت داود الليثية وهي امرأة قُتل أبوها في الفتح، وكأنّه أراد أن يتألفهم بذلك. وكان معه من أزواجه أم سلمة وزينب بنت جحش، وكأنّها هي التي غارت من الليثية وكانت حدثة جميلة فقالت لها: إلا تستحين تتزوّجين رجلاً قتل أباك!! فإذا دخل عليك=

غزوة هوازن في حُنين[١]:

استعداد هوازن للحرب: قال القمي: لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى فتح مكة أظهر أنّه يريد هوازن. وبلغ الخبر هوازن، فتهيّأوا وجمعوا الجموع والسلاح، واجتمع رؤساء هوازن إلى مالك بن عوف النصري فرأسوه عليهم[٢].

قال ابن إسحاق: فاجتمعت إليه من هوازن: نصر وجُشم، وسعد بن بكر (قبيلة حليمة السعدية مرضعة النبيّ)، وناس قليل من بني هلال.. وغاب عنها: كعب وكلاب. واجتمع إليه مع هوازن ثقيف: بنو مالك، وفيهم سيّداهم أحمر بن الحارث وأخوه سُبيع بن الحارث ذو الخِمار. والأحلاف وفيهم سيّدهم القارب بن الأسود بن مسعود. وجُماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري[٣].

خروجهم بعوائلهم:

وكان من رأي مالك بن عوف أن يحملوا معهم عوائلهم، فخرجوا بهم.

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم!

=فاستعيذي منه! فلما دخل عليها استعاذت منه! ففارقها كما في الطبري ٦٥: ٣ عن الواقدي وليس في المغازي، ونقله مرة أخرى عنه: ٩٥ وسماها فاطمة بنت الضحاك الكندية ونقله المجلسي في بحار الأنوار ١٨٣: ٢١ عن الباب الثامن من المنتقي للكازروني. وسمّاها الحلبي في المناقب ١٦٠: ١: أسماء بنت النعمان بن الأسود الكندي (من أهل اليمن) كان إحدى أزواجه قالت لها تقوله لتحظى عنده! فلما دخلت عليه قالت: أعوذ بالله منك! فقال: أعذتك، الحقي بأهلك! وهو ما ذكره اليعقوبي ٨٥: ٢ وكرّر مثل ذلك في جونية الكِندية وأن عائشة وحفصة أصلحاها فقال لها إحداهما أن تتعوّذ منه إذا دخل عليها، ففعلت، ففارقها، فماتت كمداً!

(١) واد بين مكة إلى الطائف إلى جانب ذي المجاز، ٤٠ كم عن مكة تقريباً، بينه وبين مكة ثلاث ليال، كما في التنبيه والإشراف: ٢٣٤.

(٢) تفسير القمي ٢٨٥: ١. وجاء وصف مالك هذا لدى الواقدي قال: وكان سيداً فيها مُسبلاً لثيابه إلى الأرض كبراً واختيالاً، محموداً، وهو ابن ثلاثين سنة ـ المغازي ٨٨٥: ٢.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٨: ٤.

الإعداد للجهاد:

وقال القمي: لما بلغ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) اجتماع هوازن في أوطاس، جمع القبائل فرغّبهم في الجهاد، ووعدهم النصر، وأنّ الله قد وعده أن يغنّمه أموالهم ونساءهم وذراريهم.

قال القمي: وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى علي عليه السلام[1] وذكره الواقدي وزاد: ولواء الأوس مع أُسيد بن حُضير، ولواء الخزرج مع سعد بن عُبادة أو الحُباب بن المنذر. وكانت الألوية بيضاً.

واستعمل رسول الله على مكة عتّابَ بن أُسيد الأموي أميراً على من تخلّف عنه من الناس[2] يصلي بهم، ومُعاذَ بن جبل الأنصاري يعلّمهم الفقه والسنن.

وخرج منها غداة يوم السبت لست ليال خلون من شوّال[3].

قال المفيد في «الإرشاد» لما استظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزاة حُنين بجمع كثير وخرج متوجهاً إلى القوم في عشرة آلاف من المسلمين، ورأوا جمعَهم وكثرة عُدّتهم وسلاحهم، ظنّ أكثرهم أن لن يُغلبوا لذلك، وأعجبت كثرتُهم يومئذٍ أبا بكر فقال: لن نُغلب اليوم من قلة[4].

وخرج معه (صلى الله عليه وآله) من مكة رجال على غير دين، ركباناً ومُشاة، ينظرون لَمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم! ولا يكرهون أن تكون الصدمة بمحمد وأصحابه[5].

---

(١) تفسير القمي ٢٨٦: ١.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٨٣٠: ٤ فلعله كان تأليفاً لقلوبهم.

(٣) مغازي الواقدي ٨٨٩: ٢.

(٤) الإرشاد ١٤٠: ١ وقال: وعانهم ـ أي أصابهم بعينه ـ أبو بكر بعُجبه.. وأنزل الله في إعجاب أبي بكر بالكثرة قوله: «ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغن عنكم من الله شيئاً» التوبة: ٢٥ ومثله في إعلام الورى ٢٢٨: ١ ومناقب آل أبي طالب ٢١٠: ١.

(٥) مغازي الواقدي ٨٩٥: ٢ و ٨٩٤.

وأسرع السير رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أتاه رجل فقال: يا رسول الله، قد تقطّعوا من ورائك! فنزل حتى آوى إليه الناس فنزلوا، وصلّوا العصر.

وجاءه فارس فقال له: يا رسول الله، إنّي انطلقت بين أيديكم على جبل كذا فإذا بهوازن في وادي حُنين بنسائهم وظُعُنهم ونَعَمهم.

فتبسّم رسول الله وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله!

ثم قال رسول الله: إلا فارس يحرسنا الليلة؟ فقال أُنيس بن أبي مَرثد الغنوي: أنا ذا يا رسولَ الله. فقال له: انطلق حتى تقف على جبل كذا فلا تنزلنّ (من على ظهر جوادك) إلا مصليّاً أو قاضي حاجة، ولا تغرنّ من خلفك![1].

قالوا: وكان انتهاء رسول الله إلى حُنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوّال[2].

عيون الطرفين:

وعرف ابن عوف بوصول المسلمين إلى حُنين، فاختار من عسكره ثلاثة نفر وأمرهم أن يتفرّقوا في عسكر محمد وأصحابه وينظرون إليه وإليهم.

فمضوا، ورجعوا وإنّ أفئدتهم تخفق، فقال لهم: ويلكم ما شأنكم؟

فقالوا له: ما نقاتل أهل الأرض إن نقاتل إلا أهل السموات، فقد رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى! وإن أطعتنا رجعت بقومك، فإنّ الناس إن رأوا مثل ما رأينا أصابهم مثل الذي أصابنا.

فقال لهم: أفٍّ لكم، بل أنتم أجبن أهل العسكر! ثم خاف أن يشيع ذلك الخوف في العسكر فحبسهم عنده.

وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن أبي حدْرد عيناً له عليهم فخرج حتى

---

(١) مغازي الواقدي ٨٩٤: ٢.
(٢) مغازي الواقدي ٨٩٢: ٢.

وصل إلى معسكر ابن عوف فسمعه يقول لهم: يا معشر هوازن! إنكم أحدُّ العرب وأعدّه! وإن هذا لم يلق قوماً يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا عليه حملة رجل واحد!

فأتى ابن أبي حدْرد رسولَ الله فأخبره خبره.

الاستعداد للجهاد:

في تفسير القمي: قال مالك بن عوف لقومه: ليصيّر كل رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر، فإذا كان في غَلَس الصبح فاحملوا حملة رجل واحد وهدّوا القوم، فانّ محمداً لم يلق أحداً يُحسن الحرب[١].

قالوا: ولما كان الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبّأهم في وادي حُنين، وكان وادياً أجوف له شعاب ومضايق، ففرّق الناس فيه، على أن يحملوا على محمد وأصحابه حملة واحدة.

وفي السحر عبّأ رسول الله أصحابه فصفّهم صفوفاً.. وركب رسول الله بغلته البيضاء دُلدُل[٢]، ولبس درعين والمِغفر والبَيضة، وطاف على صفوفهم فحرّضهم على القتال وبشّرهم بالفتح إن صدقوا وصبروا[٣] وجعل شعار المهاجرين: بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأوس: بني عُبيد الله، وسمى خيله: خيل الله[٤].

وروى عن سهل بن الحنظلية الأنصاري قال: وبتنا حتى أضاء الفجر، وحضرنا الصلاة، فخرج علينا رسول الله، وأُقيمت الصلاة فصلى بنا، فلما سلّم رأيته ينظر خلال الشجر.. وجاء أُنيس بن أبي مرثد الغنوي (الذي حرسهم تلك

---

(١) تفسير القمي ٢٨٧ ٢٨٦ : ١.
(٢) ويأتي في خبر العباس: أنه كان على بغلة شهباء.
(٣) مغازي الواقدي ٨٩٧ : ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٩٠٣ : ٢.

الليلة فارساً على الجبل) فقال له: يا رسول الله، إنّي وقفت على الجبل كما أمرتني فلم أنزل عن فرسي إلا مصلياً أو قاضي حاجة حتى أصبحت، فلم أحسّ أحداً. فقال له (صلى الله عليه وآله): فانطلق فانزل عن فرسك. ثم قال: ما على هذا أن لا يعمل بعد هذا عملاً[(١)].

الهزيمة أولاً:

روى الواقدي عن أنس بن مالك قال: كان أول الخيل (في المقدمة) خيل سُليم، وتبعهم أهل مكة، وانتهينا إلى وادي حُنين، فتحدّروا فيه، وتحدّرنا فيه خلفهم في غلَس الصبح، فما شعرنا إلا بخروج كتائب هوازن من مضائق الوادي وشعبه وحملوا حملة واحدة، فانكشف أول الخيل خيل سليم مولّية، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء[(٢)].

وقال القمي في تفسيره: كانت بنو سُليم على مقدّمته، فخرجت عليها كتائب هوازن من كل ناحية، فانهزمت بنو سُليم (ويأتي ما قد يفسّر ذلك) وانهزم من وراءهم ولم يبق إلا انهزم. وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل في نفر قليل[(٣)].

قال المفيد في «الإرشاد»: لما التقى المسلمون المشركين لم يلبثوا حتى انهزموا بأجمعهم! فلم يبق منهم مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلا عشرة أنفس: ثمانية من بني هاشم ـ وتاسعهم علي عليه السلام ـ وهم: أبو سفيان (بن الحارث بن عبد المطّلب) ممسكاً بسير سرجه، ثم لحقه العباس بن عبد المطلب عن يمينه، ثم ابنه الفضل بن العباس عن يساره، ونوفل وربيعة ابنا الحارث بن عبد المطلب أخوا أبي سفيان، وعُتبة ومعتّب ابنا أبي لهب! وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، فهؤلاء تسعة من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أيمن ابن أُم أيمن، فقتل أيمن رحمه الله.

---

(١) مغازي الواقدي ٨٩٤: ٢ وكأنه (صلى الله عليه وآله) أراد: ما عليه الجهاد ذلك اليوم.
(٢) مغازي الواقدي ٨٩٧: ٢.
(٣) تفسير القمي ٢٨٧: ١.

النساء الثوابت:

قال الواقدي: ورأت أم حارث الأنصارية الناس يولّون منهزمين فجعلت تقول: والله ما رأيت كاليوم ما صنع هؤلاء الفُرّار بنا! من جاوز بعيري أقتله! ورأت زوجها أبا الحارث على جمله والجمل يريد أن يلحق بآلافه! فقالت له: يا حارِ! تترك رسولَ الله؟! وأخذت بخطام الجمل وهي لا تفارقه.

ومرّ بها في هذا الحال عمر بن الخطاب، فقالت له أم الحارث: يا عمر! ما هذا! فقال عمر: أمر الله[١].

فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا رسولَ الله دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر ونجّاه من فرعون[٢] ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال:

اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد، وإن شئت أن لا تُعبَد لا تُعبد![٣].

اللهم إنّي أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا[٤].

محاولة قتل الرسول (صلى الله عليه وآله):

وكان عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار من حملة لواء المشركين المقتولين في أُحد بيد حمزة أو علي عليه السلام، فتعاهد ابنه شيبة مع صفوان أن إذا دارت الدارة على رسول الله أن ينقلبا عليه فينتقما منه[٥].

فلما انهزم الناس وبقي محمد والنفر الذين بقوا معه ـ قال شيبة ـ جئت من ورائه ورفعت السيف وكدت أخبطه وإذا بشيء قد غشى فؤادي فلم أُطق ذلك! فعلمت أنه ممنوع منه. ثم التفت إليَّ محمد فقال لي: أُدنُ يا شيبة وقاتل، فدنوت

(١) مغازي الواقدي ٩٠٤: ٢. وروى مثله عن أبي قتادة ٩٠٨: ٣. فهي أول بادرة جبرية!
(٢) وفي مغازي الواقدي ٩٠١: ٢.
(٣) تفسير القمي ٢٨٧: ١.
(٤) مغازي الواقدي ٨٩٩: ٢ وإعلام الورى ٢٣٢: ١.
(٥) مغازي الواقدي ٩٠٩: ٢.

منه فوضع يده على صدري فأحببته وتقدّمت وقاتلتُ بين يديه. وحدّثني بما كنت زوّرته في نفسي، فقلت: ما اطّلع على هذا إلا الله، فأسلمت[١].

وكان صفوان مع شيبة خلف النبيّ (صلى الله عليه وآله)[٢] لكنه هو أيضاً أعرض عما تعاهد عليه مع شيبة من قتله (صلى الله عليه وآله)، فصاح به أخوه لأُمّه: كَلَدة بن الحَنبل: إلا بطل السحرُ اليوم! فصاح به صفوان: اسكت فضّ الله فاك! فوالله لئن يَرُبّني رجلٌ من قريش أحبُّ إليّ من أن يَرُبّني رجل من هوازن[٣].

وكان المسلمون قد بلغ أقصى هزيمتهم مكة! ورسول الله قائم مصلت بيده سيفه قد طرح غِمده ينادي: يا أصحاب سورة البقرة!

ثم تراجع المسلمون وكرّوا، فكرّ الأنصار ينادون بشعارهم شِعار الأوس: بني عُبيد الله، وشعار المهاجرين: بني عبد الرحمن، وسائر المسلمين: يا خيل الله! ورجع فيهم ابناي إلي: حبيب وعبد الله[٤].

شماتة الكفّار:

قال ابن إسحاق: لما رأى جُفاة أهل مكة الهزيمة تكلم بعضهم بما في نفوسهم من الضِغن: فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر![٥] فسمعه أبو مقيت الأسلمي فناداه: أما والله لولا أنّي سمعت رسولَ الله ينهى عن قتلك لقتلتك!

وقال سُهيل بن عمرو المخزومي: إنّ هذه لا يجبرها محمد وأصحابه!

---

(١) مغازي الواقدي ٩١٠ ٩٠٩: ٢ وإعلام الورى ٢٣١: ١ نحوه، ومجمع البيان ٣٠: ٥ عن الزهري قريباً منه. وفي الخرائج والجرائح ١١٧: ١، الحديث ١٩٤.

(٢) مغازي الواقدي ٩٠٩: ٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٨٦: ٤ ونقله الطبْرسي في إعلام الورى بلا إسناد ٢٣٠: ١. ويُربّني: أي يكون ربّاً لي أي ملكاً عليّ.

(٤) مغازي الواقدي ٩٠٣: ٢ هذا وقد مرّ أنها كانت حاملاً بعبد الله، فلعلّ أحدهما: عبيد الله.

(٥) ابن إسحاق في السيرة ٨٦: ٤ واليعقوبي ٦٢: ٢ ومغازي الواقدي ٩١٠: ٢.

فسمعه عِكرمة بن هشام المخزومي فقال: ليس الأمر إلى محمد وإنّما الأمر بيد الله، إن أديل عليه اليوم فان له العاقبة غداً.

فقال له سهيل: إنّ عهدك بخلافه لحديث!

فقال له عِكرمة: إنّا كنّا نوضع في غير شيء كنا نعبد الحجر وهو حجر لا يضرّ ولا ينفع![1].

مقتل أبي جَرْول:

جاء في «الإرشاد»: قالوا: وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل يرفعه لمَن وراءه من المشركين ليتّبعوه، فإذا أدرك نفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرولَ، لا براحْ   حتى نبيحَ القومَ أو نُباحْ!

فصمد له علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فألقاه وهو يقول:

قد علم القوم لدى الصباح   أنّي في الهيجاء ذو نَصاح

فلما قتل علي عليه السلام أبا جرول خذل قومه لقتله، وكرّ المسلمون من الأنصار والمهاجرين عليهم، وتقدّمهم علي عليه السلام حتى قتل أربعين رجلاً منهم[2] فكان مِنْ قتْله أبا جرول والأربعين الذين تولّى قتْلَهم منهم ما سبّب في هلعهم ووهنهم وخذلانهم وهزيمتهم وظفَّر المسلمين بهم[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٩١١ ـ ٩١٠: ٢.

(٢) رواه الكليني بسنده عن أبان الأحمر البجلي عن الصادق عليه السلام في روضة الكافي: ٣٠٨ وعنه في بحار الأنوار ١٧٦: ٢١ وخلت الروضة المطبوعة عن أبان.

(٣) الإرشاد ١٥٠ ـ ١٤٤ ـ ١٤٣: ١ وقال اليعقوبي: ومضى علي عليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله فكانت الهزيمة ٦٣: ٢ ولا يعني به إلا أبا جرول. أما عن عدد القتلى من هوازن فسيأتي عن ابن إسحاق في السيرة ٩٢: ٤: أنه قتل منهم سبعون رجلاً. وفي مغازي الواقدي ٩٠٧: ٢ أنه قتل منهم قريب من مئة رجل. وكذلك في مجمع البيان ٣٠: ٥ وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٣٥ أنهم مئة وخمسون. فالواقدي زاد ثلاثين والمسعودي زاد خمسين، وعلى=

تراجع المنهزمين:

قال القمي في تفسيره: أنه (صلى الله عليه وآله) قال لعمه العباس: يا عباس، اصعد هذا الضرب (التل الصغير) ونادِ: يا أصحاب البقرة! ويا أصحاب الشجرة! إلى أين تفرّون؟! هذا رسول الله! ففعل العباس ذلك، فلمّا سمع الأنصار نداء العباس عطفوا يرجعون وهم يقولون: لبّيك، وكسروا جفون سيوفهم، ولكنهم استحيوا أن يرجعوا إلى رسول الله فمرّوا به ولحقوا براياتهم(١).

وروى الطبْرسي في «أعلام الورى» عن سلمة بن الأكوع قال: نزل رسول الله عن البغلة بنفسه فقبض قبضة من التراب ثم ركب واستقبل به وجوه القوم ورماه وقال: شاهت الوجوه! فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، فولّوا مدبرين وأتبعهم المسلمون يقتلون فيهم، وفرّ مالك بن عوف(٢).

ونزل النصر من السماء، فكانت هوازن تسمع قعقعة السلاح في الجوّ فانهزموا في كل وجه، وهو قول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾(٣).

قال ابن إسحاق: لمّا انهزمت هوازن اشتد القتل من ثقيف في بني مالك، وكانت رايتهم مع عوف بن الربيع ذي الخِمار فقُتل، فأخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل، وقتل منهم معه وتحت رايته سبعون رجلاً(٤).

=الأول يكون لعلي (عليه السلام) نصف القتلى، وعلى الأخير الثلث، والثلثان الباقيان لسائر المقاتلين من المسلمين كلهم. وعليه فلا يبعد ما جاء في دعاء الندبة: «فأودع قلوبهم أحقاداً بدرية وخيبرية وحنينية».

(١) تفسير القمي ٢٨٧: ١ ورواه الواقدي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري ٨١٠: ٣ وروى قبله عن الزهري عن كثير بن العباس بن عبد المطّلب: أنّ النبيّ قال ذلك للعباس وهو ناوله! ٨٩٩ ـ ٨٩٨: ٣ ولا ريب أن جابر الأنصاري أكثر حياداً في الرواية.

(٢) إعلام الورى ٢٣٢: ١.

(٣) تفسير القمي ٢٨٨: ١.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ٩٢: ٤ ومغازي الواقدي ٩٠٧: ٢ إلا أنه قال: قتل منهم قريب من مئة رجل. وقال المسعودي في التنبيه والإشراف: قتل منهم مئة وخمسون رجلاً: ٢٣٥.

قتل الصغار والأُسارى:

وروى الواقدي: أنّ الخزرج رجعوا بزعيمهم سعد بن عُبادة وهو يصيح بهم: يا لَلخزرج يا للخزرج! وثاب الأوس بزعيمهم أُسيد بن حُضير وهو يصيح بهم: يا للأوس يا للأوس! وحنقوا على هوازن فقتلوا منهم حتى الصغار، فبلغ ذلك رسولَ الله فنادى بالأوس:

ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرّية؟! إلا لا تُقتل الذرّية! ثلاثاً.

فقال أُسيد بن حُضير: إنما هم أولاد المشركين!

فقال (صلى الله عليه وآله): أوليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسَمة تولد على الفطرة حتى يُعرب عنها لسانُها، فأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها[1].

قال المفيد: وما زال المسلمون يقتلون المشركين ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالكفّ عنهم ونادى: أن لا يُقتل أسير من القوم.

ومرّ عمر بن الخطّاب بأسير من هُذيل يُدعى ابن الأكوع كان عيناً لهم على المسلمين في فتح مكة، وحضر معهم في حُنين فأُسر، فأقبل عمر على رجل من الأنصار، وقال له: عدوّ الله الذي كان عيناً علينا ها هو أسير فاقتله! فقتله الأنصاري. فبلغ ذلك النبيّ (صلى الله عليه وآله) فكرهه وقال: ألم آمركم أن لا تقتلوا أسيراً؟!

مصير الأمير مالك:

قال ابن إسحاق: فوقف في طريقه على ثنيّة من الثنايا (مرتفع بين جبلين) وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أُخراكم، فوقفوا حتى مضى من كان لحق بهم من المنهزمين.

ثم طلع فارس، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟

---

(١) مغازي الواقدي ٩٠٥: ٢ ويلاحظ فيه: حتى يُعرب عنها لسانها، وليس فيه: ويمجّسانه أو يمجّسانها، فهي إضافة زائدة. والمشهور: كل مولود، وليس فيه: حتى يُعرب..

قالوا: نرى فارساً طويل الفخذين، واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بعصابة حمراء.

فقال: هذا الزبير بن العوّام، وأحلف باللات ليخالطنّكم فاثبتوا له!

فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فقصدهم[1] فنزل مالك عن فرسه وطفق يلوذ بالشجر حتى سلك في جبل يسمى اليسوم في أعلى وادي نخلة، وبصر بهم الزبير فحمل عليهم حتى أهبطهم من الثنية، وهرب مالك بن عوف إلى ناحية «ليَّة» من نواحي الطائف، فدخل فيها قصراً تحصّن فيه[2].

الغنائم والأسرى:

روى ابن إسحاق بسنده عن أبي قتادة الأنصاري قال: لمّا وضعت الحرب أوزارها وفرَغنا من القوم، قال رسول الله: مَن قتل قتيلاً فله سلَبه[3].

قالوا: وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالغنائم أن تُجمع، ونادى مناديه: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغل! ومَن أصاب شيئاً من المغنم فليردّه!

فروى الواقدي عن عُمارة بن غُزيّة: أنّ عبد الله بن زيد المازني كان قد أخذ قوساً يومئذٍ يرمي بها المشركين فردّها في المغنم.

وجاءه رجل بحبل وقال: يا رسولَ الله، وجدت هذا الحبل حيث انهزم العدو أفأشدّ به على رحلي؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لك نصيبي منه، فكيف تصنع بأنصباء المسلمين؟![4].

فروى الطبرسي في «إعلام الورى» عن أبان الأحمر البجلي الكوفي عن الصادق عليه السلام قال: سبى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حُنين أربعة آلاف رأس (؟ ج:

---

(١) سيرة ابن هشام ٩٩ ـ ٩٧: ٤.

(٢) مغازي الواقدي ٩١٧ ـ ٩١٦: ٢.

(٣) وفي مغازي الواقدي: مَن قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلَبه ٩٠٨: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٩١٨: ٢.

إنسان، بقرينة لفظ سبى) واثني عشر ألف ناقة، سوى ما لا يُعلم من الغنائم[١] كذا، بل الظاهر: الأغنام، بقرائن: ذكر النوق، وعدم ذكر الغنم وهو بصدد البيان، وعدم معنى محصّل للغنائم هنا، وذكر ما يقربه لدى الواقدي قال: «وكانت الغنم لا يُدرى عددها: أربعين ألفاً وأقل وأكثر» ولكن الإبل زادها إلى الضعف: أربعة وعشرين ألف بعير، ولم يذكرهما ابن إسحاق، واتفقا في عدد السبي بزيادة ألفين.

الشهداء والقتلى:

مرّ آنفاً مقتل أبي عامر الأشعري في أوطاس، ودُفن بها. ومرّ قبله مقتل أيمن بن عُبيد الخزرجي ابن أم أيمن الحبشية حاضنة النبيّ (صلى الله عليه وآله) دفاعاً دونه، بيد أمير هوازن مالك بن عوف النصري. ومن الأنصار: سُراقة بن الحارث العجلاني، وانفرد الواقدي بذكر رقيم بن ثابت من بني لوذان، وانفرد ابن إسحاق بخبر يزيد بن زمعة من قريش جمح به فرسه فقتل، فدفنوا هناك.

دمُ عامر الأشجعي:

ولم يكن عُلم إسلامه قبله إلا أنه لما مرّ عليهم سلّم عليهم بتحيّة الإسلام، ومع ذلك حمل عليه مُحلّم فقتله وسلَبه. وفي شأنه نزلت الآية من سورة النساء: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٢]. ثم لم يلقوا جمعاً فرجعوا إلى المدينة، وقبلها بليلة في منزل ذي خُشُب بلغهم خروجه (صلى الله عليه وآله) إلى مكة، فأخذوا على بِين حتى لحقوا به في منزل السُقيا[٣].

---

(١) إعلام الورى ٢٣٣: ١ وفي كتاب أبان المُعاد: المِغازي والمبعث: ١١١.

(٢) النساء: ٩٤.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ٢٧٥: ٤ ومغازي الواقدي ٧٩٧: ٢.

مسيره (صلى الله عليه وآله) إلى الطائف:

قال الواقدي: وأخذ رسول الله من الأدلّاء من يدلّه على الطريق إلى الطائف، فسار من أوطاس على نخلة اليمانية، ثم على قرن[1] ثم على المُليح، ثم على بحرة الرُّغاء من وادي لِيّة، وبها بنى مسجداً بيده وأصحابه ينقلون إليه الحجارة، فصلى فيه الظهر.

وصلى رسول الله العصر، ورأى قصراً فسأل عنه فقالوا: هو قصر مالك بن عَوف. فقال: أين هو؟ قالوا: هو الآن في حصن ثقيف. فقال: مَن في قصره؟ قالوا: ما فيه أحد. فقال: حرّقوه! فحُرِّق من حين العصر إلى أن غابت الشمس.

ثم مضى رسول الله من لَيّة على طريق الضّيقة، فقال رسول الله: بل هي اليُسرى!

ثم خرج على وادي النِخب عند حائط رجل من ثقيف، أبى أن يخرج إلى رسول الله، فأرسل إليه النبيّ (صلى الله عليه وآله): إمّا أن تخرج وإمّا أن نحرق عليك حائطك! فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله بإحراق حائطه وما فيه[2].

بدء حصار الطائف:

قال: ومضى رسول الله حتى نزل قريباً من حصن الطائف، فلمّا حلّ جاءه الحُباب بن المنذر فقال له: يا رسولَ الله، إنّا قد دنونا من الحصن، فإن كان عن أمر سلّمنا، وإن كان عن الرأي فالتأخر عن حصنهم؟ فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

دعا رسول الله الحباب بن المنذر فقال له: انظر لنا مكاناً مُرتفعاً مستأخراً عن القوم.

---

(١) قرية في طريق الطائف بينها وبين مكة خمسون ميلاً (٨٠ كم تقريباً) معجم البلدان ٦٤ : ٧.

(٢) مغازي الواقدي ٩٢٥ : ٢ وعند ابن إسحاق في السيرة مثله ١٢٥ : ٤ إلا أنه قال: فأمر بإخرابه، لا إحراقه.

فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف (اليوم) فارتضاه، فرجع إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأخبره. فأمر رسول الله أصحابه أن يتحوّلوا إليه. ونزل رسول الله على الأكمة، ومعه امرأتان من نسائه أم سلمة وزينب.

مشورة سلمان بالمنجنيق:

قال: وشاور رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسولَ الله، أرى أن تنصب المنجنيق على حِصنهم؛ فإنّا كنّا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون، وتُنصَب علينا، فنصيب من عدوّنا، ويصيب منّا، وإن لم يكن المنجنيق طالت الإقامة.

فأمره رسول الله أن يصنعه، فعمل بيده منجنيقاً ونصبه باتجاه حصن الطائف[1].

بعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) الطُفيل بن عمرو الدّوسي إلى قبيلته الدّوس، وأنه أمره أن يستمدّ منهم ويوافيه بالطائف، فأسرع معه أربعمئة رجل من قومه.

قال: فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقطع كل رجل من أعنابهم خمس حَبلات[2]، ممّا يؤكل ثمره، وقال: مَن قطع حَبَلةً فله حَبلة في الجنة. فجعل المسلمون يقطعونها قطعاً ذريعاً.

فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي: يا محمد، لِمَ تقطع أموالنا؟ إمّا أن تأخذها إن ظهرتَ علينا، وإما أن تدعها للّه وللرّحِم كما زعمت!

فقال رسول الله: فإنّي أدعها للّه وللرّحِم[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٩٢٧ ـ ٩٢٤: ٢ وعنه في إعلام الورى ٢٣٤: ١. ولم يسلم بعضهم لسلمان بهذه المشورة المثمرة فقال: بل جاء بالمنجنيق ودبابتين الطفيل بن عمرو الدّوسي من أرض الدوس! ولم يُعهد منهم ذلك، ولعلّه لذلك قال آخر: بل جاء بهما خالد بن سعيد بن العاص من الجُرش في اليمن.م.ن.

(٢) الحَبلة: شجر العنب أو المثمر منه.

(٣) مغازي الواقدي ٩٢٨: ٢ وعنه في إعلام الورى ٢٣٤: ١ وفي شرح المواهب اللّدنية ٣٧: ٣: أن الرَحِم هنا لأن إحدى أمهات آمنة بنت وهب هند بنت يربوع الثقفي.

ومن النفاق المفضوح:

ولكن اختلف الحال مع عُيينة بن حصن الفزاري.

وكأنّ عُيينة لمّا رأى أنّ رؤوساً مثله كالثقفي وأبي سفيان يطلبون من ثقيف الأمان فيكلّمونهم، أراد أن يجعل له يداً عندهم، فتقدّم إلى رسول الله وقال: يا رسول الله، إيذن لي أن أذهب إلى حصن الطائف فأكلّمهم فأذن له.

فدنا من الحصن وقال لهم: أدنو منكم وأنا آمن؟ فعرفه أبو محجن المذكور فقال: نعم ادنُ فادخل. فدنا ودخل عليهم الحصن فقال لهم:

فداؤكم أبي وأمي! والله لقد سرّني ما رأيت منكم، والله لو أنّ في العرب أحداً غيركم! والله ما لاقى محمد مثلكم قط، ولقد ملّ المُقامَ، فاثبتُوا في حصنكم، فإنّ حصنكم حصين وسلاحكم كثير، وماءكم واتن: لا تخافون قطعه!

فلمّا رجع إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال له: ما قلتَ لهم؟

قال: خذّلتهم ما استطعتُ وقلت لهم: إنّ محمداً (كذا) قد نزل بساحة أهل الحصون قبلكم: قَينُقاع والنضير وقريظة وخيبر: أهل الحَلْقَة والعُدّة والآطام (الحصون) والله لا يبرح محمد عقر داركم حتى تنزلوا! فادخلوا في الإسلام! أو خذوا لأنفسكم أماناً! وخذّلتُهم ما استطعت!

فلما فرغ من حديثه، قال له رسول الله: كذبت! قلت كذا وكذا فأخبره بالذي قال لهم[١].

فقال عمر لرسول الله: يا رسولَ الله، دعني أقدّمهُ فأضرب عنقه!

فقال رسول الله: لا، يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي[٢].

---

(١) الخرائج والجرائح ١١٨: ١، الحديث ١٩٥، ومغازي الواقدي ٩٣٢: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ٩٣٣ ٩٣٢: ٢ ويلاحظ حسب هذا الخبر أنه (صلى الله عليه وآله) أطلق (أصحابي) حتى على مثل هذا المنافق أيضاً! ومع ذلك زعموا عدالتهم جميعاً! فهل أن استغفاره لساناً ملأ ضميره إيماناً من حينه؟! ليت شعري!

تحرير العبيد:

ونادى منادي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أيُّما عبد خرج من الحصن إلينا فهو حُرّ. فخرج بضعة عشر عبداً منهم:

ودفع النبيّ كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يحمله ويتكفّل مؤونته:

وأمرهم أن يقرئوهم القرآن، ويعلّموهم السُنن[١].

علي عليه السلام إلى خَثْعم:

روى المفيد في «الإرشاد» قال: أنفذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عند محاصرة الطائف عليّاً عليه السلام في خيل، فيهم صهره أبو العاص بن الربيع، إلى خثعم حول الطائف، وأمره أن يكسر كل صنم يجده.

فخرج، حتى لقيه جمع كثير من خيل خثعم، وبعد صلاة الفجر وهم في غبش الصبح برز له رجل من القوم يقال له شهاب، وقال: هل من مُبارز؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لمَن معه من المسلمين: مَن له؟ فلم يقم له أحد منهم!

فتصدّى له أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه، وحينئذٍ وثب عديله أبو العاص بن الربيع وقال له: بل تُكفاه أيها الأمير! فقال عليه السلام: لا، ولكن أنت على الناس إن قُتلت. ثم برز للرجل وهو يقول:

إنّ على كلّ رئيس حقّاً أن يُرويَ الصَّعْدةَ أو تُدَقّا

ثم ضرب الرجل فقتله.

ومضى في تلك الخيل حتى كسَر الأصنام، وعاد إلى الطائف.

وخرج من حصن الطائف نافع بن غَيلان بن معتّب في خيل من ثقيف ببطن وَجّ، فلقيه أمير المؤمنين فقتله، ولحق القوم الرعب فانهزموا.

---

(١) مغازي الواقدي ٩٣٢ ٩٣١: ٢.

وعاد علي عليه السلام إلى رسول الله وهو بعد مُحاصر للطائف، فلما رآه النبيّ (صلى الله عليه وآله) كبّر للفتح، وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً.

فواجهه عمر بن الخطاب بالعتاب: أتخلو به وتناجيه دوننا؟!

فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله): يا عمر، ما أنا انتجيته بل الله انتجاه!

فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلتَ لنا قبل الحُديبية: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فصُددنا عنه ولم ندخله!

فناداه النبي (صلى الله عليه وآله): لم أقل لكم إنكم تدخلونه في ذلك العام[1].

روى ابن إسحاق قال: إنّ امرأة عثمان (بن مظعون): خَوْلة أو خُويلة بنت حكيم السُلميّة أتت رسول الله فقالت له:

يا رسولَ الله، أعطِني ـ إن فتح الله عليك الطائف ـ حُليّ بادية بنت غَيلان، أو الفارعة بنت عقيل.

فقال لها رسول الله: وإن كان لم يؤذَن لي في ثقيف يا خويلة؟

فخرجت خُويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب.

فدخل عمر على رسول الله فقال له: يا رسولَ الله، ما حديث حدَّثتَنيه خُويلة، زعمت أنك قلتَه؟ قال: قد قلتُه. قال: أوَما أُذِن لك فيهم؟ قال: لا. قال: أفلا أؤذن فيهم بالرحيل؟ قال: بلى. فأذّن عمر بالرحيل[2].

اختلاف المسلمين:

قال الواقدي: فجعل المسلمون يمشي بعضهم إلى بعض يقولون لهم: أننصرف ولم نفتح الطائف؟! بل لا نبرح حتى يفتح الله علينا، والله إنهم لأذلّ

---

(١) الإرشاد ١٥٣ ١٥٢ : ١ وبهامشها للخبر مصادر عديدة.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ١٢٧ : ٤.

وأقلّ من لاقينا، قد لقينا جمعَ مكة وجمعَ هوازن ففرّق الله تلك الجموع! وإنما هؤلاء ثعلب في جُحر لو حصرناهم لماتوا في حصنهم هذا!

وكلّموا عمر بن الخطّاب في ذلك فقال: لقد دخلني في الحديبية من الشك (كذا) ما لا يعلمه إلا الله، وراجعت رسولَ الله يومئذٍ بكلام ليت أنّي لم أفعل وأنّ أهلي ومالي ذَهبا.

وفي مدة الحصار قال الطبرسي: فحاصرهم بضعة عشر يوماً[1] والواقدي: قال قائل: خمسة عشر يوماً، وقائل: ثمانية عشر يوماً، وقائل: تسعة عشر يوماً، وكل ذلك وهو يصلي ركعتين ركعتين بين قبّتيه المضروبتين لزوجتيه[2]. وذكر ابن هشام: سبع عشرة ليلة، وابن إسحاق: بضعاً وعشرين ليلة[3].

وعند ارتحالهم:

قال الطبرسي: وكأنّما كان رسول الله ينتظر عليّاً عليه السلام فلما قدم علي ارتحل..

وحين أرادوا أن يرتحلوا قال رسول الله لأصحابه قولوا:

لا إله إلا الله وحده وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده!

فلمّا استقلّوا وارتحلوا قال لهم: قولوا: آيبون عائدون، لربّنا حامدون إن شاء الله.

قالوا: انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حصار الطائف فأخذ على دَحنا ثم على قَرْن المنازل (ميقات أهل نجد).

---

(١) إعلام الورى ٢٣٣: ١.
(٢) مغازي الواقدي ٩٢٧: ٢.
(٣) سيرة ابن هشام ١٢٥: ٤.

غنايمهم، والمؤلّفة قلوبهم:

قال الواقدي: وكان السبي ستة آلاف.. ولما قدم رسول الله الجِعرّانة أمر بُسر بن سفيان الخزاعي أن يذهب إلى مكة فيشتري للسبي من ثياب المُعقَّد (من برود هَجَر في اليمن) فيكسوهم، فلا يخرج منهم أحد إلا كاسياً، فاشترى بُسر كسوة لهم فكساهم كلّهم.

وأشار إلى هذا ابن إسحاق بعد أن قال: وأعطى رسول الله المؤلَّفة قلوبهم ـ وكانوا من أشراف الناس ـ يتألّفهم ويتألف بهم قومَهم[1].

وروى الكليني في «الكافي» بسنده عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين تألّف رؤوساً من رؤوس العرب من قريش وسائر مُضر، منهم أبو سفيان بن حرب، وعُيينة بن حصن الفزاري، وأشباههم من الناس [وهم] المؤلّفة قلوبهم [و] هم قوم وحّدوا الله ـ عزّ وجلّ ـ وخلعوا عبادة ما يُعبد من دون الله وشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهم مع ذلك شكّاك في بعض ما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله)، فأمر الله ـ عزّ وجل ـ نبيّه (صلى الله عليه وآله) أن يتألّفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه وأقرّوا به[2].

وطاف (صلى الله عليه وآله) يتصفّح الغنائم وتبعه صفوان بن أُميّة الجُمحي، إذ مرّ بشِعب مملوء مما أفاء الله عليه من إبل وأغنام، فجعل صفوان ينظر إليها معجباً بها، فقال له رسول الله:

يا أبا وهب، هل أعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك بما فيه! فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قطّ إلا نبيّ، وأشهد أنّك رسول الله![3].

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ١٣٥ : ٤، وحكى عنه الطبْرسي في إعلام الورى ٢٣٦ : ١.
(٢) أُصول الكافي ٤١١ : ٢ وتفسير العياشي ٩١ : ٢.
(٣) مغازي الواقدي ٩٤٦ : ٢.

تنبّؤ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بأمر الخوارج:

قال: ولما قسّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) غنائم حُنين، أقبل رجل أحدب طويل طُوال آدم، بين عينَيه أثر السجود، فسلّم ـ ولم يخصّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالسلام ـ ثم قال له: قد رأيتك وما صنعتَ في هذه الغنائم!

فقال (صلى الله عليه وآله): وكيف رأيت؟

قال: لم أرَك عدلْتَ!

فغضب رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) وقال: وَيلك! إذا لم يكن العدْلُ عندي فعند مَن يكون؟!

فقال المسلمون: إلا نقتله؟!

فقال: دعوه، سيكون له أتباع يَمرقُون من الدين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيّة، يقتلهم الله على يد أحبِّ الخلق إليه بعدي[1].

وروى الواقدي عن أبي سعيد (عقيصاً أو الخُدري) عن علي عليه السلام قال:

جلس رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وفي ثوب بلال فضة يُقبضها للناس على ما يراه، فأتاه ذو الخُويصرة التميمي فقال: اِعدل، يا رسولَ الله!

فقال رسول الله: ويلك! فمَن يعدلُ إذا لم أعدل؟!

فقال عمر: يا رسولَ الله، إيذن لي أن أضرب عنقه!

فقال (صلى الله عليه وآله): دَعْه، فانّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيَهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرّميّة، ينظر الرامي في قُذذه (ريشه) فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في نصله فَلا يرى شيئاً، ثم ينظر في رصافه (عقيب النصل) فلا يرى شيئاً، قد سبق

---

(١) الإرشاد ١٤٩ ١٤٨: ١.

الفرث والدم! يخرجون على فُرقة من المسلمين (كذا) فيهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو كبَضعة تدَرْدَر[١] أي: تترجرج. ولم يرو الذيل أيضاً.

قال الواقدي: واختُلف في ما أعطى يومئذٍ النبيّ (صلى الله عليه وآله) هؤلاء الناس من الغنائم: هل كانت من الخمس؟ أم كانت فارعة من أصلها قبل أن تُخمّس؟! ثم قال: وأثبت القولين أنها كانت من الخُمس[٢].

وقال: ثم أمر رسولُ الله زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضّها على الناس، فكانت سهامهم: لكل رجل راجل أربعون شاةً أو أربع من الإبل، ولكل فارس اثنا عشر بعيراً أو مئة وعشرين شاةً[٣] وهذا يؤيد أنَّ العطايا كانت قبل التخميس.

حيرة الأنصار ثم خيرتهم:

روى الكليني في «الكافي» بسنده عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال: غضبت الأنصار (لتوزيع الأموال) فاجتمعوا إلى سعد بن عُبادة.

فانطلق بهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. قال: إن كان هذا الأمر في هذه الأموال التي قسّمت بين قومك شيئاً أنزله الله وأمرك به رضينا، وإن كان غير ذلك لم نرضَ!

فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار. ثم قال لهم: يا معشر الأنصار، أما ترضونَ أن يرجع غيركم بالشاء والنِعَم وترجعون أنتم وفي سهمكم رسولُ الله؟! قالوا: بلى رضينا.

---

(١) رواه القُشيري في الصحيح ٧٤٤: ٢، ونقله الطبْرسي في إعلام الورى عن صحيح البخاري عن الزهري عن أبي سعيد الخُدري، وذيله: يخرجون على خير فرقة من المسلمين وله تتمة ـ إعلام الورى ٢٤١: ١.

(٢) مغازي الواقدي ٩٤٨: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٩٤٩: ٢.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): الأنصار كِرشي وعَيبتي (بطانتي وموضع سرّي) لو سلك الناس وادياً وسلكتِ الأنصار شِعباً لسلكت شِعب الأنصار.

ثم قال: اللهم اغفر للأنصار[١].

وفد هوازن:

صلى الله عليه وآله لما انتهى إلى الجِعرّانة كانت الغنائم محبوسة بها، والسبي في حظائر يستظلّون بها من الشمس، فلما نظر (صلى الله عليه وآله) إليها سأل عنها فقالوا له: هذا سبي هوازن استظلوا من الشمس، وهنّ ستة آلاف.

فقدِم وفد هوازن[٢] وقد قُسم السبي وجرت فيهم السهام.

قدم عليه أربعة عشر رجلاً منهم مسلمين، وجاؤوا بإسلام مَن وراءهم من قومهم. فكان رأس القوم والمتكلم زُهير أبو صُرد.

وكان في الوفد عمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الرضاعة، فقال له يومئذٍ:

يا رسولَ الله، إنّما في هذه الحظائر مَن كان يكفلك من عمّاتك وخالاتك وحواضنك، حضنّاك في حجورنا وأرضعناك بثُديّنا. ولقد رأيتُك مُرضَعا فما رأيت مُرضَعاً خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك. وقد تكاملت فيك خِلال الخير، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتك، فامنُن علينا منّ الله عليك!

فقال لهم رسول الله: قد أستأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تَقدمون، وقد قُسم السبي وجَرت فيه السُهمان[٣] وإن أحسن الحديث أصدقه.. فأبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟[٤] أو قال: أي الأمرين أحبّ إليكم: السبي أو الأموال؟

---

(١) الإرشاد ١٤٦ ١٤٥: ١.

(٢) مغازي الواقدي ٩٤٩: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٩٥٠: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ٩٥١: ٢.

فقالوا: يا رسولَ الله، خيّرتَنا بين الحسب وبين الأموال، والحَسب أحبّ إلينا.

فقال رسول الله: أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلّم لكم المسلمين وأشفع لكم، فكلّموهم وأظهِروا إسلامكم.

فلما صلى (صلى الله عليه وآله) الظهر قاموا فتكلّموا[١].

ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال للناس:

إنّ هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم، فخيّرتُهم بين النساء والأبناء والأموال فلم يعدلوا بالنساء والأبناء (شيئاً) فمَن كان عنده منهنّ فطابت نفسه أن يردّ فليُرسل، ومَن أبى منكم وتمسّك بحقه فليردّه عليهم وليكن فرضاً علينا ستّ فرائض (إبل) من أول ما يُفيء الله به علينا!

فقال الناس: يا رسولَ الله رضينا وسلّمنا! فقال:

فمُروا عُرفاءكم أن يدفعوا ذلك إلينا حتى نعلم.

نية عُيينة والعجوز!:

والتي أصابت سهم عُيينة بن حصن كانت عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً أحسب لها في الحيّ نَسباً فعسى أن يعظم فداؤها! فقال له أبو صُرد زهير:

خذها، فوالله لا زوجها بواجد (عليها) ولا بطنها بوالد، ولا ثديُها بناهد، ولا دَرّها بماكد (غزير) ولا فوها ببارد (طيّب)[٢].

وروى الواقدي عن مُعاذ بن جبل عنه (صلى الله عليه وآله) قال يومئذٍ: لو كان ثابتاً على

(١) مجمع البيان ٣١: ٥ عن أهل السير، وفاقاً لما في السيرة والمغازي.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ١٣٣: ٤.

أحد من العرب وَلاء أو رقّ لثبت اليوم، ولكن إنّما هو سار وفِدية. وجعل رسول الله الفداء يومئذٍ: ستّ فرائض: ثلاث حِقاق وثلاث جِذاع(١).

مصير النَصْري المهزوم:

وكان مالك بن عوف النصري ـ قائد هوازن المهزوم في حُنين ـ صهر أبي أُمية المخزومي، فلما هُزم مالك أسرت أُسرته ضمن السبايا بأيدي المسلمين وعُرفوا، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أكرموا كريم كل قوم ذلّ، وإنّما يكرم المرء في ولده وأهله، لذلك أمر بإرسالهم إلى مكة عند عمتهم أم عبد الله بنت أبي أُميّة، وأوقف ماله ولم يُسهم فيه(٢).

فلما جاءه وفد هوازن سألهم عن مالك فقالوا:

يا رسولَ الله، هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف. فقال له رسول الله:

أخبروه: أنه إن كان يأتي مسلماً رددتُ عليه أهله وماله، وأعطيتُه مئة من الإبل!

فلما فرجع الوفد وبلغ مالكاً خبرهم، وأنّ أهله وماله موقوفان غير مقسومين، وما وعده رسول الله، خاف مالك أن تعلم ثقيف بذلك فيحبسوه عندهم، فأمر رجاله برحاله إلى دَحنا في حومة الطائف، وأمر أن يأتوا بفرسه ليلاً إلى جدار الحصن، فخرج من الحصن ليلاً وجلس على فرسه حتى أتى دَحنا فركب بعيره حتى أدركه (صلى الله عليه وآله) محرماً بالعمرة من الجِعرّانة يريد الركوب إلى مكة.

فأسلم لديه، فأعطاه مئة من الإبل، وأمر له بماله وأهله ثم عقد له لواءً واستعمله على مَن أسلم من قومه من نصر وفهم و ثُمالة وسلمة والطوائف حول الطائف(٣).

---

(١) مغازي الواقدي ٩٥٤ ٩٥٣: ٢. والحِقاق: جمع حِقّة: الناقة في الرابعة. والجذاع: جمع جِذعة: الناقة في الخامسة.

(٢) مغازي الواقدي ٩٥٤: ٢.

(٣) ابن إسحاق في السيرة ١٣٤ ١٣٣: ٤.

عمرته (صلى الله عليه وآله) من الجِعِرّانة:

مر أنّه (صلى الله عليه وآله) كان في الجِعرّانة يصلّي في موضع المسجد الذي بالعدوة القُصوى تحت الوادي، فمنه أحرم ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، للعمرة، فلم يجُز الوادي إلا مُحرماً ملبّياً، ولم يقطع التلبية حتى رأى البيت يوم الأربعاء. فأناخ راحلته على باب بني شيبة (حيث دفَن هُبل) فدخل واتّجه إلى الركن (الحجر الأسود) فاستلمه، ثم أرمل (مشى مُسرعاً) منه إلى حِجر إسماعيل، وهكذا حتى أتمّ طوافه، ثم خرج فركب راحلته واتّجه إلى الصفا فسعى على راحلته منه إلى المروة حتى أتمّ الشوط السابع عند المروة فنزل وحلق رأسه عندها خِراش بن أُمية أو أبو هند عبد بني بياضة، ولم يكن له هدْي.

وفد الطائف، الأول:

وروى الطوسي في «الأمالي» بسنده عن الصادق (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة (في عمرة الجعرانة) قدم عليه نفر من أهل وَجّ من الطائف فعرضوا عليه إسلامهم وإسلام قومهم، ولكنّهم لم يقرّوا بالصلاة والزكاة[1].

فقال (صلى الله عليه وآله): لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود! أما والذي نفسي بيده لَيُقيمُنّ الصلاة ولَيُؤتُينّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلاً هو منّي كنفسي، فليضربَنّ أعناق مقاتليهم وليسبينّ ذراريهم! وأخذ بيد علي (عليه السلام) وشالها وقال: هو هذا[2].

ثم انصرف (صلى الله عليه وآله) تلك الليلة (ليلة الخميس) من مكة إلى الجعرّانة فكأنّه بات بها.

(١) كذا في هذا الخبر، وسيأتي أنّ فرض الزكاة كان في أول التاسعة.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٠٥ ٥٠٤، الحديث ١١٠٦. وسيأتي خبر وفدهم إلى المدينة في شهر رمضان من التاسعة أي بعد عشرة أشهر من هذا.

رسل الإسلام إلى البحرين وهجر:

أطلق البلاذري: في سنة ثمان[١] ـ وقيده ابن سعد: بمنصرفه من الجعرانة ـ[٢] أمر (صلى الله عليه وآله) كتّابه أن يكتبوا إلى المنذر بن ساوى التميمي الدارمي العبدي أمير الفرس الساسانيّين على البحرين كتاباً أسنده الزيعلي إلى الواقدي في «كتاب الردّة» أسنده عن عكرمة مولى ابن عباس قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فإذا فيه: بعث رسول الله العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام:

فلما أوصل العلاء الكتاب إلى المنذر وقرأه قال المنذر: قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أُمنية الحياة وراحة الموت. ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يردّه[٣]. فأسلم.

ثم قرأ كتابه على أهل هَجَر والبحرين فأسلم جمع من العرب والعجم. فكتب المنذر إليه (صلى الله عليه وآله): «أما بعد، يا رسول الله، فإنّي قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه فدخل فيه، ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه، وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إليّ أمرك في ذلك»[٤].

---

(١) فتوح البلدان: ٨٩، و ط ١٠٧: ٢.

(٢) الطبقات الكبرى ١ ق ١٩: ٢ و ٤ ق ٧٦: ٢.

(٣) السيرة الحلبية ٢٨٤: ٣.

(٤) الطبقات الكبرى ١ القسم الثاني: ١٩ وفي الكتب والرسائل المروية المتبادلة بين المنذر والنبيّ (صلى الله عليه وآله) مما يصلح جواباً لهذا الكتاب من المنذر ما رواه البلاذري والطبري وقبلهما أبو عبيد في الأموال وأبو يوسف في الخراج، ونصّه في البلاذري: «من محمد النبيّ إلى منذر بن ساوى سلام عليك، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنّ كتابك جاءني وسمعت ما فيه. فمن صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، ومن أبى فعليه الجزية» راجع مكاتيب الرسول ٦٥٨: ٢ و ٦٦٠ ولم يُذكر للكتاب تاريخ ولعله بعد فرض الجزية في التاسعة.

أما سيبخت الفارسي مرزبان هجر فقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان: ١٠٧: أنّه اسلم بكتاب النبي (صلى الله عليه وآله) إليه مع العلاء الحضرمي، بينما روى الصدوق في «التوحيد»: أنّه قدم إلى المدينة=

وماذا عن القرآن في هذه الحوادث؟

لم يُرو في أخبار أسباب نزول الآيات وشؤونها ما يرتبط بالحوادث بعد فتح مكة، من حرب حنين وهوزان والثقيف والطائف، اللهم إلا الآيات: «ويوم حُنين إذا أعجبتكم كثرتكم...» وذلك في سورة براءة أو التوبة التي نزلت بعد رجوعه (صلى الله عليه وآله) من حرب تبوك في أواخر التاسعة للهجرة أي بعد عام تقريباً.

إسلام عروة بن مسعود وشهادته:

ولعلّه سمع بوعيد النبيّ وتهديده لهم فتأثّر به، فخرج إليه ليسلم. قال الواقدي: يقال: إنّه لحق به بين مكة والمدينة فأسلم، والأثبت أنه قدم المدينة فأسلم، ـ فلعلّه كان في شهر ذي الحجة أواخر السنة الثامنة للهجرة ـ.

ووفاة ابنته زينب:

وهي زوجة ابن خالتها أبي العاص بن الربيع الأموي، ولها منه عليّ وأمامة[1]

=وتكلّم مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) وطلب منه المعجزة البيّنة ثم أسلم.
عن علي عليه السلام: جاءه سيبخت من ملوك فارس وكان رجلاً ذرباً فقال له: يا محمد، إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فقال سيبخت: يا محمد، وأين الله؟ قال: هو موجود في كل مكان بآياته. وقال: فكيف هو؟ فقال: لا كيف له ولا أين، لأنه عزّ وجل كيّف الكيف وأيّن الأين. قال: فمن أين جاء؟ قال: لا يقال له جاء، وإنّما يقال جاء للزّائل من مكان إلى مكان، وربّنا لا يوصف بمكان ولا بزوال، بل لم يزل بلا مكان ولا يزال. فقال (يا محمد) انك لتصف ربّاً عظيماً بلا كيف، فكيف لي أن أعلم أنّه أرسلك؟ قال علي عليه السلام: فلم يبق بحضرتنا ذلك اليوم حجر ولا مدر ولا جبل ولا شجر ولا حيوان إلا قال مكانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنا قلت أيضاً [وقال الرجل فأسلم ثم] قال: ومن هذا؟ فقال: هذا خير أهلي وأقرب الخلق منّي لحمه لحمي ودمه دمي وروحه روحي، وهو الوزير لي في حياتي والخليفة بعد وفاتي، كما كان هارون من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي، فاسمع له وأطع فإنه على الحق. ثم سمّاه عبد الله. وقبله رواه عن الصادق عليه السلام بسند آخر مختصراً بدون الذيل في علي عليه السلام، مع ذكر أن الرجل كان يهودياً فارسياً: ٣١١، ٣١٠، وخالفت المصادر تسميته في آخر الخبر بعبد الله، فسمّته: اسيخت بن عبد الله، انظر: مكاتيب الرسول ٣٧٩: ٢.

(١) فأما علي فمات في ولاية عمر، وأما أمامة فهي التي أوصت فاطمة علياً عليه السلام أن يتزوّجها=

وكانت حاملاً وهاجرت فطعن محملها هَبّار بن الأسود فطرحت، وأسلم زوجها أبو العاص فعادت إليه، ولم تحمل منه لعلّتها بعد إسقاطها، وخرج زوجها معه (صلى الله عليه وآله) إلى مكة ثم حُنين، وكان مع علي عليه السلام في سريّته إلى خثعم في ضواحي الطائف كما مرّ، فما مرّ على عودته معه (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة إلا أياماً حتى توفيت زوجته زينب، فلم يبق له (صلى الله عليه وآله) من كلّ أولاده سوى ابنته فاطمة عليها السلام.

سورة النور:

والسورة التالية في النزول سورة النور ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ثم بيّنت حدّ الزنا في قوله سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ . . .﴾.

وقال القمي في تفسيره: نزلت هذه الآية في نساء في مكة كنّ مستعلنات بالزنا: سارة، وحنتمة، والرّباب، فحرّم الله نكاحهنّ[1].

وفي «أسباب النزول» للواحدي النيشابوري خبر عن عِكرمة (عن ابن عباس) فيه تفصيل عن بغايا مكة قال: نزلت الآية: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾ في نساء بغايا في مكة[2] وكنّ كثيرات، تسع منهن صواحب رايات، لهنّ رايات كرايات البيطار يعرفونها: أم مهدون (= أم مهزول) جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم غليظ جارية صفوان بن أميّة المخزومي، وقرينة (= فرتنه) جارية هشام بن ربيعة المخزومي، وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وحيّة القبطية جارية العاص بن وائل السهمي، وجلالة جارية سُهيل بن عمرو العامري، وشريفة جارية زمعة بن الأسود، ومِرية جارية ابن مالك بن السبّاق[3].

=بعدها، فتزوّجها بعدها بخمسين يوماً، وماتت سنة خمسين ـ بحار الأنوار ١٨٤ ١٨٣ : ٢١ عن الباب الثامن من المنتقى للكازروني.

(١) تفسير القمي ٩٦ ٩٥: ٢.

(٢) في الخبر: والمدينة، ثم لم يذكر إلا بغايا مكة، والنزول لا بدّ أن كان في أحدهما وهي مكة.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٦١.

أزواجه (صلى الله عليه وآله) ومارية، في غيبته وبعد عودته:

في يوم الجمعة الثاني من شهر رمضان بعد صلاة العصر خرج (صلى الله عليه وآله) من المدينة(١) لفتح مكة، ولم يعد إليها إلا بعد ثلاثة أشهر: لثلاث بقين من ذي القعدة يوم الجمعة أيضاً(٢) وإنّما أخرج معه من أزواجه زينب وأم سلمة(٣) وخلّف سائر نسائه ومنهنّ مارية القبطية أم إبراهيم في مشربتها في العالية(٤)، ومعها مولاها أو ابن عمّها مأبور أو جريج القبطي الذي بعثه معها أبوها أو مقوقس الإسكندرية، خادماً، خُصياً بل مجبوب الذَّكَر(٥) وذلك ليؤمَن منه عليها.

عن أنس بن مالك عن عائشة قالت: فلما استبان حملُها فزعتُ من ذلك!(٦) ومعها سائر نسائه:

فقد روى أيضاً بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: وثقُلت (مارية) على نساء النبيّ وغِرن عليها، و(لكن) لا مثل عائشة(٧).

---

(١) إعلام الورى ٢١٥: ١.
(٢) مغازي الواقدي ٩٦٠: ٢ و ٩٧٣.
(٣) مغازي الواقدي ٩٢٦: ٢.
(٤) قال عبد الرحمن خويلد في كتابه المساجد والأماكن الأثرية المجهولة: كان موقع مشربة أم إبراهيم يسمّى قديماً بالدشت ويصغّر بالدُشيت، وكان بستاناً فيه بئر لليهودي مخيريق بن النضير الذي قاتل مع النبي (صلى الله عليه وآله) يوم احد وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما يشاء، وقتل. وفي وسطها ربوة مرتفعة وكان عليها غرفة من الحجر. ولما ولى عمر بن عبد العزيز بن مروان المدينة بنى عليها مسجداً غرفة من الحجر كذلك وأزالها الوهابيون أخيراً (قبل ست سنين تقريباً) وكان للمشربة باب خشبي قديم اخضر اللون فأبدلوه بباب حديدي، وجُعلت مقبرة لدفن موتى المحلّ، ويصعب الدخول إليها إلا لذلك! وهي على امتداد شارع العوالي بعد مستشفى الزهراء باتجاه مستشفى المدينة الوطني بسبعمئة متر تقريباً مقابل إنتاج الميمني للطوب الأحمر ـ كما عن مجلة ميقات الحج ٢٧٤ ٢٧٣: ٧.
(٥) تفسير القمي ٣١٨: ٢ وأمالي المرتضى ٧٧: ١. وصحيح مسلم ١١٩: ٨. والطبقات الكبرى ١٥٤: ٨ و ١٥٥. ومستدرك الحاكم ٤٠ ٣٩: ٤.
(٦) الطبقات الكبرى ١(القسم الأول): ٨٨.
(٧) الطبقات الكبرى ١ القسم الأول: ٨٢.

فكان من جرّاء هذا وذاك:

ما رواه ابن سعد أيضاً بسنده عن أنس بن مالك قال: كان القبطيّ يأوي إلى أم إبراهيم في مشربتها يأتيها بالماء والحطب، فقال الناس: عِلْجٌ يدخل على عِلْجة![١].

حكم اللِّعان:

ولعلّ من حِكم الله في تلك الفترة ما جاء في الآيات التاليات من السادسة إلى العاشرة من السورة في حكم من يرمي زوجته ولا شاهد له، وفي سبب نزولها:

روى القمي في تفسيره: أنه لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غزوة تبوك (في التاسعة، كذا) جاء إليه عُويمر بن ساعدة العَجلاني الأنصاري فقال:

يا رسول الله، إنّ امرأتي زنى بها شريك بن السمحاء وهي منه حامل!

فأعرض عنه رسول الله، فأعاد عليه القول، فأعرض عنه، حتى فعل ذلك أربع مرات.

فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودخل منزله، فنزلت عليه آيات اللعان.

فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصلى بالناس العصر، ثم طلب عويمر فقال له:

ايتني بأهلك! فقد أنزل الله فيكما قرآناً!

آيات الإفك:

ثم تبدأ آيات الإفك من أوّل الآية الحادية عشرة إلى آخر الآية السادسة والعشرين، وقال الطباطبائي: روت الشيعة أن المقذوفة في قصة الإفك هي مارية القبطية أم إبراهيم التي أهداها المقوقس ملك الإسكندرية إلى النبيّ[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى ١٥٤ : ٨ والعلج: العجمي.

(٢) الميزان ٨٩: ١٥.

ومن قبلُ قال القمي في تفسيره: وروت الخاصة: أنّها نزلت في ماريّة القبطية وما رُميت به[١].

ولعلّ هذه الآيات هي بشارة جبرئيل عليه السلام له (صلى الله عليه وآله) بأنّ الله قد برّأ مارية، وأنّ الذي في بطنها هو غلام منه وأشبه الخلق به.

مولد إبراهيم ابن النبيّ (صلى الله عليه وآله):

وذات ليلة في ذي الحجة أواخر السنة الثامنة للهجرة، أخذ مارية القبطية داء الطلق، فأسعفتها مولاته سلمى زوجة مولاه أبي رافع القبطي..

ففي تلك الليلة كان أن هبط عليه جبرئيل عليه السلام فسلّم عليه بما أوحى إليه بميلاد وليده وتسميته إذ قال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم! فبشّرَه بذلك بمولده، فبشّر هو (صلى الله عليه وآله) من حضره فقال: وُلد لي الليلة غلام فسميتُه باسم أبي: إبراهيم عليه السلام.

وخرجتْ سلمى إلى زوجها أبي رافع فأخبرتْه: بأنها (مارية) قد ولَدت غلاماً.

وجاء أبو رافع إليه (صلى الله عليه وآله) فبشّره بأنّها قد ولدت غلاماً، فسمّاه: إبراهيم، ووهب لأبي رافع عبداً!

وفي اليوم السابع عقّ عنه، وحلق رأسه فتصدّق بزِنة شعره فضّة على المساكين، وأمر بشعره فدُفن.

فلو حزن (صلى الله عليه وآله) لفقد ابنته المظلومة العليلة زينب، فقد سرّه الله بمولد ولده إبراهيم، وإن كان مزيجاً بألم الإفك من أهل الإفك والزور كما قال هو: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[٢] وكأنه لذلك سلّاه الله ومن معه بقوله سبحانه: «لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خيرٌ لكم»[٣]. «وخاصة في مجتمع ديني

(١) تفسير القمي ٩٩: ٢.
(٢) أصول الكافي ٢٥٢: ٢، ح ١ و ٢ و ٤ و ٢٩.
(٣) النور: ١١.

متصل بالوحي ينزل عليهم الوحي عند وقوع أمثال هذه الوقائع، فيعظهم ويذكّرهم بما هم في غفلة منه أو مساهلة، حتى يحتاطوا لدينهم ويتفطّنوا لما يُهمّهم.. فانّ المجتمع الصالح من سعادته أن يتميّز فيه أهل الزيغ والفساد، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وينهضوا لإصلاح ما فسد من أعضائهم»[١].

آيات الاستيذان:

ومن الآية ٢٧ حتى ٢٩ ثلاث آيات في الاستيذان لدخول البيوت، ولا نجد في أخبار أسباب النزول سبباً خاصاً لنزولها.

آيتا إيجاب الحجاب:

والآيتان ٣٠ و ٣١ آيتا إيجاب الحجاب: على الرجال أن يحفظوا فروجهم ولا ينظروا إلى سوى محارمهم، وعلى المؤمنات أن لا ينظرن إلى سوى محارمهمن وما يجوز لهن، وأن يضربن على رؤوسهنّ وجيوبهنّ بخُمرهنّ ليخفين زينتهن إلا ما ظهر منها.

مكاتبة العبيد، وتحصين الإماء:

ولعفّة الرجال والنساء انتقلت الآيتان التاليتان: ٣٢ و ٣٣ إلى الترغيب في النكاح، ونكاح العبيد ومكاتبتهم، والإماء وتحصينهنّ.

تزكية بيت النبي (صلى الله عليه وآله):

في الآية ٣٦ إلى آخر الآية ٣٨ أرى عوداً على تزكية بيته (صلى الله عليه وآله) بقوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ

---

(١) الميزان ٩٠: ١٥.

يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كما روى القمي في تفسيره بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: هي بيوت الأنبياء[1] وعن ابن عمر: الشجرة المباركة (في الآية السابقة): إبراهيم عليه السلام، والزجاجة التي كأنّها كوكب درّي: محمد (صلى الله عليه وآله). وعن كعب الأحبار: المشكاة محمد والمصباح قلبه، وشبّه صدر النبيّ بالكوكب الدريّ[2].

وزاد الطبرسي مرفوعاً: أنّه (صلى الله عليه وآله) لما قرأ هذه الآية سُئل: أيّ بيوتٍ هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر وأشار إلى بيت علي وفاطمة وقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ قال: نعم، من أفاضلها[3].

وارتابوا في حكمه!:

ومن الآية ٤٧ حتى آخر الآية ٥٢ خمس آيات، لها شأن مشابه لما في آيات الإفك من الريب في ما يرتبط به (صلى الله عليه وآله)، قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

وحكى الطوسي في «التبيان» عن البلخي: أن عثمان بن عفّان اشترى من علي عليه السلام أرضاً (ولعلها من سهمه بخيبر) فخرجت فيها أحجار، فأراد عثمان ردّها بالعيب، فلم يأخذها علي عليه السلام وقال له: بيني وبينك رسول الله.

فقال له الحكم بن أبي العاص: لا تحاكمه إليه، إن حاكمتَه إلى ابن عمّه حكم له! فنزلت[4].

---

(١) تفسير القمي ١٠٤: ٢ وتمامه: ومنها بيت علي عليه السلام.

(٢) التبيان ٤٣٧: ٧ و ٤٣٨.

(٣) مجمع البيان ٢٢٧: ٧ وفي الميزان ١٤٣: ١٥ عن الدر المنثور.

(٤) التبيان ٤٥٠: ٧ وعنه في مجمع البيان ٢٣٦: ٧.

وكأنّ القمي اتّقى التصريح باسم عثمان في ما حكاه البلخيّ، والكلمة بابن أبي العاص أشبه منها بابن عوف.

وتسلية له (صلى الله عليه وآله):

وكأنّ الله تعالى أراد أن يسلّي النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن سوء سلوك أهل الإفك والنفاق معه، فقال في الآية ٥٥: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وروى العياشيّ: أنّ علي بن الحسين عليه السلام قرأ الآية فقال: والله هم شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا هو مهديّ هذه الأُمّة، وهو الذي قال (فيه) رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

رواه الطبرسيّ ثم قال: وعن أبي جعفر وأبي عبد الله مثل ذلك.. بل عليه (قيام المهدي) إجماع العترة الطاهرة. وإجماعهم حجة لقوله (صلى الله عليه وآله): إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردّا عليّ الحوض[١].

أمّا الطوسيّ فقد اكتفى بقوله: قال أهل البيت عليهم السلام: إنّ المراد بذلك: المهديّ عليه السلام؛ لأنّه يظهر بعد الخوف ويتمكّن، بعد أن كان مغلوباً[٢].

وصدر الآية ٦٣ قبل الأخيرة، وبالمناسبة السابقة أيضاً، يعود لتعظيم الرسول الكريم: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ...﴾ ففي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال في تفسير الآية: يقول: لا تقولوا: يا محمد ولا يا

(١) مجمع البيان ٧: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
(٢) التبيان ٧: ٤٥٧.

أبا القاسم، لكن قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. نقله القمي في تفسيره وقال: لا تدعوا رسول الله كما يدعو بعضكم بعضاً[١].

هذا، وإن اشتهر في المحافل أخيراً ذكر خبر الحلبي في «مناقب آل أبي طالب» عن القاضي أبي محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام عن جدّته فاطمة عليها السلام قالت: لما نزلت ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ...﴾ هبتُ رسول الله أن أقول له يا أبه، فكنت أقول: يا رسول الله، مرة واثنتين أو ثلاثاً فاعرض ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة، إنّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت منّي وأنا منك، إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر! قولي: يا أبه، فإنها أحيى للقلب وأرضى للربّ[٢] وهو كما ترى من حيث الإسناد.

ونقل الطوسي في «التبيان» معنيين نقلهما الطبرسي ثالثاً ورجّحه الطباطبائي[٣].

امتحان الإيمان:

والسورة التالية في النزول سورة الحج[٤]، والآية الثالثة فيها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ والثامنة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ والطوسي في «التبيان» بشأن الأخيرة، والطبْرسي في «مجمع البيان» بشأن الأُولى رووا عن ابن عباس: أنّهما نزلتا في

---

(١) تفسير القمي ١١٠: ٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣٢٠: ٢ وعنه في بحار الأنوار ٣٧: ٤٣.

(٣) التبيان ٧: ٤٥٧ و مجمع البيان ٧: ٢٤٨ و الميزان ١٥: ١٧١.

(٤) التمهيد ١٠٧ : ١ ومجمع البيان: ٦١٣ ٦١٢ : ١ وهنا في ١١٢ : ٧ روى خبراً عن أبي سعيد الخدري وعمران بن الحصين أن الآيتين ١ و٢ نزلتا في غزوة بني المصطلق. وفيه غرائب، وينافي ما رواه في ترتيب النزول، فلا عبرة به.

النضر بن الحارث بن كلدة[١] وهو من أسرى بدر وقتله علي عليه السلام بأمره (صلى الله عليه وآله) في منزل الأُثيل[٢] أي قبل نزولهما بخمس سنين![٣].

وفي الآية ١١: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في قوم وحّدوا الله وخلعوا عبادة ما دون الله وخرجوا من الشرك (ولكنّهم) لم يعرفوا أنّ محمداً رسول الله؛ فهم يعبدون الله على شك في محمد وما جاء به، فأتوه وهم يقولون: ننظر فان كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا أنّه صادق وأنّه رسول الله، وإن كان غير ذلك نظرنا. فأنزل الله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ...﴾.

وكأنّ الآية ١٥ تعود إليه: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ...﴾.

آية الإذن في القتال:

ثم تعود الآيات التاليات على دفاع الله عن المؤمنين وإذنه لهم بالقتال ونصره إياهم، فان مكّنهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[٤] إلى آيات أُخرى في عواقب الكفّار والمؤمنين دنيا وآخرة، منسجمة مع الفترة المذكورة.

وفي آية الإذن في القتال روى الواحدي عن ابن عباس عن أبي بكر قال: لمّا أُخرج رسول الله من مكة قلت: إنا للّه، لنهلكنّ! فأنزل الله الآية، فعرفت أنّه سيكون قتال! وقال: قال المفسّرون: كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج فيشكونهم إلى رسول الله

(١) التبيان ٢٩٤: ٧ ومجمع البيان ١١٣: ٧.
(٢) سيرة ابن هشام ٣٦٧: ٢ ومغازي الواقدي ١٤٩: ١.
(٣) وقال الطباطبائي: الظاهر أنّه من التطبيق ـ الميزان ٣٥٣: ١٤.
(٤) النور: ٤١ فكأنّها تصف تمكينه في فتح مكة.

فيقول لهم: اصبروا فانّي لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأنزل الله هذه الآية[١] وفي «التبيان» قيل: نزلت في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم، فلما قَوَوا أذن لهم في قتال من ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم وأمرهم بجهادهم[٢].

وهذا كله مبنيّ على أن يكون المراد بقوله: «أُذن» إنشاء الإذن دون الإخبار عن إذن سابق[٣] وأنّها أول آية نزلت في الأمر بالقتال[٤] وأنها نزلت ما بين هجرته (صلى الله عليه وآله) وغزوة بدر[٥] بل بعد الهجرة بقليل[٦] خلافاً للأخبار[٧].

بل الأوفق أن أوّل ما نزل في القتال قوله سبحانه في سورة البقرة الأولى أو الثانية في المدينة: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾[٨] وآية الإذن في سورة الحج إنّما هي إخبار عن ذلك الإذن السابق، أو هي إخبار وتأكيد على ما قاله (صلى الله عليه وآله) في خطبته بعد فتح مكة: أنّها حرَم حرام في حرام إلا أنّها أُحلّت لي ساعة من نهار[٩] وإن كان هو بدوره عملاً بقوله سبحانه من قبل في سورة البقرة بعد الآية السابقة: ﴿...وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١٠]. ولعله لهذا عبّرت الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء، إشارة إلى أ نّهم قوتلوا فقاتلوا، ولو لم يقاتَلوا لم يقاتِلوا، بل لم يؤذن لهم أن يقاتِلوا.

* * *

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢٥٥ ونحوه في مجمع البيان ١٣٨ :٧.
(٢) التبيان ٣٢٠: ٧.
(٣) الميزان ٣٨٤: ١٤.
(٤) التبيان ٣٢١: ٧ ومجمع اليان ١٣٨: ٧ والميزان ٣٨٣: ١٤.
(٥) الميزان ٣٣٨: ١٤.
(٦) الميزان ٣٥٢: ١٤.
(٧) تفسير القمي ٨٤: ٢ قال: إنّ العامة يقولون: نزلت في رسول الله لما أخرجته قريش من مكة.
(٨) البقرة: ١٩٠ ـ الميزان ٣٨٣: ١٤ ومجمع البيان ٥١٠: ١ والتبيان ١٤٣: ٢.
(٩) فروع الكافي ٢٢٨: ١.
(١٠) البقرة: ١٩١.

والسورة التالية الخامسة بعد المئة في ترتيب النزول، والتاسعة عشر، في النزول بعد الهجرة هي سورة المنافقون[١]، وقد مرّت أخبارها في نهاية غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة، وهناك قلنا إنّ حوادثها لا تحتمل التأخير تاريخياً، وآياتها لا تحتمل التأخير نزولاً حتى هذه الفترة، ومع ذلك يفيد الخبر المعتمد في ترتيب النزول نزولها هنا، فهذه نقطة مبهمة تاريخياً وتفسيرياً، والعلم عند الله.

والسورة التالية السادسة بعد المائة في ترتيب النزول، والعشرون بعد الهجرة هي سورة المجادلة قوله سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

كان الرجل في الجاهلية إذا قال لأهله: أنت عليّ كظهر أُمّي. حرُمت عليه إلى الأبد[٢].

وكان أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي أخو عُبادة بن الصامت متزوجاً بابنة عمه خولة بنت ثعلبة[٣] وكان أمرءاً فيه سُرعة ولَمم[٤].

* * *

وإذا كان هذا الصحابي الأنصاري الخزرجي عاد إلى طلاق أهل الجاهلية بصيغة الظهار بعد أكثر من ثمان سنين من الهجرة، فاقتضى نزول مفتتح هذه السورة إلى أربع آيات منها، فالآية الثامنة منها تشير إلى مخالفة جمع منهم في تحيّته (صلّى الله عليه وآله) بغير تحيّة الله والإسلام بقولهم إذا أتوه: أنعِم صباحاً، وأنعِم مساءً، وهي تحية أهل الجاهلية! فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٥] فالآية نهتهم عن تحية الجاهلية. والآية التالية نهتهم عن النجوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا

---

(١) التمهيد ١٠٧: ١.
(٢) تفسير القمي ٣٥٣: ٢.
(٣) أسباب النزول للواحدي: ٣٤٥.
(٤) مجمع البيان ٣٧١: ٩.
(٥) المجادلة: ٨ والخبر في تفسير القمي ٣٥٥: ٢.

تَتَنَاجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا﴾ وأردف حكمة هذا النهي فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ولقد أشار في صدر الآية السابقة الثامنة إلى أنّ هذا النهي عن النجوى كان سابقاً بنهي النبيّ وأنّهم عادوا لما نهوا عنه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ . . .﴾.

مجالس النبي وأصحابه:

وفي الآية الحادية عشرة دلالتان متقابلتان، فهي من ناحية تدلّ على وجود مؤمنين في أصحابه (صلى الله عليه وآله) وذوي العلم فيهم وأنّهم ذوو فضل في الإسلام، وأنّه (صلى الله عليه وآله) كان يحاول تفضيلهم في المجالس فيفسح لهم. ولكن الآية من ناحية ثانية تشير إلى أنّ جمعاً منهم كان إذا قيل لهم انشزوا أو تفسّحوا يتضايقون من ذلك، فاقتضى الأمر نزول وحي الله يؤيّد نبي الله في ذلك، فنزلت الآية.

النجوى مع نبيّ الله:

كما كان (صلى الله عليه وآله) يكرم الفقهاء «الَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ» ومنهم البدريّون السابقون إلى الإيمان والجهاد، فهم أفهم لأحكام الإسلام وعقائده ومعارفه من اللاحقين بهم من بعدهم؛ كذلك كان يكرم الفقراء منهم، ذلك أ نّهم أقرب للتقوى والإيمان من المستغنين على مزلّة الطغيان... ولكنّهم كانوا يأتونه ويغلبون الفقراء على مجُالسته ومناجاته طويلاً، حتى كره رسول الله (صلى الله عليه وآله) طول جلوسهم ومناجاتهم، فأمرهم الله بأن يقدّموا بين يدي نجواه صدقة وتعبّدهم بأن لا يناجي أحد رسول الله إلا بعد أن يتصدّق بشيء مّا قلّ أو كثر، وإنما غفر وأعفى عنها من لم يجدها منهم، إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

---

(١) المجادلة: ١٢ والخبر في التبيان ٩: ٥٥١ عن الزجاج ومجمع البيان ٩: ٣٧٩ عن مقاتل بن حيّان، وكذلك في أسباب النزول للواحدي: ٣٤٨.

وكان لعلي عليه السلام دينار فصرفها بعشرة دراهم، فكان يقدّم بين يدي نجواه النبيّ صدقة بدرهم عشر مرّات حتّى أنهاها، وبخل الموسرون منهم فانتهوا عن مناجاته فلم يعمل بذلك أحد منهم سوى علي عليه السلام حتى نزلت الآية التالية: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ. . .﴾ أي اكتفى منهم عن هذه الصدقة بالصدقات المفروضة في الزكوات.

الفصل الرابع

أهم حوادث السنة التاسعة للهجرة

روى الواقدي بسنده عن الزهري: أنّه (صلى الله عليه وآله) لما رجع من فتح مكة وحُنين وعمرته في ذي القعدة إلى المدينة، أقام فيها بقية ذي القعدة وذي الحجة، فلما رأى هلال المحرّم.

بعث بُسر بن سفيان الكعبي ـ أو نُعيم بن عبد الله العدوي ـ إلى بني كعب الخزاعيين، فوجدهم على عُسفان أو على غدير بذات الأشطاط (قرب الحديبية) وقد حلّ معهم على الماء بنو جُهيم من بني تميم وبنو عمرو من بني تميم. فأمر بجمع مواشي خُزاعة ليأخذ منهم الصدقة، فجمعت خزاعة الصدقة من كل ناحية، فقال لهم بنو تميم: تؤخذ أموالكم منكم بالباطل؟! فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الإسلام، وهذا من ديننا. وقال التميميون: والله لا يصل إلى بعير منها أبداً! وتجمّعوا وتقلدوا أقواسهم وشهروا سيوفهم!

فلما رآهم المصدّق خافهم فانطلق مولّياً وهرب منهم.

فقدّم المصدّق على النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسولَ الله، إنّما كنت في ثلاثة نفر، فوثبت خُزاعة على التميميين فأخرجوهم من محالّهم وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم: ليدخلنّ علينا بلاء من عداوة محمد وعلى أنفسِكم حيث تعرضون لرُسل رسول الله تردّونهم عن صدقات أموالنا. فخرجوا إلى بلادهم.

غزو الفزاري لبني تميم في المحرّم[١]:

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَن لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا؟

فانتدب أوّل الناس عُيينة بن حِصن الفَزاريّ فقال: أنا والله لهم، أتبَع آثارهم ولو بلغوا يَبرين (في ديار بني سعد) حتى آتيك بهم إن شاء الله، فترى فيهم رأيك.

فبعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خمسين فارساً من العرب من غير المهاجرين والأنصار، فكان يسير بالليل ويكمن لهم بالنهار، خرج على ثنيّة ركوبه حتى انتهى إلى موضع العرج فوجدهم قد رحلوا إلى أرض بني سُليم، فخرج في أثرهم فوجدهم بعد السُقيا في صحراء قد حلّوا وسرّحوا مواشيهم، فلما رأوا الجمع ولّوا، فأخذوا منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً، فحملهم إلى المدينة، فحُبسوا في دار رملة بنت الحارث.

نزول سورة الحجرات:

وروى البخاري بسنده عن ابن جريج عن ابن الزبير: أنّه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يؤمّر عليهم أحداً منهم، فقال له أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، وقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك أوائل سورة الحجرات[٢].

المصدّق الفاسق:

مرّ في أخبار بدر أنّ من أُسرائها كان عقبة بن أبي مُعيط الأموي، وكان من المستهزئين بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) فأمر بضرب عنقه صبراً، فقال: يا محمّد، فَمَن للصبيّة؟ قال: النار! ثمّ لم نجد في ما بأيدينا متى وأنّى التحق ابنه الوليد بالدين الجديد؟

---

(١) ذلك إنّه إنّما كان تمرّداً داخل الدولة الإسلامية لا غزواً.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٣٢٣.

إلا أنّا نراه فيمن بعثه (صلى الله عليه وآله) في أوائل السنة التاسعة لجباية الزكاة من بني المصطلق من خزاعة[١]. ونعلم أنّ خزاعة كانوا حلفاء بني هاشم منذ الجاهليّة، وصديق عدوّك عدوّك، فهم في التصنيف أعداء بني أميّة، ولا نعلم أكثر من هذا. فلما بعثه النبيّ جابياً إلى بني وليعة من خزاعة رجع و راجع النبيّ لحربهم لامتناعهم عن الزكاة[٢].

ومرّ (صلى الله عليه وآله) ذات يوم في سوق المدينة وإذا برجل قائم على غلام أسود ينادى عليه بالبيع لمن يزيد (بالمَزاد) والغلام يشترط على من يشتريه أن لا يمنعه من الصلوات الخمس خلف رسول الله، فاشتراه رجل على شرطه، فكان (صلى الله عليه وآله) يراه في الصلوات حتّى افتقده فسأل صاحبه عنه فقال: هو محموم (مصاب بالحمّى) فعاده (صلى الله عليه وآله) مع جمعٍ من أصحابه، وبعد أيام سأل عنه صاحبه فقال: يا رسول الله لقد قورب به (دنى أجله) فقام ليعوده فأدركه في نزعاته حتّى قبض، فتولّى غسله وتكفينه ودفنه.

فقال الأنصار: نحن آويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا فآثر علينا عبداً حبشيّاً!

وقال المهاجرون: هاجرنا ديارنا وأموالنا وأهلينا فلم يرَ أحد منّا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام!

فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣].

وكان من آثار انتشار أخبار جُباة الزكوات أن قدم المدينة أقوام من أعراب بني أسد، لم يكونوا مؤمنين في السرّ، إنّما كانوا يطلبون الصدقة فأظهروا الإسلام وقالوا له (صلى الله عليه وآله): إنّا لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، وأتيناك بالعيال

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٣٠٨: ٣ و٣٠٩، ومغازي الواقدي ٩٨٠: ٢، والتبيان ٣٤٣: ٩، وعنه في مجمع البيان ١٩٨: ٩ عن قتادة ومجاهد ومقاتل عن ابن عبّاس.

(٢) تفسير فرات: ٤٢٦ وبها مشه مصادر أخرى.

(٣) الحجرات: ١٣، والخبر في أسباب النزول للواحدي: ٣٣٢.

والأثقال، فأعطنا من الصدقة. فكأنّما كانوا يمنّون عليه، وقد أغلوا أسعار المدينة وأفسدوا طرقها بالعذرات! فنزلت قوله سبحانه: (﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

روى الكليني في «الكافي» بإسناده عن زرارة عنه (عليه السلام) أيضاً: أنّه (صلى الله عليه وآله) حرّم عليه جاريته مارية القبطيّة وحلف أن لا يقربها، فجعل الله عليه الكفّارة لحلفه وليس على تحريمه[2] وذلك قوله سبحانه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

وروى القميّ في تفسيره بسنده عن الصادق (عليه السلام) أخصر إشارة إلى ذلك في قوله سبحانه في مفتتح السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال: اطّلعت حفصة وعائشة على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو مع مارية، فقال النبيّ: والله ما أقربها، فأمره الله أن يكفّر عن يمينه[4].

أمّا الطوسي في «التبيان» قبل الطبرسي فقد اكتفى عن الفرّاء والزجّاج بقوله:

أسرّ إليها بأنّه سيلي الأمر بعده أبو بكر وعمر وعثمان، فتباشروا بذلك فانتشر الخبر. واكتفى من أخبارهم (عليهم السلام) بقوله: روى أصحابنا: أنّه أسرّ إلى عائشة بما يكون بعده من قيام من يقوم بالأمر ودفع عليّ (عليه السلام) عن مقامه، فبشّرت بذلك

(١) الحجرات: ١٨ ـ ١٤، والخبر في مجمع البيان ٢٠٧: ٩، وأسباب النزول للواحدي: ٣٣٢.
(٢) فروع الكافي، كما في الميزان ٣٣٧: ١٩.
(٣) التحريم: ٢.
(٤) تفسير القمّي ٣٧٥: ٢. وعليه فهذا تأريخ تشريع كفّارة اليمين في الإسلام.

أباها، فعاتبهم الله على ذلك[١] وهذا من بعد ما نقل عن زيد بن أسلم وابن زيد والشعبي وقتادة ومسروق والضحّاك والحسن بن أبي الحسن البصري قال: كانت حفصة بنت عمر زارت عائشة، فخلا بيتها، فوجّه رسول الله إلى مارية القبطيّة، فكانت معه، وجاءت حفصة... فغارت عليه من أجلها! فحرّم رسول الله أم ولده إبراهيم: مارية القبطيّة على نفسه بيمين أن لا يقربها، طلباً لمرضاة زوجته حفصة، وأسرّ بذلك إليها. فأفضت بذلك إلى عائشة[٢].

وفي قوله سبحانه في الآية الرابعة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْـهِ...﴾ اكتفى الطوسي بقوله عن جميع أهل التأويل وعن عمر بن الخطّاب قال: إنّه سبحانه عنى حفصة وعائشة[٣].

وعيّن الطبرسي فقال: أورده البخاري في الصحيح عن ابن عباس قال:

قلت لعمر بن الخطّاب: مَن المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قال: حفصة وعائشة[٤].

ومرّ الحديث حول آية التخيير في سورة الأحزاب وكان مشتملاً على أسماء نساءٍ له تزوّجهنّ في ما بعد خيبر إلى عمرة القضاء في السنة الثامنة للهجرة، ولذلك قلنا بتأخير هذا الحدث، ومنه اعتزاله إيّاهنّ شهراً في مشربة أم إبراهيم.

وتفصيل خبر البخاري عنه عن عمر يشتمل على التصريح باعتزاله إيّاهنّ شهراً في مشربة أم إبراهيم، وأنّه كان وهم يتحدّثون عن غزو غسّان والروم لهم ممّا بعث على غزوة تبوك في التاسعة.

قال: إنّا معشر قريش كنا غالبين على نسائنا، فلمّا قدمنا المدينة وجدنا قوماً

---

(١) التبيان ٤٧ ٤٦: ١٠.
(٢) التبيان ٤٥: ١٠ و ٤٤.
(٣) التبيان ٤٧: ١٠.
(٤) مجمع البيان ٤٧٤: ١٠.

تغلبهم نساؤهم! فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم؛ حتّى أ نّي غضبت على امرأتي يوماً فإذا بها تراجعني! فأنكرت عليها ذلك فقالت: وما تنكر من ذلك؟ فوالله إنّ أزواج النبيّ ليراجعنه، وإنّ إحداهنّ تهجره النهار إلى الليل! فقلت لها: قد خابت وخسرت من فعلت منهنّ ذلك!

ثمّ دخلت على حفصة فسألتها: أتراجع إحداكنّ رسول الله وتهجره النهار إلى الليل؟! قالت: نعم! فقلت لها: قد خابت وخسرت من فعلت منكنّ ذلك؟ أتأمنُ إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله فإذا هي قد هلكت! ثمّ قلت لحفصة: لا تراجعي أنت رسول الله ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك، ولا يغرينّك (يُغِرك) أن كانت جارتك [مارية] أوسم منك وأحبّ إلى رسول الله.

قال: وكان منزلي بالعوالي، وكان لي جار من الأنصار كنّا نتناوب النزول إلى رسول الله، فينزل يوماً فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وأنزل يوماً فآتيه بمثل ذلك.

وكنّا نتحدّث: أنّ غسّان تنعّل الخيل لتغزونا (ممّا بعث على غزوة تبوك).

فجاء يوماً (ولعلّه كان بعد العصر) فضرب عليّ الباب فخرجت إليه فقال: حدث أمرٌ عظيم! فقلت: أجاءت غسّان؟ قال: أعظم من ذلك: طلّق رسول الله نساءه! فقلت في نفسي: قد خابت حفصة وخسرت! (فبتّ تلك الليلة حتّى أصبحنا) فلمّا أصبح وصلّينا الصبح شددت ثيابي على نفسي وانطلقت حتّى دخلت على حفصة فإذا هي تبكي! فقلت لها: أطلّقكنّ رسول الله؟ قالت: لا أدري، هو ذا معتزل في المشربة.

فانطلقت (إلى مشربة أم إبراهيم، وإذا غلام أسود هناك) فقلت له: استأذن لعمر. فدخل ثمّ خرج فقال: قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً! فانطلقت إلى المسجد... فجلست إلى نفر حول المسجد، ثمّ غلبني ما أجد (في نفسي) فانطلقت حتّى أتيت الغلام فقلت له: استأذن لعمر. فدخل ثمّ خرج فقال: قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً! فولّيت منطلقاً، فإذا الغلام يدعوني، فرجعت إليه فقال لي: اُدخل فقد أذن لك!

فدخلت، فإذا النبيّ متّكئ على حصير ورأيت أثره في جنبه، فقلت: يا

رسول الله، أطلّقت نساءك؟ قال: لا... بل كان قد أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً. فعاتبه الله في ذلك، وجعل له كفّارة اليمين(١).

ونقل هذه الرواية الطباطبائي في «الميزان» ورأى أنّه يرد عليها إشكالان:

الأولى: أنّها ظاهرة في أنّ المراد بالتحريم في الآية تحريم عامّة أزواجه، وهذا لا ينطبق على الآية وفيها قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾.

والثانية: أنّها لا تبيّن وجه التخصيص في قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(٢).

ولعلّنا نجد بعض الجواب عنهما في الخبرين التاليين:

روى الواحدي بسنده عن ابن عباس عن عمر قال: دخل رسول الله بأم ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها، فقالت له: لم تُدخلها بيتي وما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك! فقال لها: لا تذكري هذا لعائشة، وهي حرام عليّ إن قربتها!

فقالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهي جاريتك؟

فحلف لها أن لا يقربها، وقال لها: لا تذكريه لأحد؛ فذكرته لعائشة.

فأبى أن يدخل على نسائه واعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وروى فيه بسنده عنه قال: وجدت حفصة رسول الله مع أم إبراهيم في يوم عائشة، فقالت له: لأُخبرنّها؟ فقال رسول الله: هي حرام عليّ إن قربتها! فأخبرت

---

(١) القسم على الاعتزال من النساء هو ما يُسمّى في الفقه بالإيلاء وسيأتي بلفظه في الأخبار التالية، فالكفّارة هي كفّارة الإيلاء، وعليه فهو تأريخ تشريع كفّارة الإيلاء في الإسلام بعمله (صلى الله عليه وآله).

(٢) الميزان ٣٤٠ ٣٣٩: ١٩.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٣٦٧.

حفصة عائشة بذلك، فأعلم الله رسوله بذلك، فعرّف حفصة بعض ما قالت، فقالت له: من أخبرك؟ قال: نبأني العليم الخبير. ثمّ إلى رسول الله من نسائه شهراً، فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾[1].

وعن ابن عباس أيضاً عن «الدرّ المنثور» عن ابن سعد في «الطبقات» قال: كانت حفصة وعائشة متحابّتين، فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تحدث عهداً به، فأرسل النبيّ إلى جاريته (مارية) فظلّت معه في بيت حفصة. وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة. ورجعت حفصة فوجدتهما في بيتها فغارت غيرة شديدة! وجلست تنتظر خروجها، وأخرجها النبيّ، فدخلت عليه حفصة فقالت له:

قد رأيت من كان عندك! والله لقد سوّأتني!

فقال لها النبيّ: والله لأُرضينّكِ! وإنّي مُسرٌّ إليك سرّاً فاحفظيه!

قالت: ما هو؟ قال: إنّي أُشهدكِ أنّ سريّتي هذه حرام عليّ، رضاً لكِ!

فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرّت إليها: أن ابشري! فإنّ النبيّ قد حرّم عليه فتاته!

فلمّا أخبرت بسرّ النبيّ أظهره الله عليه إذ أنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ . . .﴾.

ومَن صالحُ المؤمنين؟

وفي الآية الرابعة من السورة قوله سبحانه: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

وروى الحبري في تفسيره بسنده عن أسماء بنت عُميس قالت: سمعت رسول الله يقول: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب.

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٦٩.

وروى فيه بسنده عن ابن عباس قال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ نزلت في عائشة وحفصة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي مولى رسول الله ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ نزلت في عليّ عليه السلام[١].

ونقل هذا الخبر البحراني في تفسيره «البرهان في تفسير القرآن» ثمّ ذكر أنّ محمّد بن العباس أورد في هذا المعنى اثنين وخمسين حديثاً من طرق الخاصّة والعامّة، ثمّ أورد نبذة منها، وكذلك معاصره المجلسي في «بحار الأنوار»[٢].

وقال الطوسي في «التبيان»: روت الخاصّة والعامّة: أنّ المراد بصالح المؤمنين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك يدل على أنه أفضلهم، لأن القائل إذا قال: فلان فارس قومه، أو: شجاع قبيلته، أو: صالحهم؛ فإنه يفهم من جميع ذلك: انّه أفرسهم وأشجعهم وأصلحهم[٣] واكتفى الطبرسي من هذا بقوله: وردت الرواية من طريق الخاص والعام أن المراد بصالح المؤمنين: أمير المؤمنين علي عليه السلام[٤].

ولم أعلم من بيّن ما بين الموضوعين من رابطة ومناسبة في سياق الكلام في الآيات: بين إسرار النبي حديثاً إلى بعض أزواجه وكون اثنتين منهن قد صغت قلوبهما بما نبأت إحداهن الأخرى بالحديث الذي أسرّه النبي إليها، وكان زيغ قلوبهما إلى التظاهر عليه! هذا من جهة، وبين أن يكون الله والملائكة بما فيهم جبرئيل وكذلك صالح المؤمنين أولياء متظاهرين له (صلى الله عليه وآله)؟

وبالنظر إلى ما مرّ من الأخبار المفشية بأن الحديث السرّ كان فيمن يتولّى الأمر بعده، وليس تحريم مارية على نفسه فحسب... أرى كأن الآية من قبيل دفع

---

(١) ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام: ٨٧ ٨٦. ورواهما فرات الكوفي في تفسيره: ٤٩١، وانظر بحار الأنوار ٢٩: ٣٦ وهامش تفسير فرات للمحقّق المحمودي ونقل خبر أسماء الحسكاني في شواهد التنزيل وعنه الطبرسي في مجمع البيان ٤٧٥: ١٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٧: ٣٦، الباب ٢٩، وكذلك في شواهد التنزيل.

(٣) التبيان ٤٨: ١٠.

(٤) مجمع البيان ٤٧٤: ١٠.

الدخل المقدّر أو الوهم المتوهم بأن المتولّين بعده أصلح المؤمنين، فالآية تردّ على هذا الوهم بأن صالح المؤمنين ـ بتفسير رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ بمعنى أصلح المؤمنين كما بين الشيخ الطوسي، إنما هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وليس كل من يتولّى الأمر بعده (صلى الله عليه وآله).

والآيات الثلاث الأواخر في السورة من العاشرة حتى الثانية عشرة في ضرب المثل بامرأتين كافرتين في الحقيقة زوجتين لعبدين صالحين هما نوح ولوط، خانتاهما ـ في غير أمر الفراش ـ «فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل: ادخلا النار مع الداخلين» ثم ضرب المثل بامرأتين مؤمنتين إحداهما صدّيقة: «صدّقت بكلمات ربّها وكتبه، وكانت من القانتين» وهي مريم ابنة عمران، والأخرى امرأة فرعون والتي آمنت بظلمه وبربّها وجنّته، وإنما أعلنت إيمانها في أواخر أيام حياتها داعية ربّها أن ينجّيها من فرعون ومن سائر الظالمين.

ونقل الطبرسي عن مقاتل قوله: يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية! وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم[١].

وقبله نقل الطوسي عن الفرّاء قال: هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة، وبيّن انّه لا يغنيهما ولا ينفعهما مكانهما من رسول الله إن لم يطيعا الله ورسوله، ويمتثلا أمرهما، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط كونهما تحت نبيّين؛ وفي هذا زجر لهما عن المعاصي وأمر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران في طاعتهما للّه تعالى وامتثال أمره ونهيه[٢].

وكأن النبي هنا زاد على هَذى القرآن مثلين آخرين للمؤمنات فقال: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد» هذا ما رواه الطوسي في «التبيان»[٣].

(١) مجمع البيان ٤٧٩: ١٠.
(٢) التبيان ٥٢: ١٠.
(٣) التبيان ٥٥: ١٠.

سورة الصف:

فالسورة بعد البسملة وتسبيح الله، تذكّر المؤمنين بالمعنى العام بأنهم أذعنوا للإسلام بعد شهادة التوحيد بالإقرار برسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فليفعلوا بما قالوا، وتذكّرهم بانّ الذين أذعنوا برسالة موسى عليه السلام ثم زاغوا عنه فعلاً وعملاً أزاغ الله قلوبهم بفسقهم، فليحذروا أن يشابهوهم، وانّ هذا الرسول هو أحمد الذي بشّر به عيسى عليه السلام وهو الذي أرسل رسوله هذا بالهدى ودين الحق، فهو متمّم لنوره هذا ومظهر لدينه على الدين كلّه ولو كره المشركون والكافرون، فليحذروا أن يحاولوا إطفاء هذا النور بأفواههم وتفوّهاتهم، وعليهم أن يؤمنوا بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيله، وأن يكونوا أنصار الله ورسوله[١].

فكأنّ المؤمنين بالمعنى العام لم يلتزموا فعلاً بمقتضى إيمانهم برسالته (صلى الله عليه وآله)، فاقتضى هذا التذكير بمقتضى الإيمان به وبمقام النبوّة والرسالة. وهذا يناسب الحوادث التي أُشير إليها في آيات سورة التحريم السابقة.

سورة الجمعة:

والآيات السوابق في السورة ليست في صلاة الجمعة، بل الثلاث الأُوَل في بعثته (صلى الله عليه وآله)، ومن الخامسة حتى الثامنة في محاجّة اليهود ولا سيّما أحبارهم حملة التوراة، مما يرجّح في الظن أن يكون نزولها إلى ما قبل الانتهاء منهم في الحروب معهم: بني قريظة والنضير وقينقاع وأخيرها قلاع خيبر السبعة وفدك ووادي القرى وتيماء في أوائل السابعة، فبين آخرها ونزول السورة في أوائل التاسعة سنتان، فهل يناسب نزولها اليوم؟! وهل تناسب الآيات الثلاث الأواخر بشأن صلاة الجمعة؟

أجل، حاول توجيه ارتباطها بما قبلها الآلوسي في «روح المعاني» ونقله

---

(١) وانظر الميزان ٢٥٠ ـ ٢٤٨: ١٩.

الطباطبائي في «الميزان» وقال: وأنت خبير بأنّه تحكّم لا دليل عليه من جهة السياق[1] وقبل ذلك ذكر هو وجهاً لاتّصال الآية بما قبلها، كذلك لم نجد من السياق دليلاً عليه.

وفي الآية الأخيرة الحادية عشرة والخاتمة للسورة قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ روى الطوسي عن الحسن ومجاهد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: بعد ما أصابت المدينة مجاعة، قدم دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري إليها بقافلته التجارية وفيها طعام، وكانوا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في صلاة الجمعة، واستُقبلت القافلة بالطبول والمزامير، فلما سمع المصلّون أصوات الطبول والمزامير تركوا النبي قائماً خطيباً وتفرّقوا إلى القافلة، فنزلت الآيات[2].

أمّا الطبرسي فقد روى عن الحسن قال: أصاب أهل المدينة غلاء سعر وجوع، وقدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بتجارة زيت، والنبي (صلى الله عليه وآله) في خطبة الجمعة، فتسابقوا إليه خشية السبقة حتى لم يبق معه (صلى الله عليه وآله) سوى رهط منهم، فنزلت الآية[3].

ولعلّ هذه القوافل التجارية كانت تحمل معها من الشام شائعات الأخبار عن استحضار الروم وغسّان لغزو المسلمين كما مرّ في خبر عمر، مما أثار غزوة تبوك.

سورة التغابن:

والسورة التالية في النزول حسب الخبر المعتمد[4] سورة التغابن.

---

(١) الميزان ٢٦٦: ١٩ و٢٦٧.
(٢) التبيان ٩: ١٠.
(٣) مجمع البيان: ٤٣٣: ١ و أخيراً فهل مع ذلك كل الصحابة عدول؟!
(٤) التمهيد ١٠٧: ١.

والآية الرابعة عشرة فيها قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: ذلك أن الرجل كان اذا أراد الهجرة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا: ننشدك الله أن تذهب عنا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم فحذّرهم الله أبناءهم ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معي ثم يجمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة فلا أنفعكم بشيء أبداً فلما جمع الله بينه وبينهم أمره الله أن يوفي ويحسن ويصلهم فقال: ﴿. . .وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

والآية التالية الخامسة عشرة فيها قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قال الطبرسي: هو الجنة، يعني: فلا تعصوه بسبب الأموال والأولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر والذخر[٢].

تناول أطراف الطائف: خثعم وإسلامهم:

مرّ انّه (صلى الله عليه وآله) لوى عنان مركبه عن محاصرة الطائف إلى مكة ثم منها إلى المدينة.

ونقول: انّه عاد إلى ذلك في شهر صفر سنة تسع للهجرة، فبعث قُطبة بن عامر إلى حي من خثعم بناحية تبالة من أطراف الطائف، في عشرين رجلاً يتعاقبون على عشرة إبل، وأمرهم أن يغذوا السير ليلاً ويكمنون نهاراً ولا يعلنون سلاحاً. .

فاقبلوا حتى انتهوا إلى حيّهم وهم نيام، فكبّروا وشنوا عليهم الغارة، فخرج إليهم رجالهم فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر الجراح في الفريقين، وأصبح

(١) تفسير القمي ٣٧٢: ٢ ورواه السيوطي في الدر المنثور بعدة طرق عن ابن عباس.
(٢) مجمع البيان ٤٥٣: ١٠.

الصباح، وجاء عدد كثير منهم مدداً لهم ولكن أتى سيل فحال بينهم فما استطاعوا أن يصلوا إليهم، وحتى انتهوا منهم، وأقبلوا بنسائهم وأنعامهم إلى المدينة، فأخرجوا خمس ما غنموا، فكان سهم كل رجل منهم أربعة أغنام.

ويبدو أنهم بعد هذه الغزوة تقدّم منهم عُميس بن عمرو بوفد إلى المدينة فأسلموا، واستكتبوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر به فكتب لهم، وكأنه يبدو من الكتاب أسباب غزوهم أنهم كانوا ذوي إغارة وقتل وحيث قد بدأ النبي بأخذ الزكاة شرح لهم في كتابهم زكاة زروعهم، قال: «... هذا كتاب من محمّد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها[1]: إنّ كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو موضوع عنكم، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث، من خبار أو عزاز[2] تسقيه السماء أو يرويه اللثى[3] فزكا عمارةً[4] في غير أزمة ولا حَطْمة[5] فله نشره وأكله[6] وعليهم في كل سيح العُشر، وفي كل غرب[7] نصف العشر. شهد جرير بن عبد الله ومن حضر»[8].

وفد الأزد وإسلامهم:

إلى جانب هؤلاء الخَثعميّين اليمنيّين، كانت تسكن طائفة من أزد اليمن: أزْد شَنوءة، إذ كانت منازلهم في بيشة وتربة والصَّراة، فكأن الغارة على الخثعميّين

(١) كانت خثعم يومئذٍ ما بين بيشة وتربة وظهر تبالة على طريق الحج من اليمن إلى الطائف فمكة، وبعد فتح مكة انتشروا في الآفاق ولم يبق منهم في مواطنهم إلا قليل. وترى بيشة في خريطة السعودية من توابع مكة قرب وادي تبالة، وفيها قرية تبالة ومنازل خثعم حواليها إلى شيمران إلى الأصفر.

(٢) خبار: الأرض الليّنة، والعزاز بالعكس.

(٣) اللثى: الندى.

(٤) أي عَمُر وطاب.

(٥) الأزمة: المشكلة، والحَطْمة: السنة المُجدبة.

(٦) نشره: حصاده ودَوْسه وتصفيته وتفريقه.

(٧) غَرْب: الدلو.

(٨) الطبقات الكبرى ٢٨٦: ١ وانظر مكاتيب الرسول ٤١٦ ـ ٤١٤: ٢.

ووفودهم إلى المدينة وإسلامهم، بعث هؤلاء الأزديين على مثل ذلك فوفدوا وقدّموا أصغرهم للكلام:

روى ابن عساكر بسنده عن عبد الرحمان بن عُبيد الأزدي قال: قدمنا في مائة رجل من قومي على النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما دنونا منه وأنا أصغرهم فتقدمت وقلت: أنعِم صباحاً يا محمّد!

فقال النبي: ليس هذا سلام المسلمين بعضهم على بعض، إذا لقيت مسلماً فقل: السلام عليكم ورحمة الله.

فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قال لي: ما اسمك ومن أنت؟ قلت: أنا أبو معاوية (كذا) عبد العزّى! فقال: بل أنت أبو راشد عبد الرحمان، وأجلسني، فأسلمنا. وكتب لهم: «... من محمّد رسول الله إلى من يقرأ كتأبي هذا: من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسول الله، وأقام الصلاة فله أمان الله وأمان رسوله، وكتب هذا الكتاب العباس بن عبد المطلب»[1].

كتابه إلى بني عُذرة في اليمن:

في السيرة النبوية سُميت السنة التاسعة بسنة الوفود، وأرخّوا لبعضها أنها كانت في العاشرة، وقلّما ذكروا في التاسعة تاريخاً معيّناً، إلا لوفود خثعم أنها كانت في صفر من التاسعة.

قالوا: وفد زمل بن عمرو العُذري من بني عذرة اليمنيين ومعه احد عشر رجلاً منهم، في صفر سنة تسع، إلى المدينة فاسلموا وأقاموا حتى تفقّهوا واستكتب زمل من النبي (صلى الله عليه وآله) له على قومه فكتب له:

---

(١) مكاتيب الرسول ٣٧٢ ـ ٣٧٠: ٢ عن كنز العمال ١٧: ٧ برقم ١٣٦ عن ابن عساكر، وكذّب راويه النضر بن سلمة، ومع ذلك ذكر ابن الأثير قدومه وتسميته في أسد الغابة ٢٩١: ٣ و٢٩٩: ٥ والإصابة ٢ برقم ٥١٥٩. والعباس قدم لغزوة تبوك بعد هذا، ولم يُعهد منه كتاب، وليس في الكتاب زكاة وقد شُرّع، والله أعلم.

«بسم الله الرحمن الرحيم، لزمل بن عمرو ومن أسلم معه خاصة، واني بعثته إلى قومه عامة، فمن اسلم ففي حزب الله، ومن أبى فله أمان شهرين! شهد علي بن أبي طالب ومحمّد بن مَسلمة الأنصاري»[١].

ودعوة لبني حارثة:

واستهل (صلى الله عليه وآله) شهر ربيع الأول بكتاب إلى بني حارثة بن عمرو يدعوهم فيه إلى الإسلام، بعث به إليهم مع عبد الله بن عوسجة البجلي العُرني، فأبوا، وأخذوا كتابه وكان في أديم فغسلوه ورقّعوا به أسفل دلْوهم! فلما سمع النبي بذلك قال: ما لهم؟! أذهب الله بعقولهم! فسفهوا وأصبحوا يستعجلون في كلامهم فيخلطون ويرعدون ويعيون[٢].

سرية بني كلاب إلى بني بكر:

وكان ممن أسلم وأبوه على شركه: الأصيد بن سلمة بن قُرط فقد أسلم وأبوه سلمة على شركه وفي شهر ربيع الأول سنة تسع بعث رسول الله بسريّة إلى (بني بكر) بالقرطاء، عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي ومعه الأصيد بن سلمة، وأبوه سلمة في بني بكر، فلقوهم في موضع يُدعى: زُجّ لاوه (بناحية ضريّة) فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم.

ولحق الأصيد أباه سلمة على فرس له عند غدير زُجّ، فدعا أباه إلى الأمان والإسلام، فسبّه وسبّ دينه، وكان سلمة قد دخل الغدير على فرسه، فضرب الابن على عرقوبي فرس أبيه فوقع على عرقوبيه في الماء، وأمسك الابن أباه حتى يقتله غيره ولا يقتل هو أباه، فقتلوه[٣].

---

(١) مكاتيب الرسول ٢٤٠: ١.

(٢) مغازي الواقدي ٩٨٣ ٩٨٢: ٢ وانظر مكاتيب الرسول ٣٦: ١ برقم ٦ ومثله في ٣٧ برقم ١٧ عن الإصابة برقم ٤٨٧٠ وأسد الغابة ٢٣٩: ٣ ومعجم قبائل العرب: ٨٣١.

(٣) مغازي الواقدي ٩٨٢: ٢.

سرية علي عليه السلام إلى بني طيّ:

وفي ربيع الآخر سنة تسع أيضاً كانت سرية علي عليه السلام إلى بني طيء آل حاتم الطائي وابنه عديّ وكان لهم صنم يُسمّى الفلْس.

روى الواقدي خبرها بسنده عن محمّد بن عمر بن علي عليه السلام قال: بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفُلْس ليهدمه ويشن عليهم الغارات، في مئةٍ وخمسين من الأنصار ليس فيهم مُهاجر واحد، معهم خمسون من الإبل وخمسون فرساً، وناوله لواءً أبيضاً وراية سوداء.

وكان لزعيمهم عدي بن حاتم الطائي عينٌ بالمدينة، فلما علم بخبر السريّة أخبر عدياً فهرب إلى الشام[1].

وقال ابن إسحاق: بلغني عن عدي بن حاتم أنه كان يقول: كنت ركوسيّاً من النصارى[2] فكنت في نفسي على دين! وكنت امرءاً شريفاً وملكاً في قومي يعطونني المِرباع[3] فلما سمعت برسول الله كرهته فما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله منّي!.

وكان لي غلام عربي يرعى ابلي، فقلت له: أعدِدْ لي من ابلي أجمالا ذُللاً سماناً فاحتِبسها قريباً منّي، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني، ففعل.

فاحتملت بأهلي وولدي، وخلّفت أختي [سفانة] في الحيّ، وسلكت طريق الشام لألحق بأهل ديني من النصارى[4].

وكأن عدي بن حاتم قبل أن ينهزم قد حذر بعضهم أو أنذره، فعمد رجل منهم

---

(١) مغازي الواقدي ٩٨٨: ٢.
(٢) كان يقال لقوم بين النصارى والصابئين: الركوسيين، كما في هامش السيرة.
(٣) كان لقائد القوم قبل الإسلام ربع الغنائم ويقال له المرباع.
(٤) ابن إسحاق في السيرة ٢٢٥: ٤.

من بني نبهان إلى عبد له أسود يُسمى أسلم فأمره أن يعمد إلى ذلك الموضع فإن رأى خيل محمّد (صلى الله عليه وآله) طار إليهم يخبرهم ليحذروا.

وبعث علي عليه السلام نفراً منهم أبو نائلة وأبو قتادة والحُباب بن المنذر ليتقصّوا ما حولهم، فأصابوا الغلام الأسود، فقالوا له: ما أنت؟ قال: أطلب بُغيتي! فكتّفوه واتوا به علياً عليه السلام فقال له: ما أنت؟ قال: باغٍ! فشدوا عليه فقال: أنا غلام لرجل من طي من بني نبهان أمرني بهذا، فلما رأيتكم أردت الذهاب إليهم ولكنني قلت في نفسي: لا أعجل حتى آتي أصحابي بخبر بيّن من عددكم وعدد خيلكم وركابكم، فكأني كنت مُقيداً حتى أخذتني طلائعكم.

فقال له علي عليه السلام: أُصدقنا ما وراءك؟

قال: أوائل الحيّ على مسيرة ليلة طويلة، تصبحهم الخيل بالغارة غدوة.

فقال علي عليه السلام لأصحابه: ما ترون؟

فخرج معهم حتى انتهى بهم إلى أدنى الحيّ، فقال لهم: هذه الأصرام، أي الجموع، وهم على فرسخ (٥ كم) فقالوا: فأين آل حاتم؟ قال: هم متوسطوا الأصرام.

فقال بعضهم لبعض: إن أفزعنا الحيّ تصايحوا وأفزع بعضهم بعضاً فتغيب عنا أحزابُهم في سواد الليل، ولكن نُمهل القوم حتى يطلع الفجر قريباً فنُغير عليهم، فان أنذر بعضهم بعضاً لم يخف علينا أين يأخذون، ونحن على متون الخيل ولا خيل لهم يهربون عليها.

فلما طلع الفجر أغاروا عليهم فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا واستاقوا الذريّة والنساء وجمعوا النعم والشاء، ولم يخف عليهم احد تغيّب، ومعهم أُخت عدي.

ورأت جارية منهم عبدهم أسلم وهو موثق، فقالت: هذا عمل رسولكم أسلم فهو جلبهم عليكم ودلّهم على عورتكم! فقال لها الأسود: اقصري يا ابنة

الأكارم، فما دللتهم حتى قدمت ليُضرب عنقي! ثم التفت إلى علي عليه‌السلام وقال له: ما تنتظر لإطلاقي؟ قال عليه‌السلام: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسول الله، فقال: أنا على دين قومي وهؤلاء الأسرى، أصنع ما صنعوا، قال عليه‌السلام: إلا تراهم موثّقين؟! فنجعلك معهم في رباطك؟ قال: نعم! أنا مع هؤلاء موثقاً أحبّ إليّ من أن أكون مع غيرهم مطلقاً! فأنا معهم حتى ترون فيهم ما ترون! فطُرح معهم.

ولحق بهم العسكر المخلف مع الدليل حُريث الأسدي، فاجتمع جمعهم.

وجمعوا الأسرى فعرضوا عليهم الإسلام، فمن أسلم تُرك، ومن أبى ضربت عنقه، حتى أتوا على الأسود فعرضوا عليه الإسلام فاستسلم للموت وقال: والله إن الجزع من السيف لَلُؤم!

فقال له رجلٌ ممن أسلم منهم: إلا كان هذا حيث أُخذْت! فلما قُتل من قُتل منّا وسبى من سبى، وأسلم من أسلم تقول ما تقول! ويحك أسلم واتّبع دين محمّد!

فقال أسلم: فاني أسلم واتّبع دين محمّد، فأسلم فسلِم وتُرك.

وسار علي عليه‌السلام إلى بيت صنمهم الفُلْس، وعليه ثياب ألبسوه ودروع ثلاثة وثلاثة أسياف، فهدمه وخرّب بيته.

وجعل علي عليه‌السلام على السبي أبا قتادة، وعلى الأثاث والماشية عبد الله بن عتيك السُلمي. ثم ساروا حتى نزلوا محلة من محال جبل سلمى تسمى ركك، فعزل سيوف الفلس صفايا للنبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) مع خمس الغنائم، عزل من السبى أخت عدي بن حاتم ونساءً معها من آل حاتم، ثم اقتسموا الغنائم والسبي، ثم قدموا بهم إلى المدينة فأُنزلت أُخت عدي دار رملة بنت الحارث[1].

---

(١) مغازي الواقدي ٩٨٨ ـ ٩٨٥: ٢.

حديث سفانة الطائية:

وروى ابن إسحاق عن عديّ عن أخته قالت: كان بباب المسجد حضيرة تُحبس السبايا فيها، فكنت فيها، فمرّ بي رسول الله فقمت إليه فقلت:

يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد، فامنُن عليّ مَنّ الله عليك!

قال: مَن وافدك؟ قلت: عديّ بن حاتم. قال: الفارّ من الله ورسوله؟! ثم تركني ومضى.

فلما كان الغد مرّ بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس!

حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي، ولكني يئست منه فلم أقم، وكان خلفه رجل أشار إلي أن قومي فكلّميه. فقمت إليه فقلت ما قلت فقال: قد فعلت، ثم قال: فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك فآذنيني.

فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن اكلّمه، فقيل لي: هو علي بن أبي طالب.

وأقمت حتى قدم ركب من بليّ أو قضاعة. فذهبت إلى رسول الله فقلت له: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. فكساني رسول الله وأعطاني ناقة ونفقة، فخرجت معهم إلى الشام.

قال عديّ: فبينا أنا في أهلي وإذا بظعينة تؤمّ صوبنا حتى وقفت علي فإذا هي ابنة حاتم أختي [سفانة] فأخذت تقول لي:

الظالم القاطع! احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك وعورتك!

فقلت لها: إي أُخية لا تقولي إلا خيراً فوالله مالي من عذر! لقد صنعت ما قلتِ ثم سألتها عن رسول الله فقلت لها: ما ترين في أمر هذا الرجل؟!

قالت: والله أرى أن تلحق به سريعاً، فان يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ في عز اليمن وأنت أنت. فقبلتُ قولها.

إسلام عدي الطائي:

ثم خرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله في مسجده فسلّمت عليه.

ثم قال لي: من الرجل؟ فقلت: عديّ بن حاتم. فانطلق بي إلى بيته...

إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته لحاجتها، وأخذت تكلّمه في حاجتها طويلاً وهو واقف لها! فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك!

ولما دخل بي بيته [وأنا كافر] تناول وسادة من أدَم محشوة ليفاً فقذفها إليّ وقال لي: اجلس على هذه. فقلت: بل اجلس عليها أنت، فقال: بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله بالأرض! فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك!.

ثم قال لي: إيه يا عديّ بن حاتم، الم تكن رَكوسيّاً؟! قلت: بلى.

قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قلت: بلى.

قال: فانّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك! قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل!

ثم قال: يا عدي، لعلك إنما يمنعك من دخول هذا الدين: ما ترى من حاجتهم؟! فوالله ليوشِكنّ أن يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه!

ولعلّك إنّما يمنعك من الدخول فيه: ما ترى من قلّة عددهم وكثرة عدوّهم؟! فوالله ليوشِكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف!

ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه: أنك ترى أن الملك والسلطان في

غيرهم؟! وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم!

قال عدي: فأسلمت[١].

وفاة النجاشي وصلاة النبي (صلى الله عليه وآله):

ويبدو أن ذلك كان في أوائل شهر رجب.

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن العسكري عليه السلام قال: لما أتى جبرئيل رسول الله ينعى النجاشي بكا عليه وقال: مات أخوكم أصحمة، وهو اسم النجاشي، ثم خرج إلى الجبّابة (المقبرة) فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته بالحبشة فصلّى عليه وكبّر سبعاً[٢].

إسلام الزبيدي وارتداده وتوبته:

وكان رجل من خثعم يُدعى أبي بن عثعث الخثعمي قد قتل أبا عمرو: معدي كرب الزُبيدي.

وانتهى إلى بني زُبيد وبني مراد في بلاد اليمن أمر رسول الله، فدخل عمرو بن معد يكرب على قيس بن مكشوح المرادي سيد مراد وقال له: يا قيس، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز يقول إنّه نبيّ، وإنّك سيد قومك فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فان كان نبيّاً كما يقول فإنه لا يخفى عليك، وإذا لقيناه اتّبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه.

ولكنّ قيساً سفّه رأي الزُبيدي وأبى عليه ذلك. فركب عمرو ومعه جمع من قومه حتى قدموا على رسول الله[٣] لما عاد من تبوك[٤].

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٢٢٧ ـ ٢٢٥: ٤ واختصر خبره الطبرسي في إعلام الورى ٢٥٢: ١.
(٢) الخصال ٣٦٠ ـ ٢:٣٥٩ مع اختلاف يسير.
(٣) ابن إسحاق في السيرة ٢٣٠: ٤.
(٤) كذا في الإرشاد ١٥٨: ١ و لكنا استظهرنا أن ذلك كان قبل تبوك.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): يا عمرو أسلِم يؤمنْك الله من الفزع الأكبر!

فقال: يا محمد، وما الفزع الأكبر، فانّي لا أفزع؟!

فقال له: يا عمرو، انه ليس مما تَحسِب وتظن، إنّ الناس يُصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميّت إلا نشر، ولا حيّ إلا مات، إلا ما شاء الله. ثم يُصاح بهم صيحة أُخرى، فيُنشر من مات ويُصَفّون جميعاً، وتنشق السماء وتهدّ الأرض وتخرّ الجبال، وتزفر النيران وترمى بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشُغل بنفسه إلا ما شاء الله. فأين أنت يا عمرو عن هذا؟!

فقال: إلا إنّي أسمع أمراً عظيماً! ثم آمن وآمن من معه من قومه ورجعوا إلى قومهم.

وأبصر عمرو قاتل أبيه أبي بن عثعث الخثعمي فأخذه وجاء به إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال له: أعدِني (أشكني: اقبل شكواي) على هذا العاجر[1] الذي قتل والدي.

فقال (صلى الله عليه وآله): يا عمرو، أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية. فانصرف عمرو، ولكنّه ارتدّ عن الإسلام وأغار على قوم ومضى إلى قومه.

البعثة الأُولى لعلي عليه السلام إلى اليمن:

فلما بلغ ذلك النبي استدعى علياً عليه السلام فأمّره على جمع من المهاجرين فيهم خالد بن سعيد بن العاص الأُموي وأنفذهم إلى بني زبيد.

وكان بنو زبيد قد تحالفوا مع بني جُعفي ولذلك أرسل النبي خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب ـ ومعه بُريدة وعمرو بن شاس الأسلميان وأبو موسى الأشعري ـ وأمره أن يقصد بني جُعفي، فإذا التقى بعلي عليه السلام فأمير الناس علي بن أبي طالب. فاستعمل خالد على مقدّمته أبا موسى الأشعري، واستعمل علي عليه السلام على مقدّمته خالد بن سعيد بن العاص الأموي.

---

(١) عاجَرَ إذا مرّ مرّاً سريعاً من خوف ونحوه (لسان العرب).

فلما سمع بنو جعفي بالجيش ذهبت فرقة منهم فانضمّت إلى بني زبيد، وذهبت فرقة أُخرى إلى تخوم اليمن. وخاف علي عليه السلام أن يتّبعهم خالد بن الوليد فكتب إليه. أن: قف حيث أدركك رسولي، وأرسله إليه مع رسوله ثم بلغه أنّه لم يقف، فكتب إلى خالد بن سعيد: تعرّض له حتى تحبسه. أي توقفه. فاعترض له خالد بن سعيد حتى حبسه. ثم سار إلى بني زبيد فلقيهم في وادي كُسْر (من نواحي صنعاء اليمن).

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: يا أبا ثور، كيف أنت إذا لقيك هذا الغلام القرشيّ فأخذ منك الأتاوة (الزكاة)؟! قال: سيعلم إن لقيني.

مبارزة عمرو لعلي عليه السلام:

وخرج عمرو وقال: هل من مبارز؟ وكان معه أخوه وابن أخيه. وكان سيفه المعروف بالصمصامة.

فقام خالد بن سعيد وقال: يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي دعني أُبارزه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت ترى أنّ لي عليك طاعة فقف مكانك.

ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وصاح به صيحة، وقتل أخاه وابن أخيه وانهزم عمرو وبنو زبيد، وسبي منهم نساء ومنهم امرأة عمرو رُكانة بنت سلامة وولدها.

وخلّف علي عليه السلام على بني زبيد خالد بن سعيد ليومّن من عاد إليه من هُرابهم مسلماً، ويقبض صدقاتهم.

فرجع عمرو بن معديكرب فاستأذن على خالد بن سعيد فأذن له، فلما وقف بباب خالد بن سعيد رأى ناقة منحورة، فجمع قوائمها وضربها بسيفه الصمصامة ضربة واحدة فقطعها. ثم دخل على خالد بن سعيد فعاد إلى الإسلام وطلب منه أن يهب له أهله وولده فوهبهم له، فوهب له عمرو سيفه الصمصامة[1].

(١) الإرشاد ١٦٠ ـ ١٥٨: ١.

خبر بريدة الأسلمي:

مرّ أنّ بُريدة الأسلمي الأنصاري كان مع خالد بن الوليد في هذه السريّة، فروي عنه قال: لقد كنت أبغض علياً بغضاً لم أبغض مثله أحداً قط حتى أني كنت أحببت رجلاً آخر من قريش (خالد بن الوليد) لم أحبه إلا لبغضه علياً! فلما بُعث ذلك الرجل (خالد) على خيل (إلى اليمن) صحبته لأنّه كان يبغض عليّاً؟

وروى المفيد الخبر في «الإرشاد» وزاد: سار بُريدة حتى انتهى إلى باب رسول الله فلقيه عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه، فأخبره أنّه إنّما جاء ليقع في علي عليه السلام، وذكر له اصطفاءه من الخمس الجارية لنفسه! فقال له عمر: امض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي.

فدخل بُريدة على النبي (صلى الله عليه وآله) ومعه كتاب خالد بما أرسل به بُريدة فقرأه وتغيّر وجه النبي ومع ذلك قال بُريدة: يا رسول الله، إنّك إن رخّصت للناس في مثل هذا ذهب فيؤهم!

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): يا بُريدة! ويحك أحدثت نفاقاً! إنّ علي بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحلّ لي، إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أُخلّف من بعدي لكافة أمتي، واحذر أن تبغض علياً فيبغضك الله!

فقال بُريدة: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله! يا رسول الله، استغفر لي فلن أُبغض علياً أبداً، ولا أقول فيه إلا خيراً. فاستغفر له النبي (صلى الله عليه وآله)(١).

وروى الطبرسي عن الحسكاني النيشابوري عن عمرو بن شأس الأسلمي قال: كنت مع علي عليه السلام في خيله (إلى اليمين) فجفاني بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي.

---

(١) الإرشاد ١٦١: ١ مرسلاً، وروى مثله الطوسي في الأمالي مسنداً: ٢٤٩ ح ٤٤٣.

فلما قدمت المدينة اشتكيته عند من لقيته. ودخلت المسجد ورسول الله فيه فنظر إليّ حتى جلست إليه فقال: يا عمرو بن شاس لقد آذيتني!

فقلت: إنّا للّه وإنا إليه راجعون! أعوذ بالله والإسلام أن أُوذي رسول الله!

فقال: من آذى علياً فقد آذاني[١].

غزوة تبوك[٢]:

لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فتح مكة والحنين وحصار الطائف وعمرته في مكة، إلى المدينة، لستّ ليال بقين من ذي القعدة[٣] سنة ثمان، فأقام بالمدينة ما بين شهر رجب[٤] للسنة التاسعة.

وقال القمي في تفسيره: إن الأنباط الشاميين كانوا يقدمون المدينة معهم الطعام والثياب والبُسط، فأشاعوا بالمدينة: أن هرقل الروم قد سار في جنود اجتمعوا في عسكر عظيم يريدون غزو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورحلت معهم من عرب الشام غسان وجُذام وبَهراء وعاملة، وقد نزل هِرَقل في حِمص وقدَّم عساكره إلى بلاد البلقاء وفيها قلعة تبوك[٥].

---

(١) إعلام الورى ٢٥٧: ١ عن المستدرك الحاكم الحسكاني ١٢٢: ٣ وقبله في الطبري ١٣٢: ٣.

(٢) كانت قلعة قوية، وهي اليوم من مدن شمال الحجاز تبعد عن المدينة ٧٧٨ كم وعنها إلى معان بعد الحدود الأردنية ٢٣٨كم، وفي طريقها خيبر وتيماء وطريقها اليوم معبدة.

(٣) ابن هشام في السيرة ١٤٤: ٤.

(٤) ابن إسحاق في السيرة ١٥٩: ٤ ويظهر من المحاسبات الآتية أن ذلك كان في أواخر شهر رجب والراجح في الخامس والعشرين منه.

(٥) تفسير القمي ٢٩٠: ١. وأعرض المفيد في الإرشاد ١٥٤: ١ عن هذا وقال: بأن الله هو أوحى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يستنفر الناس للخروج إلى تبوك، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يُمنى بقتال عدوّ فيه، بل إن الأُمور تنقاد له بغير سيف. وأفاد دليله على قوله هذا بقوله: ولو علم الله تعالى أن بنبيه عليه السلام في هذه الغزاة حاجةً إلى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عليه السلام عنه ١٥٨: ١ وعن الغاية من هذا الخروج قال: تعبده الله بامتحان أصحابه واختبارهم بالخروج معه لتظهر سرائرهم فيتميزوا بذلك ١٥٤: ١. أما علي عليه السلام فهو أجلّ من ذلك وأسمى، وأنبل من ذلك وأعلى.

وقال الواقدي: وإنما كان ذلك مما قيل لهم فقالوه من دون أن يكون شيء منه!

وكان (صلى الله عليه وآله) إذا أراد غزوة قبل هذه يورّي بغيرها حتى لا يبلغ الخبر المقصد حتى يفاجئه بغير إعداد منهم، حتى كانت هذه الغزوة فما ورّى لها، بل كاشف الناس بها منذ البداية وأخبرهم بالوجه الذي يريد، ليتأهّبوا لها أُهبتهم.

وبعث إلى مكة وإلى القبائل يستنفرهم:

«وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم»:

قال الواقدي: حضّ رسول الله المسلمين على الجهاد ورغّبهم فيه والصدقة له، فتصدق كثير منهم بكثير من أموالهم.

ومنهم من يقول ائذن لي:

قال: ولقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الجدّ بن قيس (السلمي الخزرجي) فقال له:

يا أبا وهب: إلا تنفر معنا في هذه الغزاة؟ فقال:

يا رسول الله، والله إن قومي ليعلمون أنه ليس فيهم أحد أشدّ عجباً بالنساء منّي، وأخاف أن خرجت معك أن لا اصبر إذا رأيت بنات الأصفر (يعني الروم)! فلا تفتنّي! وائذن لي أن أُقيم.

والذين أتوه ليحملهم معه:

روى الطبرسي عن أبي حمزة الثمالي قال: جاء سبعة نفر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) منهم من بني النجار: عبد الرحمن بن كعب، وعتبة بن زيد، وعمرو بن غنمة، ومن مُزينة: سالم بن عمير، وعبد الله بن معقل، وعبد الله بن عمرو بن عوف، وهرم بن عبد الله، قالوا: يا رسول الله احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه.

فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه.

إحراق دار النفاق:

روى ابن هشام في السيرة بسنده عن عبد الله بن حارثة قال: بلغ رسول الله أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي في موضع جاسوم يثبّطون الناس عن غزوة تبوك.

فأحضر النبي (صلى الله عليه وآله) طلحة بن عُبيد الله وأمره ومعه نفر من أصحابه أن يُحرقوا بيت سُويلم عليهم.

وجاء ناس منهم يستأذنون رسول الله أن يتخلّفوا عنه بلا علة، ومع ذلك أذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً! منهم رجال من الأعراب من بني غفار، منهم خُفاف بن إيماء الغفاري[1].

وبناء مسجد النفاق!:

بادر بنو عمرو بن عوف لاستقبال الإسلام والمسلمين المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وتبرّعوا بقطعة من أرضهم لبناء المسجد، فعرف بمسجد بني عمرو بن عوف، وهو مسجد قباء.

وأسلم أبناء عمومتهم: بنو سالم[2] وبنو غُنم على غير إيمان وإخلاص بل بشيء من شوب ريب النفاق، فحسدوا بني عمّهم عمرو بن عوف على مسجدهم: مسجد قباء[3].

وكانوا يجتمعون مع بني عمومتهم بني عمرو بن عوف في مسجدهم فيلتفت بعضهم إلى بعض ويتناجون في ما بينهم فيلحظهم المسلمون بأبصارهم، فشقّ

(١) مغازي الواقدي ٩٩٥: ٢ وأشار إليه في التبيان ٢٧٨: ٥ ومجمع البيان ٩٠: ٥. وهم الذين نزلت فيهم في سورة التوبة: ﴿وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم، وقعد الذ ين كذبوا الله ورسوله...﴾: ٩٠.

(٢) تفسير القمي ٣٠٥: ١.

(٣) مجمع البيان ١٠٩: ٥.

ذلك عليهم وأرادوا مسجداً يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلا من يريدون مّمن هو على مثل رأيهم(١).

فبنوا المسجد من دار وديعة بن ثابت جار أبي عامر الراهب الفاسق، وأعانهم أبو لبابة بن عبد المنذر بخشب من دون أن يكون منهم(٢).

ثم جاء خمسة نفر منهم ورسول الله يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بنينا مسجداً لذي القلّة والحاجة، والليلة المطيرة والليلة الشاتية، ونحن نحبّ أن تأتينا فتصلّي فيه.

فقال رسول الله: إنيّ على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلّينا بكم فيه(٣).

معسكران للمدينة؟!

قال الطبرسي: وضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عسكره فوق ثنيّة الوداع بمن تبعه من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب(٤) وقال الواقدي: واقبل عبد الله بن أبي بعسكره(!) فضربه على ثنيّة الوداع بحذاء ذُباب، معه حلفاؤه من اليهود والمنافقين ممّن اجتمع إليه، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً(٥).

وكانت حركته إلى تبوك في شهر رجب(٦) فلما سار تخلف عنه ابن أبي فيمن

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٤٩ ـ ١٠٤٧ : ٢ وقال: كان أبو عامر الراهب الفاسق يقول لهم: لا أستطيع آتي مسجد بني عمرو بن عوف فان فيه أصحاب رسول الله يلحظوننا بأبصارهم. ونبني مسجداً يأتينا أبو عامر فيتحدّث عندنا فيه ١٠٤٦ : ٣.

(٢) مغازي الواقدي ١٠٤٦ ١٠٤٥ : ٢.

(٣) مغازي الواقدي ١٠٤٦ ـ ١٠٤٥ : ٢.

(٤) إعلام الورى ٢٤٣ : ١. و يلاحظ أن ثنية الوداع نحو الشمال نحو الشام لا مكة.

(٥) مغازي الواقدي ٩٩٦ : ٢ و ١٠٠٢ و ١٠٤١ وفي تفسير القمي ٢٩٦ : ١ خمسة وعشرون ألفاً غير العبيد. و فى الواقدى: لم يكن عسكر ابن أبى بأقل العسكرين!

(٦) مغازي الواقدي ٧ : ١ ويظهر من المحاسبات الآتية أن ذلك كان في أواخره ولعله في ٢٥ منه وليس كما ذكر اليعقوبي في غرة رجب ٦٨٦٧ : ٢ وهو المنفرد بذلك.

تخلّف معه من المنافقين وقال: يغزو محمّد (كذا) بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى ما لا قبل له به! يحسب محمّد (كذا) أن قتال بني الأصفر اللعب! والله لكأني انظر إلى أصحابه غداً مقرّنين في الحبال! ونافق معه من هو على مثل رأيه[١] أما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما بلغه ذلك قال: حسبي الله! هو الذي أيّدني بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم[٢].

استخلاف عليّ على المدينة:

قال القمي: فلما اجتمع لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الخيول، خلّف أمير المؤمنين على المدينة ورحل من ثنيّة الوداع فأرجف المنافقون بعليّ وقالوا: ما خلّفه إلا تشاؤماً به. فبلغ ذلك علياً عليه السلام فأخذ سيفه وسلاحه ولحق برسول الله بالجُرف[٣].

فقال له رسول الله: يا علي، ألم أُخلّفك على المدينة؟

قال عليه السلام: نعم، ولكنّ المنافقين زعموا أنك خلّفتني تشاؤماً بي!

فقال (صلى الله عليه وآله): كذب المنافقون يا علي، أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك، بمنزلة هارون من موسى، إلا انّه لا نبي بعدي، وأنت خليفتي في أمتي، وأنت وزيري، وأخي في الدنيا والآخرة. فرجع علي عليه السلام إلى المدينة[٤].

وتظافرت الرواية: بأن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً عليه السلام على المدينة علموا أنه لا يكون للعدو فيها مطمع... وهم كانوا يؤثرون خروجه معه لما كانوا يرجونه عند بُعد النبي عن المدينة من الاختلاط ووقوع الفساد. فساءهم ذلك، وعظم عليهم مُقامه فيها بعد خروجه، فحسدوه لذلك،

---

(١) مغازي الواقدي ٩٩٥: ٢.

(٢) إعلام الورى ٢٤٤: ١.

(٣) الجُرف: على ثلاثة أميال (٥ كم) من المدينة.

(٤) تفسير القمي ٢٩٣ ٢٩٢: ١ ورواه ابن إسحاق في السيرة ١٦٣: ٤ بسنده عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد. ولم ينقله الواقدي.

وغبطوه بمقامه في أهله بالدعة والرفاهية، وتكلّف من خرج منهم السفر والخطر... فأرجفوا به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله إكراماً وإجلالا ومودّة، وإنما خلّفه استثقالا له. فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق به (صلى الله عليه وآله) وأبلغه مقال المنافقين، وأجابه صلى الله عليه وآله بحديث المنزلة[1].

فقال علي عليه السلام: قد رضيت، قد رضيت. ثم رجع إلى المدينة.

عَقْد الألوية والرايات:

قال الواقدي: ولما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله من ثنيّة الوداع إلى تبوك عقد الألوية والرايات وأمر رسول الله كل بطن من الأنصار أن يتخذوا لواءً وراية... وأمر في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً (حفظاً) للقرآن.

خروجه وجمعه بين الظهرين قصراً:

وخرج (صلى الله عليه وآله) إلى تبوك صباح يوم الخميس[2] ومعه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومي[3] إلى ذي خُشب، ودليله علقمة بن الفغواء الخزاعي، وكان في حرّ شديد فأخّر صلاة الظهر حتى أبرد فصلّاها وعجّل بالعصر فجمع بينهما[4] قصراً[5] وهكذا فعل في كل سفره إلى تبوك حتى رجع منها. وبني مسجد على مصلاه تحت الدومة بذي خُشب[6].

---

(١) الإرشاد ١٥٦ ـ ١٥٥: ١ بتصرف.
(٢) مغازي الواقدي ٩٩٧: ٢.
(٣) مغازي الواقدي ١٠٣٦: ٢.
(٤) مغازي الواقدي ٩٩٩: ٢.
(٥) مغازي الواقدي ١٠١٥: ٢.
(٦) مغازي الواقدي ٩٩٩: ٢.

قال الواقدي: وتخلّف نفر من المسلمين من غير شكّ وريب، وإنّما أبطأت بهم النيّة حتى تخلّفوا عنه صلى الله عليه [وآله] وسلم:

منهم مُرارة بن الربيع، وهلال بن أميّة الواقفي.

ومنهم: كعب بن مالك (الأنصاري) شاعر النبي.

ومنهم: أبو ذر الغفاري، وكان يقول: كان بعيري نِضواً (هزيلاً) أعجف، فقلت: اعلفه أياماً ثم ألحق برسول الله صلى الله عليه [وآله] فعلفته أياماً (ثلاثة ـ القمي) ثم خرجت، فلما كنت بذي المروة (ثالث المنازل) عجز بي، فتلوّمت (تمهّلت) عليه يوماً فلم أر به حركة، فأخذت متاعي فحملته على ظهري، ثم خرجت اتّبع رسول الله ماشياً في حرّ شديد فلا أرى أحداً، حتى إذا كان نصف النهار وقد بلغ بي العطش، فنظر ناظر في الطريق فرآني فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده! فقال رسول الله: كُن أبا ذر! فلما تأمّلني القوم قالوا: يا رسول الله، هو أبو ذر، فلما دنوت منه قام رسول الله وقال: مرحباً بأبي ذر! يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده![1].

وانتهى إلى تبوك:

وانتهى النبيّ إلى تبوك يوم الثلاثاء من شعبان[2] فكان سفر تبوك عشرين ليلة وأقام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين، وهرقل يومئذٍ في حمص وكانت إقامته بقية شعبان (نصفها الثاني) وأياماً من شهر رمضان[3].

قالوا: ولما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى تبوك وضع بيده حجراً قبلةً وأحجاراً

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٠٠: ٢. ورواه قبله ابن إسحاق في السيرة ١٦٧: ٤ بمعناه.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٦٨: ٢ وإعلام الورى ٢٤٤: ١. فلو كان خروجه في ٢٥ رجب و ٢٠ ليلة في الطريق يكون وصوله إلى تبوك في منتصف شعبان.
(٣) إعلام الورى ٢٤٤: ١.

تليه، ثم صلى الظهر بالناس[١] ركعتين[٢] وكان يؤخّر الظهر حتى يبرد ويعجّل العصر فيجمع بينهما، فعل ذلك في تبوك حتى رجع منه[٣].

وكان هرقل قد علم من علائم النبي وصفاته أشياء فبعث إليه رجلاً من غسّان من عرب الشام يسأل: هل هو يقبل الصدقة؟ وينظر هل في عينيه حمرة؟ وهل بين كتفيه خاتم النبوة؟ فجاء الرجل وسأل فإذا هو لا يقبل الصدقة، ونظر إلى حمرة عينيه وخاتم النبوة بين كتفيه، ووعى أشياء من حاله (صلى الله عليه وآله).

ثم عاد إلى هرقل (في حمص) فذكر له ذلك. فدعا قومه إلى التصديق به فأبوا حتى خافهم على ملكه فامتنع هو أيضاً، ولكنه ظلّ في موضعه في حمص لم يزحف ولم يتحرك. فتبيّن بطلان ما أُخبر به (صلى الله عليه وآله) عنه من دنوه إلى أدنى الشام إلى الحجاز وبَعْثِهِ عسكره نحوهم[٤].

وكان (صلى الله عليه وآله) يُكثر التهجد في الليل ويصلي بفناء خيمته، فيقوم ناس من المسلمين يحرسونه، وأقبل ذات ليلة عليهم فقال لهم:

أُعطيت خمساً ما أُعطيهنّ أحد قبلي:

١ ـ بُعثت إلى الناس كافة، وإنما كان النبي يُبعث إلى قومه (كذا).

٢ و ٣ ـ وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تيمّمت وصلّيت، وكان من قبل لا يصلّون إلا في كنائسهم والبيع (كذا).

٤ ـ وأحلّت لي الغنائم آكُلها، وكان من قبلي يُحرمونها.

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٢١: ٢.

(٢) مغازي الواقدي ١٠١٥: ٢.

(٣) مغازي الواقدي ٩٩٩: ٢.

(٤) مغازي الواقدي ١٠١٩ ١٠١٨: ٢ ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٢٥١: ٢١ عن المنتقى للكازروني.

٥ ـ والخامسة: هي ما هي! هي ما هي! قيل لي: سَلْ، فكل نبيّ قد سأل، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله[١].

وقال: من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حرّمه الله على النار[٢].

حوادث هذه السفرة، وادي القرى:

أنّ مساجد النبي (صلى الله عليه وآله) المعروفة في سفره إلى تبوك: بذي خُشب ثم بالفيفاء ثم بالمروة ثم بالشقة ثم بوادي القُرى قبل الحجر[٣].

وكان من بطون بني عُذرة بنو الأحبّ، وكأنهم كانوا يسكنون من وادي القرى موضعاً يقال له القالس، فأقطعه النبي لهم وأمر الأرقم فكتب لهم بذلك كتاباً رواه ابن سعد.

أهل تيماء:

كانت تيماء حِصناً يُنسب إلى السموال بن أوفى بن عاديا الأزدي القحطاني، فأهل تيماء من بني عاديا الأزديّين ولكنّهم يهود.

وفي التاسعة للهجرة لما بلغهم نزول الرسول بوادي القُرى كأنّهم رهبوه[٤]. فأرسلوا إليه وصالحوه على أن يقيموا بأرضهم وبلادهم وعليهم الجزية.

وكان في أراضي تيماء مع بني عاديا ناس كثير من بني جُوين من الطائيين، وكأنّه أسلم قسم منهم وقدموا عليه واستكتبوه فأمر المغيرة أن يكتب لهم فكتب لهم.

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٢٢ ١٠٢١: ٢ وإليه يعود ما في الخصال ٢٠١: ١ ح ١٤ و٢٩٢ ح ٥٦.
(٢) مغازي الواقدي ١٠١٥: ٢.
(٣) مغازي الواقدي ٩٩٩: ٢.
(٤) في مغازي الواقدي ١٠٣١: ٢: كان أهل تيماء قد خافوا النبي لما رأوا العرب قد أسلموا.

دومة الجَنْدل:

لم يمرّ (صلى الله عليه وآله) بدومة الجندل في طريقه إلى تبوك، ولكنه كأنه حين قاربها ولعله من قبل الحائل أوسكاكة، تشكّك أهل دومة الجندل لعله يريد مجالدتهم، وهم من بني عُليم من كلب كندة، فأوفدوا إليه حارثة بن قطن وحمل بن سعدانة الكلبيّين فأسلما، فأمر من كتب لهم كتاباً.

الأكيدر الكندي:

روى الواقدي باسناده عن صحابيين مباشرين للأحداث: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعن عكرمة عن ابن عباس:

قالوا: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) من تبوك خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارساً إلى أُكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل.

فخرج خالد إليه، أي تراجع من تبوك إلى دومة الجندل بأكثر من ١٥٠ كم.

فلما انفصلوا من حصنهم وانفصل منهم أُكيدر يطاردون أبقار الوحش، حاصره جمع من خيل خالد فاستأسر ولم يقاوم، وامتنع أخوه حسّان وقاتل فقوتل حتى قتل، وهرب من معهم من أهلهم ومماليكهم إلى الحصن فدخلوه وأغلقوه.

وقال خالد لأُكيدر: هل لك أن أُجيرك من القتل حتى آتي بك إلى رسول الله على أن تفتح لي دومة، قال: نعم، ذلك لك. فانطلق به خالد في وثاق حتى أدناه من باب الحصن، فنادى أُكيدر أهله: افتحوا باب الحصن. فأبى عليه أخوه مضاد بن عبد الملك، فقال أُكيدر لخالد: والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاق فخلّ عني، فلك الله والأمانة أن افتح لك الحصن إن كنت تصالحني على أهله. قال خالد: فإنّي أصالحك. فقال أُكيدر: فحكّمني، وإلا حكّمتك. قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت. فأعطى أُكيدر من نفسه: ألفي بعير وثمانمئة فرس، وأربعمائة درع وأربعمئة رمح، وعلى أن يذهب به وبأخيه مضاد إلى رسول الله فيحكم فيهما حكمه. ثم خلى خالد سبيله، وتخلى هو وخيله عنه، ففتحوا له

الحصن ففتحه لهم، فدخله خالد وخيله فأوثقوا أخاه مضاداً وأخذوا ما صالحوه عليه من الابل والسلاح.

ثم خرج خالد ومعه أُكيدر وأخوه مضاد، فقدم بهما عليه (صلى الله عليه وآله)[١] وعليه قباء ديباج وصليب من ذهب[٢] وكانت معه هدية من كسوة فأهداها إليه، فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه، وكتب لهم كتاباً فيه ما صالحهم.

وإسلام فئام من جذام:

جِذام ولخم ابنا عدي من بطون كهلان وأبوا قبيلتين وأعمام كندة، ومساكنهم من مدين إلى تبوك فاذرح، وكان لهم صنم يُسمّى الأُقيصر في مشارف الشام، فكانوا يحجون إليه فيحلقون رؤوسهم لديه، وفي مواطنهم يعبدون المشتري.

قال الطبرسي: وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بتبوك بأبي عبيدة بن الجرّاح إلى بني جِذام فأصاب بعضهم وسبى منهم سبايا.

فأجمع رسول الله على الرجوع من تبوك، وقد أرمل الناس إرمالا شديداً، وقد هزلت الإبل.

ورواه الراوندي فقال: شكوا إليه نفاد زادهم فقال: مَن كان عنده شيء من تمر أو دقيق او سويق فليأتني به. فجاء أحدهم بدقيق والآخر بكفّ سويق، فبسط رداءه فجعلا ذلك عليه، فوضع إحدى يديه على إحداهما والأخرى على الأخرى، ثم قال: نادوا في الناس: من أراد الزاد فليأت! فأقبل الناس يأخذون حتى ملأوا جميع ما كان معهم من الأوعية وذلك الدقيق والسويق على حاله ما زاد ولا نقص من واحد منهما شيء على ما كان عليه[٣].

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٢٧ : ٢.
(٢) مغازي الواقدي ١٠٣٠ : ٢.
(٣) الخرائج والجرائح ١٦٩ : ١ ح ٦٠.

وكرامة في وادي الناقة:

وقفل رسول الله من تبوك حتى كان قبل وادي الناقة[١]، وكان فيه حجر من جبل يرشح من أسفله ماء بقدر ما يروي الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله: من سبقنا إلى ذلك الوشل (الحجر المترشح في الجبل) فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي!

فسبق إليه أربعة ممن كان مع النبي من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله لم ير فيه شيئاً، فسأل: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان. فقال: ألم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه؟! ثم لعنهم ودعا عليهم! ثم نزل فوضع يده تحت رشح الماء فجعل يصبّ في يده فرشّه به ومسحه بيده ودعا[٢] فروى الواقدي عن مُعاذ بن جبل كان يقول: فوالذي نفسي بيده انخرق الماء وان له حسّاً كحسّ الصواعق، فشرب الناس واستقوا ما شاءوا[٣].

وقبل منزل الحجر:

وقبل أن يصل منزل الحجر عطش العسكر بعد المرّتين الأوليين عطشاً شديداً حتى لا يوجد للشفة ماء قليل ولا كثير، فشكوا ذلك إلى رسول الله، فدعا أُسيد بن حُضير فجاء وهو متلثّم، فقال له رسول الله: عسى أن تجد لنا ماءً. فخرج يضرب في كل وجه، فوجد امرأة معها قربة ماء فأخبرها بخبر رسول الله فقالت: فانطلق بهذا الماء إلى رسول الله. فلما جاء به أُسيد دعا فيه رسول الله بالبركة ثم قال: هلمّوا أسقيكم! فلم يبق معهم سقاء إلا ملأوه، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقوها حتى نهلت... ثم راحوا العصر مُبردين متروّين من الماء[٤].

---

(١) وفي السيرة ١٧١ : ٤ : وادي المشقّق.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ١٧١ : ٤ ومغازي الواقدي ١٠٣٩ : ٢ وقال: ألم أنهكم؟!
(٣) مغازي الواقدي ١٠٣٩ : ٢ وابن إسحاق في السيرة ١٧١ : ٤ بلا ذكر اسم مُعاذ.
(٤) مغازي الواقدي ١٠٤٢ ١٠٤١ : ٢.

روى الراوندي عن الصادق عليه السلام قال: كان القرآن ينزل بكلام المنافقين حتى قال بعضهم لبعض: ما تأمنون أن تُسمّوا في القرآن فتفضحوا انتم وعقبكم، هذه عقبة بين أيدينا ـ عقبة فيق[1] ـ لو رمينا به منها يتقطّع!

فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: هذا فلان وفلان ـ حتى عدّهم ـ قد قعدوا ينفرون بك[2].

عن الباقر عليه السلام: كان ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب[3].

وعنه عليه السلام قال: إنهم ائتمروا بينهم ليقتلوه، وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنما كنا نخوض ونلعب، وان لم يفطن نقتله! وكان حذيفة يسوق دابّته، فلما أمر جبرئيل رسول الله أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم، قال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم. فضربها حتى نحّاهم.

فلما نزل (من الجبل) قال لحذيفة: مَن عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً. فقال رسول الله: إنهم فلان وفلان، حتى عدّهم كلّهم.

فقال حذيفة: إلا تبعث إليهم فتقتلهم؟!

فقال (صلى الله عليه وآله): اكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم[4].

---

(١) عقبة فيق مشرفة على بحيرة طبرية وينحدر منها إلى غور الأردن، كما في معجم البلدان ٢٨٦: ٤ ومراصد الاطلاع ١٦٣: ١ و١٠٥٢: ٣ هذا والمفروض أنها بعد تبوك إلى المدينة، وقد مرّ أن تبوك تبعد عن الأردن بأكثر من ٢٠٠ كم فأين هم من غور الأردن وبحيرة طبريّة؟! هذا غريب. وفي الخبر: عقبة ذي فيق، ومثله غرابة ما جاء في خبر آخر أنها في طريق اليمن ٤٩٢: ٢، ومثلهما غرابة ما في مراصد الاطلاع ٩٤٨: ٢: أنها ماء لبني عكرمة في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. وفيه: أنها ليست العقبة بل بطن العقبة، ثم هي المنزل العاشر من مكة إلى العراق قبل العراق بمنزلين أو مرحلتين! انظر وقعة الطف: ١٧٧ ـ ١٥٧.

(٢) الخرائج والجرائح ١٠٠: ١ ح ١٦٢ واحتمال معقول أن يكون سبب ذلك حديث المنزلة منه لعلي عليه السلام.

(٣) مجمع البيان ٧٩: ٥ عن التبيان ٢٦١: ٥ عن الزجاج والواقدي.

(٤) مجمع البيان ٧٠: ٥ والخبر عن الباقر عليه السلام في تفسير العياشي ٩٥: ٢ ح ٨٤: إنهم اجتمعوا اثنا عشر: التيمي والعدوي والعشرة معهما، فكمنوا لرسول الله في العقبة، وائتمروا بينهم=

إحراق مسجد النفاق:

ثم اقبل رسول الله حتى نزل بذي أوان: بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار[١] فيقال: خرج إليه المنافقون المتخلّفون يستقبلونه، فقال رسول الله: لا تكلّموا أحداً منهم تخلّف عنا ولا تجالسوه حتى آذن لكم[٢].

وأتاه خبر مسجد الضرار وخبر أهله من السماء[٣] قال القمي: فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عامر بن عدي من بني عمرو بن عوف الأوسي ومالك بن الدُّخْشم الخُزاعي على أن يحرّقوه ويهدّموه! فلما بلغا إلى قُباء ذهب مالك الخزاعي إلى داره فجاء بناره، وأشعل به سعف النخل ثم أشعله في المسجد، وكانوا فيه فتفرّقوا فلمّا احترق البناء هدّموا حيطانه[٤].

وزاد الطبرسي في «مجمع البيان» قال: وروى انّه (صلى الله عليه وآله) بعث عمار بن ياسر ومعه وحشي ـ قاتل حمزة ـ ليحرّقوه، وأمر أن يتّخذ موضعه كناسة تُلقى فيها النفايات[٥].

وإلى المدينة:

وصبّح النبي إلى المدينة[٦] في شهر رمضان[٧] روى انّه (صلى الله عليه وآله) لما أشرف

=ليقتلوه... وفي تفسير القمي ٣٠١: ١ بسنده عنه عليه السلام قال: قعدوا لرسول الله في العقبة وهمّوا بقتله. فقط، مختزلاً.

(١) ابن إسحاق في السيرة ١٧٤: ٤.

(٢) مغازي الواقدي ١٠٤٩: ٢.

(٣) لم يذكر ابن إسحاق: من السماء ولم يذكر الواقدي: في القرآن، وزاد القمي والطبرسي: نزلت عليه الآية بشأن المسجد ١٠٩: ٥ / ٣٠٥: ٢ ثم يصرح الطبرسي بأن سورة التوبة وآيات مسجد الضرار نزلت بعد رجوعه بأكثر من خمسين يوماً ١٠٥: ٥ و١٢٠.

(٤) تفسير القمي ٣٠٥: ١.

(٥) مجمع البيان ١١٠: ٥.

(٦) ابن إسحاق في السيرة ١٧٧: ٤ ومغازي الواقدي ١٠٤٩: ٢.

(٧) ابن إسحاق في السيرة ١٨٢: ٤ ومغازي الواقدي ١٠٥٦: ٢ عن عائشة.

على المدينة قال: هذه طابة، وهذا أُحد جبل يحبّنا ونحبّه! ثم قال: إنّ بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه! فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟! قال: نعم، وهُم بالمدينة، حبسهم العُذر[١].

وقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة، فاستُقبل بالحسن والحسين (عليهما السلام)، فأخذهما إليه ودخل على أمهما ابنته فاطمة وعلي (عليهما السلام)، وانتظره المسلمون على الباب، حتى إذا خرج حفّوا به حتى دخل منزله، ثم تفرّقوا عنه[٢].

الثلاثة المتخلّفون:

ممّن تعوّق عن اللحاق به (صلى الله عليه وآله) بلا شك ونفاق: كعب بن مالك شاعره.

ونقل الطوسي في «التبيان» عن مجاهد وقتادة عن ابن عباس وعن جابر الأنصاري: انه (صلى الله عليه وآله) بعدما عذر المنافقين وجميع المتخلّفين وكانوا نيّفاً وثمانين، نهى عن الكلام مع هؤلاء الثلاثة[٣] وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلّمهم أحد منهم. فهجرهم الناس حتى الصبيان.

وجاءت نساؤهم إلى رسول الله فقلن له: يا رسول الله نعتزلهم؟ فقال: لا، ولكن لا يقربوكن[٤].

وخرجوا إلى رؤوس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلّمونهم. فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولا يكلّمنا أحد، فهلّا نتهاجر نحن أيضاً؟! فتفرّقوا ولم يجتمعوا وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً[٥] أو خمسين ليلة...

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٥٦: ٢.
(٢) إعلام الورى ٢٤٧: ١ عن كتاب أبان.
(٣) التبيان ٢٩٦: ٥ وعنه في مجمع البيان ١٠٤: ٥.
(٤) التبيان ٣١٦: ٥ وعنه في مجمع البيان ١٢٠: ٥ فصّله ابن إسحاق في السيرة ١٧٨: ٤.
(٥) التبيان ٣١٦: ٥ وعنه في مجمع البيان ١٢٠: ٥.

ثم نزلت الآيات بتوبتهم ليلاً، فأصبح المسلمون يبتدرونهم يبشّرونهم. قال كعب: وكان رسول الله إذا سُرَّ يستبشر كأن وجهه فلقة قمر، فجئته وإذا وجهه يُبرق من السرور فلمّا رآني قال لي: أبشر بخير يومٍ طلع عليك شرقه منذ ولدتك أمك! فقلت: يا رسول الله من عندك أو من الله؟ فقال: من عند الله. فتصدّق كعب بثلث ماله شكراً للّه على قبول توبته[1].

إسلام كعب بن زهير الشاعر[2]:

كان لكعب أخ يدعى بُجير بن زهير كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان كعب ممن يؤذي النبي ويهجوه، فلما أسلم أخوه بُجير وهاجر هجاه. أخوه كعب؛

ولما فتح النبيّ مكة وقتل رجالاً منهم ممن كان يهجوه ويؤذيه وهرب هُبيرة بن أبي وهب وابن الزبعرى من شعراء قريش، وعفى عمن جاءه تائباً منهم؛ كان كعب بن زهير ممن هرب على وجهه، فكتب إليه أخوه بُجير بن زهير: إنّ رسول الله قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وان من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى وهُبير بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فان كانت لك في نفسك حاجة فِطر إلى رسول الله، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وان أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض.

فلما بلغ الكتاب إلى كعب وعلم به الناس في حيّه الذي هو فيه، قالوا فيه: انّه لمقتول، فضاقت به الأرض وخاف على نفسه ولم يجد بداً من أن يستجيب لأخيه ويُسلم ويكفّر عن هجوه النبيّ بمدحه بقصيدة، فنظم قصيدته اللامية نحو ستين بيتاً، وحملها وخرج نحو المدينة، فنزل على رجل من جُهينة.

---

(١) التبيان ١٩٧: ٥ وعنه في مجمع البيان ١٠٥: ٥ وجاء تفصيله في السيرة ١٨٠: ٤.

(٢) قال القمي في سفينة البحار ١٨٣: ٦: إن قدوم كعب كان في شهر شعبان سنة تسع، بينما كان في شعبان في تبوك، ولذلك أخّرناه إلى هنا.

فلما أذّن بلال لصلاة الفجر خرج الجُهني بكعب وصليا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أشار إليه وقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه.

فقأم إلى رسول الله حتى جلس إليه، ورسول الله لا يعرفه، فوضع يده في يده وقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فان أنا جئتك به فهل أنت قابل منه؟ قال: نعم. فقال: يا رسول الله فأنا كعب بن زهير.

فوثب رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعني وعدوّ الله اضرب عنقه!

فقال (صلى الله عليه وآله): دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه[1] فأسلم[2].

فروى ابن الأثير الجزري: انّه (صلى الله عليه وآله) حين إنشاد كعب لقصيدته كانت عليه بردة، فكساه بها[3].

وفد ثُقيف وإسلامهم:

مرّ الخبر عن لحوق عروة بن مسعود الثقفي بالنبي (صلى الله عليه وآله) قبل وصوله إلى المدينة وإسلامه وعودته لقومه في الطائف لدعوتهم إلى الإسلام وقتلهم إيّاه.

وهنا يقول ابن إسحاق: أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، فرأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد اسلموا.

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ١٤٧ ١٤٦ : ٤.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ١٥٧ : ٤.

(٣) قال: فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله. فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً. فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم. فلبسها بنو أمية ثم بنو العباس وكان على المستعصم العباسي لما خرج إلى هولاكو فقتله واحرق البُردة وذرّها في دجلة ـ الكامل في التاريخ ٢٧٦ : ٢ والى كسوة النبي (صلى الله عليه وآله) لكعب أشار الحسين (عليه السلام) قال: وقد أثاب رسول الله كعب بن زهير، كما في مناقب آل أبي طالب ٦٥ : ٤ عن أنس المجالس ومن شعر كعب في علي (عليه السلام) قال:

صهر النبي وخير الناس كلهم ... وكل من رامه بالفخر مفخور

صلى الصلاة مع الأمّي أوّلهم ... قبل العباد وربّ الناس مكفور

كما في الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٦٨ ط قم.

فأتمروا وقالوا: إلا ترون أنّه لا يأمن لكم سرب (ماشية) ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع! فعرضوا على عبد ياليل أن يرسلوه إلى رسول الله. فخشى انّه إذا رجع يُصنع به كما صنع بعروة فيُقتل كما قُتل! فقال: إلا أن تُرسلوا معي رجالاً. فوافقوا.

فلما وصل وفد ثقيف إلى وادي حرض من وديان قناة وجدوا إبلا منتشرة، فقالوا: لو سألنا عنها وعن خبر محمّد، فبعثوا أصغرهم عثمان بن أبي العاص من بني يسار، فلما التقى بالمغيرة تعارفا وجاءهم المغيرة وترك الإبل عندهم ليرجع إلى المدينة فيبشّر النبي بقدومهم، وكان في شهر رمضان بعد تبوك.

فدخل المغيرة مسروراً على النبي فقال: يا رسول الله، قد قدم قومي يريدون الدخول في الإسلام على أن يكتبوا كتاباً من رسول الله في قومهم وبلادهم وأموالهم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يسالون شرطاً، ولا كتاباً أعطيته أحداً من الناس إلا أعطيتهم، فبشّرهم. فخرج المغيرة ورجع إليهم يخبرهم بذلك، فروّح الظهر معهم وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله بتحية الإسلام: السلام.

وأمر النبي فضربت لهم ثلاث خيمات من جريد النخل في ناحية المسجد، فكانوا ينظرون إلى صفوفهم في صلاتهم، وكان شهر رمضان (في العشر الأواخر) فكانوا يرون تهجّد الصحابة ويسمعون قراءتهم القرآن، وخطبة النبي (صلى الله عليه وآله). فمكثوا على ذلك أياماً، يخلّفون كل يوم على رحالهم أصغرهم عثمان بن أبي العاص ويغدون على النبي، فكانوا إذا رجعوا في هاجرة الظهر وناموا يخرج عثمان إلى النبيّ فيسأله عن الدين ويستقرئه القرآن، وأسلم، وحفظ سوراً.

وكان من أعضاء الوفد من بني الحارث من بني مالك: نمير بن خرسة، وسمّاه ابن الأثير: تميم بن جراشة وروى عنه قال: انه (صلى الله عليه وآله) قال لنا: اكتبوا ما بدا لكم ثم ائتوني به [فكتب لنا علي بن أبي طالب] فسألناه في كتابه أن يحلّ لنا الربا والزنا! فأبى علي عليه السلام أن يكتب لنا ذلك! فسألناه خالد بن سعيد بن العاص

[فقبل ذلك] فقال له علي عليه السلام: تدري ما تكتب؟! قال: اكتُب ما قالوا، ورسول الله أولى بأمره! [فكتب لنا] فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله، فقال للقارئ: اقرأ، فقرأ، فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب. فوضع يده عليها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾[1] ثم محاها، وما راجعناه، فلما بلغ القارئ إلى الزنا قال: ضع يدي عليها. فوضع يده عليها، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2] ثم محاها، وأمر أن يُنسخ الكتاب فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمّد النبيّ رسول الله لثقيف، كتب: إن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمّة محمّد بن عبد الله النبيّ على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة: إن واديهم حرام محرّم كله: عِضاهه[3] وصيده، وظلم فيه وسرق فيه أو إساءة. وثقيف أحق الناس بوجّ[4] ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاءوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه بواديهم. لا يُحشرون ولا يعشرون[5] ولا يستكرهون بمال ولا نفس، وهم أُمة من المسلمين، يتولّجون من المسلمين حيث شاءوا وأين تولّجوا ولجوا... إلخ.

فلما أرادوا الخروج قالوا: يا رسول الله، أمِّر علينا رجلاً منّا يؤمّنا، فأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى فيه رسول الله من حرصه على الإسلام[6] فروى ابن إسحاق بسنده عن عثمان قال: كان من آخر ما عهد إليّ رسول الله حين

---

(١) البقرة: ٢٧٨.

(٢) الإسراء: ٣٢.

(٣) شجر ذات شوك.

(٤) الاسم القديم للطائف قبل أن يبنوا حوله حصنهم الطائف بهم فيسمّى الطائف.

(٥) أي: لا يُحشرون في الغزوات، ولا يؤخذ منهم العُشر، قيل: سُئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن اشتراط ثقيف أن لا جهاد عليهم ولا صدقة؟! فقال انه (صلى الله عليه وآله) لم يحتمل لبشر ما احتمل لثقيف وذلك انه علم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا ـ مكاتيب الرسول ٢٦٥: ١.

(٦) مغازي الواقدي ٩٦٨: ٢.

بعثني على ثقيف أن قال: يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدر الناس بأضعفهم، فانّ فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة[١] فإذا صليت لنفسك فأنت وذاك، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً. واستأذن الوفد النبي أن ينالوا منه بلسانهم فرخّص لهم[٢].

وفد ثقيف إلى الطائف:

ثم خرج الوفد إلى الطائف، فلما قربوا قال لهم عبدياليل: أنا أعلم الناس بثقيف، فاكتموهم القضية... وأخبروهم أن محمّداً سألنا أُموراً عظّمناها فأبينا عليه. ولما دنوا منهم ورأوا ثقيف قد خرجت إليهم تغشّوا بثيابهم كمكروبين لم يرجعوا بخير، فلما رآهم أهلهم حزنوا وقالوا: ما جاء وفدكم بخير!

فمكثوا يوماً أو يومين ثم عادوا إليهم وقالوا لهم: ما لنا به من طاقة قد أداخ كل العرب، فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل وصالحوه، واكتبوا بينكم وبينه كتاباً قبل أن يسير إلينا أو يبعث بجيشه!

فقالوا لهم: فانّا قد قاضيناه وأعطانا ما أحببناه وشرط لنا ما أردنا، ووجدناه أتقى الناس وأبرّ الناس وأوصل الناس وأوفى الناس وأصدق الناس وارحم الناس! ولما أبينا هدْم الربّة تركنا منه وقال: أبعث من يهدمها!

المغيرة يُغير على اللات:

مرّ الخبر عن أبي مُليح بن عروة وابن عمه قارب بن الأسود الثقفيّين، وأنهما بعد قتل عُروة بن مسعود لحقا بالمدينة فأسلما وبقيا في جوار المغيرة وأبي سفيان، واليوم حيث أمرهما رسول الله بهدم اللات في الطائف.

خرجوا وهم بضعة عشر رجلاً بعد الوفد بيومين أو ثلاثة (في أواخر شهر

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ١٨٦ : ٤.

(٢) مغازي الواقدي ٩٦٩ : ٢.

رمضان) فلما قربوا من الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان، فأبى أبو سفيان وأقام بماله بذي الهدم أو ذي الهرم بقرب الطائف، وتقدّم المغيرة ومعه بضعة عشر رجلاً فدخلوا الطائف عشاءً، فباتوا، ثم غدوا صباحاً لهدم اللّات، وجاء قوم المغيرة بنو معتّب من الأحلاف حاملين سلاحهم يخافون أن يصاب كما أُصيب عروة عمّه. وانكشف رجالهم وخرجت نساؤهم والأبكار والصبيان يبكون على اللّات! فأخذ المغيرة المعول وقام على رأس اللّات وضربها ضربة... ثم قال: يا معشر ثقيف! كانت العرب تقول: ما حيّ من أحياء العرب أعقل من ثقيف (وأنا اليوم أقول) ما حيّ من أحياء العرب أحمق منكم! وَيْحكم، وما اللات والعزّى وما الربّة؟! حجر مثل هذا الحجر لا يدري مَن عبده ومن لم يعبده! ويحكم أتسمع اللات أو تبصر؟! أو تنفع أو تضر؟!

سنة الوفود:

جاءه (صلى الله عليه وآله) نصر ربّه بفتح بلده الحرام مكة له في السنة الثامنة، فأقبل الناس المتربّصون والمترصّدون والمتردّدون يدخلون في دينه أفواجاً في السنة التاسعة ولذلك سمّيت «سنة الوفود».

وذكر اليعقوبي بني سُليم والزعيم وقّاص بن قُمامة، وبني شيبان وأصاب اسم زعيمهم البياض في النسخة، وبنو سليم ذُكروا في من حضر فتح مكة، وكتب لهم كتاباً وبنو شيبان ذكروا في من كتب لهم كتاباً بعد حنين أيضاً[1].

وفد بني عامر:

مرّ في أخبار السنة الرابعة: إرساله (صلى الله عليه وآله) من أصحابه عشرين أو أربعين أو سبعين رجلاً بكتاب مع حرام بن ملحان إلى بني عامر في نجد، وأن عامر بن الطفيل قتل حراماً حامل الكتاب، ثم حاصروهم فقتلوهم! وكان يقول: والله لقد آليت أن لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي! فأنا أتبع هذا الفتى من قريش!

---

(١) انظر مكاتيب الرسول ١٦٧ ١٦٦: ١.

فخرجوا راجعين إلى بلادهم كما كانوا مشركين، وفي الطريق ظهرت في عنقه غُدّة كغدّة الطاعون بالبعران فلجأ إلى خباء امرأة من بني سلول وهو يحتقرها ويقول: يا بني عامر! أغدّة كغدة الابل وموتاً في بيت سلولية؟! حتى مات ودفنوه.

وفد طيّء وفرسانهم:

وحيث دعا (صلى الله عليه وآله): «اللهم أبدلني بهما فارسي العرب» أبدله الله عن وفد بني عامر بوفد بني طيّء، وعن فارسي بني عامر بفارسي طيّء: عدي بن حاتم[1] وزيد بن مهلهل وهو زيد الخيل، فلما أسلم غيّر النبي اسمه إلى زيد الخير وأقطعه أرض فيد وكتب له بذلك كتاباً[2].

وفد بني عُكل وبني زهير:

منهم: وفد بني عُكل وهم بنو عوف بن وائل من قريتيهم: اشيقر والشقراء حوالي جبلي اجأ وسلمى بجوار طيء، بزعامة خُزيمة بن عاصم وعُكل اسم حاضنتهم. وفد على النبي (صلى الله عليه وآله) بإسلام قومه، فمسح النبي على وجهه فما زال نضراً، واستعمله ساعياً جابياً للزكاة فيهم بكتاب كتبه له فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله لخزيمة بن عاصم: إني بعثتك ساعياً على قومك، فلا يُظلموا ولا يضاموا»[3].

وفد بني عُليم:

ومنهم: بنو عُليم من كنانة كلب بدومة الجندل بزعامة قطن بن حارثة وأخيه أنس[4] أو أُسد[5] وكانوا يعبدون ودّاً ثم دخلوا النصرانية ثم الإسلام. فقدم قطن.

---

(١) مرّ خبر وفود عديّ سابقاً.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٢٢٤: ٤.
(٣) أسد الغابة ١١٦: ١ والإصابة ١ برقم: ٢٢٦٠ وانظر مكاتيب الرسول ٢٣٨ ٢٣٧: ١.
(٤) اليعقوبي ٧٩: ٢.
(٥) أسد الغابة ٦٩: ١ و٢٠٧: ٤.

وتكلّم بكلام فصيح غريب الألفاظ وسأل النبي الدعاء لقومه بالاستسقاء، فدعا لهم النبي وقال لهم خيراً، واستكتبه فأمر ثابت بن قيس أن يكتب لهم كتاباً جاء فيه: «... كتاب من محمّد رسول الله لعمائر كلب وأحلافها، ومن صاده الإسلام من غيرها، مع قطن بن حارثة العُليمي.

وفد بني نهد من اليمن:

ومنهم بنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصقعب[1] وفد إليه (صلى الله عليه وآله) في سنة تسع مع بني نهد بن زيد من اليمن، وهم قبيلة كانوا يتكلمون بألفاظ وحشية غريبة لا يعرفها أكثر العرب... فقام وقال:

أتيناك من غوري تهامة...

برئنا إليك ـ يا رسول الله ـ من الوثن والعنن (ما يعترض من شك) وما يُحدث الزمن. لنا دعوة السلام وشرائع الإسلام، ما طمي البحر (ماج) وقام ثعار (جبل).

فدعا لهم بمثل مقالهم.

ثم كتب لهم كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى بني نهد بن زيد: السلام على من آمن بالله ورسوله. لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة (متروك لكم في وظيفة الزكاة الناقة أو البقرة أو الشاة المُسنّة الهرمة) ولكم العارض (المريض) والفريش (الوالدة حديثاً) وذو العنان الركوب (المركوب الجيد) والفلو (الذي فلّ من فطامه حديثاً) الضّبيس (الصعب المراس). لا يُمنع سرحكم، ولا يُعضد طلحكم (لا يُحصد شجركم) ولا يُحبس درّكم، ما لم تُضمروا الاماق (النفاق) وتأكلوا الربّاق (تنقضوا الميثاق) فمن أقرّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبى فعليه الرّبوة»: الزيادة[2].

---

(١) اليعقوبي ٧٩: ٢.

(٢) أسد الغابة ٦٦: ٣ وانظر مكاتيب الرسول ٤٤٤ ـ ٤٣٧: ٢.

ويبدو إنهم من أوائل قبائل اليمن لحوقاً بالإسلام، ولعلّه لعلمهم بما أفاض الله عليه (صلى الله عليه وآله) من الماء في طريق البلقاء استجابة لدعائه بالاستسقاء من ربّ السماء مكرّراً، فاندفعوا لينالوا من ذلك شيئاً، فدعا لهم، ولم يُعفهم من فريضة الزكاة ولكنه خفّفها عنهم.

مرض ابن أبي ووفاته:

مرّ في خبر كعب بن مالك عنه وعن صاحبيه مُرارة بن الربيع وهلال بن أمية: أنهم مكثوا على مضايقتهم تلك متوقّعين قبول توبتهم خمسين ليلة[١] تبدأ من وصول الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى مدينته.

وقالوا: مرض عبد الله بن أبي في ليال بقين من شوّال، ومرض عشرين ليلة، وحضره الموت في ذي القعدة (أي متزامناً مع نزول سورة التوبة بتوبة الثلاثة).

وعاده النبي قبل موته، فقال له ابن أبي: يا رسول الله، هو الموت، فإن متُّ فاحضر غُسلي، وأعطني قميصك أكفّن فيه! وكان عليه (صلى الله عليه وآله) قميصان فأعطاه الأعلى، فقال أبي: بل الذي يلي جلدك! فنزع قميصه الذي يلي جلده فأعطاه. فقال أبي: وصلّ عليّ واستغفر لي![٢].

فروى الطوسي في «التبيان» عن قتادة عن ابن عباس عن جابر وابن عمر أن رسول الله ألبس قميصه لابن أبي بن سلول وصلى عليه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين[٣] بنزول سورة التوبة.

وعنه في «مجمع البيان» وزاد عن الزجاج قال: قيل لرسول الله: لم وجّهت إليه بقميصك يكفّن فيه وهو كافر؟

---

(١) التبيان ١٩٧: ٥ وعنه في مجمع البيان ١٠٥: ٥ وابن إسحاق في السيرة ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨: ٤. ومغازي الواقدي ١٠٥٣ ١٠٥٢ ١٠٥١: ٢.
(٢) مغازي الواقدي ١٠٥٧: ٢.
(٣) التبيان ٢٦٨: ٥ و٢٧١ ومثله في مجمع البيان ٨٤: ٥.

فقال (صلى الله عليه وآله): إن قميصي لن تغني عنه من الله شيئاً، وانّي أُؤمّل من الله أن يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير!

فروي: إن نحواً من ألف من منافقي الخزرج لما رأوا زعيمهم ابن أبي يطلب الاستشفاء أو الاستشفاع بثوب رسول الله آمنوا أو أسلموا[1].

نزول سورة التوبة وأغراضها:

معظمها يرجع إلى قتال الكفار، ثم الاحتجاج على المنافقين. فأوّلها آيات تؤذن بالبراءة من عهود المشركين وقتالهم، وأهل الكتاب، ثم آيات في الاستنهاض للقتال وحال المتخلّفين، وولاية الكفار، والزكاة، وغير ذلك[2].

الآيات في سياق متصل منسجم، تدل على أن هذه الواقعة أياً ما كانت فقد وقعت بعد خروج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى غزوة تبوك ولما يرجع إلى المدينة.

فيتخلّص من الآيات أن جماعة ممن خرج مع النبي تواطؤوا على أن يمكروا به (صلى الله عليه وآله)، وأسرّوا عند ذلك في ما بينهم بكلمات كفروا بها بعد إسلامهم، ثم همّوا أن يفعلوا ما اتفقوا عليه بفتك أو نحوه، فأبطل الله كيدهم وفضحهم وكشف عنهم، فلما سُئلوا عن ذلك قالوا: «إنما كنا نخوض ونلعب» فعاتبهم الله بلسان رسوله بأنه استهزاء بالله وآياته ورسوله، وهدّدهم بالعذاب إن لم يتوبوا وأمر نبيّه أن يجاهدهم.

فالآيات ـ كما ترى ـ أوضح انطباقاً على حديث العقبة من سائر أخبار أسباب النزول[3].

وقال: لا تكاد تجتمع الروايات المنقولة على كلمة بشأن ما اختصّ علي (عليه السلام) بتأديته من آيات البراءة من عهود المشركين: فمنها ما يدلّ على أن الآيات كانت

---

(١) مجمع البيان ٨٧: ٥.
(٢) الميزان ١٤٦: ٩.
(٣) الميزان ٣٢٦ ٣٢٥: ٩.

تسعاً، وأخرى عشراً، وأخرى ست عشرة، وأخرى ثلاثين، وأخرى ثلاثاً وثلاثين، وأخرى سبعاً وثلاثين، وأخرى أربعين[١] ثم لم يقل متى نزلت هذه؟ فهل نزلت كما بعدها بعد العقبة وقبل المدينة؟ أي قبل آخر شهر رمضان كما مرّ؛ وتركت حتى منتصف ذي القعدة بعد موت ابن أبي؟ بينما ظاهر أخبارها عدم الفصل المعتد به بين نزولها وإرسالها مع أبي بكر أولاً ثم مع علي عليه السلام ثانياً، لموسم الحج كما سيأتي.

ولهذا رجّحنا نحن خبر الثعلبي في تفسيره بنزول السورة مرة واحدة يومئذٍ[٢].

العباس يفاخر علياً عليه السلام:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ : ١٩ حتى آخر الآية ٢٢.

فروى العياشي في تفسيره عن الصادق عن علي عليه السلام قال: كنت أنا والعباس وعثمان بن أبي شيبة في [ذكر] المسجد الحرام، فقال عثمان بن أبي شيبة: إن رسول الله أعطاني الخزانة ـ يعني مفاتيح الكعبة ـ وقال العباس: إن رسول الله أعطاني السقاية ـ وهي زمزم ـ ولم يعطك شيئاً يا علي![٣].

ورواه القمي في تفسيره عن الباقر عليه السلام قال: وقال علي عليه السلام: أنا أفضل فاني آمنت قبلكم ثم هاجرت وجاهدت. فرضوا برسول الله حكماً، فأنزل الله الآية[٤].

---

(١) الميزان ١٧٥ : ٩ وفي التبيان ٢٢٤ : ٥: عن أبي الضحى قال: إن أول ما نزل من سورة براءة قوله سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ : ٤١ فالأربعون الأولى نزلت في ما بعد للبراءة. وفيه عن مجاهد قال: إن أول ما نزل منها: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ : ٢٥ فما قبلها نزلت بعدها للبراءة ولم يروهما الطبرسي في مجمع البيان.

(٢) مجمع البيان ٤ :٥.

(٣) تفسير العياشي ٨٣: ٢.

(٤) تفسير القمي ٢٨٤ : ١ وفي خبر آخر في تفسير العياشي قال: فكان علي وحمزة وجعفر الذين آمنوا وجاهدوا. ومن هنا كأنما أخطأ الرواة فذكروا حمزة في المفاخرة، وهو شهيد في أحد في الثالثة للهجرة، وجعفر و هو أيضاً شهيد في مؤتة قبل هذا.

حديث سدّ الأبواب:

في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا...﴾.

روى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام قال:

كثر من دخل الإسلام من الغرباء بالمدينة، من أهل الحاجة، حتى ضاق بهم المسجد، فأوحى الله إلى نبيّه: إن طهّر مسجدك واخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل، ومره بسدّ أبواب من كان له باب في مسجدك، إلا باب علي ومسكن فاطمة، ولا يُمرن فيه جنب، ولا يرقد فيه غريب.

فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسدّ أبوابهم إلا باب علي عليه السلام وأقرّ مسكن فاطمة عليها السلام على حاله[1].

ومن الطرق السالكة في الإسلام لتقريب الإيمان والإذعان إلى الأذهان تشبيه المشروع فيه بمثله في سابق الأديان.

ولهذا قصد الراوندي في نوادره بإسناده إلى الامام الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عنه (صلى الله عليه وآله) قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: أن ابن مسجداً طاهراً، لا يكون فيه إلا هو (موسى) وأخوه هارون وابناه شبّر وشبير، وان الله تعالى أمرني أن مسجدي لا يكون فيه غيري وغير أخي علي وابنيّ الحسن والحسين[2].

---

(١) فروع الكافي ٣٣٩: ٥ ب ٢١ ح ١ وفيه: ثم إن رسول الله أمر أن يتُخذ للمسلمين سقيفة ـ وهي الصُفة ـ فعُملت لهم. وعليه تكون الصفة قد أقيمت في التاسعة، بينما التحق أبو هريرة وقومه من دوس من أزد اليمن ثمانون رجلاً ومعهم من الأشعريين خمسون رجلاً، التحقوا بأواخر فتح خيبر فأسهم لهم النبي في الغنائم ثم أسكنهم الصُفة. فالظاهر أنها أُقيمت في السابعة لا التاسعة، ولذلك فنحن ذكرناها هناك، فراجع. اللهم إلا أن تُحمل هذه السقيفة خارج المسجد على أنها بديل عن الصفّة داخله.

(٢) نوادر الراوندي: ٨ وعنه في بحار الأنوار ٣٣: ٣٩ وروى مثله ابن المغازلي في مناقبه عن عدي بن ثابت.

فكأنه (صلى الله عليه وآله) أراد بسدّ الأبواب في المسجد إلا بابه وباب علي عليه السلام تثبيت معنى حديث المنزلة، كما في خبر الصدوق عن الرضا عليه السلام في مجلس المأمون العباسي.

وفيه أنه (صلى الله عليه وآله) لما أخرج الناس من مسجده ما خلا العترة تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس فقال: يا رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا؟!

فقال رسول الله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله عزّ وجل تركه وأخرجكم[١].

وروى عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: سدّوا الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي[٢] وقال: لا يحل لأحد أن يُجنب في هذا المسجد إلا أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ومن كان من أهلي، فإنّهم منّي[٣].

وفي جوابه (صلى الله عليه وآله) على اعتراضاتهم روى فيه بسنده عن حذيفة بن أُسيد الغفاري قال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قام خطيباً فقال: إن رجالاً يجدون في أنفسهم أن اسكن علياً في المسجد وأخرجهم! والله ما أخرجتهم وأسكنته، بل الله أخرجهم واسكنه، إن الله عزّ وجل أوحى إلى موسى وأخيه: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ثم أمر موسى: أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه، ولا يدخله جنب إلا هارون وذرّيته، وأن علياً منّي بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحلّ لأحد أن ينكح فيه النساء إلا علي وذرّيته فمن ساءه فها هنا! وأشار بيده نحو الشام[٤].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٣٢: ١، والأمالي: ٤٢٤ ٤٢٣.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٧: ٢.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٠: ٢. وروى القندوزي عن الترمذي رفعه عن أبي سعيد عنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي، لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. وقال الترمذي: حديث حسن.
(٤) علل الشرائع ٢٣٨ ٢٣٧: ١، وقريب منه ما رواه ابن المغازلي في المناقب كما عنه في كشف الغمة ٣٣١: ١.

بعث علي عليه السلام بآيات البراءة:

روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كان في سنّة العرب في الحج أنه: من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحلّ له إمساكها، فكانوا يتصدّقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف (وإلا) فمن يوافي مكة يستعير ثوباً فيطوف فيه ثم يردّه، فمن لم يجد عارية اكترى ثياباً، ومن لم يجد عارية ولا كراءً ولم يكن له إلا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً.

ولما فتح رسول الله مكة لم يمنع المشركين من الحج في تلك السنة (الثامنة)[1] فكان المشركون يحجّون مع المسلمين، فتركهم على حجّهم الأول في الجاهلية، وعلى أُمورهم التي كانوا عليها: من طوافهم بالبيت عُراة، وتحريمهم الشهور (الحلال بدل) الحرام، والقلائد، ووقوفهم بالمزدلفة.

وأراد الحج، فكره أن يسمع تلبية العرب لغير الله، والطواف بالبيت عُراة[2].

هذا في حجّهم، وأما في قتالهم.

فقد روى فيه بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كانت سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده، وكان قد نزل عليه في ذلك من الله عزّ وجل: ﴿...فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فكان (صلى الله عليه وآله) لا يقاتل أحداً قد تنحّى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة البراءة وأمره الله بقتال المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلا الذين كان قد عاهدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة إلى مدّة.

رواه القمي بسنده عن الصادق عليه السلام، في ما روى معاصره العياشي في تفسيره عن أبيه الباقر عليه السلام قال: ما بعث رسول الله أبا بكر ببراءة... ولكنّه استعمله على

(١) تفسير القمي ١: ٢٨١.
(٢) تفسير فرات الكوفي: ١٦١ ح٢٠٣ عن ابن عباس.

الموسم... وبعدما فصل أبو بكر عن المدينة(١) قال لعلي عليه السلام: انّه لا يؤدّي عنّي إلا أنا وأنت (ثم) بعث بها علياً عليه السلام(٢).

وهذا يوافق أخبار الواقديّ بتفصيل جاء فيه.

أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قلّد عشرين بدنة النعال وأشعرها بيده في الجانب الأيمن، واستعمل عليها ناجية بن جُندب الأسلميّ، واستعمل على الحج أبا بكر وعهد إليه أن يخالف المشركين فلا يقف يوم عرفة بجَمْع ـ أي المزدلفة ـ بل يقف يوم عرفة بعرَفة(٣)... ثم لا يندفع من عرفة حتى تغرب الشمس... وكان مُفرداً بالحج. وخرج معه ثلاثمئة من أهل المدينة من أهل القوة منهم عبد الرحمن بن عوف، ومعه خمسة بدن. وأهلّ أبو بكر من ذي الحُليفة وسار حتى العَرْج(٤).

فروى العياشي عن علي عليه السلام قال: لما ابتعثني النبيّ (صلى الله عليه وآله) ببراءة قلت له: يا نبيّ الله، إني لست بلسِنٍ ولا بخطيب! فقال: ما بُدٌّ أن أذهب بها أو تذهب بها أنت! فقلت: فان كان لابدّ فسأذهب أنا. قال: فانطِلق، فانّ الله يثبّت لسانك ويهدي قلبك. ثم وضع يده على فمي وقال لي: انطلِق فاقرأها على الناس... وسيتقاضى الناس إليك، فإذا أتاك الخصمان فلا تقضينّ لواحد حتى تسمع الآخر، فإنه أجدر أن تعلم الحق(٥).

---

(١) هنا في الخبر: عن الموسم، بينما قال: فصل أبو بكر، مرفوعاً، ولا يصحّ هذا، فيبدو أن الموسم مصحّف عن المدينة فالأصل كما أثبتناه، وفصل أي انفصل لا عَزَل.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ومثله في خبر ابن عباس في تفسير فرات: ١٦١ ح٢٠٣.

(٣) ونحوه في خبر ابن عباس في تفسير فرات: ١٦١ ح٢٠٣.

(٤) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٧ وكذلك المسعودي في مروج الذهب ٢: ٢٩٠ والتنبيه والإشراف: ١٨٦ وفيهما: حجّ بالناس، بلا عدد. وذكره الواقدي ثم ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» وذكر البدن الخمسة لأبي بكر، ولكنه قال: فعاد أبو بكر إلى المدينة. ولم يذكر الطبري شيئاً من ذلك! ونقل المجلسي ما في الكامل في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٠٩ والاعتبار يُساعد حجّ مثل هذا الجمع. فمن المستبعد جدّاً أن يكون المبعوث أبا بكر وحده كما يبدو من سائر الأخبار، أو علي عليه السلام بعده كذلك بدون أن يحجّ أحد من المسلمين تلك الحجة بعد فتح مكة!

(٥) تفسير العياشي ٢: ٧٥ ح٩.

وروى العياشي عنه عليه السلام قال: إنّ رسول الله... دعا علياً عليه السلام فأمره أن يركب ناقته العَضباء[١] فيلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة فيقرأها على الناس بمكة فلحقه بالرّوحاء[٢].

إعلان البراءة في الموسم:

قال: فانطلق علي عليه السلام حتى قدم مكة، ثم وافى عرفات، ثم رجع إلى جَمْع المزدلفة ثم إلى منى، فذبح وحلق، ثم صعد على الجبل المُشرف المعروف بالشِعب فأذّن ثلاث مرات: يا أيها الناس، إلا تسمعون، إني رسول رسولِ الله إليكم، ثم قرأ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ. . .﴾ إلى تسع آيات من أوّلها إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وروى القمي عنه عليه السلام قال: إن رسول الله أمرني أن أُبلّغ عن الله:

١ ـ أن لا يطوف بالبيت عريان.

٢ ـ لا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام.

٣ ـ أن أقرأ عليهم: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. . .﴾ فأحلّ الله للمشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلى مأمنهم، ثم يُقتلون حيث وُجدوا.

روى العياشي عن حريز عن الصادق عليه السلام قال: لما كان يوم النحر ـ وهو يوم الحج الأكبر ـ وكان بعد الظهر[٣] وفرغ الناس من رمي الجمرة الكبرى قام علي عليه السلام عندها ثم اخترط سيفه وقال: لا يطوفنّ بالبيت عُريان، ولا يحجنّ بالبيت مشرك ولا مشركة، ومن كانت له مدة فهو إلى مدّته، ومن لم تكن له مدة

---

(١) الناقة العَضباء: القصيرة اليدين، وكانت مشقوقة الأذن ـ مجمع البحرين.
(٢) تفسير القمي ٢٨٢: ١ وفي مسند أحمد: أنه سار بها ثلاثاً، كما في كشف الغمة ٣٠٠: ١.
(٣) تفسير العياشي ٧٤: ٢ ح٤.

فمدّته أربعة أشهر[١] فقال له رجل: فمن أراد منا أن يلقى محمّداً في بعض الأمور بعد الأشهر الأربعة فليس له عهد؟! قال علي عليه السلام: بلى، إن الله قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...﴾[٢] وفي أيام التشريق (١١ و١٢ و١٣)[٣] وفي أيام الموسم كلها ينادي: لا يطوفنّ عريان، ولا يقربنّ المسجد الحرام بعد عامنا مشرك[٤].

ولم يُوحَ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيء في أمر علي عليه السلام وما كان منه، وأبطأ عنه خبره، وكان عليه السلام في رجوعه مقتصداً في سيره. فاغتمّ لذلك النبيّ (صلى الله عليه وآله) غمّاً شديداً حتى رُئي ذلك في وجهه. وكفّ عن النساء من الهمّ والغمّ.

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا صلى الصبح بقي مستقبل القبلة إلى طلوع الشمس يذكر الله عزّ وجلّ، وقد أمر علياً عليه السلام أن يتقدم خلفه فيستقبل الناس بوجهه فيراجعونه في حوائجهم. حتى وجّه علياً عليه السلام إلى الحجّ، فلم يجعل أحداً مكان علي عليه السلام.

فقال بعضهم لأبي ذر: قد ترى ما برسول الله، وقد نعلم منزلتك منه، فنحن نحبّ أن تعلم لنا أمره، فسأل أبو ذرّ النبيّ عن ذلك، فقال:

ما نُعيت إليّ نفسي، وما وجدت في أمّتي إلا خيراً، وما بي مرض، ولكن من شدة وجدي لعليّ بن أبي طالب وإبطاء الوحي عليّ في أمره، فاستأذنه أبو ذر ليخرج من المدينة في حاجته فأذن له.

فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما كان ببعض

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ح٧.
(٢) مناقب آل أبي طالب عن تفسير القُشيري ٢: ١٢٧.
(٣) تفسير العياشي ٢: ٧٤ ح ٥.
(٤) تفسير العياشي ٢: ٧٥ ح٨. وعنه في مجمع البيان ٥: ٦. وروى فيه الصدوق في علل الشرائع ١: ٢٢٤، ٢٢٥ أربعة أخبار عن سعد بن أبي وقاص، وأنس بن مالك، وابن عباس وابن عمر. وروى الخبر الواقدي في المغازي ٢: ١٠٧٨ والمسعودي في مروج الذهب ٢: ٢٩٠ والتنبيه والإشراف: ١٨٦.

الطريق إذا هو براكب ناقة مقبلاً فإذا هو علي عليه السلام، فاستقبله والتزمه وقبّله وقال: بأبي أنت وأمي، اقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أُبشّر رسولَ الله، فان رسول الله من أمرك في غم شديد. فأنعم له علي عليه السلام.

فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبيّ فقال له: البشرى. قال: وما بشراك يا أبا ذر؟ قال: قدم علي بن أبي طالب. فقال له: لك بذلك الجنة، ثم ركب النبيّ (صلى الله عليه وآله) وركب معه الناس.

فلما رآه علي عليه السلام أناخ ناقته، ونزل رسول الله، فتلقّاه والتزمه وعانقه ووضع خدّه على منكب علي: وبكى النبي (صلى الله عليه وآله) فرحاً بقدومه وبكى معه علي عليه السلام ثمّ قال له رسول الله: ما صنعت بأبي أنت وأمي، فان الوحي أُبطئ عليّ في أمرك؟ فأخبره بما صنع، فقال رسول الله: كان الله عزّ وجل أعلم بك منّي حين أمرني بإرسالك[1].

وفود الحضرمي من البحرين وعزله:

روى ابن سعد في «الطبقات»: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد كتب إلى العلاء ابن الحضرمي أن يقدم إليه بعشرين رجلاً من عبد القيس من البحرين.

فاستخلف العلاء المنذر بن ساوى العبدي وقدم على النبي بعشرين رجلاً منهم يرأسهم عبد الله بن عوف الأشج، ولكنّ هذا الوفد شكا إلى النبيّ من العلاء، فعزله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولّى مكانه (على البحرين وهجر) أبان بن سعيد بن العاص، وقال له: استوص بعبد القيس خيراً، وأكرم سراتهم[2].

فسأله أبان أن يحالف عبد القيس فأذن له بذلك.

---

(١) الإقبال ٤١ ـ ٣٨: ٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٤ ق ٧٧: ٢، وعنه في مكاتيب الرسول ٢٠٢: ٣.

ولعلّ هذا ونحوه هو الذي حمل أهل نجران النصارى على وفودهم إلى المدينة.

مباهلة أساقفة نجران(١):

وروى الطبرسي عن الربيع بن أنس وابن إسحاق والكلبي: أن سورة آل عمران إلى نيف وثمانين آية منها، نزلت في وفد نجران(٢)، وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر رجلاً ثلاثة نفر يؤول إليه أمرهم: العاقب عبد المسيح أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيّد الأيهم ثمالهم وصاحب رحلهم، وأبو حارثة بن علقمة إمامهم وحبرهم وصاحب مدراسهم، وكان قد درس كتبهم وشرف فيهم، فكان ملوك الروم قد شرّفوه وموّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده.

قدموا على رسول الله المدينة في مسجده بعد صلاة العصر، عليهم ثياب الحِبرات جُبب وأردية في جمال رجال بني الحارث، وحانت صلاتهم ومعهم ناقوسهم فأخرجوه يضربون به واصطفّوا ليصلوا في مسجد رسول الله، فقالت الصحابة: يا رسول الله، هذا في مسجدك؟! فقال رسول الله: دعوهم. فصلوا إلى المشرق.

---

(١) الأساقفة جمع الأُسقف، وهو معرّب من اليونانية: ايسكو، كما في الوثائق السياسية: ٥٨٢، أو هي: ايسكوس، ومعناها الرقيب الناظر، كما في دائرة المعارف للبستاني، أو هو بمعنى العالم المتخاشع في مشيته، وهو فوق القسّيس ودون المطران، كما في أقرب الموارد، والقاموس، ولسان العرب، والنهاية.
ونجران اليوم تقع في خريطة المملكة السعودية في حدودها قرب بلاد همدان من اليمن. وفي السيرة النبوية لزيني دحلان: نجران بلدة كبيرة واسعة تشتمل على ثلاث وسبعين قرية، وهي بين عدن وحضرموت قرب صنعاء. فيها بنو الحارث بن كعب، وبنو عبد المدان من بني الحارث بنوا بها بيعة على بناء الكعبة وسمّوها كعبة نجران، وكان أساقفتها معتمّين كما في نجرمن تاج العروس ومعجم البلدان ٢٦٨: ٥، وانظر مكاتيب الرسول ٤٩٨: ٢ و ٤٩١ في الهامش.

(٢) ابن إسحاق في السيرة ٢٢٥: ٢، وحكاه الواحدي في أسباب النزول: ٨٤ عن المفسرين.

ثم تكلم السيد والعاقب مع رسول الله، فقال لهما رسول الله: أسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك! فقال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما للّه ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير!

فقالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟

فقال لهم النبيّ: ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربّنا حيّ لا يموت، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كل شيء ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا!

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى.

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما عُلّم؟ قالوا: لا!

قال: فإنّ ربّنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء، وربّنا لا يأكل ولا يشرب ولا يُحدث، قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أُمّه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غُذّي كما يُغذّى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويُحدث؟ قالوا: بلى!

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟! فسكتوا، فأنزل الله فيهم سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها[1].

---

(١) مجمع البيان ٦٩٦ ٦٩٥ : ٢، وأشار إليه في التبيان ٣٨٨ : ٢ عن الربيع وابن إسحاق فقط، وابن إسحاق في السيرة ٢٢٢ : ٢ عن كرز بن علقمة أخي أبي حارثة، وعن محمد بن جعفر بن الزبير، ولم يذكر إقدام الرسول للمباهلة بأهل بيته ﷺ.

وقال المفيد في «الإرشاد»:

قال الأُسقُف: يا محمد، ما تقول في السيّد المسيح؟

قال النبي: هو عبد للّه اصطفاه وانتجبه.

فقال الأُسقُف: يا محمد، أتعرف له أباً ولده؟

فقال النبيّ: لم يكن من نكاح فيكون له والد.

فقال الأُسقُف: فكيف قلت: إنّه عبد مخلوق وأنت لم ترَ عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح؟!

فأنزل الله سورة آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[1] فتلاها عليهم ودعاهم إلى المباهلة وقال: إن الله عزّ اسمه أخبرني: أنّه يُنزل العذاب عقيب المباهلة على المُبطل وبذلك يبيّن الحق من الباطل.

فتشاوروا واجتمع رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذلك.

فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأُسقُف: انظروا محمداً في غدٍ فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء!

فلما كان من الغد جاء النبي آخذاً بيد علي، والحسن والحسين يمشيان بين يديه وفاطمة تمشي خلفه. وخرج النصارى يقدمهم أُسقُفهم، فلما رأى الأُسقُف النبي ومن معه سأل عنهم، فنظر الأُسقُف إلى السيد والعاقب وعبد المسيح وقال لهم: انظروا إليه قد جاء بخاصّته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقّه، والله ما جاء بهم وهو يتخوّف الحجة عليهم، فاحذروا مباهلته، والله لولا مكان قيصر

(١) آل عمران: ٦١.

لأسلمت له! ولكن صالحوه على ما يتّفق بينكم وبينه وارجعوا إلى بلادكم وارتؤوا لأنفسكم! فتبعوه.

فقال الأسقف: يا أبا القاسم، إنّا لا نباهلك ولكنّنا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبي على ألفي حلة قيمة كل حلّة أربعون درهماً جياداً فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي (صلى الله عليه وآله) كتاباً بما صالحهم عليه.

وكان الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لنجران وحاشيتها: في كل صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق لا يؤخذ منه شيء منهم غير ألفي حلة من حُلل الأواقي[1] ثمن كلّ حُلّة أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك، يؤدّون ألفاً منها في صفر، وألفاً منها في رجب. وعليهم أربعون ديناراً مثواة رسولي مما فوق ذلك. وعليهم في كل حدث يكون باليمن من كل ذي عَدَن: عارية مضمونة ثلاثون درعاً وثلاثون فرساً وثلاثون جملاً عارية مضمونة، لهم بذلك جوار الله وذمة رسول الله محمد بن عبد الله، فمن أكل الربا بعد عامهم هذا فذمّتي منه بريئة» وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا.

المباهلة بالنساء وأبناء الخلفاء:

وأغرب السيوطي في تفسير الآية بما أخرجه عن ابن عساكر (م ٥٧١ ه) عن الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام قال: فجاء صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وولده! وبعمر وولده! وبعثمان وولده! وبعلي وولده![2] ولحق به الحلبي (م ١٠٤٤ ه) في سيرته فروى: أنّهم تشاوروا مع بني قريظة(؟!) فلم يحضروا للمباهلة رأساً، فقال عمر للنبيّ (صلى الله عليه وآله): لو كنت لاعنتهم فبيد من كنت تأخذ؟ فقال (صلى الله عليه وآله): كنت آخذ بين عليّ والحسن والحسين وفاطمة وحفصة وعائشة! ثم زاد: وهذا يدلّ عليه قوله

(١) الأواقي: جمع الأوقية، والأوقية وزن يعادل وزن أربعين درهماً.
(٢) الدر المنثور ٣٨: ٢ و ٣٩.

تعالى: «ونساءكم ونساءنا» قال: وفي لفظ (؟!): أ نّهم واعدوه على الغد فلما أصبح جاء ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي ثم مال إلى اختيار ما نقله أولاً ورجّحه على هذه الرواية المتواترة الثابتة القطعية[1] هذا وقد انقرض بنو قريظة قبل هذا بكثير فكيف شاوروهم؟!

ولعلّه أخذ ما رواه عن الصادق عن الباقر عليه‌السلام من الصحف فأُصيب بداء التحريف، فقد روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه‌السلام» عن أبيه الكاظم عليه‌السلام: أن هارون الرشيد سأله: كيف قلتم إنّكم ذريّة النبي وهو لم يعقّب ذكراً وأنتم ولد البنت؟!

فقلت... إلى أن قال: أزيدك يا أمير المؤمنين! قال: هات. فتلى عليه آية المباهلة ثم قال: ولم يدّع أحد أن النبي عند المباهلة مع النصارى أدخل تحت الكساء إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين، فكان تأويل قوله: «أبناءنا»: الحسن والحسين، و«نساءنا»: فاطمة، و«أنفسنا»: علي بن أبي طالب عليه‌السلام[2].

وقال المرتضى في «الشافي»: لأنّه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه في المباهلة[3].

ولعلّه أعجب من ذلك كله ما أثاره السيّد رشيد رضا عن شيخه قال: إنّ الروايات متّفقة على أنّ النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما، ويحملون كلمة «نساءنا» على فاطمة، وكلمة «أنفسنا» على عليّ فقط، ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنّة[4].

---

(١) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ٢٤٠: ٣ وانظر مكاتيب الرسول ٥٠٦: ٢.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ٨٥ ٨٤: ١.
(٣) كما في تلخيص الشافي ٧: ٣.
(٤) تفسير المنار ٣٢٢: ٣.

وعلّق عليه المحقّق الطباطبائي فقال: وهذا الكلام ـ وأحسب أن الناظر فيه يكاد يتّهمنا في نسبته إلى مثله! واللبيب لا يرضى بإيداعه وأمثاله في الزبر العلمية ـ إنّما أوردناه (على وهنه وسقوطه) ليُعلم أن النزعة العصبية إلى أين تورد صاحبها من سقوط الفهم ورداءة النظر، فيهدم كلّ ما بنى عليه ويبني كلّ ما هدمه ولا يبالي[١].

متى نزلت آل عمران؟

نحن ـ محرّر هذا الكتاب ـ بدأنا به وقد قرّرنا أن يكون تاريخاً للإسلام والقرآن الكريم نزولاً وأسباباً، وفي ترتيب النزول:

روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن «الإيضاح» لأحمد الزاهد بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن علي عليه السلام عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أخبره عن أوّل ما نزل عليه بمكة: فاتحة الكتاب ثم «اقرأ» إلى أن قال: وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران. واقرأ في ابن إسحاق: أنها إلى نيف وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران[٢] ونقله عنه وعلى الكلبي الطوسي والطبرسي[٣] وقال الأحمدي: لا خلاف في المؤرخين أن وفودهم كان للعام العاشر[٤] بل إنما كان في ذي الحجة من التاسعة وفي العاشرة كان في الحج وعلي كان في اليمن و لحق به ثم كان الغدير، فنزول آل عمران إنما هو في أواخر التاسعة.



(١) الميزان ٢٣٥: ٣ و ٢٣٦ وانظر مكاتيب الرسول ٥٠٧ ٥٠٦: ٢.
(٢) ابن إسحاق فب السيرة ٢٢٥: ٢.
(٣) التبيان ٣٨٨: ٢ ومجمع البيان ٦٩٦ ٦٩٥: ٢.
(٤) مكاتيب الرسول ٤٩٦: ٢.

الفصل الخامس

أهم حوادث السنة العاشرة للهجرة

السنة العاشرة:

قال المسعودي: في شهر ربيع الأول توفي إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنّما عاش سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام[1].

روى الحلبي في «المناقب» عن تفسير النقاش بإسناده عن ابن عباس قال: كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبّل هذا وتارة يقبّل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من ربّ العالمين.

فلما سُرّى عنه قال: أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إن ربّك يقرأ عليك السلام ويقول: لستُ أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه.

ثم نظر إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى الحسين فبكى وقال: إنّ إبراهيم أُمّه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي! ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أُؤثر حُزني على حزنهما، يا جبرئيل، يقبض إبراهيم فديته للحسين.

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٣٨.

فقُبض بعد ثلاث. فكان النبي إذا رأى الحسين مُقْبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم[١].

وروى البرقي في «المحاسن» بسنده عن الكاظم عليه السلام قال: لما قبض إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جرت في موته ثلاث سنن:

أما واحدة: أن الشمس انكسفت فقال الناس: إنّما انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله! فصعد رسول الله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلّوا[٢].

قال: ثم نزل من المنبر فصلّى بالناس الكسوف.

فلما سلّم قال: يا علي، قم فجهِّز ابني. فقام علي فغسّل إبراهيم وحنّطه وكفّنه، ومضى رسول الله حتى انتهى به إلى قبره. فقال الناس: إن رسول الله نسي أن يصلي على ابنه لما دخله من الجزع عليه!

فانتصب قائماً ثم قال: إن جبرئيل أتاني وأخبرني بما قلتم: زعمتم أني نسيت أن أُصلّي على ابني لما دخلني من الجزع! إلا وأنّه ليس كما ظننتم؛ ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرني أن لا أُصلي إلا على مَن صلّى.

ثم قال: يا علي انزل والحد ابني، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده. فقال الناس: إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله بابنه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أيها الناس، إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حلّ أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عنه ذلك من الجزع ما يحبط أجره[٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٨٩ ٨٨: ٤.
(٢) المحاسن للبرقي ٣١ ـ ٢٩: ٢ وفي فروع الكافي ٢٠٩ ٢٠٨: ٣ ح ٧.
(٣) تاريخ اليعقوبى ٨٧: ٢ و التنبيه و الإشراف: ٢٣٨.

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون[١].

إسلام سائر العرب بنجران:

قال ابن إسحاق: في سنة عشر للهجرة في شهر ربيع الآخر. بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً فإن استجابوا يقبل منهم وإن لم يفعلوا يقاتلهم، وإن أسلموا يقيم فيهم يعلّمهم كتاب الله وسنّة نبيّه ومعالم الإسلام.

فلما وصل إليهم خالد بعث ركباناً ينادون: أيها الناس، أسلموا تسلموا، فأسلموا. فكتب خالد إلى النبي (صلى الله عليه وآله) يقول فيه:

وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، وأُعلّمهم معالم الإسلام وسنّة النبيّ، حتى يكتب إليّ رسول الله، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته».

فكتب إليه رسول الله[٢].

إسلام بني نُمير:

وروى النُميرى البصرى (م ٢٦٢ ه) في كتابه «تاريخ المدينة المنوّرة» عن أشياخ من بني نمير النجديّين عن آبائهم: أ نّهم وفدوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ليسلموا فيَسلموا من خالد بن الوليد، فدنا منه شريح بن الحارث فأسلم وقال: آخذ أماناً، قال لمن تأخذ؟ قال: آخذ لبني نمير كلّها، قال: إني بعثت خالد بن الوليد إلى

(١) أمالي الطوسي: ٣٨٨ ح ١٠١ / ٨٥٠.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٢٤٠ ٢٣٩ : ٤، ونقله في بحار الأنوار ٣٧٠: ٢١ عن المنتقى. وانظر مكاتيب الرسول ٥١٥ ـ ٥١٠: ٢.

أهلكم، وهذه براءتكم، فكتب إليه كتاباً فيه: إذا أتاك كتابي هذا فانصرف إلى أهل العمق من أهل اليمامة، فإن بني نمير قد أتوني فأسلموا وأخذوا لقومهم أماناً.

وقاتل خالد في البحرين:

وروى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد بعث خالد بن الوليد إلى البحرين (وكان قد عهد إليه في دماء المعاهدين من اليهود والنصارى ولم يعهد إليه في المجوس) فأصاب بها دماء قوم من اليهود والنصارى والمجوس، فكتب إلى رسول الله: «إنّي أصبت دماء قوم من اليهود والنصارى فوديتهم ثمانمئة، وأصبت دماء قوم من المجوس، ولم تكن عهدت إليّ فيهم عهداً».

فكتب إليه رسول الله: «إنّ ديّتهم مثل ديّة اليهود والنصارى، فإنّهم أهل كتاب»[1].

سريّة علي عليه السلام إلى اليمن:

أفاد المفيد في «الإرشاد»: ما أجمع عليه أهل السير: أن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن(؟) يدعوهم إلى الإسلام، فأقام خالد على القوم ستّة أشهر (من ربيع الآخر إلى آخر رمضان أو أوائل شوّال) فلم يجبه أحد منهم (كذا!) فساء ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمره أن يُقفِل خالداً وإن أراد أحد ممن مع خالد أن يُعقّب معك فاتركه[2].

وزاد المفيد في مقاصد إيفاده عليه السلام قال: أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إيفاده إلى

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ١٢١: ٤ والاستبصار ٢٦٨: ٤ والتهذيب ١٨٦: ١٠.
(٢) الإرشاد ٦٢ ٦١: ١.

اليمن ليعلّمهم الأحكام، ويعرّفهم الحلال والحرام، ويحكم فيهم بأحكام القرآن والإسلام، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، تنفذني للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء؟ فقال له: ادنُ منّي. فدنا منه فضرب بيده على صدره وهو يقول: اللهم اهد قلبه، وثبّت لسانه[١] وفهّمه القضاء، وقال له: إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأوّل حتى تسمع من الآخر، فإنّك إذا فعلت ذلك تبيّن لك القضاء[٢].

وقال له: يا علي، لا تقاتلنّ أحداً حتى تدعوه، وايم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي[٣] يعني تكون واليه ووارثه إذا لم يكن له وارث مسلم[٤]. فهو وارث من لا وارث له وكيلاً من قبل النبي (صلى الله عليه وآله).

وقال له: يا علي، أُوصيك بالدعاء فإن معه الإجابة، وبالشكر فإنّ معه المزيد، وإيّاك أن تخفر عهداً أو تعين عليه، وأنهاك عن المكر، فإنه «لا يحيق المكر السيء إلا بأهله» وأنهاك عن البغي، فإنه مَن بُغي عليه لينصرنّه الله»[٥].

ثم أمره أن يعسكر بقُباء، فعسكر بها حتى يجتمع معه أصحابه. ثم عقد له رسول الله يومئذٍ لواءً: أخذ عِمامة فلفّها مثنّية مربّعة فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه وقال: هكذا اللواء! وعمّمه عمامة ثلاثة أكوار، وجعل منها ذراعاً بين يديه، وشبراً من ورائه، وقال: هكذا العِمّة.

---

(١) الإرشاد ١٩٥ ١٩٤ : ١ وبهامشه مصادر عديدة، وإعلام الورى ٢٥٨ : ١ وبهامشه مصادر أُخرى كثيرة.

(٢) كتاب من لا يحضره الفقيه ١٣ : ٣ ح ٣٢٢٨، ط. الغفّاري، وفي البداية والنهاية: أنّه قالها له ذلك عند بعثه إلى اليمن، كما عنه في سيرة المصطفى: ٦٧٩.

(٣) الكافي ٨: ٥ ب ١ ح ١٤ و: ٣٦ ب ١٤ ح ٤، والفقيه ١٧٣ : ٢ ب ٦٧ ح ٢، والتهذيب ١٤١ : ٦ ب ٦٢ ح ٢.

(٤) بحار الأنوار ٣٦١ : ٢١.

(٥) أمالي الطوسي: ٥٩٧ ح ١٢٣٩.

ثم قال له: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم حتى تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا: لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تصلّوا؟ فإن قالوا: نعم، فقل لهم: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردّونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت!

ثم خرج في ثلاثمئة فارس إلى أرض مذحِج[١] إلى جمع من زُبيدٍ وغيرهم[٢].

إسلام همدان:

وحيث قال النبي لعلي عليه السلام: إن أراد أحد ممن مع خالد أن يعقب معك فاتركه، كان ممن مع خالد البراء بن عازب الأنصاري فتعقّب عن خالد مع علي عليه السلام.

فروى عنه المفيد قال: بلغ الخبر همدان فتجمّعوا له، فصلّى بنا علي عليه السلام الفجر، ثم تقدّم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأسلم كل همدان في يوم واحد.

وكتب أمير المؤمنين بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما قُرئ كتابه ابتهج واستبشر وخرّ ساجداً شكراً للّه عزّ وجل ثم رفع رأسه فجلس، وقال: السلام على همدان، السلام على همدان.

وبعد إسلام همدان تتابع أهل اليمن على الإسلام[٣].

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ١٠٧٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٨٢.

(٣) الإرشاد ١: ٦٢. ونحوه في التنبيه والإشراف: ٢٣٨. وعليه فإسلام أهل اليمن تابع بعد إسلام همدان.

وبنو زبيد بأرض مَذحج:

قال الواقدي: قالوا: لما انتهى إلى أرض مَذْحِج فرّق أصحابه قبل أن يلقاهم جَمْعٌ، فرجعوا إليه بغنائم من نَعَم وسبي، فجعل على الغنائم بُريدة بن الحُصيب.

ثم لقي جمعاً منهم، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فدفع لواءه إلى مسعود بن سنان السُلمي، فبرز رجل من مَذحج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسود السُلمي وهما فارسان فتجاولا ساعة حتى قتل الأسود الرجل وأخذ سلَبه.

ثم حمل عليهم علي عليه السلام بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتركوا لواءهم قائماً وانهزموا وتفرّقوا، فكفّ عن تعقيبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فسارعوا بالإجابة وتقدّم نفر من رؤسائهم فبايعوه وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه أموالنا فخذ منها حق الله[1].

فلما ظهر علي عليه السلام على عدوّه ودخلوا في الإسلام، جمع ما غنم منهم وأضافه إلى بريدة بن الحُصيب: وأقام بين أظهرهم، وكتب إلى رسول الله كتاباً يخبره فيه: أنّه لقى جمعاً من زبيد وغيرهم، فدعاهم إلى الإسلام وأعلمهم أ نّهم إن أسلموا كفّ عنهم، فأبوا ذلك، فقاتلهم «فرزقني الله الظفر عليهم حتى قُتل من قُتل منهم ثم أجابوا إلى ما كان عُرض عليهم فدخلوا في الإسلام، وأطاعوا بالصدقة، وأتى بشر منهم فعلّمتهم قِراءة القرآن» وبعث به إليه مع عبد الله بن عمرو المُزني.

ورجع عبد الله المزني إليه بأمره صلى الله عليه وآله إيّاه أن يوافيه في الموسم[2].

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٨٠ ١٠٧٩ : ٢.

(٢) المصدر السابق ١٠٨٢ ١٠٨١ : ٢. وفيه أن كعب الأحبار لما بلغه قدوم علي عليه السلام إلى اليمن أقبل إليه فوافاه وسمع بعض خطبه فصدّقه، ثم استخبره عن صفة النبيّ فأخبره فتبسّم وقال: يوافق ما عندنا من صفته، ثم سأله عمّا يحلّ ويحرّم، فأخبره فقال: هو عندنا كما وصفت، وصدّق به وآمن.

من قضايا علي عليه السلام في اليمن:

قال المفيد في «الإرشاد»: لما استقرت به الدار باليمن ونظر في ما ندبه إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من القضاء والحكم بين المسلمين، رُفع إليه رجلان بينهما جارية يملكان رقّها على السواء، فلقرب عهدهما بالإسلام وقلّة معرفتهما بما تضمّنته الشريعة من الأحكام جهلا حَظْرَ وطئها بل ظنّا جواز ذلك، فوطئاها معاً في طهر واحد، فحملت الجارية ووضعت غلاماً، فاختصما فيه إلى علي عليه السلام.

فقال عليه السلام لهما: لو علمت أنّكما أقدمتما على ما فعلتماه بعد الحجة عليكما بحظره، لبالغت في عقوبتكما! ثم قرع على الغلام باسميهما، فخرجت القُرعة لأحدهما، فالحق الغلام به وألزمه نصف قيمته لشريكه؛ لأنّه عبدٌ له.

ولما بلغ ذلك رسول الله قال: الحمد للّه الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داوود وسبيله في القضاء. يعني القضاء بالإلهام[١].

ثم رُفع إليه عليه السلام وهو باليمن: خبر زُبية (حُفرة بمكان عالٍ) حُفرت للأسد فوقع فيها، فغدا الناس ينظرون إليه، فوقف على شفير الزُبية رجل فزّلت قدمه فتعلّق بآخر وتعلّق الآخر بثالث وتعلّق الثالث بالرابع فوقعوا في الزُبية فهلكوا جميعاً.

فقضى عليه السلام: أن الأول فريسة الأسد وعليه ثلث الديّة للثاني، وعلى الثاني ثلثا الديّة للثالث، وعلى الثالث الديّة كاملة للرابع.

وانتهى الخبر بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله عز وجل فوق عرشه[٢].

---

(١) الإرشاد ١٩٥: ١ والخبر عن الباقر عليه السلام في فروع الكافي ٤٩١: ٥ وكتاب من لا يحضره الفقيه ٥٤: ٣ وتهذيب الأحكام ٢٣٨: ٦.

(٢) الإرشاد ١٩٦: ١، والخبر عن الصادق عليه السلام في فروع الكافي ٢٨٦: ٧ ح ٣ وكتاب من لا يحضره الفقيه ٨٩: ٤ ح ٢٧٨، وتهذيب الأحكام ٢٣٩: ١٠ ح ٩٥١، وفي مغازي الواقدي=

ثم رُفع إليه: خبر جارية حملت جارية على عاتقها في اللعب، فقرصت أخرى الحاملة فقفزت لذلك فوقعت الراكبة فاندقّ عنقها وهلكت.

فقضى عليه السلام: على القارصة بثلث الديّة، وعلى القامصة (القافزة) بثلثها، وأسقط الثلث الباقي لركوب الواقصة (الواقعة) عبثاً.

وبلغ الخبر بذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فأمضاه وشهد له بالصواب[(١)].

ووقع حائط فقتل جمعاً فيهم حرّة ولها طفل من حُرّ، ومملوكة ولها طفل من مملوك، فلم يعرف الحر من المملوك.

فقرع بينهما وحكم بالحرّية لمن خرج له سهم الحرية، وبالرق لمن خرج له سهم الرق، وحكم في ميراثهما بالحكم في الحرّ ومولاه. فأمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا القضاء وصوّبه[(٢)].

وروى الكليني في «فروع الكافي» بسنده عن الباقر عليه السلام قال: أفلت فرس لرجل من أهل اليمن، ومرّ يعدو، فمرّ برجل فنفحه برجله فقتله. فجاء أولياء المقتول إلى الرجل فأخذوه ورفعوه إلى علي عليه السلام، فأقام صاحب الفرس البيّنة عند علي عليه السلام أنّ فرسه أفلت من داره ونفح الرجل. فأبطل علي عليه السلام دم صاحبهم.

فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا:

يا رسول الله، إنّ علياً ظلمنا وأبطل دم صاحبنا!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ علياً عليه السلام ليس بظلّام، ولم يُخلق للظلم، إنّ

=١٠٨٦: ٣ وفيه: أن عشرة منهم أتوا مع علي عليه السلام إلى الحج فجلسوا بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) فقصّوا عليه خبرهم، فقال: أنا أقضي بينكم إن شاء الله، فقالوا: يا رسول الله إنّ علياً قد قضى بيننا، فقال: فبم قضى بينكم؟ فأخبروه بما قضى به فقال: هو ما قضى به، فقال القوم: هذا قضاء من رسول الله، وقاموا.

(١) الإرشاد ١٩٦: ١، وفي المقنعة: ٧٥٠، وباختلاف في الفقيه ١٢٥: ٤، والتهذيب ٢٤١: ١٠، وأشار إلى الحديث ابن الأثير في النهاية ٤٠: ٤ و ١٠٨ و ٢١٤.

(٢) الإرشاد ١٩٧: ١.

الولاية لعلي من بعدي، والحكم حكمه، والقول قوله، ولا يرد ولايته وقوله وحكمه إلا كافر، ولا يرضى ولايته وقوله وحكمه إلا مؤمن.

فلما سمع اليمانيون قول رسول الله في علي قالوا:

يا رسول الله، رضينا بحكم علي وقوله.

فقال رسول الله: هو توبتكم مما قلتم[١].

وفد بني غامد من الأزد:

وحيث كان بعث النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام إلى اليمن المرة الثانية في شهر رمضان للعاشرة، ففي الشهر نفسه قدم وفد غامد من أزد اليمن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم عشرة، فسلّموا عليه وأقرّوا بالإسلام، وهدوا إلى أبي بن كعب فعلّمهم من القرآن، وكتب لهم رسول الله كتاباً فيه شرائع الإسلام، ولم يروَ نصّ الكتاب[٢].

ووفد الرهاويّين من مذحج:

وفي السنة نفسها ومن مذحج اليمن قدم المدينة خمسة عشر رجلاً من الرهاويّين ومعهم هدايا لرسول الله منها فرس يُدعى المرواح، ونزلوا دار رملة بنت الحارث، فأتاهم رسول الله فتحدّث عندهم طويلاً، وكتب لهم كتاباً بمئة وسق تُجرى لهم من محاصيل خيبر[٣].

---

(١) فروع الكافي ٣٥٢: ٧ ب ٤٣ ح ٨، والتهذيب ٢٢٨: ١٠ ب ١٨ ح ٣٣، والراوندي في قصص الأنبياء: ٢٨٦، وعنه في بحار الأنوار ٣٦٢: ٢١ ح ٥.

(٢) الطبقات الكبرى ١ ق ٧٦: ٢ و ٧٧ و ٣٤٥: ١، ط. بيروت، وانظر مكاتيب الرسول ٣٠٤: ١.

(٣) الطبقات الكبرى ١)القسم الثاني(: ٧٦ و ٣٤٤: ١، ط. بيروت، وانظر مكاتيب الرسول ٢٩٦: ١.

وفروة بن مُسيك المرادي:

ويُفهم من قول ابن إسحاق في سيرته: أن أول ملوك كِندة من بني مراد اليمن إسلاماً هو فروة بن مُسيك المرادي رئيس مراد، إذ قال: قدم... مفارقاً لملوك كنده ومباعداً لهم[١] ولعلّه لذلك تردّد ابن سعد أنّه كان في سنة تسع أو عشر من الهجرة[٢] بينما جزم ابن حبّان فقال: في سنة (١٠) قدم مراد ورأسهم فروة بن مسيك[٣].

وقال ابن سعد: نزل على سعد بن عبادة يتعلّم القرآن وفرائض الإسلام. واستعمله النبي (صلى الله عليه وآله) على مراد ومذحج وزُبيد[٤].

بعث معاذ إلى اليمن:

كان بنو سلمة من الخزرج بالمدينة من السابقين الأولين من المسلمين بها، منهم مُعاذ بن جبل، ولأول مرة نواجه اسمه مع ابن عمه مُعاذ بن عمرو بن الجموح من فتيان بني سلمة ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفر بني سلمة منكّساً على رأسه[٥].

إنّ طبيعة الأمور بملاحظة خارطة اليمن تقتضي تقدم الإسلام في اليمن بترتيب نجران ثم همدان ثم صنعاء ثم زبيد ثم الجند ثم عدن على منعطف البحر الأحمر نحو بحر عمان.

وفي أكثر أخبار بعث مُعاذ إنّما جاء ذكر اليمن، وإنّما جاء في بعضها ذكر مخلاف (محافظة) الجَند بعد صنعاء إلى عدن: مرّ معاذ بصنعاء في طريقه إلى

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٢٢٨: ٤.
(٢) الطبقات الكبرى ١١١: ٢.
(٣) الثقات لابن حبان ١١٧: ٢، وانظر مكاتيب الرسول ٢٥٤ ٢٥٣: ١.
(٤) الطبقات الكبرى ١١١: ٢.
(٥) ابن إسحاق في السيرة ٩٥: ٢.

الجند، فصعد منبراً فحمد الله، وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه (صلى الله عليه وآله) ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله إلى أهل اليمن[١] ثم انتهى إلى الجند وقبله جبل حوله من كندة السكون والسكاسك، فأشرف معاذ على الجبل وأذّن، فلما سمعوا صوت الأذان أقبلوا إليه سراعاً، فسألوا عنه ولما عرفوه أنه رسول نبي الله قالوا: بم أرسلك؟ فقال: هذا عهد رسول الله إذ بعثني إليكم، فأخرج عهده فقرأه عليهم، وكان في عهده:

«أُوصيك ـ يا مُعاذ ـ بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وترك الخيانة، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، وتلاوة القرآن، وإيّاك ـ يا معاذ ـ أن تصدّق كاذباً، أو تكذّب صادقاً، أو تعين ظالماً، أو تقطع رحماً، أو تشمت بمصيبة...»[٢].

ومن قضاياه في اليمن ما أرسله الصدوق عن أبي الأسود الدؤلي: أن جمعاً جاؤوا إلى معاذ بن جبل باليمن يسألونه عن ميراث يهودي مات وترك أخاً مسلماً، فقال مُعاذ: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «الإسلام يزيد ولا ينقص» فورّث المسلم من أخيه اليهودي[٣].

إرسال عمرو بن حزم إلى اليمن:

مرّ في خبر إرسال خالد بن الوليد المخزومي إلى اليمن، وكتاب النبي (صلى الله عليه وآله) إليه: «وأقبل وليُقبل معك وفدهم»: أنه أقبل ومعه وفد بني الحارث بن كعب.

---

(١) يظهر من الخبر سبق الإسلام إلى صنعاء، وذلك لإسلام باذان زعيم أبناء الفرس في اليمن وإسلام أكثرهم معه لعلمهم بصدقه في ما أخبر به من قتل خسرو رويز، وإقراره من قبله على حكمه على اليمن.

(٢) انظر مكاتيب الرسول ٥٩٨ ٥٩٧: ٢ عن الوثائق السياسية: ٢١٦ عن أمالي الحوالي: ١٢٩. وانظر من مكاتيب الرسول ٦٠٢ ـ ٦٠٠: ٢ حيث ترجم لخمسة ممن كانوا مع معاذ، فلم يكن هو وحده.

(٣) كتاب من لا يحضره الفقيه ٣٣٤: ٤ ب ١٧٠ ح ٥٧٢٠.

والخبر كان عن ابن إسحاق وهو يقول: إن وفدهم رجع إلى قومهم في أواخر شوال أو أوائل ذي القعدة للسنة العاشرة، أي قبل حجة الوداع بقليل.

وبعد أن ولّى وفدهم بعث إليهم عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي من بني النجار، ليفقّههم في الدين، ويعلّمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم.

وكتب له كتاباً أمره فيه بأمره وعهد إليه فيه عهده:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن: آمره بتقوى الله في أمره كلّه «فان الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون» وآمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلّم الناس القرآن ويفقّههم فيه، وينهى الناس أن لا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتدّ عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم ونهى عنه فقال: «إلا لعنة الله على الظالمين» ويبشّر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يُفَقّهوا في الدين، ويعلّم الناس معالم الحج وسنّته وفريضته وما أمر الله به، والحج الأكبر هو الحج والحج الأصغر هو العمرة... إلخ.

ويبدو أنّه رحل إلى نجران بأهله وهي حامل بابنه محمد، وأنّها ولدته قبل نهاية السنة العاشرة، فكتب بذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فكتب إليه رسول الله: سمّه محمداً وكنّه أبا عبد الملك[1].

الإعداد لحجّة الوداع:

روى الطبرسي في «الاحتجاج» بسنده عن الباقر عليه السلام قال: أتى جبرئيل

(١) الطبقات الكبرى ٥٠: ٥ و ط ٦٩: ٢.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له: يا محمد، إنّ الله جلّ اسمه يقرئك السلام ويقول لك: إنّي لم أقبض نبيّاً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجّتي، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج أن تبلغهما قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة بعدك؛ فإني لم أُخل أرضي من حجة ولن أُخلِها أبداً، فإنّ الله جلّ ثناؤه يأمرك أن تبلّغ قومك الحج وتحجّ ويحجّ معك من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضر والأطراف والأعراب، فتعلّمهم من معالم حجّتهم مثل ما علّمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك على مثل الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلّغتهم من الشرائع[1].

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة عشر سنين لم يحج، ثم[2] كتب إلى من بلغه كتابه ممن دخل في الإسلام أن رسول الله يريد الحج، يؤذنهم بذلك، ليحجّ من أطاق الحجّ، فأقبل الناس[3].

وأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله يحجّ عامه هذا[4]. إلا أن رسول الله يُريد الحج وأن يعلّمكم من ذلك مثل الذي علّمكم من شرائع دينكم، ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه من غيره[5].

فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب واجتمعوا لحجّ رسول الله[6].

---

(١) الاحتجاج ٦٨: ١.
(٢) فروع الكافي ٢٤٥: ٤ ح ٤ و التهذيب ٤٥٤: ٥ ح ١٥٨٨.
(٣) فروع الكافي ٢٤٩: ٤ ح ٧.
(٤) فروع الكافي ٢٤٥: ٤ ح ٤ و التهذيب ٤٥٤: ٥ ح ١٥٨٨.
(٥) الاحتجاج ٦٨: ١.
(٦) فروع الكافي ٢٤٥: ٤ ح ٤ و التهذيب ٤٥٤: ٥ ح ١٥٨٨.

واستعمل على المدينة أبا دجانة الأنصاري أو سباع بن عُرفطة الغفاري[(١)].

وخرج رسول الله في أربع بقين من ذي القعدة[(٢)] وبلغ من حجّ مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون[(٣)].

وساق الهدى أربعاً أو ستّاً وستين[(٤)] ومئة بدنة[(٥)] وعليها ناجية بن جندب الأسلمي الخُزاعي[(٦)].

وإنما انتهى النبيّ إلى ذي الحُليفة عند الظهر، ولكنّه بات فيه) ليلة الجمعة (ليجتمع إليه أصحابه والهدي، فلما اجتمع إليه نساؤه جميعاً في الهوادج، وانتهى إليه اجتماع أصحابه والهَدْي[(٧)] وزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلّى فيه الظهر[(٨)] ركعتين[(٩)] ثم عزم بالحج مفرداً[(١٠)]، ثم خرج فدعا بالهدي فأشعره في الجانب الأيمن، وقلّده نعلين قبل أن يحرم، أشعر هو بنفسه بدنة وقلدها وهو متوجه إلى القبلة، ثم أمر ناجية بن جُندب الذي كان قد استعمله على بُدنه أن يشعرها.

وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول فصُفّ له سماطان فلبّى بالحج مُفرداً[(١١)] قال: لبيك اللهم لبيك، لبيّك لا شريك لك لبيّك، إنّ الحمد والنعمة

---

(١) ابن هشام في السيرة ٢٤٨: ٤.
(٢) المصدر الأسبق.
(٣) الاحتجاج ٦٨: ١.
(٤) المصدر الأسبق.
(٥) فروع الكافي ٢٤٨: ٤ ح ٦.
(٦) بحار الأنوار ٣٩٩: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣: ١.
(٧) مغازي الواقدي ١٠٨٩: ٢ و ١٠٩٠، وفي إعلام الورى: أنّه أقام تلك الليلة لمخاض أسماء بنت عُميس الخثعمية.بمحمد بن أبى بكر.
(٨) بحار الأنوار ٣٩٠: ٢١ عن فروع الكافي ٢٣٣: ١ و ٢٤٥: ٤، ولم يصلّ الجمعة للسفر.
(٩) مغازي الواقدي ١٠٨٩: ٢، وفيه: وكان يصلي بين المدينة ومكة ركعتين آمناً لا يخاف: ١٠٩١.
(١٠) فروع الكافي ٢٤٥: ٤، و التهذيب ٤٥٤: ٥ ح ١٥٨٨ كذا، والمعروف في الفقه أنّه حجّ قِراناً كما في الروضة البهية ٤٧١: ١ ط مجمع الفكر الإسلامي.
(١١) المصدر السابق.

لك والملك، لا شريك لك[١] وكان ثوباه يمانيّين من الكُرسف[٢] وإنّما كان الناس تابعين ينظرون ما يؤمرون فيتّبعونه، أو يصنع شيئاً فيصنعونه[٣] فأحرم الناس كلهم بالحج لا ينوون عمرة، ولا يدرون ما حج التمتّع[٤] هذا وقد خرج معه كثير منهم بغير سياق هَدْي[٥].

وأصبح رسول الله يوم الأحد في منزل مَلَل، ثم راح حتى انتهى إلى شَرف السيّالة، فصلّى بها المغرب والعشاء وتعشّوا، ومشوا فتجاوز السيّالة إلى عِرق الظبية دون الرّوحاء فصلى الصبح بها ومشوا حتى نزل بالروحاء، وحضر رجل من بني نهد قد صاد حِمار وحشٍ فعقره فأهداه إليه (صلى الله عليه وآله) فقال صيد البرّ لكم حلال إلا ما صِدتم أو صيد لكم.

ثم راح رسول الله من الرّوحاء فتجاوز بدراً إلى المنصرف فصلّى المغرب والعشاء وتعشّى به، ومشوا حتى انتهى إلى الأثابة قبل الجحفة فصلّى بها الصبح.

ويوم الأربعاء نزل رسول الله السُقيا، ثم أصبح رسول الله بالأبواء، فصلّى في مكان المسجد بوادي الأبواء على يسار المتوجه إلى مكة.

ثم راح النبي حتى انتهى إلى قلعات اليمن (مرتفعاته) وكان هناك شجرة سمرة جلس النبي تحتها، وصلّى في مكان المسجد الذي في مهبط الوادي من ثنية أراك إلى الجحفة، وفي يوم الجمعة نزل الجحفة وصلّى بها في مكان المسجد الذي دون موضع خم. ويوم السبت كان في قُديد فصلّى في مكان مسجد المشلّل، ثم صلّى في مكان المسجد الذي بأسفل لَفت.

---

(١) بحار الأنوار ٣٩٦: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١.
(٢) المصدر السابق ٤٠١: ٢١، عن فروع الكافي ٢٥٩: ١. وفي مغازي الواقدي ١٠٩٠: ٣: أنّه أحرم في ثوبين صُحاريّين إزار ورداء.
(٣) المصدر السابق ٣٩٠: ١، عن فروع الكافي ٢٣٣: ١.
(٤) المصدر السابق ٣٩٥: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١.
(٥) الإرشاد ١٧٣: ١.

وفي لفت مرّ النبي (صلى الله عليه وآله) بامرأة في هودجها ومعها ولد صغير فأخذت بعضده وسألته: يا رسول الله، ألهذا حجٌّ؟ قال: نعم، ولك أجر.

وفي يوم الأحد كان في عُسفان، ثم راح حتى انتهى إلى كُراع الغميم.

وكان معه مُشاة فصفوا له صفوفاً في الغميم وشكوا إليه من شدّة المشي عليهم[١]، وأنّه قد أجهدهم وشكوا إليه الأعياء، فقال صلى الله عليه وآله: اللهم أعطهم أجرهم وقوّهم. ثمّ قال لهم: لو استعنتم بالنسلان[٢] لخفّت أجسامكم وقطعتم الطريق. ففعلوا فخفّت أجسامهم[٣].

وصول الرسول إلى مكة:

وكان (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين في مرّ الظّهْران فلم يبرح منها حتى غربت الشمس فرحل إلى الثنيتين: كُدى وكداء، فصلى المغرب والعشاء وتعشى وبات بينهما[٤] وكان ذلك في آخر اليوم الرابع من ذي الحجة[٥] فلما أصبح اغتسل ودخل مكة نهاراً[٦] وذلك من العقبة في أعلاها (كُدى إلى الأبطح) فلما انتهى إلى باب المسجد ـ باب بني شيبة ـ استقبل الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم[٧]، ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجنه (عصا قصيرة معوجة الرأس) وقبّل المحجن[٨] ثم طاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلّى

(١) مغازي الواقدي ١٠٩٧ ـ ١٠٩٢: ٣.
(٢) النسلان: سرعة الجريان بخُطى متقاربة، انظر مجمع البحرين ٤٨٣: ٥.
(٣) المحاسن للبرقي (م ٢٧٤ هـ) ١٢٨: ٢ عن الصادق عليه السلام.
(٤) مغازي الواقدي ١٠٩٧: ٢.
(٥) بحار الأنوار ٣٩٠: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣: ١، وكذلك فيه ٣٩٥: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١، وفيه ٣٨٩: ٢١، عن السرائر عن ابن محبوب.
(٦) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٧.
(٧) بحار الأنوار ٣٩٦: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١، ومغازي الواقدي ١٠٩٧: ٣، وقال اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وبرّاً.
(٨) المصدر السابق ٤٠٢: ٢١ عن فروع الكافي ٢٨٣: ١، ومغازي الواقدي ١٠٩٨: ٣ وقال بسم الله والله أكبر.

ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام[١] قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد[٢] ثم دخل زمزم (كذا) فشرب منه ثم استقبل الكعبة وقال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء وسقم. ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلأم الحجر، ثم استلمه فخرج إلى الصفا وقال لأصحابه: ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: «إنّ الصفا والمروة من شعائر الله» حتى صعد على الصفا فقام عليه[٣] واستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. قال مثل هذا ثلاث مرّات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد إلى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا[٤].

حجّ علي عليه السلام من اليمن:

وكان (صلى الله عليه وآله) قد كاتب علياً عليه السلام بالتوجّه إلى الحجّ من اليمن، ولم يذكر له نوع الحجّ الذي قد عزم عليه، فخرج أمير المؤمنين بمن معه من العسكر الذي صحبه إلى اليمن، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدْياً، ومعه الحُلل[٥] ولما بلغ يَلْملَم عقد نيّته بنيّة النبي وقال: اللهم إهلالا كإهلال نبيّك.

فلما قارب رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين عليه السلام من طريق اليمن، (فلما كان بالفُتق قرب الطائف خلّف على أصحابه أبا رافع

---

(١) المصدر السابق ٣٩٠: ٢١، عن فروع الكافي ٢٢٣: ١ و ٣٩٥: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١ و ٣٦٧: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١.

(٢) المصدر السابق ٤٠٤: ٢١، ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤ عن الصادق عن الباقر عليه السلام وفي مغازي الواقدي ١٠٩٨: ٣: ثم عاد إلى الركن فاستلمه.

(٣) المصدر السابق ٣٩٦: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١ و٢٨٤، ومغازي الواقدي ١٠٩٨: ٢.

(٤) المصدر السابق ٤٠٤: ٢١، ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤، ومغازي الواقدي ١٠٩٩: ٢.

(٥) قال الواقدي: إنها كانت خمس الغنائم، وقال المفيد: كانت جزية نصارى نجران و هو الحق.

القبطي)[١] وتقدمهم للقاء النبي (صلى الله عليه وآله)، فأدركه وقد أشرف على مكة، فسلّم وأخبره بما صنع وأنه سارع للقائه قبل الجيش.

فسُرّ رسول الله بذلك وابتهج بلقائه وكان محُرماً فسأله: بمَ أهللت يا علي؟

فقال عليه السلام: يا رسول الله، إنك لم تكتب إليّ بإهلالك ولا عرّفتنيه، فعقدت نيّتي بنيّتك وقلت: اللهم إهلالا كإهلال نبيّك. وسُقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة.

فقال رسول الله: الله أكبر، فقد سُقت أنا ستاً وستين، وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهدْيي، فأقم على إحرامك، وعُد إلى جيشك، فعجّل بهم إليّ حتى نجتمع بمكة إن شاء الله. فودّعه أمير المؤمنين عليه السلام وعاد إلى جيشه.

فوجدهم (عند السدرة داخلين مكة)[٢] قد لبسوا الحُلل التي كانت معهم، فقال للذي استخلفه عليهم (أبي رافع):

ويلك ما دعاك إلى أن تعطيهم الحُلل قبل أن ندفعها إلى النبي ولم أكن أذنت لك في ذلك؟

فقال الرجل: سألوني أن يتجمّلوا بها ويُحرموا فيها ثمّ يردّونها علي.

فانتزعها أمير المؤمنين عليه السلام من القوم وشدّها في الأعدال[٣].

خطبته بعد طوافه وسعيه:

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام: أنّه (صلى الله عليه وآله) لما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه.

(١) مغازي الواقدي ١٠٨٠: ٣.
(٢) المصدر السابق ١٠٨١: ٣.
(٣) الأعدال: جمع عدل، أحد جانبي حمل الحيوان. الإرشاد ١٧٣ ١٧٢: ١، ورواه ابن إسحاق في السيرة ٢٥٠: ٤ إلا أنّه قال: فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا جبرئيل ـ وأومأ بيده إلى خلفه ـ يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يُحلّ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكنّي سُقت الهدى، ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل «حتى يبلغ الهدى محلّه».

فقال رجل من القوم: أنخرجنّ حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟! (يعني من غسل الجنابة).

فقال له رسول الله: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً!

فقال سُراقة بن مالك الكناني: يا رسول الله، علّمنا ديننا كأنّنا خلقنا اليوم: فهذا الذي أمرتنا به ألِعامنا هذا؟ أم لما يستقبل؟

فقال له رسول الله: بل هو للأبد إلى يوم القيامة، وشبّك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة[1].

ثم أمر مناديه فنادى: لمن لم يَسُقْ منكم هدْياً فليُحلّ وليجعلها عمرة، ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه.

فأطاع بعض الناس في ذلك وخالف بعض، فأنكر رسول الله على من خالف في ذلك وقال: لولا إني سقت الهدْي لأحللت وجعلتها عمرة، فمن لم يَسُقْ هدْياً فليُحلّ. فرجع قوم وأقام آخرون على الخلاف، وقال بعضهم: إنّ رسول الله أشعث أغبر ونلبس الثياب ونقرب النساء ونُدْهِن؟! وقال آخرون: أما تستحيون أن تخرجوا ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله على إحرامه؟!

وكان فيمن أقام على الخلاف للنبي (صلى الله عليه وآله) عمر بن الخطاب، فاستدعاه

(١) بحار الأنوار ٣٩١: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤ ٢٣٣: ١. وفيه ٣٩٥: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١، وفيه ٤٠٤: ٢١، ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤ عن الصادق عن الباقر عن جابر، ولفظه: فمن كان منكم ليس معه هدْي فليُحلّ وليجعلها عمرة. ونقلها المجلسي عن المنتقى للكازروني.

رسول الله وقال له: مالي أراك يا عمر محرماً أسقت هدياً؟! قال: لم أسق! قال: فلِمَ لا تحل وقد أمرت من لم يسق الهدي بالإحلال؟ فقال: يا رسول الله، والله لا أحللت وأنت محرم! فقال له النبي: إنك لن تؤمن بها حتى تموت[١].

ثمّ لم ينزل النبي (صلى الله عليه وآله) بمكة، فقالت له أم هانئ بنت أبي طالب: يا رسول الله، إلا تنزل في بيوت مكة؟ فأبى[٢] وخرج منها إلى الأبطح بين مكة ومنى فنزل بها هو وأصحابه، حتى يوم التروية[٣] أي بقية يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة[٤].

وقدم علي عليه السلام من اليمن فطاف وصلى وسعى (ولم يقصر) والتقى بالنبي (صلى الله عليه وآله) ورآه كذلك لم يقصّر، ثم دخل على فاطمة وهي لم تسُق هدْياً فأحلّت كما أمر رسول الله، فوجد عليها ثياباً مصبوغة ووجد ريحاً طيّباً، فقال لها: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت: بهذا أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فخرج علي عليه السلام إلى رسول الله مستفتياً فقال: يا رسول الله، إني وجدت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟!

فقال له رسول الله: أنا أمرت الناس بذلك، وأنت قرّ على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي[٥].

ورواه ابن إسحاق وزاد: أن جيش علي عليه السلام أظهر الشكوى منه لما صنع بهم فروى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته

---

(١) الإرشاد ١٧٤ ١٧٣ : ١. و انظر الغدير ٢١٨ ـ ١٩٨ : ٦ و معالم المدرستين ٢٣٢ ـ ١٨٨ : ٢.
(٢) مغازي الواقدي ١١٠٠ : ٣.
(٣) المصدر الأسبق ٣٩٢ : ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣ : ١.
(٤) مغازي الواقدي ١١٠٠ : ٣.
(٥) المصدر الأسبق ٣٩١ : ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣ : ١، وفيه ٣٩٦ : ٢١، عن السابق ٢٣٤ : ١، وفيه ٣٨٣ : ٢١، عن أمالي الطوسي مختصراً، وفيه ٤٠٤ : ٢١ عن المنتقى، وهو في صحيح مسلم ٣٦ : ٤، عن الصادق عن الباقر عن جابر. وابن إسحاق في السيرة ٢٤٩ : ٤، عن عبد الله بن نجيح وفي مغازي الواقدي ١٠٨٧ : ٣.

يقول: أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله انه لأحسن في سبيل الله من أن يشكى[١].

ورواه الواقدي عن أبي سعيد الخدري وكان معه في تلك الغزوة قال: إنهم لما قدموا على رسول الله شكوه إليه، فدعا علياً فقال له: ما لأصحابك يشكونك؟ فقال: قسمت عليهم ما غنموا وحبست الخمس حتى يُقدم عليك وترى رأيك فيه، وقد كان الأمراء ينفّلون من الخمس من أرادوا، فرأيت أن أحمله إليك لترى رأيك فيه. قال: فسكت النبي[٢].

وزاد المفيد: ثم أمر مناديه فنادى في الناس: ارفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب فإنه خشن في ذات الله عزّ وجل، غير مداهن في دينه[٣].

ويبدو أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد كسى الكعبة بتلك الحبرات من برود وكانت الكعبة على عهده ثمانية عشر ذراعاً[٤] أي نحواً من ستّة أمتار، فأصبح ذلك سنّة من بعده.

ومكث النبي في بطحاء مكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهو يوم التروية[٥].

وخرج لمناسك الحج:

روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما كان زوال الشمس من يوم التروية أمر رسول الله الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحجّ. ثم خرج النبيّ وأصحابه مهلّين بالحج ملبّين حتى أتى منى فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٢٥٠: ٤.
(٢) مغازي الواقدي ١٠٨١: ٣ هكذا بتر الخبر.
(٣) الإرشاد ١٧٣: ١.
(٤) مغازي الواقدي ١١٠: ٣.
(٥) المصدر السابق.

والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، ثم أمر أن تضرب له قبّة من شعر بنمرة من موقف عرفات، ثم سار رسول الله ولم يأخذ بين المأزمين بل أخذ طريق ضبّ إلى عرفات.

وكانت قريش تُفيض من طريق المزدلفة ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فكانوا يرجون أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون... وقال الله تعالى: {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله.{

وفي خبر جابر الأنصاري: أن قريشاً كانت تقف عند المشعر الحرام ولا تجوزه، فلم تكن تشك في ذلك منه (صلى الله عليه وآله)، فأجاز رسول الله حتى أتى عرفة فلما رأت قريش أن قبّة رسول الله مضت كأنّه دخل في أنفسهم شيء من ذلك.

وانتهى النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى نمرة بحيال شجر الأراك من بطن عُرنة من عَرفة[١] فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتى زاغت الشمس.

فلمّا زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فرُحلت له[٢] فخرج وقد اغتسل[٣] فقال: أيها الناس، إن الله باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامة! ثمّ التفت إلى علي عليه السلام فقال: ويغفر لعلي خاصة، ثم قال: ادن مني يا علي. ودنا منه فأخذ بيده وقال: إن السعيد كلّ السعيد حق السعيد من أطاعك وتولّاك من بعدي، وإنّ الشقي كل الشقي حقّ الشقي من عصاك ونصب لك عداوة بعدي[٤] ثم ركب وسار حتى وقف حيث المسجد اليوم[٥] في بطن الوادي، فخطب الناس[٦] فقال:

(١) المصدر الأول في هذا العنوان.
(٢) المصدر الثاني من هذا العنوان، ومغازي الواقدي ١١٠١: ٣.
(٣) المصدر الأول في هذا العنوان.
(٤) أمالي المفيد: ١٦١.
(٥) بحار الأنوار ٣٩٢: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣: ١.
(٦) المصدر السابق ٤٠٥: ٢١. ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤ عن الصادق عن الباقر عن جابر، وعليه فالخطبة الأولى كانت في عرفات.

«الحمد للّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثّكم على العمل بطاعته، واستفتح الله بالذي هو خير.

أيها الناس! اسمعوا منّي ما أبين لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أ يّها الناس! إنّ دماءكم و أعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا. إلا هل بلّغت؟ اللهم اشهد. فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها.

وإنّ ربا الجاهلية موضوع، وإنّ أوّل ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلّب.

وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أول دم أبدأ به[١] دم ابن ربيعة بن الحارث (بن عبد المطلب) كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل[٢].

وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية[٣].

والعمد قود[٤] وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر، وفيه مئة بعير، فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضى بأن يطاع في ما سوى ذلك في ما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا

---

(١) تحف العقول: ٢٩.
(٢) المصدر الأسبق.
(٣) المآثر: المفاخر، والسدانة: خدمة البيت، والسقاية: سقاية زمزم للحجّاج.
(٤) القود: القصاص.

﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ...﴾[١] وإن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السماوات والأرض و﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ...﴾[٢]: ثلاثة متوالية وواحدٌ فرد: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، ورجب بين جُمادى وشعبان. إلا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنّ لنسائكم عليكم حقّاً ولكم عليهن حقاً، حقكم عليهن: أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، وأن لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهنّ وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيراً.

أيها الناس: «إنّما المؤمنون أُخوة»[٣] ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ـ إلا هل بلغت؟ اللهم اشهد ـ فلا ترجعنّ كُفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٤]. إلا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس! إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب،

---

(١) التوبة: ٣٧.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) الباب ٣٦ والأخير من الجزء ٢١ من بحار الأنوار في حجة الوداع وما جرى فيها من ٣٧٨، إلى ٤١٣ روى فيه المجلسي الخطبة في خبرين الأول عن الخصال للصدوق عن عبد الله بن عمر: ٣٨٠، والثاني عن المنتقى: ٤٠٢، وهو خبر صحيح مسلم ٣٦: ٤، عن الصادق عن الباقر عن جابر الأنصاري، وليس فيها سوى كتاب الله فحسب وكذلك في مغازي الواقدي ١١٠٣: ٣. ورواها ابن إسحاق مرسلاً في السيرة ٢٥٠: ٤ وفيها: كتاب الله وسنّة نبيّه! وانظر رسالة حديث الثقلين للشيخ قوام الدين الوشنوي القمي المنشور من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة. ط. ١٣٧٤ ه‍، و ط. ١٤١٦ ه‍، نشر مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

«إنّ أكرَمَكُم عند الله أتقاكم»[١] وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، إلا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس! إنّ الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث (كذا) وصية في أكثر من الثلث.

والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادّعى إلى غير أبيه وتولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. والسلام عليكم ورحمة الله»[٢].

فلما كان آخر الخطبة وسكت رسول الله من كلامه وفرغ من ذلك أذّن بلال، فلما فرغ بلال من أذانه أناخ راحلته، وأقام بلال[٣] فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر ولم يصلّ بينهما شيئاً.

ثم ركب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة (كذا) بين يديه واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً[٤] و جعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها، فنحاها، ففعلوا مثل ذلك فقال: ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف ولكن هذا كله، وأومأ بيده إلى الموقف فتفرّق الناس[٥].

وقال: إنّ أفضل دعائي ودعاء من كان قبلي من الأنبياء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) تحف العقول: ٣٠ ٢٩، ونحوه في تاريخ اليعقوبي ١١١ : ٢، بما فيه من حديث الثقلين.

(٣) مغازي الواقدي ١١٠٢ : ٣.

(٤) بحار الأنوار ٤٠٥ : ٢١ عن المنتقى، ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤ عن الصادق عن الباقر عن جابر.

(٥) المصدر السابق ٣٩٢: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣: ١.

قدير. ووقف رسول الله على راحلته وهو مادّ يديه يدعو ويمسح براحتيه على وجهه، حتى غربت الشمس.

وكان أهل الجاهلية يفيضون من عرفة وقد بقي من الشمس على رؤوس الجبال كهيئة العمائم على رؤوس الرجال، فظن قريش أن رسول الله يفعل كذلك، ولكنّه أخّر ذلك حتى غربت الشمس[١].

وفي المشعر الحرام:

فروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ثم أفاض وأمر الناس بالدعة، حتى انتهى إلى المزدلفة وهو المشعر الحرام، فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين... وعجّل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس[٢].

وعجل النساء من المزدلفة إلى منى ليلاً، وأمر من كان منهنّ عليها هدى أن ترمي ولا تبرح حتى تذبح، ومن لم يكن منهن عليها هدى أن ترمي فتمضي إلى مكة. وأرسل معهنّ أسامة بن زيد[٣].

ثم اضطجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى طلع الفجر، فحين تبيّن له الصبح صلّاها بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام (أي جبل قزح)[٤] فاستقبل القبلة فكبّر وهلل ووحّد ودعا، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدّاً فأفاض والشمس لم تطلع[٥].

---

(١) مغازي الواقدي ١١٠٤: ٢.
(٢) بحار الأنوار ٣٩٣: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٣: ١.
(٣) المصدر السابق ٣٩٤: ٢١، عن فروع الكافي ٢٩٥: ١ و ٢٩٦.
(٤) مغازي الواقدي ١١٠٧ ١١٠٦: ٢.
(٥) المصدر الأسبق، عن أبي جعفر.

وانتهى إلى منى:

وانتهى النبي إلى بطن وادي محسّر فحرّك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات، يكبّر مع كلّ حصاة منها[١] على ناقة صهباء، من دون أن يُفعل بين يديه ما يفعل بين يدي الأُمراء من ضرب الناس وطردهم ولا تنح وأبعد ولا إليك إليك، وكان يلبّي حتى رمى الجمرة[٢].

ثم انصرف إلى المنحر، فكان ناجية بن جندب يقدم إليه بُدنه واحدة واحدة قد شدّ ذراعها وتمشي على ثلاث قوائم، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى علياً عليه السلام فنحر ما بقي (أربعة وثلاثين بدنة) ثم أمر أن يؤخذ من كل بدنة بضعة، فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها[٣] ولم يعطيا الجزّارين جلودها ولا جلالها ولا قلائدها وإنّما تصدّقا بها[٤].

والذي حلق رأس النبي (صلى الله عليه وآله) في حجته معمّر بن عبد الله العدوي، ولما كان يحلقه قالت له قريش: أي معمّر! أذن رسول الله في يدك وفي يدك الموسى! فقال معمّر: والله إني لأعدّه من الله فضلاً عليّ عظيماً[٥].

فلما حلق رسول الله رأسه أخذ من شاربه وعارضيه، وقلّم أظفاره، ثم أمر بها وبشعره أن يُدفنا.

---

(١) بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٦، عن المنتقى ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤، عن الصادق عن الباقر عن جابر.

(٢) مغازي الواقدي ١١٠٨ ١١٠٧: ٢.

(٣) المصدر الأسبق الأول في العنوان، ومغازي الواقدي ١١٠٨: ٢ عن ابن عباس.

(٤) بحار الأنوار ٣٩٣: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١. ومغازي الواقدي ١١٠٨: ٢، عن علي عليه السلام.

(٥) المصدر السابق ٤٠٠ : ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٥: ١. أو كان عبد الله بن زيد كما في تاريخ المدينة المنورة لابن شبة: أنّه حلق رأسه في ثوبه (إحرامه) فأعطاه إياه، فقال ابنه محمد: وإن شعره عندنا مخضوب بالحنّاء والكتم ـ تاريخ المدينة المنوّرة ٦١٧: ٢.

وحلق قوم مع رسول الله وأبى آخرون فقصّروا، فقال رسول الله: اللهم ارحم المحلقين فقيل: والمقصّرين، تكرّر ذلك ثلاث مرات حتى قال في الرابعة: والمقصرين.

ثم لبس رسول الله قميصه وتطيّب، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي ينادي في الناس: أيها الناس، إنّ رسول الله قال: إنّها أيام أكل وشرب وذكر الله. فانتهى المسلمون عن صيامهم[١].

وأتاه طوائف من المسلمين فقالوا: يا رسول الله ذبحنا قبل أن نرمي، وحلقنا قبل أن نذبح، ولم يبق شيء مما ينبغي أن يقدّموه إلا أخّروه ولا شيء مما ينبغي أن يؤخّروه إلا قدّموه، فكان رسول الله يقول لهم: لا حرج، لا حرج![٢].

ثم ركب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأفاض إلى البيت فصلّى الظهر بمكة، ثم أتى على زمزم فرأى بني عبد المطلب يسقون الناس فقال لهم: انزعوا لي يا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت، فناولوه دلواً فشرب منه[٣] ورجع إلى منى وأقام بها حتى كان اليوم الثالث آخر أيام التشريق يرمي الجمار[٤] حين الزوال قبل صلاتها، يقف عند الأول أكثر من الثانية ولا يقف عند الثالثة، ويرميهما من أعلاهما. وأمر أصحابه يوم العيد أن يفيضوا بالنهار معه، وأفاض نساءه مساء يوم النحر ليلاً، وكن يرمين بالليل أيضاً وكذلك رخّص للرعاة أن يرموا بالليل ويخرجوا فيبيتوا بغير منى[٥].

---

(١) مغازي الواقدي ١١٠٩ ١١٠٨: ٣.

(٢) بحار الأنوار...: ٣٨٠ عن فروع الكافي ٣٠٣: ١ عن الجواد ﷺ. ورواه الواقدي في المغازي ١١٠٩: ٣ عن جابر الأنصاري قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله حلقتُ قبل أن أنحر؟ فقال: انحر ولا حرج! قال: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي؟ فقال: ارم ولا حرج. قالوا: فما سئل يومئذٍ عن شيء قدّم أو أوخّر إلا قال: افعلوه ولا حرج.

(٣) بحار الأنوار ٤٠٦: ٢١ عن المنتقى ما في صحيح مسلم ٣٦: ٤ وفي مغازي الواقدي ١١١٠: ٢.

(٤) المصدر السابق ٣٩٣: ٢١، عن فروع الكافي ٢٣٤: ١.

(٥) مغازي الواقدي ١١١٠: ٢.

خطبته بمنى:

روى الواقدي بطريقين عن عمرو بن اليثربي وعن عبد الله بن العباس: أنّه (صلى الله عليه وآله) خطب بمنى بعد الزوال من اليوم الحادي عشر، بعد العيد، على ناقته القَصواء[١].

خطبته في مسجد الخَيف:

قال القمي في تفسيره: فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[٢] فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نُعيت إليّ نفسي. ثم نادى: الصلاة جامعة في مسجد الخيف.

فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئٍ مسلم: إخلاص العمل للّه، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، والمؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أيها الناس؛ إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كإصبعتي هاتين» وجمع بين سبابتيه «ولا أقول كهاتين» وجمع بين سبابته والوسطى «فتفضل هذه على هذه»[٣].

---

(١) مغازي الواقدي ١١١١ ١١١٠: ٢.

(٢) تفسير القمي ١٧٣: ١ و ٤٤٧ ٤٤٦: ٢ بلا إسناد، وجاء في صدر خبر الخصال بإسناده عن ابن عمر. بينما هي السورة الثانية بعد المئة نزولاً قبل النور والحج وعشرة أُخرى، وليست بعد البراءة، وقد مرّ المختار عن مجمع البيان وغيره أنها نزلت بالمدينة، وفيها بشارة من الله لنبيّه بالنصر والفتح قبل وقوعه.اللهم إلا أن يحمل هذا النزول على التذكير بها.

(٣) المصدر السابق بلا إسناد، وأسندها النعماني في الغيبة: ٢٨ ٢٧ بأربعة طرق عن الأئمة=

ورجع فكان إذا علا مرتفعاً من الأرض رفع صوته بالتكبير ثلاثاً ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون، ساجدون عابدون، لربّنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، اللهم إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال، اللهمّ بَلغّنا بلاغاً صالحاً، نبلغ (به) إلى خير مغفرة ورضوان»[1].

متى وكيف نزلت سورة المائدة؟

«لم يختلف أهل النقل أنّها آخر سورة مطوّلة نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أواخر حياته»[2].

وروى العياشي في تفسيره عن علي عليه السلام قال: كان من آخر ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) سورة المائدة، لقد نزلت عليه وهو على بغلته الشهباء، وثقُل عليه الوحي حتى وقفت وتدلّى بطنها حتى رأيت سُرّتها تكاد تمس الأرض، وأُغمي على رسول الله حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجُمحي[3]، ثم رفع ذلك عن رسول الله فقرأ علينا سورة المائدة[4].

وروى فيه عن الباقر عن علي عليه السلام قال: نزلت المائدة قبل أن يُقبض النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاثة أشهر[5].

=الثلاثة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، والكليني في الكافي ٤٠٣: ١ عن الصادق عليه السلام، وكذلك الصدوق في الخصال ١٤٩: ١ والمفيد في أماليه ١٨٧ ١٨٦: ٢ بطريق آخر.

(١) مغازي الواقدي ١١١٤: ٢. ثم لم يذكر أي خبر عن رجوعه إلى المدينة، فلا الغدير، ولا حتى الخطبة في منزل جحفة قرب الغدير في الثقلين، والذي ذكره خطأ في عمرة الحديبية ٥٧٩: ٢.

(٢) الميزان ١٥٧: ٥.

(٣) لم نجده في إعلام الرجال والتاريخ إلا هنا فقط!

(٤) تفسير العياشي ٢٨٨: ١ ح ٢.

(٥) تفسير العياشي ٢٨٨: ١ ح ١، وفيه: بشهرين أو ثلاثة، ولكن الترديد من الإمام المعصوم بعيد جداً، والأقرب أنّه من الراوي: زرارة بن أعين، ولا يستقيم الشهران، والثلاثة تقتضي من=

الآيات الثلاثة الأول:

إذ وعد الله في الآية الأولى أن يتلو عليهم ما يستثنيه من حلّ بهيمة الأنعام، وفي بهذا في بداية الآية الثالثة.

والمحرّمات الأربعة المذكورة في صدر هذه الآية الثالثة ذُكرت هنا مكرّراً للمرة الرابعة: الأولى في الآية (١٤) من الأنعام الخامسة والخمسين نزولاً، والآية (١١٥) من النحل السبعين نزولاً والآية (١٧٣) من البقرة السابعة والثمانين نزولاً، وتماثلها حتى في ذيلها: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالآية لا تشتمل من المحرّمات على جديد، قوله هنا: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ. . .﴾ فهي وإن ذُكرت أول ما ذكرت في هذه الآية هنا لكنّها هي جميعاً مصاديق الميتة.

فأين إكمال الدين ويأس الكفّار منه؟

وإذا تأمّلنا صدر الآية ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ثم ذيلها: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وجدناها كلاماً تاماً غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه على شيء مما جاء في وسط الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وينتج من ذلك أنّ هذا كلام معترض موضوع في وسط تلك الآية، غير متوقف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها، سواء قلنا إنّ الآية نازلة في وسط الآية

=جانب أن يكون نزول السورة أو أوائلها في منى في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، ومن جانب آخر أن يكون يوم وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كما عليه عامة المسلمين في اليوم الثاني عشر من ربيع الأوّل، هذا إذا كان التحديد دقيقاً وليس تقريبياً، وسيأتي البحث عنه.

وروى الطبرسي في مجمع البيان ٢٣١: ٣ عن العياشي ـ وليس في تفسيره ـ عن الصادق عليه السلام قال: نزلت المائدة كُملاً ومعها سبعون ألف ملك!

فتخلّلت بينها من أول ما أُنزلت، أو قلنا إنّها موضوعة في موضعها الذي هي فيه عند التأليف من غير أن تصاحبها نزولاً، أو قلنا إن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي أمر كتّاب الوحي بوضع الآية في هذا الموضع مع انفصال الآيتين واختلافهما نزولاً، كما روى ذلك السيوطي في «الدر المنثور» عن الشعبي قال: نزل على النبي هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ وهو بعرفة، وكان إذا أعجبته آيات جعلهنّ في صدر السورة[١].

خبر نزول آية الولاية في مكة:

نقل ابن طاووس عن كتاب «النشر والطيّ» عن حذيفة بن اليمان قال: كنّا مع النبي (صلى الله عليه وآله) إذ وافى علي عليه السلام من اليمن إلى مكة، ثم توجّه علي عليه السلام يوماً يصلّي إلى الكعبة، فلما ركع أتاه سائل فتصدّق عليه بحلقة خاتمه، فكبّر رسول الله وقرأ علينا ما أنزل الله تعالى في ذلك من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[٢] ثم قال: قوموا نطلب هذه الصفة التي وصف الله. فلما دخل رسول الله المسجد استقبله سائل، فسأله النبي: من أين جئت؟ قال: من عند هذا المصلّي تصدّق عليّ بهذه الحلقة وهو راكع، فكبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومضى نحو علي عليه السلام فقال له: يا علي ما أحدثت اليوم من خير؟ فأخبره خبره، فكبّر للمرّة الثالثة[٣].

وروى البحراني في «البرهان» عن زيد بن أرقم قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا قوماً أنا فيهم فقال لنا: إنّ الروح الأمين جبرئيل عليه السلام نزل عليه بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فاستشارنا في ذلك ليقوم به في الموسم، فلم ندر ما نقول له، فلما رجعنا ونزلنا الجحفة وضربنا أخبيتنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا رسول الله ينادي:

(١) الميزان ١٦٨ ـ ١٦٣: ٥ بتصرّف وتلخيص، والخبر عن الدر المنثور ٢٥٩ ٢٥٨: ٢.
(٢) المائدة: ٥٥.
(٣) الإقبال ٢٤٢: ٢.

أيها الناس؛ أنا رسول الله فأجيبوا داعي الله، فأتيناه مسرعين وذلك في شدة الحرّ، ثم قال: يا أيها الناس، إنه نزل عليّ عشيّة عرفة أمر ضِقتُ به ذرعاً مخافة تكذيب أهل الافك، حتى جاءني في هذا الموضع وعيد من ربّي إن لم أفعل، وذلك قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ. . .﴾[1].

وروى الطبرسي في «الاحتجاج» بسنده عن الطوسي عن الباقر عليه السلام قال: لما وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالموقف أتاه جبرئيل عن الله تعالى فقال له: يا محمد؛ إنّ الله عزّ وجل يقرئك السلام ويقول لك: إنه قد دنا أجلك ومُدّتك، وأنا مستقدمك على ما لا بدّ منه ولا محيص عنه، فاعهد عهدك وقدّم وصيّتك، واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك، والسلاح والتابوت (كذا؟) وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلّمه إلى وصيّك وخليفتك من بعدك، حجتي البالغة على خلقي: علي بن أبي طالب، فأقمه للناس علماً، وجدّد عهده وميثاقه وبيعته، وذكّرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم، وعهدي الذي عهدت إليهم: من ولاية وليي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة: علي بن أبي طالب، فإنّي لم أقبض نبيّاً من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني وحجّتي وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدي وديني وتمام نعمتي على خلقي بإتّباع وليّ وطاعته وذلك أني لا أترك أرضي بغير وليّ ولا قيم، ليكون حجة لي على خلقي، فأقم ـ يا محمد ـ علياً علماً، وخذ عليهم البيعة، وجدّد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه، فإني قابضك إليّ ومستقدمك عليّ.

قال الباقر عليه السلام: فخشى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قومه، وأهل النفاق والشِقاق أن يتفرّقوا ويرجعوا إلى الجاهلية، لما عرف من عداوات وما تنطوي عليه أنفسهم

---

(١) عنه في بحار الأنوار ١٥٣ ١٥١: ٣٧، ونقله المحقق عن البرهان ١٤٥: ٢. و لم نجده في تفسيره المنثور.

من العداوة والبغضاء لعلي عليه السلام. فسأل جبرئيل أن يسأل ربّه له العصمة من الناس، وأخّر ذلك وانتظر أن يأتيه جبرئيل عن الله جلّ اسمه بالعصمة من الناس، إلى أن بلغ مسجد الخيف.

فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره أن يعهد عهده ويقيم علياً علماً للناس يهتدون به من دون أن يأتيه بالعصمة من الله جلّ جلاله بالذي أراد.

حتى بلغ موضع كُراع الغميم فأتاه جبرئيل بالذي أتاه فيه من قبل الله ولم يأته بالعصمة، فرحل، فلما بلغ غدير خم أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والعصمة من الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ. . .﴾[1].

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: كانت ولاية علي عليه السلام قد نزلت بمنى، وامتنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من القيام بها، لمكان الناس، ورجع من مكة وقد شيّعه خمسة آلاف من أهل مكة[2]، فلما انتهى إلى الجُحفة نزل جبرئيل عليه السلام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ. . .﴾ أي مما كرهت بمنى.

---

(١) الاحتجاج ٧٠ ٦٩: ١.

(٢) هذا بعد أن قال: تبعه من أهل المدينة خمسة آلاف، فكان له عشرة آلاف شاهد. وأشار إليه الحلبي في المناقب ٣٥: ٣ وأغرب قبله عن الباقر عليه السلام قال: قال النبي يوم غدير خم بين ألف وثلاثمئة رجل، وفي خبر آخر للعياشي عن الصادق عليه السلام قال: لقد حضر الغدير اثنا عشر ألف رجل كما في تفسيره ٣٢٩: ١ ح ١٤٣. وجاء كذلك في خبر جامع الأخبار كما في بحار الأنوار ١٦٥: ٣٧ ح ٤٤ بزيادة أن هؤلاء كانوا من اليمن ومعه خمسة آلاف رجل من المدينة. فإذا أضيف إليه الخمسة آلاف رجل شيّعه من أهل مكة كما في الخبر السابق كانوا اثنين وعشرين ألفاً. بينما جاء في خبر الاحتجاج ٦٩: ١ عن الباقر عليه السلام قال: بلغ من حجّ مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري. ونقل المجلسي عن ابن الجوزي قال: وكان معه من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة: مئة وعشرون ألفاً. بحار الأنوار ١٥٠: ٣٧.

وهنا كلام آخر للعلّامة الطباطبائي قال فيه: غير أن ها هنا أمراً يجب التنبّه له، وهو أن التدبّر في الآيتين الكريميتن الثالثة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ والسابعة والستين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن﴾ والأحاديث فيهما من طرق الفريقين، وأخبار الغدير المتواترة، ودراسة أوضاع المجتمع الإسلامي الداخلية في أواخر عهد رسول الله والبحث العميق فيها، يفيد القطع بأن: أمر الولاية كان نازلاً قبل يوم الغدير بأيام، وكان النبي يتّقي الناس في إظهاره يخاف أن لا يتلقوه بالقبول، أو يسيئوا القصد إليه فيختلّ أمر الدعوة، فكان لا يزال يؤخّر تبليغه الناس من يوم إلى غد حتى نزلت الآية (٦٧) فأنجزه.

وعلى هذا، فمن الجائز أن يكون الله قد أنزل معظم السورة وفيها أمر الولاية يوم عرفة (أو عشيّتها) وتلاها النبي (صلى الله عليه وآله) ولكن أخّر بيان الولاية إلى الغدير، فلا يبعد أن يكون ما اشتمل عليه بعض الأخبار من نزولها يوم الغدير إنّما لتلاوته (صلى الله عليه وآله) الآية بعد تبليغ أمر الولاية لبيان شأن نزولها، فقيل إنها نزلت يومئذٍ. وعليه: فلا تنافي بين الفريقين من الأخبار[١].

الموضع والنداء والمنبر:

مرّ في «الاحتجاج» عن الباقر عليه السلام قال: لما بلغ غدير خم ـ قبل الجحفة بثلاثة أميال[٢] ـ أتاه جبرئيل ـ على خمس ساعات مضت من النهار ـ بالزجر والعصمة من الناس فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن﴾ فأمره أن يردّ من تقدّم منهم ويحبس من

(١) الميزان ٦ : ١٩٦ ـ ١٩٧ بتصرّف يسير.

(٢) جاء في معجم البلدان ٢ : ٣٨٩ خم، واد بين مكة والمدينة عند الجُحفة. وعيّن الفاصل في ٤ : ١٨٨ غدير خم، بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان وقال في الجُحفة ٢ : ١١١ : بينها وبين غدير خم ميلان، وهي على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وبينها وبين المدينة ست مراحل.

تأخّر عنهم في ذلك المكان ليقيم عليّاً علماً للناس ويبلّغهم ما أنزل الله في علي عليه السلام، وأخبره أنّ الله عزّ وجل قد عصمه من الناس.

فقد نقل السيّد ابن طاووس عن كتاب «النشر والطي» من حديث حذيفة بن اليمان قال: انتهى إلينا رسول الله فنادى الصلاة جامعة! ثم دعا أبا ذر وعماراً والمقداد وسلمان فأمرهم أن يعمدوا إلى أصل شجرتين فيقموا ما تحتهما، فكسحوه، وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله، وأمر بثوب فطرح عليه، ثم صعد النبي المنبر ينظر يمنة ويسرة وينتظر اجتماع الناس إليه حتى اجتمعوا، ثم ضرب بيده إلى عضد علي عليه السلام فرفعه على درجة دون مقامه، متيامناً عن وجه رسول الله[1].

عدد الجمع:

أغرب ابن شهرآشوب في «المناقب» مُرسلاً عن الباقر عليه السلام قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم بين ألف وثلاثمئة رجل[2] بينما مرّ عن «الاحتجاج» عنه عليه السلام قال: بلغ من حجّ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون، على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون، فنكثوا واتّبعوا العجل والسامريّ[3].

ولكنّ هذا الخبر جمع في العدد الأعراب وأهل الأطراف إلى أهل المدينة ولم يميّزهم، وجاء ذكرهم في خبرين عن الصادق عليه السلام:

قال في أحدهما: إنّ رسول الله خرج من المدينة حاجاً وتبعه [منهم]خمسة

(١) الإقبال ٢٤١ ٢٤٠: ٢، ونقل نداء الصلاة وكنس ما بين شجرتين المجلسي عن كتاب المناقب لابن الجوزي عن البراء، في بحار الأنوار ١٤٩: ٣٧، والحلبي في مناقب آل أبي طالب ٤٥: ٣ عن البراء بن عازب أيضاً.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣٥: ٣. وأكثر الظن أنّه هو الخبر عن تفسير فرات الكوفي عن أبي ذر الغفاري: ٥١٦ ح ٦٧٤.

(٣) الاحتجاج ٦٩: ١.

آلاف، ورجع من مكة وقد شيّعه خمسة آلاف من أهل مكة، فكان لعلي عليه السلام عشرة آلاف شاهد[١].

وفي ثانيهما قال: لما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة في حجة الوداع شيّعه خمسة آلاف رجل من المدينة، وشيّعه من مكة اثنا عشر ألف رجل من اليمن[٢].

كذا جاء في هذا الخبر، ولم يذكر في أي خبر آخر ما يقارب هذا العدد في من حجّ من اليمن لا مع علي عليه السلام ولا بدونه، ثم إنّ اليمن على يمين مكة وجنوبها بعكس المدينة على شمالها فمشايعتهم للنبي (صلى الله عليه وآله) إلى الجحفة وغدير خم غريب بعيد جدّاً، ولم يُنقل عن النبي أمر بذلك[٣].

هنئوني وسلموا على علي وله:

ونقل الحلبي عن أبي سعيد الخُدري قال: ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا قوم هنّئوني، هنّئوني إنّ الله خصّني بالنبوة وخصَّ أهل بيتي بالإمامة[٤].

وفي خبر «جامع الأخبار»: فجاء أصحابه إلى أمير المؤمنين وهنؤوه بالولاية، وأول من قال له كان عمر بن الخطاب قال له: يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[٥].

---

(١) تفسير العياشي ٣٣٢: ١ ح ١٥٣.

(٢) جامع الأخبار: ١٣ ـ ١٠، وعنه في بحار الأنوار ١٦٥: ٣٧ ح ٤٢.

(٣) ونقل المجلسي في بحار الأنوار ١٥٠: ٣٧، عن كتاب المناقب لابن الجوزي قال: كان معه من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حول مكة والمدينة: مئة وعشرون ألفاً. فلعلّ ما جاء في أخبارهم عليهم السلام من العشرة إلى العشرين ألفاً هم من أهل مكة والمدينة ممن عُرفوا من الصحابة و انظر العدد في الغدير ٣٣:١.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٤٦ ٤٥: ٣.

(٥) جامع الأخبار: ١٠، وعنه في بحار الأنوار ١٦٦: ٣٧ ونقله المناقب من خبر أبي سعيد الخُدري، وعن شرف المصطفى عن البراء بن عازب، وعن التمهيد للباقلاّني ولكنّه تأوله، وبمعناه عن السمعاني. وفي بحار الأنوار ١٠٨: ٣٧، عن أمالي الصدوق عن أبي هريرة.=

وقال المفيد في «الإرشاد»: فصلى الظهر... ثم أمر علياً عليه السلام أن يجلس في خيمة بإزاء خيمته (صلى الله عليه وآله)، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّئوه بالمقام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين. ففعل الناس ذلك.

ثم أمر أزواجه ونساء المؤمنين أن يدخلن عليه فيسلّمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن[1].

فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله، ائذن لي لأقول في عليّ أبياتاً.

فقال (صلى الله عليه وآله): قل، على بركة الله.

فقال حسّان: يا مشيخة قريش، اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله:

ألم تعلموا أنّ النبي محمداً	لدى دَوْح خُمٍّ حين قام منادياً
وقد جاءه جبرئيل من عند ربّه	بأنّك معصوم فلا تك وانياً
وبلّغهم ما أنزل الله ربّهم	وإن أنت لم تفعل وحاذرت باغياً
عليك؛ فما بلّغتهم عن إلههم	رسالته، إن كنت تخشى الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه	بيُمنى يديه معلن الصوت عاليا
فقال لهم: من كنت مولاه منكم	وكان لقولي حافظاً ليس ناسياً
فمولاه من بعدي عليٌّ، وإنّني	به لكم دون البريّة راضياً
فيا ربّ مَن والى عليّاً فواله	وكُنّ للذي عادى عليّاً معادياً
ويا ربّ فانصر ناصريه لنصرهم	إمام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا
ويا ربّ فاخذل خاذليه وكن لهم	إذا وقفوا يوم الحساب مكافياً[2]

فروى الكليني في «روضة الكافي» عن الباقر عليه السلام قال: قال (صلى الله عليه وآله)

=والفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ٤٣٣: ٣. وفصّل نقله الأميني في الغدير ٢٨٢ ـ ٢٧٢: ١ عن ستين مصدراً.

(١) الإرشاد ١٧٦: ١.

(٢) سليم بن قيس ٨٢٩ ٨٢٨: ٢، وزاد عليه الأميني في الغدير ٣٩ ـ ٣٤: ٢ أكثر من عشرين مصدراً من الخاصة وأكثر من عشرة مصادر من غيرهم، نعم لم يذكروها في ديوانه!

لحسّان بن ثابت: لا يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا[١] أو قال: يا حسّان لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك[٢].

وسأل سائل:

عن الصادق عليه السلام في «جامع الأخبار» قال: فلما كان بعد ثلاثة، وجلس النبي (صلى الله عليه وآله) مجلسه، أتاه رجل من بني مخزوم يُسمّى عمر بن عُتيبة فقال: يا محمد (كذا) أسألك عن ثلاث مسائل. فقال: سلْ عمّا بدا لك. فقال:

أخبرني عن شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، أمنك أم من ربّك؟

قال النبي: الوحي من الله، والسفير جبرئيل، والمؤذن أنا، وما آذنت إلا من أمر ربّي.

قال الرجل: فأخبرني عن الصلاة والزكاة والحج والجهاد، أمنك أم من ربّك؟

فقال النبي مثل ما قال.

فقال الرجل: فأخبرني عن هذا ـ وأشار إلى علي عليه السلام ـ وقولك فيه: من كنت مولاه... أمنك أم من ربّك؟

فقال النبي مثل ما قال. فرفع المخزومي رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن كان محمد صادقاً في ما يقول فأرسل عليّ شُواظاً من نار! وولّى، فوالله ما سار بعيداً حتّى أظلّته سحابة سوداء، فأرعدت وأبرقت وأصعقت فأصابته صاعقة

---

(١) روضة الكافي: ٨٩ ح ٧٥. وعن الصادق عليه السلام في جامع الأخبار: ١١، كما في بحار الأنوار ١٦٦ : ٣٧.

(٢) الإرشاد ١٧٧ : ١ وقال: إنما اشترط في الدعاء له لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف، ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق. ونقله في الفصول المختارة: ٢٩١.

فأحرقته النار. فهبط جبرئيل وهو يقول: اقرأ يا محمد: «سَأَل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع»[١].

وكفروا بعد إسلامهم:

روى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: لما قال النبي (صلى الله عليه وآله) في غدير خم ما قال وانصرفوا إلى أخبيتهم، مرّ المقداد (ابن الأسود الكندي) بجماعة منهم فسمعهم يقولون: والله إن كنّا أصحاب كسرى وقيصر لكنّا في الخز والوشي والديباج والنساجات، وإنّا معه (محمد) في الأخشنين: نأكل الخشن ونلبس الخشن، حتى إذا دنا موته وفنيت أيامه وحضر أجله ولّاها عليّاً من بعده، أما والله ليعلمن!

فمضى المقداد حتى أخبر النبي (صلى الله عليه وآله)... فجاؤوا حتى جثوا بين يديه وقالوا: يا رسول الله لا والذي بعثك بالحق، والذي أكرمك بالنبوّة ما قلنا ما بلغك، لا والذي اصطفاك على البشر.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم، وهمّوا بك يا محمد ليلة العقبة (ما لم ينالوا) وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله[٢].

---

(١) جامع الأخبار: ١١ كما عنه في بحار الأنوار ١٦٧: ٣٧، وروى نحوه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره: ٥٠٥ ح ٦٦٣، عن الصادق عليه السلام عن ابن عباس واسم الرجل الحارث بن النعمان الفهري، ولكن فيه أن ذلك كان بمكة بعد الغدير! وروى قبله مثله عن ابن عباس بلا إشكال فيه واسم الرجل عمرو بن الحارث الفهري. وروى قبله مثله عن أبي هريرة! في أعرابي غير مسمّى. وفي ما قدّمناه يقول: اقرأ يا محمد... وليس نزل: سأل سائل... وقد مرّ أنّها مكّية. وانظر الغدير ١: ٢٣٩ ـ ٢٤٧، عن ثلاثين مصدراً، والمناقشة فيه وأجوبتها إلى ٢٦٦، وانظر كتاب آيات الغدير: ٢٧٠ فما بعدها.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٩٨ و الآية في التوبة: ٧٤.

وهمّوا بما لم ينالوا:

وروى السيّد ابن طاووس في «اليقين» بإسناده عن حذيفة بن اليمان: أن جمعاً من الطلقاء من قريش والمنافقين من الأنصار أقبل بعضهم على بعض... ودار الكلام في ما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي فاتّفقوا على أن ينفروا بالنبي ناقته على عقبة هرشى ـ وقد صنعوا مثل ذلك في غزاة تبوك فصرف الله الشر عن نبيّه ـ وكانوا أربعة عشر رجلاً.

وسار رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الغدير باقي يومه وليلته حتى إذا دنوا من العقبة تقدّمه القوم فتواروا في ثنية العقبة، وقد حملوا معهم دباباً وطرحوا فيها الحصى.

قال حذيفة: ودعاني رسول الله ودعا عمار بن ياسر وأمره أن يسوق ناقته وأنا أقودها، حتى إذا صرنا في رأس العقبة وكانت ليلة مظلمة غار القوم من ورائنا ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة، فذُعرت وكادت أن تنفر برسول الله، فصاح بها النبي: أن اسكني وليس عليك بأس... وتقدّم القوم إلى الناقة ليدفعوها، فأقبلت أنا وعمار نضرب وجوههم بأسيافنا... فزالوا عنّا وأيسوا مما ظنّوا ودبّروا.

فقلت: يا رسول الله، إلا تبعث عليهم رهطاً فيأتوا برؤوسهم؟!

فقال: إنّ الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس إنّه دعا أُناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوّه، ثم أقبل عليهم فقتلهم! ولكن يا حذيفة دعهم فإن الله لهم بالمرصاد، وسيمهلهم قليلاً ثم يضطرّهم إلى عذاب غليظ.

وكان عدد القوم أربعة عشر رجلاً: تسعة من قريش منهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وخمسة من سائر الناس: أبو موسى الأشعري وأبو هريرة الدوسي وأبو طلحة الأنصاري وأوس بن الحدثان البصري والمغيرة بن شعبة الثقفي، ثم تعاقد معهم عليه سالم مولى أبي حذيفة عبدٌ لامرأة من الأنصار شديد البغض والعداوة لعلي عليه السلام وقد عُرف منه ذلك.

قال ابن اليماني: ثم انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر، فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتوضأ ثم انتظر أصحابه حتى انحدروا من العقبة واجتمعوا، فرأيتهم بين الناس، صلوا خلف رسول الله.

ثم ارتحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس من منزل العقبة، فلما نزل المنزل الآخر، وأراد المسير أتوه، فقال لهم: فيم كنتم تتناجون في يومكم هذا؟ فقالوا: يا رسول الله، ما التقينا غير وقتنا هذا! فنظر النبي إليهم ملياً ثم قال لهم: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١].

اثنا عشر نقيباً:

وفي الآية (١٢) يذكّر الله المسلمين بنقباء بني إسرائيل الاثني عشر إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾ ونقل الطبرسي عن أبي مسلم المفسّر قال: بُعثوا أنبياء ليعلموا الأسباط الاثني عشر التوراة وليقيموا لهم الدين ويأمروهم بما فرض الله عليهم وأمرهم به. وقال أبو القاسم البلخي: يجوز أن يكونوا رُسلاً ويجوز أن يكونوا قادة. وقال قتادة البصري: شهداء على أقوامهم من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر[٢].

وكأن التذكير بهم تمهيد لإعلان ميثاق الولاية في يوم الغدير، وهي مناسبة النزول.

يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً:

ومن (٢٠) إلى (٢٥) في التذكير بأمر موسى لقومه أن يدخلوا الأرض

---

(١) اليقين لابن طاووس مسنداً، والعلّامة الحلّي في كشف اليقين: ١٣٧ بطريق آخر، والديلمي في إرشاد القلوب بلا إسناد ٣٣٣ ـ ٣٣٠: ٢، وعنه في بحار الأنوار ١٠٢ ـ ٩٧: ٢٨ وليس فيه إلا تلاوة هذه الآية من البقرة: ١٤٠ وليس آية التوبة فضلاً عن القول بنزولها هنا، وهذا هو الأولى.

(٢) مجمع البيان ٢٦٥: ٣، وانظر الميزان ٢٤٠: ٥.

المقدسة: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ وكأن الآيات للتذكير بأن صحبة قوم موسى النبيّ من أُولى العزم له لا يورثهم عزماً فقد بلاهم الله فلم يجد لهم عزماً حتى قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ وقد سمع المسلمون من نبيّهم أنّ عليّاً منه بمنزلة هارون من موسى، وهو اليوم يأمرهم أن يدخلوا في ولايته، فمن الممكن للتاريخ أن يتكرّر ويقولوا كما قال قوم موسى له: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ وكأن هذا هو مناسبة التذكير بذلك هنا، فهل من معتبر بذلك؟ أم سيقولون بعدالة الصحابة جميعاً؟!

نبأ ابني آدم:

وفي الآية (٢٧) قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ...﴾ إلى آخر الآية (٣١) من دون إشارة إلى باعث تقديمهما القربان المنتهي إلى قتل قابيل لهابيل.

وهنا روى العياشي في تفسيره عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جُعلت فداك إنّهم يزعمون أنّ قابيل إنما قتل هابيل لأنّهما تغايرا على أُختهما؟

فقال لي الصادق عليه السلام: يا سليمان، تقول بهذا؟! أما تستحي أن تروي هذا على نبي الله آدم؟!

فقلت: جُعلت فداك، ففيم قتل قابيل هابيل؟

فقال لي: يا سليمان، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل. فبلغ ذلك قابيل وكان أكبر من هابيل فغضب وقال: أنا أكبر منه فأنا أولى بكرامة الوصية! فأمرهما بوحي الله إليه أن يقربا قرباناً، ففعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل فقتله[١].

(١) تفسير العياشي ٣١٢: ١ ح ٨٣.

فكأنّ الآيات تريد التذكير بعاقبة الحسد على أمر الله بالوصية الإلهية من الأنبياء والمرسلين إلى أوصيائهم من بعدهم، وذلك هو مناسبة نزولها هنا في موقعة الغدير.

حدّ السارق والسارقة:

وفي الآية (٣٨) جاء حدّ السرقة.

فحدّ السرقة لم يكن إلا في آخر العاشرة للهجرة في المدينة بعد رجوعهم من حجة الوداع، اللهم إلا أن يكون من قبل ذلك بسنته (صلى الله عليه وآله)، وعليه فالآية هنا ليست من آيات الأحكام التشريعية وإنّما نزلت تأكيداً لذلك وتأييداً لجواب النبي (صلى الله عليه وآله) بشأن توبة المرأة السارقة المقطوعة اليد بأمره (صلى الله عليه وآله)[١].

رجوع الرسول إلى المدينة:

إنّ ابن إسحاق قال: فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة[٢] وقد مرّ أن خروجه من المدينة للحج كان لأربع بقين من ذي القعدة، ودخوله إلى مكة كان لأربع من ذي الحجّة، فتكون مدة سفرته للحج ثمانية أيام، فكذلك العودة، ويظهر مما مرّ أن خروجه من مكة كان في الرابع عشر من ذي الحجة، ولأربعة أيام أي في الثامن عشر من ذي الحجة كان في موضع غدير خم قرب الجُحفة على بعد (١٨٥ كم) من مكة، ويكون قد قطع سائر المسافة في أربعة أو خمسة أيام، فيكون وصوله المدينة للأسبوع الأخير من ذي الحجة، وإن أقام بخم ـ كما مرّ في خبر ـ ثلاثة أيام، فيكون وصوله للخامس والعشرين من ذي الحجة.

الإسلام وبنو حنيفة:

وكان من تأليفه (صلى الله عليه وآله) الأمراء إلى الإسلام أ نّهم إن أسلموا سلموا وسلم

(١) انظر الميزان ٥:٣٣٦ عن الدر المنثور.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٢٥٣: ٤.

لهم ما هم عليه من الإمرة، وإذا لم يكن إسلام ثُمامة بن أثال كذلك لم يذكر في المصادر الأولى عاملاً له على اليمامة(١).

ولعلّه لذلك لم يُسلم بنو حنيفة على يديه بل وفدوا عليه (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة، ومعهم مُسيلمة بن جيب.

وتخلّف الرجل في رحالهم.

ولكنّه مع ذلك لما رجع مع الوفد إلى اليمامة قال لهم: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: أما إنّه ليس بشرّكم مكاناً؟! ما ذاك إلا لما كان يعلم أ نّي قد أشركت معه في الأمر! ثم وضع عنهم الصلاة وأحلّ لهم الخمر والزنا، وقال في مضاهاة القرآن: «لقد أنعم الله على الحُبلى، أخرج منها نسمة تسعى، ما بين صِفاق وحشى» فتابعوه(٢).

فكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله): «من مسيلمةٍ رسول الله إلى محمدٍ رسول الله؛ سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقُريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون» وبعث بالكتاب مع رسولين.

فحين قُرئ كتابه على رسول الله قال لهما: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال! فقال لهما: أما والله لولا أنّ الرُسل لا تقتل لضربت أعناقكما!

ثم كتب إلى مسلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب، السلام على مَن اتّبع الهدى، أما بعد، فإنّ الأرض للّه يورثها مَن يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين» وذلك في آخر سنة عشر(٣).

ويكون مُسيلمة لم يُبق للمسألة مجالا؛ لأنّه بهذا يكون قد بدأ بالقتال مع المسلمين.

---

(١) اللهم إلا ما في المنتقى للكازروني، وعنه في بحار الأنوار ٢١: ٤١٣.
(٢) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٢٢ ٢٢٣.
(٣) ابن إسحاق في السيرة ٤: ٢٤٧.

فبعث رسول الله فرات بن حيّان العجلي إلى ثمامة بن أثال[١] في قتل مُسيلمة[٢].

فأتته أمداد من بني تميم[٣] حتى خاف أن يغلبه ثُمامة على الحُجر[٤].

ثم عظمت الفتنة:

وكان قد رحل من بني حنيفة الرحّال بن عُنفوة الحنفي إلى المدينة مسلماً مهاجراً متعلّماً للقرآن متفقّهاً في الدين، وقُرّئ القرآن وفُقّه في الدين، فبعثه النبي (صلى الله عليه وآله) اليوم معلّماً لأهل اليمامة وليشد من أمر المسلمين وليتغلّب على مُسيلمة. ولكنّه سالم مُسيلمة حتى شهد له أنّه سمع محمداً (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّه قد أشرك معه. فصدّقوه واستجابوا له.

فكان الرحّال بن عنفوة لا يقول شيئاً إلا ويتابعه مُسيلمة وينتهي إلى أمره![٥] وأصبح ثُمامة متلدداً مع المسلمين من بني حنيفة من بني سُحيم ومن أهل القرى من سائر بني حنيفة حتى لحق بالعلاء بن الحضرمي بالبحرين[٦].

هذه أخبار فتنة مُسيلمة في بني حنيفة باليمامة، على عهده (صلى الله عليه وآله)، ولننظر الآن في فتن اليمن.

أخبار اليمن بعد الحج:

وبعد ما حجّ (صلى الله عليه وآله) حجّة الوداع ورجع إلى المدينة مات باذان، فلذلك فرّق عمله بين ابنه شهر بن باذان على صنعاء، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين

---

(١) الطبري ١٨٧ : ٣.
(٢) الاستيعاب ٢٠٥ : ٣، وأسد الغابة ١٧٩ : ٤، وانظر مكاتيب الرسول ٣٩ : ١.
(٣) الطبري ٢٦٩ : ٣ عن سيف.
(٤) الطبري ٢٧٢ : ٣ عن سيف.
(٥) الطبري ٢٨٣ ٢٨٢ : ٣.
(٦) الطبري ٣٠٤ : ٣ و ٣٠٥.

نجران ورَمَع وزَبيد، والطاهر بن أبي هالة على عكّ والأشعريّين، وعامر بن شهر الهمداني على همدان، و أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعري على مأرب، وعمرو بن حزم على نجران، ويعلى بن أميّة على الجند، وعلى السكون والسكاسك من بلاد حضرموت: زياد بن لبيد البياضي، وعكاشة بن ثور الغوثي[1].



(١) تاريخ الطبري ٢٢٨ ٢٢٧ : ٣، وانظر مكاتيب الرسول ٤٩٩ : ٢، وذكر لكل منهم عدّة مصادر أوردها الطبري عن سيف بن عمر التميمي! في خبرين بطريقين أحدهما عن قرص بن عبادة الليثي والآخر عن عبيد بن صخر السُلمي الأنصاري وكان مع يعلى إلى الجند في اليمن، كما في الطبري ٢٩ : ٣ وكأن الراوي كان يعدّ من بُعث يومئذٍ أو كان باليمن من قبل إذ ذكر عمرو بن حزم ومعاذ بن جبل، وقد مرّ خبرهما من قبل.

الفصل السادس

أهم حوادث السنة الحادية عشرة للهجرة

تنبؤ الأسود العَنْسي:

واسمه: عَبهَلة بن كعب العَنْسي المَذْحجي، ولسواده غلب عليه اسم الأسود، ولذلك كأم يختمر بخمرة ويعتمّ عليها أبداً فلذا سُمّي أيضاً ذا الخمار، أو ذا الحمار؛ لأنّه كان له حمار علّمه يقول له: أبرك، فيبرك، ويقول له: اسجد لربّك، فيسجد! وسمّى نفسه: رحمان اليمن(١).

خرج بعد حجة الوداع أي بعد خروج علي عليه السلام من اليمن إلى الحج، وبعد وفاة باذان الحاكم الفارسيّ على اليمن. وكان كاهناً شعواذاً يريهم الأعاجيب ويسبي قلب من سمعه! ولد في كهف خُبّان ونشأ بها وفيها داره، واعده أهل نجران، وكاتبه قومه من مَذْحج، فكانت أول رِدّة عن الإسلام في اليمن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع الأسود ذي الخمار في عامة مذحج بعد حجة الوداع(٢).

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد بعث بعد باذان إلى الجَنَد من اليمن ـ كما مرّ ـ يعلى بن أميّة ومعه عُبيد بن صخر السُلمي الأنصاري، فروي عنه قال: بينا نحن بالجند قد أقمناهم على ما ينبغي وكتبن أبيننا وبينهم الكتب، إذ جاءنا كتاب من الأسود من كهف خُبّان:

---

(١) فتوح البلدان: ١١٥ ـ ١٣.

(٢) الطبري ١١٥ ـ ١١٣: ٣.

«أيّها المتورّدون علينا! أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفّروا ما جمعتم فنحن أولى به! وأنتم على ما أنتم عليه».

ثمّ توجّه إلى نجران بعامة مذحج بعد عشرة أيام من وثوبه فأخذها[١].

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد بعث بعد باذان إلى نجران خالد بن سعيد بن العاص وعمرو بن حزم كما مرّ فأخرجوهما منها وأنزلوا الأسود منزلهما. وثبت على الإسلام جمع من مذحج فالتحقوا بفروة بن مُسيك المرادي في مُراد بالأحسية (قرية). فكتب فروة بذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فكان أول خبر بلغه عنه[٢].

قال الراوي السُلمي الأنصاري الذي كان مع يعلى بن أميّة بالجند أ نّهم لحقوا بحضرموت، إذ جاءتهم كتب النبيّ (صلى الله عليه وآله) يأمرهم فيها أن يبعثوا الرجال لمحاولته غيلة أو قتالاً، وأنّ يبلّغوا كلّ من يرجون عنده شيئاً من ذلك عنه (صلى الله عليه وآله).

وقدم وَبَر بن يوحَنّس الأزدي بكتابه (صلى الله عليه وآله) على فيروز الديلمي يأمره فيه بالعمل على قتل الأسود إمّا غيلة أو مصادمة، وأن يبلّغوا ذلك عنه من يرون عنده ديناً ونجدة. فكاتبوا الناس ودعوهم[٣].

قيس ابن المكشوح المرادي:

وهنا يأتي ذكر قيس بن هُبيرة بن المكشوح المرادى، وأوّل ما نرى ذكره في السيرة: أنّ عمرو بن معدي كرب الزُبيدي كان صاحبه فقال له يوماً: يا قيس قد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش قد خرج بالحجاز يقول: إنّه نبيّ، يقال له محمد، وأنت سيّد قومك، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فان كان غير ذلك علمنا

---

(١) الطبري ٣ : ٢٢٩، عن سيف بن عمر التميمي عن عُبيد بن صخر السُلمي الأنصاري. ولعلّ ذلك كان في أواخر ذي الحجة من العاشرة أو أوائل المحرم من الحادية عشرة، إذ كان وثوبه في أواخر حجة الوداع.

(٢) الطبري ٣ : ١٨٥، عن سيف بن عمر التميمي عن فيروز الديلمي.

(٣) الطبري ٣ : ٢٢٩ ـ ٢٣١، عن سيف بن عمر التميمي.

علمه، وإن كان نبيّاً كما يقول فإذا لقيناه اتّبعناه. فأبى عليه قيس وسفّه رأيه. وقدم عمرو عليه فأسلم، فلما بلغ قيساً أوعده وتشدّد عليه[1].

فلما بلغ كتاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى فيروز الديلمي ورأى أن الأسود العنسي قد تغيّر لقيس حتى أمسى يخاف على دمه، أبلغوه عن النبي (صلى الله عليه وآله) ودعوه فأجابهم إلى ذلك.

وكتب النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى ذي ظُليم وذي الكلاع وذي مُرّان وعامر بن شهر (بن باذان) فتهيّجوا لذلك واعترضوا على العنسي وكاتبوا فيروز الديلمي وبذلوا له النصر، وكاتبهم وأمرهم أن لا يحرّكوا شيئاً حتى يبرموا الأمر.

وكتب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ساكني نجران من العرب وغيرهم من أبناء الفرس، فانضمّ بعضهم إلى بعض وتنحّوا عن غيرهم ناحية. وكاتب فيروز الناس ودعاهم. وارتاب العنسي من قيس وفيروز وهم منه في ارتياب وعلى خطر عظيم[2].

فيروز وابنة عمّه آزاد:

ودخل فيروز الديلمي على ابنة عمّه آزاد أرملة شهر بن باذان التي تملّكها الأسود، فقال لها: يا ابنة عمّ؛ إنّ هذا لرجل قتل زوجك وأسرع القتل في قومك، واهان من بقي منهم وفضح نساءهم، فهل عندك من ممالأة عليه؟! فقالت: على أي أمر؟ قال فيروز: على إخراجه. قالت: أو قتله! قال فيروز: أو قتله. قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم للّه على حق ولا ينتهي له عن حُرمة، فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمنفذ هذا الأمر.

وأعزّ الله الإسلام وأهله، وخلصت صنعاء والجند، وتراجع أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، فاصطلحوا على مُعاذ بن جبل يصلي بهم، وكتبوا إلى رسول الله بالخير.

---

(١) ابن إسحاق في السيرة ٢٣٠: ٤.
(٢) الطبري ٢٣١ ـ ٢٣٠: ٣، عن سيف التميمي.

وأتى النبي الخبر من السماء بقتل الأسود ليلة قُتل فقال (صلى الله عليه وآله) في صبيحتها لأصحابه: قُتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. قيل: ومَن هو: قال: فيروز، فاز فيروز[١] إنّ الله قد قتل الأسود الكذّاب العنْسي، قتله بيد رجل من إخوانكم من قوم أسلموا وصدّقوا[٢].

فتنة طُليحة في بني أسد:

روى الطبري عن ابن عامر الأسدي قال: جاء إلينا الخبر عن وجع النبي (صلى الله عليه وآله) ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة، وأنّ الأسود قد غلب على اليمن، فلم نلبث إلا قليلاً حتى ادّعى طُليحة بن خُويلد الفقعُسي الأسدي النبوّة واتّبعه العوام واستكشف أمره وعسكر في سميراء.

فكان أول من كتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بخبر طُليحة، عامل الرسول على بني مالك: سنان بن أبي سنان.

وبعث طليحة إليه ابن أخيه حبال يخبره بخبره وأنّ الذي يأتيه ملك سمّاه: ذا النون. فقال له النبي: قتلك الله[٣].

واجتمع على طُليحة عوام أسد وطيء وغطَفان وأشجع فبايعوه[٤] إلا بعض خواصّهم. فوجّه النبي (صلى الله عليه وآله) ضرار بن الأزور إلى عُمّاله على بني أسد، وأمرهم بالقيام على كل من ارتدّ منهم. فلما نزل طُليحة والمرتدون في سَميراء نزل المسلمون في واردات، وما زال المسلمون في نماء والمشركون والمرتدون في

---

(١) الطبري ٢٣٦ ـ ٢٣٢ : ٣، عن سيف التميمي.
(٢) الطبري ٢٣٩ : ٣، عن سيف التميمي، وفي هذا الخبر أن رهائن القوم ثلاثون غلاماً من أبناء الفرس، وهذا أولى وأقرب. والمرحوم المجلسي نقل مختصر خبر الأسود العنسي عن المنتقى للكازروني في بحار الأنوار ٤١٢ ٤١١ : ٢١.
(٣) الطبري ١٨٧ ١٨٦ : ٣، عن سيف.
(٤) الطبري ٢٤٢ : ٣ و ٢٤٤، عن سيف.

نقصان حتى أتى الخبر بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله) فأمسى المسلمون في نقصان وارفضّ الناس إلى طليحة واستطار أمره، حتى ارفضّ المسلمون![١].

وسمّى أُسامة لبَلقاء الشام:

لم يشغل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما كان عليه من الألم والمرض والوجع عن أمر الله عزّ وجل والذبّ عن دينه أمام المرتدّين عنه على عهده في اليمن واليمامة وغيرهما، ولكنّه إنّما حاربهم بالرُسل والمراسلات، فبعث وَبَر بن يُوحنس رسولاً إلى فيروز الديلمي ومساعد جُشيش الديلمي وداذويه الاصطخري من الأبناء في صنعاء وكتب إليهم أن يستنجدوا برجال سمّاهم من بني تميم وقيس، وأرسل إلى أُولئك أن ينجدوهم[٢] وفعل مثل ذلك بشأن مسيلمة وطُليحة، ولم يجهّز لهم جيشاً إلا أنّه سمّى أُسامة لبلقاء الشام.

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: أنّه عليه وآله السلام لما تحقّق من دنوّ أجله جعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم من الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصايتهم بالتمسك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الخلاف والارتداد.

فكان في ما ذكره من ذلك ـ عليه وآله السلام ـ ما جاءت به الرواة على اتفاق واجتماع من قوله: «أيها الناس إني فرطكم، وأنتم واردون عليّ الحوض، إلا وأنّي سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فانّ اللطيف الخبير نبأني أ نهما لن يفترقا حتى يلقياني، سألت ربّي ذلك فأعطانيه. إلا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم.

---

(١) الطبري ٢٥٧ : ٣ عن سيف، وانظر الترديد في ذلك في كتاب عبد الله بن سبأ ٥٦ ـ ٢٦ : ٢.
(٢) الطبري ١٨٧ : ٣ عن سيف.

أيها الناس، لا ألفينكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض... إلا وإنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وندبه أن يخرج... إلى حيث أُصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه على إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ويستتبّ الأمر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع، فعقد له الإمرة على من ذكرناه وجدّ في إخراجهم، وأمر أسامة بالخروج من المدينة إلى الجُرف، وحث الناس على الخروج إليه والمسير معه، وحذّرهم من إلا بطاء والتلوّم عنه.

فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفى فيها[1].

قال: وكان إذ ذاك في بيت أم سلمة «رضى الله عنها» فأقام به يوماً أو يومين، فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، وسألت سائر أزواج النبي في ذلك، فأذنّ لها، فانتقل (صلى الله عليه وآله) إلى البيت الذي أسكنه عائشة. واستمر به المرض أياماً وثقل عليه السلام[2].

ثم ذكر خبر الصلاة ثم قال: فلما سلّم انصرف إلى منزله فاستدعى جماعة

(١) الإرشاد ١٨١ ـ ١٧٩ : ١.

(٢) الإرشاد ١٨٢ : ٢، ومرّ عن الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن فقهاء الحجاز أنّه كان في بيت زينب بنت جحش ١٨٧ : ٣، وروى ابن إسحاق عن الزهري عن عائشة: انّه (صلى الله عليه وآله) كان في بيت ميمونة فاستأذنهنّ أن يكون في بيتي فأذنّ له (السيرة ٢٩٢ : ٤) فخرج رسول الله يمشي بين رجلين من أهله أحدهما: الفضل بن العباس، ورجل آخر، عاصباً رأسه تخطّ قدماه حتى دخل بيتي. فالذي سمع هذا من عائشة رواه لابن عباس فقال له: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال: هو علي بن أبي طالب (فابن هشام اكتفى عن ابن عباس إلى هنا ٢٩٨ : ٤) ورواه الطبري عن ابن إسحاق فأكمل عن ابن عباس قال: ولكنّها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع! ١٨٩ ـ ١٨٨ : ٣.

ممن حضر المسجد من المسلمين وفيهم أبو بكر وعمر فقال لهم: ألم آمر أن تنفِذوا جيش أُسامة؟! فلِمَ تأخرّتم عن أمري؟!

فقال أبو بكر: إنّني كنت خرجت ثم عُدت لأُحدث أو أُجدّد بك عهداً!

وقال عمر: يا رسول الله، لم أخرج، لأنّني لم أُحب أن أسأل عنك الركب!

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فأنفذوا جيش أُسامة، فأنفذوا جيش أُسامة، ثلاثاً[1].

هكذا، خلافاً لما مرّ عن ابن عقبة والواقدي من خروج عمر إلى المعسكر وخروج صاحبه أبي بكر إلى امرأته الخزرجية في عوالي المدينة، وموافقاً لليعقوبي في خروجهما في الجيش، واشتماله على المهاجرين والأنصار، بل زاد المفيد: بجمهور الأُمّة[2].

زيارة البقيع والخطبة العامة:

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: أنّه (صلى الله عليه وآله) أقبل على علي عليه السلام وقال له: إنّ جبرئيل كان يعرض عليّ القرآن كل سنة مرّة، وقد عرضه علي العام مرّتين، ولا أراه إلا لحضور أجلي[3]! يا علي، إنّي خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة، فاخترت لقاء ربّي والجنة[4] لما عراه مرضه وأحسّ به، قال لمن معه: إنّي

---

(١) الإرشاد ١٨٤ ١٨٣ : ٢ واشتهر: لعن من تخلّف عنه، ولم يرد من طرقنا إلا في خبر ضعيف ضمن محاورة الحروريّ للإمام الباقر عليه السلام في بحار الأنوار ٣٢٤: ٢٧.
وروى اللعن من قدماء المعتزلة أحمد بن عبد العزيز الجوهري البغدادي (م ٣٢٣ ه) في كتابه السقيفة، وعنه المعتزلي الشافعي البغدادي (م ٦٦٥ ه) في شرح نهج البلاغة ٥٢: ٦. ثم الشهرستاني في الملل والنحل بحاشية الفصل ٢٠: ١.

(٢) الإرشاد ١٨٠ : ٢ مما هو مستبعد جدّاً. وانظر تخلّفهم عن جيش أسامة في بحار الأنوار ٢٤ ـ ١٤ : ٣١، ط. تحقيق العلّامة اليوسفي الغروي.

(٣) هذا ما أفاده المفيد هنا لأول مرة من دون سائر مصادر أخبارنا عامة، وإنّما نقله عنه في إعلام الورى ٢٦٤ : ١، وقصص الأنبياء للروائدي: ٣٥٧، والحلبي في مناقب آل أبي طالب ٢٩١: ١.

(٤) كذا، وعنه في بحار الأنوار ٢٢:٤٦٦ وفي ٢١:٤٠٩ عن المنتقى للكازروني: خبر=

قد أُمرت بالاستغفار لأهل البقيع. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وانطلق حتى وقف فيهم فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أوّلها آخرها. ثم عاد إلى منزله عليه وآله السلام[1].

وبعد ثلاثة أيام خرج إلى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على علي عليه السلام وعلى الفضل بن العباس، حتى صعد المنبر فجلس عليه ثم قال:

«معاشر الناس، قد حان منّي خفوف[2] من بين أظهركم، فمن كانت له عندي عدة فليأتني أُعطه إياها، ومن كان له عليّ دين فليخبرني به.

معاشر الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه شرّاً إلا العمل.

أيها الناس، لا يدّعي مدّعٍ ولا يتمنّ متمنٍّ، والذي بعثني بالحق لا ينجي إلا عمل مع رحمة! ولو عصيت لهويت! اللهم هل بلّغت؟».

ثم نزل فصلّى بهم صلاة خفيفة، ثم دخل إلى بيت أم سلمة رضي الله عنها[3].

=خروجه (صلى الله عليه وآله) إلى البقيع مع أبي مويهبة، وهو عن ابن إسحاق في السيرة ٢٩٢: ٤. ورواه الصدوق في الأمالي: ٢٢٦ ح ١١، عن الصادق عن أبيه عن جدّه، ولكن في يوم الوفاة في بيته لا البقيع في أول مرضه. وفي الخبر بعد التخيير وترجيح جبرئيل الآخرة! يقول الرسول لملك الموت: امض لما أُمرت به! ولم يؤمر في الخبر إلا بتخييره، ففي لفظ الخبر اضطراب. ورواه المفيد في الأمالي: ٥٣ ح ١٥، بسنده عن الباقر عليه السلام: أنّ الذي خيّره هو جبرئيل عند الوفاة فقال: لا، بل الرفيق الأعلى، كما مثله في السيرة ٣٠١: ٤، عن عائشة.

(١) الإرشاد ١٨١: ٢، وروى نحوه ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة مولى رسول الله أنّها كانت معه فقط في جوف الليل ٢٩٢ ٢٩١: ٤، وكأن ابن العاص لم يشأ أن يذكر بها علياً عليه السلام! ونقل الفتن ابن إسحاق في الخطبة في المسجد بعد الصلاة ٣٠٤: ٤.

(٢) خفوف: حركة وقرب ارتحال، يريد الإنذار بموته ـ مجمع البحرين ٤٩: ٥.

(٣) الإرشاد ١٨٢: ١.

صلاة أبي بكر عن النبي (صلى الله عليه وآله):

أفاد المفيد في «الإرشاد» أنّه (صلى الله عليه وآله) كان في بيت أم سلمة «رضي الله عنها» يوماً أو يومين، فسألت عائشة أزواج النبي عليه وآله السلام أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، فأذنّ لها، فجاءت إلى أم سلمة تسألها أن تنقله له إلى بيتها، فأذنت لها، فانتقل (صلى الله عليه وآله) إلى البيت الذي أسكنه عائشة، واستمرّ به المرض أياماً وثقل عليه السلام.

وكان بلال يؤذن ثم يأتي إلى النبي فيؤذنه بذلك، فأذّن يوماً للفجر ثم جاءه وهو مغمور بالمرض، فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأُوذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بندائه فقال: يصلّي بالناس بعضهم فإنّني مشغول بنفسي.

فقالت عائشة: مروا أبا بكر[1].. وقالت حفصة: مروا عمرا

وكان رسول الله قد أمرهما بالخروج إلى أُسامة، ولم يكن عنده عِلم أ نّهما قد تخلّفا، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخّران عن أمره، ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتانهما بذلك هذا ورسول الله حيّ، فقال رسول الله لهما: اكففْن فإنكنّ صُويحبات يوسف.

ثم دعا علياً والفضل بن العباس (وتوضأ) واعتمدهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضعف، فلما خرج من بيته إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب، فحضره وأومأ بيده إليه أن تأخّر، فتأخّر أبو بكر، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقامه ولم يبْنِ على ماضي من فعال أبي بكر بل ابتدأ الصلاة بتكبيرة الإحرام[2].

---

(١) الإرشاد ١٨٢ : ١. ونقل المعتزلي عن شيخه يوسف اللمعاني: أنّ النبي ـ كما روى ـ قال: ليصلّ بهم أحدهم. ولم يُعيّن. وكانت صلاة الصبح، فكان علي عليه السلام ينسب إلى عائشة أنّها هي التي أمرت بلالا أن يأمر أباها أن يصلي بالناس... وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ويقول: إنّه (صلى الله عليه وآله) لم يقل: إنكنّ لصُويحبات يوسف، إلا إنكاراً لهذه الحال وغضباً منهما، لأنّها وحفصة تبادرتا لتعيين أبويهما، وأنّه (صلى الله عليه وآله) استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب ـ شرح النهج ١٩٧ : ٩.

(٢) الإرشاد ١٨٣ ١٨٢ : ١، وانظر كلامه في ذلك في الفصول المختارة: ١٢٨ ـ ١٢٤، وكلام=

حديث الدواة والكتف:

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: أنّه (صلى الله عليه وآله) لما سلّم من صلاته انصرف إلى منزله... ثم أُغمي عليه من الأسف والتعب الذي لحقه، فارتفع النحيب من ابنته والنساء من أزواجه والمسلمات ومن حضر من أهل بيته والمسلمين، فأفاق عليه وآله السلام ونظر إليهم ثم قال: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً!

فقام بعض من حضر يلتمس دواةً وكتفاً، وأُغمي على النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال عمر بن الخطاب لمن قام: ارجع فإنه يهجر[1]! فرجع، وقال بعضهم: إنا للّه وإنّا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله!

=السيّد المرتضى في الشافي ١٦١ ـ ١٥٨: ٢، وتلخيصه ٣٢ ـ ٢٨: ٣، والمسترشد: ١٤٦ ـ ١١٨، ط. المحمودي، وروى الطبري بسنده عن عائشة أن أبا بكر صلى بصلاته صلى الله عليه وآله ١٩٧: ٣.

(١) الإرشاد ١٨٤: ١، ونقله قبله الهلالي العامري في كتابه ٧٩٤: ٢، والنيشابوري في الإيضاح: ٢٥٩، والطبري ١٩٣ ١٩٢: ٣، بثلاثة طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلا ذكر عمر. وروى المجلسي الحديث والخبر في بحار الأنوار ٧٣ ـ ٧٠: ٣٠، بخمس طرق عن البخاري وطريقين عن الجمع بين الصحيحين وبثلاثة طرق عن صحيح مسلم منها عن مسند جابر بن عبد الله الأنصاري، وسائرها عن ابن عباس.
ونقل المعتزلي في شرح النهج عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر البغدادي الخراساني (٢٨٠ ـ ٢٠٤هـ) عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في خلافته فقال لي: كيف خلفت ابن عمّك عظيمكم أهل البيت؟ قلت: خلّفته يمتح بدلوه الماء من البئر على نخيلات فلان وهو يقرأ القرآن. فقال: يا عبد الله... هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك، سألت أبي عمّا يدّعيه فقال: صدق! فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذَرْو (وارتفاع): من قول لا يُثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يرفع من أمره وقتاً مّا، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك؛ إشفاقاً وحيطة على الإسلام؛ لاوربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها. فعلم رسول الله أني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما ضم! ٢١ ٢٠: ١٢.
وفيه عنه قال: خرجت معه إلى الشام فقال لي: يا بن عباس أشكو إليك ابن عمّك سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولم أزل أراه واجداً؛ ففيم تظنّ موجدته؟! أظنّه لا يزال كئيباً لفوت=

وأفاق (صلى الله عليه وآله) فقال له بعضهم: إلا نأتيك يا رسول الله بكتف ودواة؟

فقال: أبعد الذي قلتم؟! لا، ولكنّني أُوصيكم بأهل بيتي خيراً، ثم أعرض بوجهه عنهم. فنهضوا! وبقى أهل بيته خاصة وفيهم علي بن أبي طالب والعباس والفضل ابنه.

فقال له العباس: يا رسول الله، إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً بعدك فبشّرنا، وإن كنت تعلم أنا نُغلب عليه فأوص بنا!

فقال له: أنتم المستضعفون من بعدي! وأصمت[1]. فنهض القوم وفيهم علي عليه السلام وخرجوا من عنده.

وصيّة النبي إلى علي عليه السلام:

قال: فلما خرجوا من عنده قال صلى الله عليه وآله: ارددوا عليّ أخي عليّ بن أبي طالب، وعمّي. فأنفذوا من دعاهما، فحضرا.

=الخلافة؟! قلت: هو ذاك، إنّه يزعم أنّ رسول الله أراد الأمر له. فقال: يا بن عباس، وأراد رسول الله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟! إن رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره! فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسول الله! أو كلما أراد رسول الله كان؟! إنّ رسول الله أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددته خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله ما في نفسي فأمسك ـ ٧٩ ٧٨: ١٢.

(١) روى المفيد في أماليه: ٢١٢ م ٢٤ ح ٢، بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه (صلى الله عليه وآله) كان رأسه في حجر أم الفضل (كذا) فقالت له: نعيت إلينا نفسك وأخبرتنا أنّك ميّت، فإن يكن الأمر لنا فبشّرنا، وإن يكن في غيرنا فأوص بنا، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله): أنتم المقهورون المستضعفون بعدي ـ فلعلّ هذا هو أصل الخبر.
وروى الطوسي في الأمالي: ١٠٦ م ٤ ح ١٦١، بسنده عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة حضرته وقلت له: يا رسول الله فداك أبي وأمي قد دنا أجلك فما تأمرني؟
فقال: يا بن عباس، خالف من خالف علياً ولا تكونن لهم ظهيراً ولا ولياً.
فقلت: يا رسول الله لِم لا تأمر الناس بترك مخالفته؟ فبكى.
وقال: يا بن عباس، قد سبق فيهم علم ربّي، والذي بعثني بالحق نبيّاً لا يخرج أحد ممن خالفه من الدنيا وأنكر حقّه حتى يغيّر الله ما به من نعمة.
يا بن عباس، احذر أن يدخلك شكٌّ، فان الشك في علي كفر بالله.

فالتفت (صلى الله عليه وآله) إلى عمّه وقال له: يا عباس يا عمّ رسول الله، تقبل وصيّتي، وتُنجز عِدتي، وتقضي عنّي ديني؟

فقال العباس: يا رسول الله، عمّك شيخ كبير وذو عيال كثير، وأنت تباري الريح سخاءً وكرماً، وعليك وعدٌ لا ينهض به عمّك!

فأقبل علي عليه السلام وقال له: يا أخي، تقبل وصيّتي، وتنجز عدتي، وتقضي عنّي دَيني، وتقوم بأمر أهلي من بعدي؟

قال علي عليه السلام: نعم، يا رسول الله... فدعا بسيفه ودرعه وجميع لامته وعصابة كان يشدها على بطنه إذا خرج إلى الحرب، فجيء بها إليه فدفعها إليه، ونزع خاتمة من يده وقال له: خذ هذا فضَعْه في يدك، وضمّه إليه وقال له: امض على اسم الله إلى منزلك[1].

وروى الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: لما مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر فقال له:

فداك أبي وأمي يا رسول الله، مَن يغسلك منّا إذا كان ذلك منك؟

قال: ذاك علي بن أبي طالب، لأنّه لا يُهمّ بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، مَن يصلّي عليك منّا إذا كان ذلك منك؟

فقال لعلي عليه السلام: يا بن أبي طالب، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي، فاغسلني وانق غسلي وكفنّي في طمريّ هذين، أو في بياض مصر وبُرد يمان، ولا تغال في كفني، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، فأوّل من يصلّي علي

---

(١) الإرشاد ١٨٥: ١، وروى الخبر الصدوق في علل الشرائع ١٩٨: ١ ب ١٣١ ح ١، عن الباقر عليه السلام وّح ٢ و ٣، عن زيد بن علي و عنه الطوسي في الأمالي ح ١٢٤٤، عن علي عليه السلام.

الجبار جلّ جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكافيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يُحصي عددهم إلا الله عزّ وجل، ثم الحافّون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، ثم جلّ أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون، يؤمون إ يماءً ويسلّمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادبة ولا رنّة[١].

والأنصار تبكي:

وروى المفيد في أماليه بسنده عن ابن عباس: أنّ رجال الأنصار ونساءهم اجتمعوا في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) يبكون لحاله، فدخل العباس وابنه الفضل وعلي عليه السلام عليه (صلى الله عليه وآله) فقالوا له:

يا رسول الله، هذه الأنصار في المسجد تبكي عليك رجالها ونساؤها يخافون أن تموت. فقال: أُعطوني أيديكم، فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر[٢].

---

(١) أماليّ الصدوق: ٥٠٥ ح ٦ م ٩٢. وقريب منه في كشف الغمة ١٧ : ١ عن كتاب الثعلبي عن ابن مسعود، وأنّ المحاور للنبي أبو بكر، بينما روى الطبري ١٩٢ ١٩١ : ٣ خبراً نحوه عن ابن مسعود بمحاورته هو.

وخبر الصدوق عن ابن عباس بمحاورة عمّار بن ياسر يستمرّ أربع صفحات من ٥٠٥ إلى ٥٠٩، وبعد خبر عمّار، يعرج على ذكر خطبة له (صلى الله عليه وآله) على منبره في مسجده جاء فيه: ناشدتكم الله أي رجل منكم كانت له قِبَل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه (كذا) فقام إليه رجال يقال له سوادة بن قيس... إلى آخر الخبر. بينما لا يوجد في المراجع صحابي بهذا الاسم، ولعلّه لهذا غيّره السيّد الأمين العاملي في المجالس السنية ٢٥: ٥ إلى: سواء بن قيس، وذكره المحقّق الشوشتري في قاموس الرجال ٣٢٨: ٥ ولم يذكر له الخبر، بل نقل عن ابن مندة وأبي نُعيم: أنّه هو الذي باع النبي فرساً ثم أنكره فشهد له ذو الشهادتين. وذكر بعده سواد بن عمرو وذكر عنه أنّه لقيه النبي وبيده جريدة فطعن بها في بطنه فخدشه، فقال: يا رسول الله أقِدني، فهناك حسر النبي له عن بطنه وأعطاه الجريدة، فألقاها وقبّل بطنه، كما في أسد الغابة ٣٧٤: ٢. وذكر بعده سواد بن غُزيّة الأنصاري، وذكر أنّه شهد بدراً، فروى الطبري: أنّ النبي كان بيده قِدح يُعدّ لهم به، وكان سواد متقدماً فطعنه بالقِدح في بطنه ليستوي فقال: أقِدني، فهناك كشف النبي له عن بطنه وأعطاه القِدح، فألقاه وقبّل بطنه، فدعا له النبي بخير ـ الطبري ٤٤٦ : ٢، وأسد الغابة ٣٧٥: ٢. فما في خبر سوادة بن قيس خلط وخبط وسهو ولَبْس.

(٢) وروى نحوه الطبرسي في الاحتجاج ٨٩: ١، وفيه: فاستند إلى جذع من أساطين المسجد وخطب فقال...

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فما تنكرون من موت نبيّكم؟ ألم أُنع إليكم وتُنع إليكم أنفسكم؟ لو خُلّد أحد قبلّي لخُلّدت فيكم.

إلا إنّي لاحق بربي، وقد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم تقرؤونه صباحاً ومساءً... وقد خلّفت فيكم عترتي أهل بيتي، فأنا أُوصيكم بهم.

ادعوا إليَّ أخي وصاحبي:

وأفاد المفيد في «الإرشاد»: كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا لضرورة، وقام في بعض شؤونه.

ومن غد ذلك اليوم أفاق رسول الله إفاقة فرأى أزواجه من حوله وافتقد علياً عليه السلام، فقال لهم: ادعوا لي أخي وصاحبي. فقالت عائشة: ادعوا له أبا بكر.

فدُعي أبو بكر فدخل عليه وقعد عند رأسه، وكان النبي قد عاوده الضعف فأُصمت، فلما فتح عينه ونظر إلى أبي بكر أعرض بوجهه عنه. فقال أبو بكر: لو كانت له إليَّ حاجة لأفضى بها إليّ، وقام فخرج.

فلما خرج أبو بكر من عنده أعاد رسول الله القول ثانية: ادعوا لي أخي وصاحبي.

فقالت حفصة: ادعوا له عمر. فدُعي عمر، فلما حضر ورآه النبي أعرض عنه، فانصرف.

فلما خرج عمر من عنده أعاد القول ثالثة: ادعوا لي أخي وصاحبي[1].

فقالت أُم سلمة «رضي الله عنها» ادعوا له علياً إنّه لا يريد غيره. فدُعي علي عليه السلام.

---

(١) الإرشاد ١٨٦: ١، ونحوه في الطبري ١٩٦: ٣، مزيداً مضافاً محرّفاً.

فلما دنا علي ﷺ منه أومأ إليه فأكبّ عليه فناجاه رسول الله طويلاً، ثم تركه فجلس ناحية، وأغفى رسول الله.

فقيل لعلي ﷺ: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟ فقال:

علّمني ألف باب، يفتح لي كل باب ألف باب[١]، ووصّاني بما أنا قائم به إن شاء الله.

ثم فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينه وقال لعلي ﷺ: يا علي، ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله عزّ وجل، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجّهني إلى القبلة، وتولّ أمري[٢]، فإذا أنا متُّ فاغسلني واستر عورتي فإنه لا يراها أحد إلا أكمه[٣] وصلّ عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى[٤] وادفنّي في هذا المكان، وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورشّ عليه من الماء[٥].

فأخذ علي ﷺ رأسه ووضعه في حجره، وأغمي على النبيّ.

فاكبّت عليه ابنته فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

«وأبيض يُستسقي الغمام بوجهه ثِمال اليتامى عصمة للأرامل»[٦].

ففتح رسول الله عينيه وقال لها بصوت ضئيل:

يا بُنيّة، هذا قول عمّك أبي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[٧] فبكت، فأومأ إليها بالدنوّ منه، فدنت، فأسرّ إليها شيئاً تهلل له وجهها.

---

(١) نحوه في أمالي الصدوق: ٥٠٩ ٥٠٨ م ٩٢ ح ٦، عن ابن عباس.
(٢) الإرشاد ١٨٦ ١٨٥ : ١.
(٣) الإرشاد ١٨٢ ١٨١ : ١، وخبره في أمالي الطوسي: ٦٦٠ م ٣٥ ح ١٣٦٥، عن الصادق ﷺ.
(٤) الإرشاد ١٨٦ : ١.
(٥) أصول الكافي ٤٥٠ : ١ ح ٣٦، عن الباقر ﷺ.
(٦) الثمال: الغياث.
(٧) آل عمران: ١٤٤.

فقيل لها: ما الذي أسرّ إليك رسول الله فسُرّى عنك ما كان عليك من القلق والحزن من وفاته؟ فقالت: إنّه خبّرني أنّني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنّه لن تطول المدة بي بعده حتى أُدركه، فسُرّى ذلك عنّي[١]!

فروى العياشي في تفسيره عن الباقر (عليه السلام): أنّ علياً (عليه السلام) لما غمّض رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ يا لها من مصيبة خصّت الأقربين وعمّت المؤمنين، لم يُصابوا بمثلها قط، ولا عاينوا مثلها[٢].

فبينا هم كذلك إذ أتاهم آت من الله تعالى يسمعون كلامه ولا يرونه فقال:

السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزاءً من كل مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركاً لما فات ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣].

إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم، وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل وآمنكم من الفتن. فتعزّوا بعزاء الله، فانّ الله لم ينزع منكم رحمته ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عزّ وجل الذين بهم تمّت النعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه؛ فمن تولّاكم فاز ومن ظلم حقّكم زهق، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثم الله على نصركم ـ إذا يشاء ـ قدير.

فاصبروا لعواقب الأُمور، فإنّها إلى الله تصير. قد قبلكم الله من نبيّه وديعة واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه، فأنتم

---

(١) الإرشاد ١٨٧: ١، والخبر في أمالي الطوسي ح ٣١٦، وفي البخاري ١٢: ٦، ومسلم ١٩٠٤: ٤، والترمذي ٣٦١: ٥.
(٢) تفسير العياشي ٢٠٩: ١ ح ١٦٦.
(٣) آل عمران: ١٨٥.

الأمانة المستودعة، ولكم المودّة الواجبة والطاعة المفروضة، وقد قبض رسول الله وقد أكمل لكم الدين وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجّة، فمن جهل أو تجاهل، أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، واستودعكم الله، والسلام عليكم[١].

غسله والصلاة عليه ودفنه:

وأفاد المفيد في «الإرشاد» أنّ عليّاً عليه السلام لما أراد غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) استدعى الفضل بن العباس فعصّب على عينيه ـ حسب وصيّة النبي ـ وأمره أن يناوله الماء لغسله. ثم شقّ قميصه من جيبه حتى سُرّته، وتولّى غَسله وتحنيطه وتكفينه[٢].

وروى المفيد بسنده عن ابن عباس قال: لما فرغ علي عليه السلام من غَسله) وكفّنه (كشف الإزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وطبت ميّتاً، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوّة والأنبياء، خصّصت حتى صِرت مسلّياً عمّن سواك، وعمّمت حتى صار الناس فيك سواء. ولو لا أنّك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربّك واجعلنا من همّك.

ثم أكبّ عليه فقبّل وجهه، ومدّ الإزار عليه[٣].

---

(١) أصول الكافي ٤٤٥: ١ ح ١٩، وروى قريباً منه العياشي في تفسيره ٢٠٩: ١ ح ١٦٦، ثم خبرين آخرين عن الصادق عليه السلام ح ١٦٧ و١٦٨، وعنه عليه السلام اليعقوبي في تاريخه ١١٤: ١. وروى مثله الصدوق في أماليه: ٢٢٧ ذيل ح ١١، عن السجاد عن علي عليه السلام: أنّ المعزي كان الخضر عليه السلام وكذلك في كنز العمال ٢٥٠: ٧ ح ١٨٧٨٥.

(٢) الإرشاد ١٧٨: ١ وروى ابن إسحاق في السيرة ٣١٢: ٤، عن عكرمة عن ابن عباس: أنّ الذين ولوا غسله (صلى الله عليه وآله) إنما هم أبوه وأخواه الفضل وقُثم وعلي بن أبي طالب وأسامة وشُقران مولياه. وكان علي قد أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدلكه من وراء القميص، وأسامة وشقران يصبّان الماء، والعباس وابناه الفضل وقثم يقلبونه مع علي عليه السلام.

(٣) أمالي المفيد: ١٠٢ م ١٢ ح ٦، ورواه الرضي في نهج البلاغة خ ٢٣٥، وروى ابن إسحاق=

فروى الكليني عن الصادق عليه السلام قال: أتى العباس أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا علي، إنّ الناس قد اجتمعوا على أن يؤمّهم رجل منهم (فيصلّوا على النبيّ) ويدفنوه في بقيع المصلّى.

فخرج أمير المؤمنين إلى الناس فقال لهم: يا أيها الناس، إن رسول الله إمامنا حيّاً وميّتاً و(قد) قال: إنّي أدفن في البقعة التي أُقبض فيها[1].

ثم أمر الناس أن يدخلوا عليه عشرة عشرة فيصلّون عليه ثم يخرجون، ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ووقف أمير المؤمنين في وسطهم فقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا إِنَّ﴾ فيقرأون كما يقرأ، حتى صلّى عليه أهل المدينة وأهل العوالي[2].

وروى الحلبي عن الباقر عليه السلام أنّهم صلّوا عليه عشرة عشرة يوم الاثنين وليلة الثلاثاء حتى الصباح ويوم الثلاثاء حتى صلّى عليه الأقرباء والخواص. وأنّ عليّاً عليه السلام أنفذ أبا بريدة الأسلمي إلى أهل السقيفة فلم يحضروا[3].

وقال المفيد: وفات أكثر الناس الصلاة على رسول الله لتشاجرهم في أمر خلافته! وكان عادة أهل مكة أن يضرحوا للدفن (في وسط القبر) وكان الذي يحفر لهم في المدينة أبو عبيدة بن الجرّاح، وكان أهل المدينة يلحدون (في جانب القبر) والذي يحفر لهم أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال العباس: اللهم خِر لنبيّك، وأرسل رجلين إلى أبي عبيدة وأبي طلحة أيهما وُجد، فوُجد أبو طلحة زيد بن سهل فجيء به وقيل له: احتفر لرسول الله، فحفر له لحداً.

=الجملة الأولى ٣١٣ : ٤، وابن حنبل في مسنده ح ٢٢٨، وأنساب الأشراف ٥٧١ : ١، وأمالي محمد بن حبيب) م ٢٤٥هـ (وأمالي إبراهيم النموي (م ٣١١هـ) كما في المعجم المفهرس لنهج البلاغة: ١٣٩٣.

(١) أصول الكافي ٤٥١ : ١ ح ٣٧. ونقله ابن إسحاق عن قول أبي بكر! ٣١٤: ٤.

(٢) أصول الكافي ٤٥٠ : ١ و٤٥١ ح ٣٥ و٣٨، وروى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: دخل الناس أرسالاً: الرجال ثم النساء ثم الصبيان! ٣١٤: ٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢٩٧: ١.

وكان الأنصار حول البيت فنادوا عليّاً عليه السلام: يا علي، إنّا نذكّرك الله وحقّنا اليوم من رسول الله أن يذهب، أدخل منّا رجلاً يكون لنا به حظّ من مواراة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١].

فقال علي عليه السلام: ليدخل أوس بن خولي، وكان خزرجياً بدرياً فاضلاً. فلما دخل قال له علي عليه السلام: إنزل القبر، فنزل، فحمل علي النبي ودلّاه في الحفرة على يدي أوس الخزرجي، فلما وضعه على الأرض قال له: اخرج فخرج[٢].

قال: ثم نزل علي عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة عن يمينه، ثم وضع اللِبَن على اللحد، ثم خرج وهال عليه التراب[٣].

وروى الكليني: أنّ عليّاً عليه السلام جعل اللبن على قبره[٤] وفي آخر: أنّه حصّبه بحصباء حمراء[٥] فلعلّها كانت في الوسط واللبن حولها. وفي ارتفاعه:

---

(١) الإرشاد ١٨٨ : ١. وروى ابن إسحاق عن ابن عباس: أن أوساً هو الذي قال ذلك حين الغسل فأُدخل وحضر الغسل! ٣١٢: ٤ ثم ذكر هذا الخبر حين الدفن، فهل تكرّر ذلك مرّتين؟! هذا وهو يكرّر: أنّ ذلك كان في وسط الليل، وأخرى: في جوف ليلة الأربعاء ٣١٤: ٤، فهل كان التماس أوس واستجابته وإدخاله في جوف الليل؟! بعيد جداً.

(٢) الإرشاد ١٨٩ ١٨٨ : ١. وهنا روى ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٠٣: ٢، عن ابن حزم قال: إنّ المغيرة بن شعبة ألقى خاتمه في قبر النبي (صلى الله عليه وآله) لينزل فيه فقال له علي: إنّما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فيقال: نزل في قبر النبي، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً. وفي كنز العمّال قال: لا يتحدّث الناس أنّك نزلت فيه أو أنّ خاتمك في قبر النبي. وكان رأى موقعه فنزل وتناوله ودفعه إليه ٢٥٨: ٧ ح ١٨٨١٢. وروى ابن إسحاق في السيرة ٣١٥: ٤: أن نفراً من أهل العراق دخلوا على علي في دار أخته أم هاني في الحج في زمان عثمان فقالوا: يا أبا الحسن، جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه. قال: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدثكم: أنّه كان أحدث الناس عهداً برسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! قالوا: أجل، جئنا نسألك عن ذلك. فقال: كذب.

(٣) الإرشاد ١٨٨ : ١.

(٤) فروع الكافي ١٩٧: ٣ ح ٣.

(٥) فروع الكافي ٢٠١: ٣ ح ٢ و ٥٤٨: ٤ وتهذيب الأحكام ٤٦١: ١.

روى الحميري: أنّه رفعه من الأرض قدر شبر وأربع أصابع ورشّ عليه الماء(١). وفي اليعقوبي: رُبّع قبره ولم يسنّم(٢).

فبينما هو يسوّي قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمسحاة في يده إذ جاءه رجل فقال له: إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر وإنّ الطلقاء بدروا بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم. فوضع علي عليه السلام المسحاة في الأرض ويده عليها وهو يقول: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾(٣).

وكان ذلك في يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من هجرته، وهو ابن ثلاث وستين سنة(٤).

وفي «تاريخ أهل البيت» بسنده عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قبض رسول الله في يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. ورواه الأربلي عن الباقر عليه السلام. ونقله الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن فقهاء الحجاز: أنه قبض نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول(٥).



---

(١) قرب الإسناد: ١٣٦ ح ٥٥٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١١٤: ٢.
(٣) الإرشاد ١٨٩ : ١، والآية في سورة العنكبوت: ٤ ـ ١، فلعلّ تأكيد ابن إسحاق أو رواته على أنّ ذلك كان في جوف الليل ووسطه ليلة الأربعاء لإبعاد ما روي معه من خبر السقيفة!
(٤) الإرشاد ١٨٩ : ١، وعنه في إعلام الورى للطبرسي، وقصص الأنبياء للراوندي، ومناقب آل أبي طالب للحلبي، وكشف الغمة للأربلي، ولم نعثر على مصدر له قبل الإرشاد، وإنما اشتهر منه.
(٥) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣:٧٠٣.

الفهرس